منبر الإسلام

العدد ١١ ـ السنة ٢١ ـ ذوالقعدة سنة ١٣٨٣ ابريل ١٩٦٤

الثمن ٥ قروش

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير محمد توفيق عويضه

ذو القعدة ١٣٨٣
ابريل ١٩٦٤
العدد ١١ السنة ٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

- معـــالم الطـــريق
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- الحرية أساس الديمقراطيـــة .. السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية
- حديث مع سفير اتحاد ماليريا
- النفاق والمنافقون .. فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- مواطن الإحسان .. فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
- اشتراكيون مسلمون .. الدكتور احمد الحوفى
- الاناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين .. الدكتور على عبد الواحد وافى
- الخلافة : أو مكان الانسان فى الكون .. الاســتاذ البهى الخولى
- خواطر مستشار .. المستشار على على منصور
- رحلتى الى تونس .. فضيلة الشيخ منصور رجب
- صرخة من اخاء .. الشاعر عبد الله شمس الدين
- المرأة المسلمة ـ تحقيقات صحفية ـ عرض الكتب ـ مع القراء

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة من البلاد الاخرى

•

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق .....

خطاب السيد / الرئيس

جمال عبد الناصر

في عيد الوحدة السادس

القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابه التاريخى فى الاحتفال بعيد الوحدة السادس مساء السبت ٢٢ من فبراير ١٩٦٤ .. أعلن الرئيس أن شعب فلسطين لابد له أن يعود الى أرضه وأن احتمالات المستقبل .. حرب مع اسرائيل .

قال الرئيس اننا سنساند ثورة اليمن بكل قوتنا حتى يتم تكوين جيش يمنى قوى .

أعلن الرئيس أنه سيصدخلال شهر قانون التأمين ضد البطالة . قال أننا نبنى مجتمعا نموذجيا . سقط تحالف الاقطاع مع رأس المال المستغل وانتهى الاستغلال السياسى والاجتماعى والاقتصادى وانفتح المجال للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة .

قال الرئيس عبدالناصر : ان استثمارات الصناعة بلغت ١٥٥ مليون جنيه بعد أن كانت ٢ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ .. وان انتاجنا الصناعى زادت قيمته عن انتاجنا الزراعى . واننا نبنى بلدنا من أجل كل فرد من أبناء هذا البلد .

وفيما يلى نص خطاب الرئيس

أيها المواطنون : ـ

باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة ، اشكر السيد رئيس الوفد العراقى ، الذى يشترك معنا فى هذا الاحتفال بعيد الوحدة .. وأحمله تحية شعب الجمهورية العربية المتحدة الى شعب العراق ورئيسه البطل عبد السلام عارف .

من أسبوعين .. من أسبوعين سئلت .. سألونى .. هل حيكون فيه احتفال السنة دى لعيد الوحدة ؟ خصوصا بعد مؤتمر الملوك والرؤساء .. وكان ردى على هذا السؤال ، انه لابد أن يكون فيه احتفال بالوحدة ... بعد هذا الرد وجدت من يشعر بالاستغراب ، حصل استغراب ، ازاى حنقيم احتفال بالوحدة بعد انعقاد مؤتمر الملوك والرؤساء . وبعدين سألت ايه اللى يمنع ؟؟ ايه اللى يمنع أن احنا نقيم احتفال بالوحدة ؟ وايه فى المؤتمر يمنع الاحتفال بعيد الوحدة ؟؟

الجو العربى الجديد

بعض الناس قالوا أن ربما الجو الجديد السائد فى العالم العربى بعد المؤتمر يضع أمامنا بعض الحرج فى الكلام عن سوريا ، أو الاوضاع فى سوريا ..

ذكرنى هذا السؤال ، وذكرتنى هذه الواقعة باللى حصل من سنتين ، لما جه عيد الوحدة لأول مرة بعد جريمة الانفصال ، وكان هناك بعض الناس ، بيحسوا أن فيه تناقض بين الاحتفال بعيد الوحدة فى فبراير . وبين الانفصال الذى تم بالتآمر فى سبتمبر سنة ١٩٦١ .. الحقيقة أن التقدير فى المرتين غلط ، ليه ؟..

الوحدة والاحتفال بالوحدة اكبر بكثير من الانفصال ، ومؤامرات الانفصال لأن الوحدة كانت دائما هدف قومى كافحت من أجلها الامة العربية .. الوحدة عمل ايجابى ، وبناء تاريخى ، وبناء شعبى .. الوحدة أبقى من المؤامرات .. الوحدة بتفضل .. فكرة الوحدة بتفضل . الامل فى الوحدة بيفضل ولهذا الوحدة استمرت على مر السنين ، واستمرت على مر الايام .

الوحدة أبقى

من المؤامرات

الوحدة أبقى من المؤامرات وأبقى أيضا بما قد تحققه المؤامرات ديه من نجاح وقتى وجزئى .. الوحدة حدث فى تاريخ العرب . لا يمكن أن تنتقص قيمة الوحدة حينما تتعرض للمؤامرات والوحدة دايما كأمل وكهدف وكقوة لا بد أنها تتعرض للمؤامرات .

وأنا أشعر بأن تعرض الوحدة للمؤامرات يزيد من قيمتها ونجاح بعض المؤامرات التى وجهت ضد الوحدة .. هذا النجاح مخلناش نيأس أبدا .. ولكن يثير فى نفوسنا عزائم جديدة . قدر ما نحس وما نشعر من اعداء الوحدة بكراهيتهم للوحدة . قدر ما يتآمرون على الوحدة يشعر كل فرد عربى مؤمن بقيمة الوحدة فى نضاله القومى .. فى نضاله العربى .. بمقدار ما ينجح أعداء الوحدة فى مؤامراتهم . نشعر احنا الشعب العربى المكافح فى سبيل الوحدة نشعر بضرورة توفير الضمانات الأقوى للوحدة .

اهتمام خاص بسوريا

طبعا النهاردة واحنا بنتكلم عن الوحدة

وبنحتفل بعيد الوحدة فى ٢٢ فبراير لازم نقول فى مصر .. فى الجمهورية العربية المتحدة اننا بنهتم بسوريا اهتمام خاص لا يمكن أن نغفل عن هذا ولا يمكن ان احنا ما نقولوش .. ليه ؟؟

سوريا كانت شريكة الوحدة اللى قامت فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ .. سوريا هى اللى واجهت الانفصال بغير ارادة الشعب ، بل ان هذا الانفصال كان مقدمه حتى تتحرك كل العناصر المتآمرة .. العناصر الرجعية .. العناصر المنحرفة .. العناصر الانتهازية ... العناصر المتعاونة مع الاستعمار وتنقض على الشعب السورى .

حينما نتطلع الى ما حدث فى سوريا بعد الانفصال ونتذكر ماعاناه الشعب السورى اللى ضحى ، ودخل السجون ، وقدم أرواح شريفة ، ودماء طاهرة ثمنا لتصميمه على فكرته اللى نادى بيها من سنين طويلة فى القومية العربية ، والوحدة العربية .

حينما نتطلع الى ما حدث فى سوريا منذ يوم الانفصال ونتذكر أو نستعرض ما حل بالشعب السورى لابد أن نهتم بالشعب السورى أو بسوريا اهتمام خاص .

احنا نثق ثقة مطلقة بالشعب السورى ونؤمن بارادته الحرة .. ودا اللى خلانا فى سنة ٥٨ نقبل الوحدة .

لان ارادة الشعب السورى الحرة . الارادة العربية .. الارادة التى رفعت دايما راية الوحدة .. هى التى فرضت الوحدة سنة ٥٨ .

مع الشعب السورى دائما

وبعد الانفصال احنا كنا بنعيش مع الشعب السورى البطل بأعصابنا ، نعيش معه ايامه ولياليه منذ يوم الانفصال ، بكل مافيها وقلوبنا دائما مع الشعب السورى ، ولايمكن بأى حال ، أن ننكر اننا نهتم بالشعب السورى المناضل .. المكافح .. اللى رفع راية القومية العربية .. لايمكن أن ننكر أننا نهتم به اهتماما .. لا يمكن أن ننكر أننا نهتم به اهتماما خاصا ..

طبعا لأن فيه عشرة ، واحنا وسوريا كنا دولة واحدة من ٥٨ ل ٦١ ، دخلنا فى تجربة ونحن نتحدى الاستعمار ، ونحن نتحدى الرجعية ، ونحن نتحدى أعوان الاستعمار ، ونحن نغير لأول مرة فى هذه المنطقة ، خريطة هذه المنطقة .. بارادتنا ..

الخريطة اللى اتعملت بعد الحرب العالمية الاولى اللى عملوها الحلفاء اللى كسبوا الحرب العالمية الاولى ، وقسموا أوصال الوطن العربى والعالم العربى ..

احنا كنا فى سنة ٥٨ ، الشعب المصرى والشعب السورى ، يتحدى كل هذه الارادة ويتحدى كل هذه القوة ويقيم من ارادته : الجمهورية العربية المتحدة التى تعبر عن وحدة مصر وسوريا ..

علشان كده احنا بنقول دايما أن احنا نهتم بسوريا اهتماما خاصا ..

موقفنا لم يتغير

بعد مؤتمر الملوك والرؤساء العرب ، هل موقفنا اتغير عن الأول ؟

اللى أنا عايز أقوله أن مافيش حاجة أبدا اتغيرت فى حقائق موقفنا بعد المؤتمر لسبب بسيط جدا ..

ما فيش حاجة اتغيرت فى حقائق موقفنا بعد المؤتمر .. سياستنا ليست سياسة نزوات .. سياستنا ليست اعتبارات أو نتيجة اعتبارات لظروف شخصية أو عاطفية . وانما سياستنا بتبنى على أساس واضح واحد .. هذا الاساس هو المبادىء التى نؤمن بها ..

روح المؤتمر

الاحتفال بالوحدة .. أو بعيد الوحدة لا يقتضى منا أن احنا نقوم بأى شىء يختلف مع الروح اللى تركها مؤتمر الملوك والرؤساء فى العالم العربى .. هذه الروح التى نريد بذل أقصى الجهود ، للاحتفاظ بيها ، وتقويتها ، وتمكينها من أن تدعم تأثيرها فى العالم العربى وفى الواقع العربى .

بدى أفكركم بحاجة يمكن قلتها قبل كده مرة واثنين وثلاثة وأربعة .. مصر لم تبدأ أبدا بهجوم على حد وانما كنا بترد .

يمكن بتفتكروا فى ديسمبر سنة ٦١ أنا قلت هذا الكلام بالتفصيل .. ما جيناش كده

أبدا من الباب للطاق وطلعنا وهاجمنا حد .. أو الاذاعة بتاعتنا هاجمت حد .. أو الصحف بتاعتنا هاجمت حد .. أبدا بدليل أن فيه دول كتيرة ماهاجمنهاش ..

ولكن كنا دايما بنرد على الهجوم الموجه الينا .. يمكن صوتنا بيكون عالى واحنا بنرد، فكان بعض الناس بينسى أن احنا لما ردينا كنا بنرد بالهجوم على اللى هجمونا .. حتى من وقت نورى السعيد .. ومن أيام حلف بغداد .. احنا رفضنا حلف بغداد رفضناه لانفسنا .. لا نقبل حلف بغداد .. لا نقبل الدخول فى حلف بغداد وما كانش عندنا احراج حد ، بل عالجنا الأمر موضوعيا ودعينا فى سنة ٥٥ الى مؤتمر لرؤساء الحكومات ليبحث حلف بغداد ماهاجمناش القائمين على حلف بغداد ، وقلنا رأينا أن حلف بغداد نوع العملية عملية المهاترات ولكناقلنارأينافىحلف بغداد رأى موضوعى .. قلنا أن حلف بغداد معناه أنه يضعنا داخل النفوذ لانجلترا ... وان ده يعتبر استعمار جديد .

وكنا نشعر طبعا أن كل ما نقرره يؤثر أيضا خارج حدودنا . بحكم وحدة الامة العربية .. وكنا نشعر أيضاأن موقفنا الثورى الجديد فى العالم العربى سيصنع تمزقا فى داخل العالم العربى ولكن لم يكن أمامنا بأى حال من الاحوال أن نتخذ أى موقف الا هذا الموقف الثورى والا .. كنا نسلم المصير العربى كله للاستعمار والرجعية ..

الهجوم علينا

اللى حدث لو نذكر هذه الايام . عارضنا حلف بغداد ، وقلنا رأينا أن حلف بغداد نوع جديد من الاستعمار ..

اللى كانوا عايزين ينضموا لحلف بغداد . وجدوا فى موقفنا خطر عليهم .. وجدوا أن موقفنا يكشفهم ويكشف دورهم .. بدأوا فى الهجوم علينا وبدأوا فى الهجوم على موقفنا ..

وكل ما نذكر فى هذه الايام فى سنة ٥٥ اللى قالوا .. طيب اذا ما كناش حنمشى مع الغرب واذا ما كناش حندخل فى الاحلاف أمال حنجيب أسلحة منين ؟..

أمال حنمنع خطر اسرائيل ازاى ..

وكانت تقال أسباب وتردد كتبت فى بعض الصحف اللى بتصدر فى البلاد العربية ، وقيلت فى بعض الاذاعات ..

هاجموا موقفنا ، لان موقفنا ضد حلف بغداد ، كان يمثل خطر عليهم وكان يكشفهم ويكشف دورهم .. طبعا كان لا بد لنا أن نشرح موقفنا للامة العربية كلها . ولما تطور الأمر، وشرح..حصل رد فعل وحصل الصراع فى العالم العربى بين الشعب العربى المؤمن باستقلاله وعروبته ، وقوميته ، اللى كان يعارض حلف بغداد ويعارض الاستعمار والاستعمار الجديد ، حتى انتهى الامر كما كان .. لا بد أن ينتهى بهزيمة حلف بغداد ..

الاحداث التى حصلت

ولو تذكرنا بعد كده جميع الاحداث اللى حصلت نجد نفس الشىء ، لم نبدأ أبدابالهجوم ولكن كان دائما دورنا أن نرد على اللى بيهجمونا .

فى الثورة السياسية حصل هذا الشىء .. فى الثورة الاجتماعية تكرر نفس هذا الشىء ..

لما دعونا للاشتراكية ، لما دعينا لتطبيق الاشتراكية بالكفاية والعدل ، ودعينا الى تذويب الفوارق بين الطبقات ، بالتنمية الاقتصادية ، والتحويل الاشتراكى ، ووجهنا بهجوم علينا ، من مين ؟..

من المستفيدين من الاوضاع الاستغلالية القديمة فى العالم العربى ، لانهم شعروا أن هذه الدعوة للاشتراكية ، الدعوة للعدالة الاجتماعية ، هذه الدعوة تمثل خطرا على امتيازاتهم اللى حصلوا عليها على مر السنين فخرجوا للتصدى لهذه الدعوة ..

كنا مبنبتديش أبدا احنا بالهجوم ، مهجمناش حد .. مقلناش أن ده لازم يحول نظامه علشان يكون اشتراكى ، مقلناش أن النظام فى البلد الفلانية لازم يتحول من كذا لكذا .. كل اللى عملناه أن احنا أعلنا وآمنا وآمن معنا الشعب هنا فى الجمهورية العربية أن لابد من أن تسير الثورة فى طريق الاشتراكية ، لان الثورة كان معناها أن ارادة الأمة عادت اليها ..

وطالما أن ارادة الامة عادت اليها لابد أن تسير هذه الارادة فى طريق الكفاية والعدل ، طريق الاشتراكية ، طريق الحرية السياسية، وطريق الحرية الاجتماعية ، طريق تصفية الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى وكنا بنتكلم عن الأوضاع فى بلدنا وعن التحويل الاشتراكى فى بلدنا ، ولكن تصدى لينا من خارج بلدنا من وجدوا فى هذه الدعوة خطرا عليهم وعلى امتيازاتهم • وهاجمونا ، هاجمونا هجوم مستمر • هاجمونا هجوم بلا هوادة ، لم نبدأ بأى حال أحنا الهجوم ، ولكن طبعا بعد ما هاجمونا احنا ردينا وكان ردنا بمثل الرد العالى ، كان أيضا صوتنا عاليا فى ردنا ••

الثورة غير المعارك الكلامية

الثورة ما تحتاجش أبدا للمعارك الكلامية الثورة فكر ، الثورة تطبيق عن ايمان يصدر من ضمير كل انسان ومن وجدانه •• المعارك الجانبية ، معارك الاذاعات ، تضيع وقت الثورة والثورة لا تحتاج الى هذه المعارك الجانبية ، لان الثورة بحكم ظروفها وبحكم طبيعتها هى عمل ايجابى ••

الثورة تسعى للتغيير • اللى بيهاجموا واللى بيفرضوا معارك الكلام ، همه اللى عايزين يتصدوا لهذا التغيير • الثورة تكلمت ايجابيا، وطبقت مبادئها ثوريا حينما واتتها الظروف • الرجعية هنا بالنسبة للثورة الاجتماعية خافت أيضا من التأثير ، من هذا الخوف كانت مواقف الرجعية • وبدأ صراع جديد فى العالم العربى

اذن ، أيضا فى هذه المرحلة احنا ماهجمناش ولكن أحنا هوجمنا فى هذه المرحلة ، وكان لابد لينا أن احنا نرد ونوضح مواقفنا ونكشف مواقف اللى هاجمونا ••

سياستنا واضحة

سياستنا من سنة ٥٢ واضحة ، سنة ٥٢ كان لينا مبادىء محددة المبادىء الستة كنا باستمرار بنكرزها ونعمل على تطبيقها • بعد كده طورنا هذه المبادىء • وخططناها تفصيليا فى الميثاق ••

وهذه المبادىء واضحة كل واحد يقرأ الميثاق يعرف مبادئنا ونحن نلتزم بهذه المبادىء واحنا كانت سياستنا دايما أن احنا ما نبتديش بالهجوم على حد ولكن فى نفس الوقت نتمسك بالمبادىء وندافع عنها بشرف •

ثورتنا فى بلدنا

نقطة ثانية •• احنا ما بنصدرش ثورات •• احنا مبادئنا فى بلدنا •• ثورتنا فى بلدنا •• بنطبق هذه المبادىء والوسائل الثورية فى التطبيق والممارسة واضحة من أجل الشعب كله • ولكن مقلناش أبدا أن احنا عاوزين نعمل تنظيمات مرتبطة بينا أو متصلة بينا فى أى بلد عربى ولا فيش تنظيمات لينا أو فروع لتنظيماتنا فى العالم العربى ، حتى نقول أن احنا نصدر الثورات •• أبدا •

طيب أمال أيه أسباب المشاكل اللى حصلت دى كلها ؟؟ أسباب المشاكل اللى حصلت دى كلها ، تأثير ما يحدث فى بلدنا وصدى العمل الثورى الذى نطبقه فى بلدنا • فاحنا مقلناش أبدا أن احنا بنصدر الثورات ولا بنعمل ثورات وأنا أعتقد أن تصدير الثورات عمل غير طبيعى •• وعمل الثورات من بره عمل غير طبيعى وأن احنا منقدرش أبدا نعمل ثورة فى بلد •• القادر على أنه يعمل ثورة فى بلد هم أبناء هذه البلد •

الحركة العربية الواحدة

الحركة العربية الواحدة موقفنا فيها واضح •• لما أعلنا الدعوة للحركة العربية الواحدة قالوا ان عبد الناصر عايز يعمل حركات فى كل بلد عربى تكون مرتبطة بيه الى آخر هذا الكلام طبعا وهوجمت لأن الاستعمار والرجعية لا تقبل هذه الافكار •

وأنا قلت ان أنا لا أستطيع بأى حال انى أعمل الحركة العربية الواحدة •• اذن أنا اللى حاولت أعمل الحركة العربية الواحدة •• معنى هذا أن هذه الحركة ستولد ميتة ••

لازم تكون الحركة العربية الواحدة نتيجة العمل النضالى والكفاح فى كل بلد عربى ••

بعد كده بنلتقى •• بنلتقى على مبادىء وأهداف واحنا قلنا أن الوحدة فى الميثاق •• قلنا أن الوحدة السياسية أو وحدة العمل

السياسى بتقرب الخطوات من أجل الوحدة ولكن ليست مسئوليتنا .. مش مسئوليتى أبدا انى أروح فى كل بلد او أحاول فى كل بلد أن أنظم الحركة العربية الواحدة .. أبدا .. مسئولية الثوريين المناضلين المكافحين انهم همه يعملوا الحركة القومية اللى تجمع كل العناصر القومية .. الثورية .. النظيفة ..

والاستعمار يحاول دائما انه يخلق التفرقة ويقسم أصحاب المبادىء الواحدة فى حركات قد تتصارع على القيادات وتنسى المبادىء والأهداف والمثل .. ويتركز التفكير فى التنظيم السياسى أو الحزب الى آخر الامور اللى احنا عارفينها كلنا . اذن الحركة العربية الواحدة مش مسئوليتى أنا ، ولكن مسئولية القوميين .. الثوريين اللى فعلا ينكروا ذاتهم وينكروا أشخاصهم .. وينظروا بس الى مصلحة شعبهم .. والى قوميتهم .. والى الحفاظ على عروبتهم .. والى تقدم هذه الامة العربية فى جميع الميادين .

كل واحد يشعر فى نفسه بهذه الصفات تكون الحركة العربية الواحدة مسئوليته .. واذا تكونت حركة عربية واحدة فى عدد من الاقطار العربية بنقدر نلتقى ونستطيع ان نقرب الوحدة .

لقاء مع الجزائر

النهارده فى الجزائر مثلا .. فيه حركة عربية منظمة بزعامة بن بيللا كلنا ننظر اليها بتقدير واعجاب وكل أمانينا لها أن تنجح ، ونحن هنا نلتقى مع الجزائر بدون أى مشاكل ونلتقى مع القيادة فى الجزائر وفى الايام القادمة سيكون هذا التقاء بين الاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر وحزب حركة التحرير الجزائرية فى الجزائر .. والفضل فى هذا طبعا يعود الى الاخ أحمد بن بيللا لأنه هوه اللى طلب هذا منى أثناء وجوده فى مؤتمر الملوك والرؤساء ، وهاتكون قدامنا فرص انهم يدرسوا تجاربنا وان احنا ندرس تجاربهم ثم احنا نعرفهم وهم يعرفونا ..

وبهذا نشعر أن هناك فعلا وحدة عربية .. وحدة الشعب العربى اللى الاستعمار قطع أوصاله ومنع لقاءه سنين طويلة .. بهذا العمل فعلا نشعر أن الحركات العربية ..

فى كل بلد عربى اذا التقت . الحركات العربية الثورية ، تستطيع أن تحقق أمل العرب فى الوحدة وفى النضال من أجل القوة ومن أجل التطور ..

اذن احنا ما بنصدرش ثورات ، وموقفنا بالنسبة للحركة العربية واحد ، واضح ، وموقفنا بالنسبة لأى موضوع واضح ..

المشكلة الكردية

حينما انتهت المشكلة الكردية فى العراق بالاتفاق الاخير (تصفيق حاد) .

قلنا أن احنا نرحب بالاخوة العربية والكردية ونقدر جهود الرئيس عبد السلام عارف من أجل الحفاظ على وحدة الشعب العراقى .. ومنذ بدأت هذه المشكلة فى المراحل الأخيرة السنة اللى فاتت كنا حريصين كل الحرص أن المشكلة لا تتحول الى مشكلة عنصرية ، لان الاخوة العربية الكردية أخوة قديمة ولن يستطيع الاستعمار وأعداء الامة العربية انهم يؤثروا فى هذه الاخوة .

عملنا الثورى ليه طريقتين ..

عملنا له طريقتان

احنا قلنا أن احنا ما ابتديناش أبدا نهاجم حد ، كان عملنا باستمرار هو رد على اللى بيهاجمونا ، ولكن طبعا صحافة الاستعمار دائما كانت تتجاهل كل الهجوم اللى علينا وتركز فقط على ردنا على انه هجوم كده من الباب للطاق . وان احنا ناس قاعدين بنتسلى . النهارده بنهاجم فلان ، وبكره بنهاجم علان ، الى آخر هذا الكلام .. ولكن بنذكر نفسنا ان دايما هو الرد على هذا الهجوم اللى تعرضنا ليه فى تطبيقنا لثورتنا السياسية وفى تطبيقنا لثورتنا الاجتماعية ..

احنا باستمرار كنا نؤمن أن عملنا الثورى له طريقتين :ـ

النموذج أى ان احنا نعمل من بلدنا نموذج ونبنى المجتمع الثورى النموذجى .. ازاى ؟ .

ازاى نبنى المجتمع الثورى النموذجى . ده بدأ ، الحقيقة ، من أول يوم من أيام الثورة على

مراحل اللى وصلت الى الحرية والاشتراكية .. قضاء على الحزبية ، الوحـدة الوطنية ، الكفاية والعدل ، والديمقراطية السليمة .

النمـوذج من أول يوم من أيام الثورة قلنا لازم نقضى على الاقطاع ، وطبقنا قانون الاصلاح الزراعى وتحديد الملكية وحولنـا الفلاحين الاجراء الى ملاك للارض . كل واحد يشعر بكرامته ويشعر بعزته ، ويشعر انه تحرر ثم أيضا فى المبادىء اللى ابتدينا بيها من أول الثورة ..

قلنا القضاء على الاستعمار ، كنا بلد محتل كان عندنا ٨٠ الف عسكرى انجليزى ، كان السفير البريطانى هوه اللى بيؤلف الوزارة كان فيه أحزاب تتحالف مع الانجليز وكان فيـه قصر يتحالف أيضا مع الاستعمار ، وكانت النتيجة ضياع الوحدة الوطنيـة ، وضياع الثورات ، والكفاح ، اللى استمروا على مـر السنين ، وعلى مر الايام ، كان فيه ٨٠ ألف عسكرى انجليزى وكنـا نؤمن أن لا بد من خروج الانجليز جلاء كامل وان ارادة الشعب أن تعود ليه .

بلد حر

وتم هذا ، وأصبحنا نشعر أن احنا بلد حر ، وبلد مستقل ..

قلنا أيضا القضاء على سيطرة رأس المـال والاحتكار ، نفذنا هذا الكلام حينما أعلنـا الاشتراكية ، وكانت الاشتراكية تعنى بكلمة بسيطة حرية الانسان تحويل الانسان المستغل اقتصاديا واجتماعيا الى انسان حر لا يخضع للاستغلال الاقتصادى ولا يخضع للاستغلال الاجتماعى ..

قلنا أيضا اقامة عدالة اجتماعية .. اقامة عدالة اجتماعية معناها الحرية الاجتماعية ، وقلنا اقامة جيش وطنى قـوى ، مش جيش منظر زى ما كانوا الانجليز والاحزاب والملكيه ترغب قبل كده ، ابدا جيش وطنى قوى ، وكل واحد يشعر فعلا أن الجيش الوطنى القوى موجود ، ونشعر بفخر .

وقلنا اقامة حياة ديمقراطية سليمـة ، ومشينا فى هذا السبيل سنة ٥٦ـ٥٧ وبعدين جت ظروف ، وبعدين سرنا فى الثـورة الاجتماعية شوط كبير .

وبعدين قلنا أن الحياة الديمقراطيـة السليمة ، أن تحالف قوى الشعب العاملة ، لا بد أن يظهر الى الوجود . وتحالف الاقطاع ورأس المال لا بد أن يسقط .

البرلمان الجديد

وقلنا أن البرلمان الجديد يكون ٥٠٪ من أعضائه عمال وفلاحين .. تعويض لهـذه الطبقة اللى حرمت على مر السنين من جميع مقومات القوة ، واللى كانت تستغل سياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا .. الديمقراطية السليمة والاشتراكية .. الاشتراكية زى ما قال الميثاق هى الترجمة الصحيحة لـكون الثورة عملا تقدميا .

الاشتراكية يعنى ايه ؟ الاشتراكية ككلمة معناها اقامة مجتمع الكفاية ، والعدل ، اقامة مجتمع تكافؤ الفرص ، اقامة مجتمع الانتاج ، واقامة مجتمع الخدمات .

الاشتراكية فى كلمة

الاشتراكية يعنى ايه ؟ نقول الاشتراكيـة كلمة واحدة بس .. معناها تحرير الانسان من الاستغلال الاقتصادى . ومن الاسـتغلال الاجتماعى ..

الديمقراطية معناها تأكيد سيادة الشعب ، ووضع السلطة كلها فى يد الشعب ، وتكريسها لتحقيق أهداف الشعب .

الديمقراطية هى الحـرية السـياسية والاشتراكية هى الحرية الاجتماعية ..

الكلام ده قلناه قبل كده ، الكلام ده جه فى الميثاق ، ولا يمكن الفصل بين الديمقراطية والاشتراكية بأى حال من الاحوال ، بدونهم ، أو بدون واحدة منهم لا يمكن للحرية أن تتحقق وكلنا عندنا تجربة واضحة ، من قبل الثورة واجهت الديمقراطية المزيفة ، لم تكن بأى حال تمثل الا ديمقراطية الرجعية ، الديمقراطيـة اللى كانت موجودة قبل الثورة ، لمـا كانت الرجعية تسيطر على اقتصاد البلاد وثروة البلاد ، وكانت هى صاحبة النفوذ ، وكانت الرجعية هى صاحبة الامتيازات .. كانت ديمقراطية مزيفة ، وكانوا بيقولوا أن فيه حرية

سياسية ، أو فيه ديمقراطية سياسية ، ولكن الاستغلال والاقطاع ورأس المال المستغل ، قضى على كلمة الديمقراطية اللى قالوها علشان كده احنا بنقول لا يمكن بأى حال أن يقال أن هناك حرية ، الا اذا توفرت الديمقراطية السياسية مع الديمقراطية الاجتماعية ..

الرجعية ليست على استعداد أبدا انها تقطع صلتها بالاستعمار .

النموذج الذى صنعناه

ده النموذج اللى احنا بنعمله ، وده النموذج اللى احنا عملناه قضينا على ديمقراطية الرجعية أو ديكتاتورية الرجعية .

وقلنا أن سيادة الاقطاع ، وسيادة رأس المال المستغل على اقتصاد الوطن طبيعى تمكن لهم حتميا أن يسيطروا على العمل السياسى ، أصحاب النفوذ المسيطرين على الاقتصاد ، المسيطرين على الارض همه اللى بيعملوا الاحزاب السياسية ، طبعا تحالف الاقطاع وتحالف رأس المال والعمل السياسى أيضا اللى كان نتيجة تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل ، كان كله على حساب الجماهير وعلى حساب مصلحة الجماهير .

طبعا عدم وجود الحرية الاجتماعية ، الكفاية والعدل ، لجماهير الشعب يسلب كل قيمة لشكل الحرية السياسية ، لا يمكن بأى حال من الاحوال أن تكون هناك ديمقراطية ، أو حرية سياسية ، مع سيطرة الاقطاع ، ورأس المال ، أو مع سيطرة طبقة ، سيطرة طبقية .

ولكن الرجعية دى برضه ، كانت بتقول عندنا ، كانت بتقول انها تتفضل على الشعب وتمنحه الحرية السياسية ، وتمنحه الدستور وتمنحه برلمان ، ولكن الثورة الاقتصادية ، والارض ، بتفضل فى أيدى فئة محدودة ، وعدد محدود من الناس ، والمال هوه سلاح الرجعية ، هو دبابة الرجعية ، وهو الطيارة .

بواسطة المال يستطيعوا انهم يتحكموا ويستغلوا ، وكل هذا يكون على حساب الناس وعلى حساب مصلحة الجماهير ، وعلى حساب أمل الجماهير فى حياة أفضل .

لما قلنا عايزين نعمل مؤتمر نموذجى ، كان لا بد أن نقضى على كل هذه الصورة اللى ورثناها ورثناها واللى كانت موجودة فى يوم ٢٣ يولية

لما قلنا عايزين الحياة الديمقراطية السليمة كنا نشعر أن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية ، والمواطن لا يمكن ان يكون له حرية التصويت فى الانتخابات الا اذا شعر بضمانات محددة ، أول هذه الضمانات ..

الكلام ده اتقال فى الميثاق ، أن يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره ، وأن تكون له فرصة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية ، وأن يتخلص من كل قلق يبدد أمن مستقبله فى حياته قلنا أيضا أن الديمقراطية السياسية ، لا يمكن أن تتحقق فى ظل طبقة من الطبقات ، مع تسليمنا بوجود الصراع الطبقى ، وقلنا أن احنا فى تجربتنا من أجل اقامة حياه ديمقراطية سليمة ، لا بد لنا أن نحقق الديمقراطية الاجتماعية ، فى اطار الوحدة الوطنية ، وفى اطار تذويب الفوارق بين الطبقات ، وفى العمل على تصفية الرجعية ، أى تحالف الاقطاع مع رأس المال ، وتجريدها من أسلحتها . ومنعها من أى محاولة للعودة الى السيطرة على الحكم ، وتسخير جهاز الدولة مرة أخرى لمصالحها .

البديل الشرعى

سقط تحالف الاقطاع ، مع رأس المال المستغل ، وانتهى الاستغلال السياسى ، والاجتماعى ، والاقتصادى ، وافتتح المجال للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة ، الفلاحين ، والعمال ، والجنود ، والمثقفين ، والرأسمالية الوطنية ، وقلنا أن هذا هو البديل الشرعى لتحالف الاقطاع مع رأس المال ، وهو القادر على احلال الديمقراطية السليمة محل ديمقراطية الرجعية ، أو ديكتاتورية الرجعية ، تكون الاتحاد الاشتراكى من كل أبناء الشعب ، من كل أبناء الشعب ، أكثر من ٥ مليون اتكونت المنظمات والوحدات الاساسية ، وقلنا ان ده بداية التفاعل بين قوى الشعب العاملة ، وأبعدنا الرجعية المستغلة وصفيت الرجعية وجردت من أسلحتها ، بهذا التحويل الاشتراكى فى بلدنا

واقامة الحياة الديمقراطية السليمة فى بلدنا بتجعل منا نموذج للعدالة الاجتماعية ، وده كان باستمرار منهاجنا فى العمل من أول الثورة سنة ٥٢ ، طبعا كنا بنشتغل فى بلدنا مش ممكن نغمض أبدا عما يجرى حولنا لأن اللى بيجرى حولنا بيؤثر علينا ، ومثلا بييجوا الانجليز بيقولوا عايزين يعملوا البلد الفلانى يدخلوه فى حلف ، ويكون ضمن مناطق النفوذ بنشعر أن هذه الحلقة تؤثر علينا ، وتؤثر على التطور فى العالم العربى ، وتؤثر على مستقبلنا وقد يكون هذا العمل تهديد لينا . ولهذا منقدرش نسكت .. بنقول رأينا فى هذه الامور بصراحة .

قلاع الرجعية

بنكون نموذج ازاى ؟

زى ما قلنا أن احنا الثورة والاشتراكية والديمقراطية السليمة . قلنا أن كل واحد لابد أن يكون له نصيب فى ثروة بلده . ولا بد أن نبنى المجتمع المتحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى .. وكان لابد لينا أن نقضى على قلاع الرجعية . قضينا على الاقطاع بتحديد الملكية وتوزيع الارض . ثم كان لابد لنا أن نحقق سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ..

لا يمكن بأى حال من الاحوال أن احنا نقول أن احنا قضينا على الاستغلال الاجتماعى والاستغلال الاقتصادى ويترك رأس المال المستغل يسيطر على اقتصاد البلاد أو يحرم الشعب من أن يباشر حقه فى السيطرة على وسائل الانتاج .

حققنا مرحلة كبيرة

النهارده نقدر نقول أن احنا حققنا مرحلة كبيرة بالنسبة لتأميم الصناعات الثقيلة والصناعات التعدينية .. بالنسبة لتأميم الصناعات .

.. المتوسطة .. بالنسبة للاشراف على كل وسائل المواصلات .. بالنسبة أيضا لتأميم عدد أو جزء كبير من الصناعات الصغيرة اللى كان تركها يحتم وجود احتكار .. بالنسبة للتجارة الخارجية .. بالنسبة للاستيراد . وبالنسبة زى ما قال الميثاق ٧٥٪ من التصدير ..

الامان الكامل للعمال

بعدين بالنسبة للعمال عندهم الامان الكامل فى حياتهم .. قانون الفصل التعسفى من أول الثورة وبعدين التأمينات الاجتماعية . التأمين ضد المرض .. التأمين للوفاة والعجز .. العجز الجزئى ، والعجز الكلى ، أخيرا التأمين الصحى

التأمين ضد البطالة

وبعدين المرحلة الاخيرة أن شاء الله قبل مضى شهر التأمين ضد البطالة وبهذا بنوفر للعامل كل وسائل الطمأنينة لمستقبله .

أيضا تحديد العمل بسبع ساعات .. أيضا تحديد حد أدنى للاجور .. أيضا تحديد ٢٥٪ من الارباح وأستطيع أن أقول أن النتائج اللى حصلت كانت مشجعة والانتاج زاد واشراك العمال فى مجالس الادارة تقرر سنة ٦١ عضوين عن العمال من ٧ أعضاء والسنة ديه تقرر أن يكون ٤ أعضاء فى مجالس الادارة من ٩ أعضاء ..

وزيادة فرص العمل للكل بحيث أن كل واحد يجد عمل . بنجعل من نفسنا نموذج . كل عامل ماهر النهارده بيجد عمل وكل واحد بيروح مراكز التدريب لابد أنه يجد عمل وعمل مجزى .

فيه مشاكل

طبعا فيه مشاكل، يعنى يمكن فيه عمال فى مجالس الادارة عملوا مشاكل أو فيه واحد تصرف تصرف سيىء .. مش معنى ده أبدا ان احنا نقول أن التجربة فشلت لو فيه واحد واتنين وتلاتة وأربعة وعشرة أبدا هذه الامور أمور لابد أنها تحصل ولكن الحكم على التجربة كلها بمجموعها نجد أن التجربة ناجحة ..

العمل شرف

بنشعر أيضا بايه ؟

بنشعر بايه ؟ كان زمان الواحد مايرضاش يشتغل عامل أبدا ومستعد يروح يشتغل كاتب فى أى حتة كموظف ويروح الديوان الصبح ويرجع الساعة اتنين بعد الضهر ولو يكون بياخد تلاتة جنيه ومش لاقى يجيب قميص ولا يرضاش أبدا يشتغل عامل .

النهارده أنا جت لى جوابات كتيره فى الفترة الاخيرة بيقولوا لى طيب ليه ما نعملش

الموظفين عمال وليه ما تعملش الهيئة الفلانية عمال • وكل واحد بيشعر النهارده أن العمل شرف والعمل مش استعباد ولكنه واجب وطني وواجب قومي من أجل بناء هذا البلد •

واتكلمنا على الاصلاح الزراعى واتكلمنا على التأميم واتكلمنا على ملكية الشعب لوسائل الانتاج وان كل فرد بيشعر أن له فى ثروة بلده نصيب ٠٠ كل المؤسسات العامة بتاعة كل فرد من أبناء هذا البلد • كل واحد بيشعر أن له نصيب فى ثروة بلده •

٧٠٠ مصنع جديد

التأميم كان بيمثل العدل فى نفس الوقت حصل حاجات كتير من أجل الكفاية احنا كان دخلنا القومى محدود وثروتنا محدودة ورقعتنا الزراعية محدودة وانتاجنا الصناعى محدود • كلنا كنا نعرف هذه الامور معرفة كاملة • وبدينا أن احنا نكتل جهودنا فى توسيع الرقعة الزراعية وتوسيع الثروة الوطنية ٠٠

الثروة القومية • قلت لكم فى ٢٣ يوليو اللى فات أو فى ٢٦ يوليو ان اتعمل أكثر من ٧٠٠ مصنع جديد وأن انتاجنا الصناعى زادت قيمته عن انتاجنا الزراعى السنة ديه عندنا استثمارات بالنسبة للصناعة ١٥٥ مليون جنيه مقارنة مع ٢ مليون سنة ٥٢ (تصفيق حاد) السنة الجاية استثمارنا فى الصناعة حيكتر •

معنى ده ايه ؟

ان احنا بنبنى بلدنا من أجل كل فرد من أبناء هذا البلد وأن احنا بنعمل من بلدنا نموذج طبعا مش حنقدر نحول شكل الدنيا فى أربعة وعشرين ساعة ، أبدا ٠٠ ومش ممكن نتام والدنيا تتغير ٠٠ لازم نعمل ٠٠ واللى راحوا فيكوا أسوان ٠٠ اللى زاروا السد العالى وشافوا الناس اللى بيشتغلوا فى السد العالى وكل واحد فيهم فخور بعمله وانه بيبنى السد العالى اللى واجهنا فيه تحديات كثيرة ٠٠٠ اللى بيطلع الى منطقة حلوان بيشوف المصانع الجديدة طالعة ٠٠ اللى بيطلع الى طريق الاسماعيلية بيشوف مصانع ٠٠

اللى يمشى يشوف

كل الواحد ما بيقعد ٣ شهور وبيطلع بيجد اللى بيمشى فى طريق اسكندرية الصحراوى بيجد فيه قرى بتتبنى وفيه أرض بتتزرع ، حوالى ١٠٠ الف فدان هذه المنطقة بالنسبة لمديرية التحرير ٠٠ واللى بيروح مديرية التحرير النهارده يقدر يحس فعلا ايه اللى عملته مديرية التحرير وايه النتيجة ٠٠ واحنا فى يوم من الايام تعرضت مديرية التحرير لحملات طبعا من الناس اللى بيقاوموا عمل الحكومة فى قطاع الاصلاح وقطاع التنمية ٠٠

أنا اعتقد أن مديرية التحرير ناجحة نجاح باهر وحققت الغرض منها يمكن بالنسبة لتكاليف البناء بحيث قامت بيها مبانى عصرية ٠٠ مبانى كويسة بالنسبة للفلاحين ، لما اتحسبت على الاصلاح بان أن شكل الاصلاح ان التكاليف كبيرة ٠٠ ويمكن حتى نقول أن التكاليف كانت كبيرة فى هذه التجربة وبعد كده أخذنا دروس علشان نقلل التكاليف فى مناطق الاصلاح الجديدة •

نستفيد من الغلط

احنا طبعا ما نخفش أن احنا نغلط • احنا نغلط ولكن لما نستفيد من غلطنا بنكون حققنا أهداف كبيرة طبعا ٠٠ بنخاف طبعا من الفساد ٠٠ بنخاف من الانحراف ، ما نخفش طبعا من الغلط ٠٠

اللى النهارده يروح مديرية التحرير يجد قد ايه مديرية التحرير عمل ناجح وعمل مثمر ٠٠ النهارده بيتصدر منها موالح ويتصدر منها خضراوات •

مشيت فى البداية كانت صعبة ٠٠ النهارده العمل فيها أسهل بكثير مما كان فى الماضى ٠٠

ضجة فى رمضان

بعدين ٠٠ يمكن حصلت ضجة فى شهر رمضان والشهر اللى قبله بالنسبة للاستهلاك وبالنسبة للتموين ما نخفش أبدا ٠٠ أن احنا نقول أن فيه غلط فى الحاجة الفلانية ٠٠٠٠ ولكن يجب أن احنا نعرف الامور واقعية ٠٠ النهارده كل واحد بيتخرج من الجامعة بيشتغل ما فيش حد ما بيشتغلش • ٠واحنا عندنا أكثر من ١٣٠ ألف فى الجامعة ٠٠ بتتخرج

اعداد كبيرة كل سنة . وعايزين نخرج اعداد كبيرة ..

بعدين بالنسبة للاستثمارات كلها سواء فى قطاع الزراعة أو الصناعة أو التشييد أو الخدمات يحتاج الى عمل .. فى كل سنة فرص عمل كبيرة .. واحنا الحقيقة نهدف أن نوجد دايما فرص عمل بحيث أن كل واحد يصل الى سن العمل لازم يعمل .. ويمكن اللى بيقعدوا يسمعوا محطات الاذاعات المعادية أو بعض الصحف الاستعمارية بقالهم من سنة ٥٦ أو ٥٧ بيقولوا الاقتصاد المصرى يعانى من التعب ومافيش عملات صعبة .. فيه نص فى الموارد الى آخر هذا الكلام ..

طبعا الكلام ده يمكن ظاهره فيه حق ولكن باطنه بيحاولوا يبينوا ان احنا فى الطريق اللى احنا ماشيين فيه ده حنتعب أن السبب الطريق اللى احنا ماشيين فيه هو طريق توسيع قاعدة الثروة الوطنية .

كلام فاضى :

ولكن الكلام ده اللى بيتقال من سنة ٥٦ ومن سنة ٥٧ ومن ٥٨ واحنا النهاردة ٦٤ وعايشين أهو وماشيين وكل يوم بتوجد فرص عمل ، وكل يوم بتتوجد مصانع ، يدل على أن الكلام ده كلام فاضى .. طبعا احنا نقدر نوفر عملة صعبة .. ازاى سنة ٥٢ جميع استثمارات الصناعة كانت ٢ مليون جنيه .. السنة دى استثمارات الصناعة ١٥٥ ميلون جنيه ... ليه ؟؟

طب احنا لما نعمل استثمارات الصناعة ١٠ مليون جنيه خمس أضعاف ما كان سنة ٥٢ خليها عشرة مليون جنيه ونوفر ١٤٥ مليون جنيه ونقول دى عملة بنخليها احتياط أو بنوفر الاستثمارات .

طب معنى ده ايه ؟؟ معنى ده حنرجع زى ما كنا قبل ٥٢ اللى يطلع من الجامعة مايلاقيش يشتغل اللى بيوصل الى سن العمل مش حيجد عمل .. ان القوة اللى بنهدف اليها لن تتحقق لأن قوة بلادنا بقوتنا فى الانتاج والصناعة هنا تتمثل ناحية من نواحى الانتاج .

بالنسبة أيضا للزراعة واصلاح الاراضى ، بالنسبة للمواصلات فيه استثمارات يمكن ٥٠ أو ٦٠ ضعف اللى كان موجود سنة ٥٢ نسيبها دى ونوفر ونقول اننا عندنا عملة صعبة وأنا رأيى أن احنا ما دام عندنا أموال لابد ان احنا نستثمرها مليون جنيه استثمارهم فى مصنع يمكن بيشغلوا الفين عامل أو ١٥٠٠ عامل .. توفيرهم معناها ان أنا باحرم ١٥٠٠عامل من العمل طبعا بالاضافة الى ان أنا بأحرم أيضا توسيع قاعدة الثروة الوطنية ..

ماذا كان فى سنة ٥٢ ؟

فيه مشاكل النهارده بتقابلنا غير المشاكل اللى كنا بنشوفها سنة ٥٣ وسنة ٥٤ وسنة ٥٥ دا مايؤثرشى فينا أبدا .. يعنى انا فى سنة ٥٢ حضرت أول ميزانية بعد الثورة شفتها فى سنة ٥٣ وكلكم تذكروا كان فيه عجز فى الميزانية سبعين مليون جنيه . خفضنا حجم العيش ووقفنا العلاوات وعملنا ضرايب كتيرة فى تلك السنة ، وكانت الميزانية كلها ١٩٤ مليون جنيه ..

النهارده الميزانية ١١٠٠ مليون جنيه بعد هذه الفترة .

الانفاق على الخطة حوالى الفين أو الفين وأربعين مليون جنيه .. الانفاق على الخطة الجاية حيكون أكتر ، بنهدف الى مضاعفة الدخل القومى كل عشر سنوات . ضاعفنا الدخل القومى .. ونعمل الآن على مضاعفة الدخل القومى مرة أخرى . دا يحتاج مننا الى توجيه وتعبئة كل مواردنا وكل جهودنا .

سنة ٥٣ احنا عملنا طرق علشان نشغل العمال العاطلين .. احنا جينا فى سنة عملنا طرق بـ ٨ مليون جنيه الهدف منها تشغيل العمال العاطلين . ماكناش بنقدر نتصرف فى بتوع الجامعة خصوصا الكليات النظرية .. اللى بيتخرجوا فى الجامعة مابنلاقيلهمش شغل .. كان التعليم بمصاريف النهارده التعليم مجانا حتى فى الجامعة .

نيجى النهارده نجد ان فيه معدل لزيادة الانتاج سنويا حسب الخطة ٨٪ وحسب الخطة معدل الاستهلاك يزيد سنويا ٣ ٪ .

فى الثلاث سنين اللى فاتوا بالنسبة للخطة حققنا حوالى ٢١٪ ، بقى بدل ٢٤٪ حققنا

٢١ ٪ دا نظرا للسنة اللى جت فيها الآفات فى القطن والمشاكل اللى قابلتنا فى هذه السنة .

مشكلة جديدة

كان مفروض ان الثلاث سنين الاستهلاك يزيد ٩ ٪ زاد ١٩ ٪ . دى طبعا مشكلة جديدة بتقابلنا .. منقدرش نقول ان فيه تضخم . طبعا الرأسماليين التقليديين أو الاقتصاديين الرأسماليين باستمرار كانوا بيعارضوا فكرة التنمية على أساس أنها قد تولد تضخم ولهذا احنا فى التنمية بدأنا فى انتاج البضائع الاستهلاكية مع صناعات معينة من الصناعات الثقيلة ، زى صناعة الحديد علشان منجيش فى يوم يزيد الانفاق فى البلد ويزيد الصرف فى البلد ونجد ان احنا معندناش قدرة ان احنا نحط فى السوق البضاعة المطلوبة أو الكميات المطلوبة فنضطر نلغى مشاريع انتاجية ونستورد بيها بضايع اسهلاكية .

زاد الانفاق .. زاد الاستهلاك فى القمح وزاد الاستهلاك فى اللحمة وزاد الاستهلاك فى السكر وزاد الاستهلاك فى الرز .. وزاد الاستهلاك فى كل الحاجات دى ..

معنى دا ايه .. معناه ان فيه ناس ماكانتش بتاكل بتاكل النهارده .. ومعناها حاجة تانية من سنة ٥٢ لغاية النهارده زدنا سبعة مليون: فيه حرب بين الانتاج البشرى والانتاج (تصفيق) ولهذا السبب احنا اتكلمنا فى الميثاق . اتكلمنا فى مرات قبل كده عن تنظيم الاسرة ، الرقعة الزراعية عندنا محدودة لسة السنة الجاية هاتاخد أول فايدة من السد العالى وفيه جهود فى كل حته ما احناش ساكتين .. فى الوادى الحديد فيه عمل فى الصحراء الغربية ..

رأيت فى الصحراء

أنا فى العيد رحت برج العرب وطلعت فى الصحراء الغربية ومن أول مريوط الى الغرب لغاية قرب العلمين .. المنطقة دى كانت دايما منطقة صحراوية .. النهارده المصانع الحربية بتنتج مراوح الهوا .. المراوح دى بتتوزع على البدو مجانا .. كل واحد بياخد خمس فدادين ويقعد فى هذه المنطقة .. قاعد فى خيمة أو فيه ناس بانيين أود وبياخدوا المروحة مجانا وبيخدوا شتل .. وجدت مئات المراوح وآلاف الشتلات من الزيتون اللى عمرها سنة ، واللى عمرها سنتين واللى عمرها ثلاث سنين .. ده جهد كبير جدا الواحد بيشعر ان فيه تطوير .

فى جميع الميادين

اذن احنا بنعمل فى جميع الميادين من أجل زيادة انتاجنا (تصفيق) أما تقابلنا مشكلة مانقلقش أبدا من هذه المشكلة .

طبعا اللى بيجى فى رمضان ويقول لى مافيش قمر الدين ، أنا ما أسألش فيه .. يعنى ماحناش عايزين قمر الدين .. يعنى نستطيع ان احنا نوفر كل حاجة .. طبعا فيه ناس خزنوا فى هذا الوقت .. أنا عارف ناس خزنوا نباتين ، وناس خزنوا صابون .. يعنى يمكن فيه كتير من اللى قاعدين هنا خزنوا ..

احنا طبعا مش حانقدر أبدا نتجاهل أى حالة بهذا الشكل ، ونقول والله اللى مش لاقى عيش ياكل بسكوت .. ولا اللى مش لاقى نباتين ياكل ايه ، أو يعمل ايه .. أبدا!

يعنى لما قل النباتين استوردنا بعملة صعبة نباتين من بره .. استوردنا نباتين بعملة صعبة من بره معناه ايه ؟؟

ان احنا بنخصم المبلغ ده من التنمية .. وبعدين الانتاج المحلى أكتر أو تقريبا ضعف الانتاج العادى فى الشهور العادية بالذات بالنسبة لرمضان .. بعدين باقول لكم ان الحاجات دى وقتية .. اى حاجة بهذا الشكل نقدر نتغلب عليها ..

أزمة الملح

يمكن ييجى واحد يتفلسف زى بتاع شركة الملح مثلا ويقول الناس لازم تاخد ملح من ابو علبة بقرشين صاغ، ويبطل الملح الرشيدى من العربيات اللى بتطلع .. نبص نلاقيه عمل لنا أزمة فى البلد ، وهوه نايم مش دارى أبدا .. بنقول مين اللى اتصرف بهذا الشكل ؟ وهو واحد قلبه على الناس وعايزهم ياكلوا ملح نظيف بيعمل له اعلانات فى الجرايد .. وبيشتروا علبة ملح نصر بقرشين صاغ .. وبيقول الملح اللى على العربيات ده ملح غير صحى .. طيب أخينا ده .. دى الثورة

الفرنسية قامت علشان رفع الضريبة على الملح ورفع سعر الملح .. طيب مافكرش ازاى ؟

ممكن نقابل مشاكل كثيرة بهذا الشكل .. واحد قاعد ويقول لك ازاى أنا أوكل الناس ملح فى العربية يشتروا بقرش تعريفة ماياخدوا أحسن ملح مكرر نقى العلبة بنص فرنك . تصرف بهذا الشكل تبص تلاقى مافيش ملح يمكن فى السوق .. لكن مش معنى ده ان احنا أبدا ماعندناش ملح ، أو حد يخزن مثلا أو حتى جمعية استهلاكية تخزن أو بقالة تخزن أو يحصل اهمال فى النقل كل دى مشاكل يمكن نقابلها فى أى يوم ، ولكن فيه مشاكل جديدة علينا ولا نخافش منها أبدا .

أموال الشعب

الحقيقة احنا حريصين على أموالكم ... ومعنى أموالكم ، مش أموالكم اللى فى البنوك أو اللى فى جيوبكم ، أو اللى فى البيت ، أو اللى هنا أو اللى هنا أبدا ! أموال الشعب ! .. كل ما نستورد حاجة معناها ايه ؟

احنا بناخد من جسمنا ونديها للاجنبى فاحنا الحقيقة حريصين أن احنا نحاول كل شىء هنا نعمله ، بحيث ان احنا ناخد فلوسنا من الجيب اليمين نحطها برضه لنفسنا فى الجيب الشمال ..

أما باخد الفلوس وطلعها بره واشترى بيها مواد استهلاكية أنا باعتبرها أموال ضايعة ولكن اما بناخد الفلوس ونحطها للتنمية والانتاج والاستثمار ، معناها ان انا بأوجد فرصة ليك علشان تشتغل ولابنك علشان يشتغل .. وبنوجد فرصة لقوة ولتوسيع قاعدة الصرف .. كل المشاكل دى ماتخوفناش وما تقلقناش .

نحن لا نخاف

طبعا الجرايد بتكتب فى مشكلة التموين الجرايد كتبت فى مشاكل التموين وقعدت تكتب واسرائيل قعدت تهلل .. التموين والفشل الاقتصادى الى آخر هذا الكلام .. احنا أبدا مانخافش من هذا الكلام .. مانخافش أبدا . ليه ؟

مانخافش أبدا بالنسبة للقاعدة والمبادىء اللى احنا بنؤمن بيها .. والصوت ده يرد على التعليق اللى سمعته .. عدم الخوف ماهواش متعلق أبدا بشخص أو بأشخاص متعلق بايمان الشعب وبالمبادىء والمثل العليا .. احنا بقى لنا ١٢ سنة .. وبكره هاتطلع أجيال جديدة، وتقود وكل واحد بيكون مستعد علشان يقود .. وكل واحد حيجيله يوم ويتعب .. ولكن ايماننا بالمبادىء ، وممارستنا لهذه المبادىء وتطبيقنا ، ده اللى بيخلينا فعلا نقدر نعمل بلدنا البلد النموذجى .. البلد اللى فيه الديمقراطية السليمة .. البلد اللى يطبق فيه الاشتراكية بالكفاية والعدل .. البلد اللى كل واحد بيشعر انه بلد تكافؤ الفرص ..

كل الناس بتدخل الجامعة بالمجموع .. مافيش حد أبدا يقدر يدخل الجامعة اذا كان مجموعه مايدخلوش الجامعة . .مهما كان مافيش واحد يقدر يعدى دوره ..

أحد الحاضرين – طلاب الصناعة ياريس ..

المشاكل الفردية

اللى بيقول طلاب الصناعة ده ماأعرفش حكايته ايه (ضحك) .. ولكن هوه راكباه فى مخه يمكن مشكلة خاصة بيه مهما بنتكلم وبنطلع ونقول كذا مابيهموش غير مشكلته .. من وجهة نظره هوه يمكن ليه حق .. من وجهة نظر المجتمع يمكن مالهش حق .. احنا هنا بنمشى من وجهة نظر المجتمع .. كل واحد بيقدر يبعت لى أى حاجة وأى موضوع ، ولكن مش ضرورى أبدا كل واحد يمشى رأيه لأنه قد يكون رايه متعلق بمنفعته الشخصية .

احنا بنبص للامور من ناحية المجتمع .. ومنفعة المجتمع وبنقول مجتمع تكافؤ الفرص .. يعنى ايه تكافؤ الفرص ؟!

يعنى طالب الصناعة عنده فرصة زى طالب الصناعة .. وطالب الجامعة عنده فرصة زى طالب الجامعة وطلاب المعاهد العالية عندهم فرصة زى طلاب المعاهد العالية ولكن اما ييجى طالب الصناعة يقول لى أنا عايز فرصة زى طالب الجامعة ، باقول له متأسف ، ده مش أبدا تكافؤ الفرص ..

المجتمع اللى احنا نستطيع أن نفخر بيه ونقول انه مجتمع نموذجى ، هوه ده مجتمع الانتاج . .مجتمع الخدمات .. مجتمع الحرية

السياسية والحرية الديمقراطية .. ده أول حاجه بنعملها فى بلدنا فى تطبيقنا الثورى بنعمل مجتمع نموذجى تذوب فيه الفوارق بين الطبقات .. متحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

مساندة الحركات الثورية

(فيه حاجة ثانية لازم نعملها ! طريق تانى لعملنا الثورى وهو مساندة كل حركة ثورية تثبت اصالتها على الواقع الوطنى ، وتصمم على ممارسة مسئوليتها القومية وعندنا مثل على هذا ، مساندتنا لثورة اليمن ..

احنا نساند حق شعب اليمن فى الثورة من أجل حياة أفضل والثورة على حكم القرون الوسطى .. حكم الاقطاع والرجعية .. ولم نبخل بأى شىء فى مساندة هذه الثورة الاصيلة لأن احنا بنعتبر أن ده واجب قومى .

ضحينا فى اليمن

وضحينا فى مساندة ثورة اليمن .. ضحينا بناس اعزاء علينا .. ولكنا طبقنا المبادىء وسرنا فى طريق الشرف وأقول النهارده ان احنا سنساند ثورة اليمن بكل قوة ضد جميع المؤامرات .. طبعا قيل ان احنا اتفقنا مع الامم المتحدة على الانسحاب ولم ننفذ هذا الاتفاق .. ده غير حقيقى .. احنا اتفقنا على الانسحاب على مراحل على أساس أن ينتهى كل تدخل خارجى فى اليمن .. وبعدين ماقلناش المراحل دى سنة أو اتنين أو تلاتة و أربعة أو خمسة .. نبص للجرايد العربية يقولوا ان عبد الناصر اتفق مع الامم المتحدة على الانسحاب ولكنه لم ينفذ الاتفاق .. أنا باقول ان الناس دول بيحاولوا يشوهوا الحقائق واحنا النهارده الكلام ده ما بيأثرش فينا .. حانساند ثورة اليمن .. لغاية ما يتعمل جيش يمنى وطنى قوى .. ولغاية ما تنتهى المؤامرات الخارجية ولغاية ما يمشوا أفراد أسرة حميد الدين من المناطق المتاخمة للحدود اليمنية .. طالما موجودين هناك حانساند الثورة اليمنية بكل قوة وطبعا احنا قادرين على هذه المسئولية .. نساند الثورات أو كل حركة ثورية تثبت اصالتها .. نساند حركة التحرير فى الجنوب المحتل .. فى عدن ، ونساند كل حركة ثورية أصيلة .

ثورات العراق

واحنا لا نجد ان هذه المساندة تتعارض مع ما حققه مؤتمر الملوك والرؤساء أبدا! لأن احنا قلنا فى الميثاق احنا سنساند كل حركة عربية ثورية أصيلة ولكن باقول فى نفس الوقت لا نصدر الثورات مش احنا ابدا اللى بنعمل الثورات عبد السلام عارف عمل ثلاث ثورات فى العراق ساندناه بعد كل ثورة .. ولكن اللى عمل هذه الثورات عبدالسلام عارف والشعب العراقى .. والجيش العراقى ..

طبعا هذا الخط واضح النهارده بنؤكده ، وبنقول أن مفيش حاجة جدت أبدا فى موقفنا بعد مؤتمر الملوك والرؤساء ، وان احنا سياستنا مش مبنية أبدا على أى عوامل شخصية أو عاطفية أو انتهازية وان احنا ما بنغيرش جلودنا لكل موقف ، نلبس له جلد مختلف ، أبدا بنتكلم بصراحة ووضوح وبنقول رأينا بصراحة ووضوح .

أسباب دعوة المؤتمر

يمكن لو أقول لكم ايه الاسباب اللى دعتنى لاعلان الدعوة لمؤتمر الملوك والرؤساء يوم ٢٣ ديسمبر فى بورسعيد كل واحد يقدر يقدر الموقف ..

فى شهر ديسمبر كان فيه مؤتمر رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ، ما بين ٧ و ٩ ديسمبر وانعقد هذا المؤتمر وانتهى ، وبعدما انتهى المؤتمر قرأت محاضر الاجتماعات وشفتها . وفى هذا الوقت كانت اسرائيل ، واذاعة اسرائيل تستهين بالعرب ، وتلعب على الخلاف اللى موجود بين الدول العربية ، وتتبجح ..

محاضر رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ، لما قرأتها ، الحقيقة حسيت بذعر . حقول لكم ليه ..

فيه قرارات أخذتها الجامعة العربية سنة ٦٠ و ٦١ لم تنفذ ، وحصل كلام فيها يمكن ٦٢ و ٦٣ . بالنسبة لخطر اسرائيل وبالنسبة للتصدى لخطر اسرائيل .

القيادة العربية الموحدة

أهم قرار هوه كان اقامة القيادة العربية الموحدة ، ده كان سنة ٦٠ .. لغاية ديسمبر

سنة ٦٣ لم ينفذ .. وعشان أفهمكوا وعشان أبين لكم ايه أهمية هذا الكلام ، أو أهمية هذا القرار - بدون قيادة موحدة اذا اعتدت اسرائيل على أى بلد عربى ، لن يستطيع البلد العربى الثانى انه ينجده ليه ؟ حينجده على أى أساس، على أى خطة ؟ .. القيادة الموحدة هيه اللى بتعمل الخطط وتحدد الاهداف وتنسق العمليات العسكرية للبلاد العربية ..

أكثر من كده فى مؤتمر رؤساء أركان حرب الجيوش العربية،شفنا المناقشات والعسكريين اللى كانوا موجودين بالنسبة لبعض الدول ، قالوا بصراحة ، ان الاوضاع الموجودة فى الدول العربية ، بتؤثر على العمل العسكرى ، وان احنا بنعمل نداء علشان تصفية الجو العربى وان اسرائيل قد تنتهز الظروف الحالية ، وفى حالة أى عمل عربى لمواجهة تحويل مجرى نهر الاردن تحتل المنابع . وبهذا تفصل اسرائيل دولة عربية عن باقى الدول ، وتستفرد بها ..

لا بد من الاستعداد

وكان أيضا من الواضح ان لا بد من الاستعداد بالنسبة لبعض الدول العربية الاستعداد العسكرى لامكانية مواجهة اسرائيل . الدول العربية المتاخمة لاسرائيل . وقيل هذا الكلام فى مؤتمر رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ، وكان واضح أيضا انه يمكن بعض الدول لا يوجد عندها التمويل حتى تستعد أولا تستطيع التمويل حتى تستعد .

طبعا قضية اسرائيل ، قضية فلسطين قضية مصير بالنسبة للعرب كلهم . اذا كان الصراع العربى أو الخلافات العربية ينتج عنها تهديد لأمتنا ، تمييع لقضية فلسطين ، مكاسب لاسرائيل ، فالواجب القومى يدعو الى اتخاذ المبادأة .

تصفية الخلافات

على هذا الاساس انا اعلنت الدعوة لاجتماع الملوك والرؤساء العرب يوم ٢٣ ديسمبر . واجتمع المؤتمر ، ولم نجد أبدا أى صعوبة فى تصفية الخلافات ، وكان الكل ميال الى أن تنتهى هذه الخلافات ، وطلعنا بخطة عمل موحدة ، ده أهم شىء . خطة العمل الموحدة لمواجهة خطر اسرائيل ، وعدوان اسرائيل ، ورفض اسرائيل لتنفيذ قرارات الامم المتحدة التى تنص على عودة الفلسطينيين الى بلادهم ؟

وطلعنا بقرارات محددة مفصلة وخطة محددة مفصلة . ويمكن أهم النقط اللى كانت ، أو اللى نتجت عن هذا المؤتمر هى القيادة أو تشكيل القيادة العربية الموحدة ، والتصميم على اتخاذ مواقف سياسية واقتصادية من الدول التى تقف موقف معادى من قضايانا أو قضية فلسطين . ثم انشاء الكيان الفلسطينى .

احتمالات الحرب

وطبعا بحثنا فى هذا المؤتمر جميع احتمالات الحرب مع اسرائيل والاستعداد حتى لا تتكرر مأساة ٤٨

اسرائيل أعلنت بعد الدورة الاخيرة للامم المتحدة ، وبعد أن أصدرت الامم المتحدة قرارها بعودة الفلسطينيين الى بلادهم تحدت اسرائيل هذا القرار وقالت انها لن تسمح للفلسطينيين بأن يعودوا الى بلادهم . واحنا بنقول ان لا بد أن الفلسطينيين يعودوا الى بلادهم ..

وان لا بد ان تكون عندنا القوة الرادعة التى تردع اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل . احنا اما بنتكلم هذا الكلام ، مابنقولش الكلام للاستهلاك ، وانا قلت قبل كده فلسطين استعداد ، فلسطين تنمية ، فلسطين قوة . مش بس قوة الجيش ، قوة الاقتصاد . القوة الصناعية القوة العسكرية ، الانتاج العسكرى . والانتاج المدنى . وامكانية مجابهة اسرائيل اللى بتاخد معونات كل سنة تقدر بـ ٤٠٠ مليون دولار واسرائيل اللى بتدللها الدول الكبرى .

امريكا تتحيز لاسرائيل

موقف امريكا من العرب ، ومن اسرائيل .. من سنة ٤٨ موقف أمريكا ماتغيرش ، موقف أمريكا متحيز لاسرائيل ، كلام لم ننكره أبدا وباستمرار امريكا تدلع اسرائيل . بتديها ٣٠٠ مليون دولار فى السنة أو ٢٥٠ مليون دولار فى السنة ، وكلنا نذكر تصريح الرئيس الامريكى الاخير فى معهد وايزمان الاسرائيلى الموجود فى أمريكا وازاى دلع اسرائيل . وازاى قال ان أمريكا حتدى كذا .. حتدى الميه او حتديهم وسائل الميه .. تحليل الميه وتحويل

الميه المالحة الى ميه حلوة علشان تساعدهم فى الرى الى آخر هذا الكلام .. وبعدين احنا جالنا مذكرة هامة من السفارة الامريكية بتقول ان الصحافة هاجمتهم على هـذا ومفهمتش الموضوع كويس. وانهم مستعدين لكل الحاجات الى حيدوها لاسرائيل وانهم يدوهلنا ويدوها لاى بلد عربى وان الموضوع بهذا الشكل .

والحقيقة احنا يمكن مهمناش الكلام عن الميه والمساعدة لأن المساعدة ماشية من سنة ٤٨ . ولكن همنا التحيز .. المواضيع اللى عايزاها اسرائيل وبيحصل تحيز لها ، حقوق العرب منتهى التجاهل .. فيه قرار فى الامم المتحدة فى الدورة الاخيرة بعودة الفلسطينيين وتعويض الفلسطينيين عن الخسائر التى لحقت بهم . الخسائر اللى لحقت بيهم ايه ؟ كل أرضهم أخذت كل بيوتهم أخذت .. كل ثرواتهم أخذت .. كل حاجة يملكوها فى فلسطين أخذوها لاسرائيل ولليهود المهاجرين .. اسرائيل رفضت .. أمريكا أيدت هذا القرار فى الامم المتحدة . لكن لما اسرائيل رفضت خلاص مفيش واحد أمريكانى.. مفيش رئيس أمريكى يقف ويقول انه يؤيد حقوق شعب فلسطين ولكن يقف ويقول انه يؤيد اليهود.. ده اللى بيخلينا نشعر أن السياسة مش مبنية أبدا على العدل .. ولكن السياسة مبنية على تدعيم ومساندة قاعدة العدوان ولو كانت على حساب العدل .

اغتصاب وقرصنة

وبعدين يتكلموا على السلام فى الشرق الاوسط والسلام فى هذه المنطقة من العالم واحنا بنقول لهم انه لا يمكن أن يقوم سلام الا السلام القائم على العدل أما السلام اللى بيتكلموا عليه مع القبول بالامر الواقع فده اغتصاب ودى قرصنة ولا يمكن بأى حال ان احنا نقبلها ..

سياسة أمريكا متغيرتش ابدا .. يعنى فيه ناس بيقولوا السياسة اتغيرت الآن .

أبدا .. سياسة أمريكا باستمرار من سنة ٤٨ هى تأييد اسرائيل .. أمريكا أقامت اسرائيل .. أمريكا بتساعد اسرائيل .. رؤوس الأموال الامريكية فى اسرائيل واحنا بنبص لاسرائيل على انها قاعدة عدوانية استعمارية عنصرية قامت بالقوة القاهرة على حساب العرب .

سنة ٢٠ أو سنة ١٧ أيام وعد بلفور كان ٩٥ من سكان فلسطين عرب و ٥٪ يهود والعرب ساعدوا الحلفاء أو الانجليز فى الحرب العالمية الاولى ضد الاتراك ، وأخذوا منهم وعود من مكماهون على أساس استقلال العرب ووحدة العرب . أما كسبوا الحرب تنكروا لكل هذه الوعود .. وعملوا على تقوية الـ ٥٪ وزيادتهم لغاية سنة ٤٨ لما وصل تلت السكان يهود مسلحين وتلتين السكان عرب مجردين .. وتخلت بريطانيا متواطئة مع الصهيونية العالمية عن الانتداب فى فلسطين وتركت اليهود يموتوا العرب ويطردوهم وطبعا النهارده اسرائيل بتقول أبدا ده الجيوش العربية هيه السبب ..

معركة دير ياسين كانت قبل دخول الجيوش العربية فى مايو سنة ٤٨ وقتلوا فيها العرب وقاموا بعملية ارهابية ومجزرة وحشية علشان يخوفوا العرب الفلسطينيين ويخلوهم يتركوا البلاد ، ويهربوا منها .

فكان قدام عرب فلسطين حل من اتنين : يا اما يخرجوا ، أو يفضلوا فيقتلوا ، أو يستعبدوا ، والدليل على هذا أن الـ ٢٠٠ الف عربى الموجودين فى اسرائيل النهاردة ، همه مواطنين من الدرجة الثانية فى مناطق تحت الحكم العسكرى مقفولة لا يحق لهم التحرك منها .. مفيش أبدا رئيس ولا مسئول فى أمريكا أو فى الغرب انتقد هذا الكلام أو العرب . بس بأى كلمة لحقهم .. مطلقا ...

ولكن كل الخطب وكل الكلام .. كل الدلع لاسرائيل ولحكومة اسرائيل وللدفاع عن اسرائيل .

انجلترا واسرائيل

موقف انجلترا من أمريكا ايه ؟ موقف انجلترا من اسرائيل ايه ؟ ومن حقوق شعب فلسطين ايه ؟.

انجلترا سنة ٥٨ تخلت عن المهمة اللى كانت فى سنة ٤٨ .. تخلت عن المهمة اللى كانت موكولة اليها وهى الانتداب وسابت فلسطين . سابت العرب الفلسطينيين للصهيونيين علشان

يقتلوهم ويطردوهم وبعدين النهاردة بيصرحوا سواء فى الحكومة بالنسبة لحزب المحافظين أو فى المعارضة بالنسبة لحزب العمال ويقولوا انهم يساندوا اسرائيل وأيضا بيدلعوا اسرائيل ويبتنكروا كل التنكر لحقوق العرب •• عرب فلسطين •• ليه ؟ لان اسرائيل بتمثل عندهم قوة •• قوة انتخابية ولان العرب لغاية دلوقتى مش قادين يستخدموا مصادر القوة اللى عندهم علشان الناس دول يخافوا منهم ويحترموهم لو كان رئيس وزارة بريطانيا •• لو كان رئيس وزارة انجلترا واثق انه اذا ايد اسرائيل مصالح انجلترا فى العالم العربى ستتأثر مكنش يجرؤ انه يجيب هذا الكلام على لسانه •• ولكن لا زالت مصادر القوة بتاعتنا مبنستخدمهاش كويس •• وعلينا ان احنا نكافح ونناضل فى كل شبر من الامة العربية ومن الوطن العربى علشان نخلص هذه المصادر •• مصادر القوة •• مصادر حقيقية وعلشان نخلى الناس دول يحترمونا ويعملوا حساب لينا وعشان نخليهم يعرفوا أن اللى حيساند اسرائيل مصالحه فى الوطن العربى كله من الخليج الى المحيط ستتأثر •

ده الكلام بنقوله بوضوح •• النضال العربى لا بد أنه يحطه موضع التنفيذ ويثبته ويجعله حقيقة واقعة •• النضال العربى اللى هو نضال الشباب العربى فى كل بلد عربى •• النضال العربى الثورى • •

ليه بيخافوا من اسرائيل علشان الانتخابات بيدلعوا اسرائيل ليه ؟•• بيقول لك الاصوات اليهودية فى الانتخابات •• اذن الدلع ده خوف ••

أما بنيجى سنة ٤٨ بيقولوا ان الصهيونية ضغطت على ترومان والصهيونية ضغطت على الخارجية وحصلت تهديدات وأنه حصل ضغط على الانجليز •• اذن الجماعة دول بيجوا بالضغط •• طيب ما احنا عندنا هنا مصالح ليهم نقدر نضغط اذا كانت مصالح الاصوات بس هى اللى بتأثر عليهم •• عندنا مصالح أخرى تأثر عليهم ••

انجلترا مسئولة

دا موقف انجلترا من فلسطين واسرائيل

وأنا أعتبر أن انجلترا مسئولية مسئولية أدبية وتاريخية عن كل ما حل بالفلسطينيين أو بالشعب العربى الفلسطينى لانها تولت الانتداب بعد الحرب العالمية الاولى ثم زودت الصهيونيين اليهود من ٥٪ الى حوالى ٣٥٪ وسمحت لهم بالتسليح •• ثم تركتهم وتركت البلد وقالت انها انهت الانتداب •

علشان يموتوا الفلسطينيين العرب ويطردوهم ويستولوا على فلسطين •• وفى الوقت ده احنا كنا بنتسلح من عند الانجليز ومنعوا عننا الاسلحة وكان عندنا مدافع هاون ومدافع ٢٥ رطل بدون ذخيرة وكان الجيش المصرى اللى كان موجود فى فلسطين بيتسلح من الغارات اللى بيقوموا بيها بعض الضباط الفدائيين على مخازن الذخيرة الانجليزية الموجودة فى منطقة القنال • أما غير كده عملوا منع أسلحة بالنسبة لينا وبالنسبة لاسرائيل احنا مجتلناش أسلحة واسرائيل جت لها أسلحة وجت لها دبابات •• دا موقف انجلترا بالنسبة لاسرائيل •

الاسد الذى ترك ذيله

بعدين طبعا لازم أعلق على موقف رئيس وزراء بريطانيا بالنسبة لمصر وعلى التصريح اللى قالوا الجمعة اللى فاتت وهوه فى كندا •

بيقول انه كان يتمنى ان أمريكا تترك بريطانيا سنة ٥٦ ليتم غزو مصر •

طيب وهى أمريكا كانت مسكاه سنة ٥٦ طب ما هو جه ونزل فى بور سعيد وبعدين عامل النهاردة ، زى اللى بيقول سيبونى عليه •• مسابونيش عليه ولو كانوا سابونى عليه كنت عملت وعملت وأنا متأسف اللى مسابونيش عليه •

الكلام ده ان دل على شىء يدل على عدم فهم روح النضال الشعبى •

فى سنة ٥٦ الانجليز جم واعتدوا علينا متواطئين مع اسرائيل •• الشعب كله قام ضدهم وبعد الحملة اياها قالوا أن الاسد البريطانى طلع وساب ديله فى بور سعيد وأنا ما أعرفش لو كان استمر العدوان سنة ٥٦ زى ما تمنى فى الاسبوع اللى فات ، زى

ما تمنى رئيس وزراء بريطانيا كان حصل ايه ؟؟

كنا طبعا قطعنا رقبته .. رقبة الاسد البريطانى .. مكناش حنسكت وبنقوله يعنى أحمد ربنا اللى مشيت بعد كده ولوكنت قعدت مكنتش حتطلع من هنا أسد كنت حتطلع حاجة تانية .

الاستعمار يتربص

ولكن الكلام ده له خطورته لانه كان دل على شىء يدل على الروح الاستعمارية المتربصة بينا وازاى العناصر الاستعمارية يأكل الحقد قلبهـا وازاى بتفكر غلط .. بقى رئيس الوزارة فى انجلترا أما اختاروه من شهر والا شهرين اختاروه فى النوادى الليلية وفى النوادى الحزينة وطريقة اختيار رئيس وزراء بريطانية كلنا عارفينها . وجرايد انجلترا نفسها كتبت عليها .. لا فيها ديمقراطية ، ولا فيها حرية أبدا .

احنا هنا الوضع عندنا بيختلف . عندنا نضال شعبى وكفاح شعبى .. اذا كانوا فاكرين العملية زى العملية هناك . رئيس الوزارة يقعدوا يعملوا شوية مناورات وده يضرب ده مقلب ، وده يضرب ده مقلب ، علشان ييجى ويقف يتكلم ويدى تصريح .. **نقول لهم لأ .. هنا حاجة تانية بعد ١٢ سنة من ٢٣ يوليو سنة ٥٢ .**

لازم الجماعة دول يفهموا هذا الكلام عندنا **الشعب القوى .. عندنا الشعب الحر ..** الشعب المتحرر من الاستغلال .. وعندنا الجيش الوطنى القوى وعندنا الارادة القوية . **ولكن كلام رئيس وزارة بريطانيا يخلينا نفتح** عينينا ونشعر بالاخطار اللى تهددنا .

القواعد الانجليزية

القواعد الانجليزية اللى موجودة حوالينا أو **اللى استخدمت ضدنا فى سنة ٥٦ نشعر بخطورتها** ونقول أن احنا نشعر بخطورة القواعد البريطانية الموجودة فى قبرص ضد **الشعب العربى وضد الشعوب الحرة . وضد الشعب فى قبرص بدليل أن الانجليز النهارده بيحاولوا انهم يفرضوا على قبرص قبول قوة** رغم ارادتها .. **نشعر أن القواعد دية لا بد** أن تصفى ولا بد أن احنا نعمل بكل قوتنا من أجل تصفية هذه القواعد لانها خطر علينا .

نساند شعب قبرص

ولابد أن نساند أيضا الشعب القبرصى فى مكافحته ونضاله ضد الاستعمار الجديد .

قبرص المستقلة عضو فى الامم المتحدة ارغامها على قبول قوات أجنبية سابقة خطيرة لانها تعتبر انتهاك لميثاق الامم المتحدة وتفتح السبيل للاستعمار الجديد . الشعب القبرصى سواء اليونانيين أو الاتراك يستطيعوا انهم يبذلوا الجهود اذا تخلت القوى الاستعمارية عن اثارة الفتن من أجل تعايش سلمى بين القبارصة والاتراك أما اثارة الفتن الطائفية عملية سهلة ثم اتخاذها ذريعة بعد هذا الغرض لتنفيذ سياسة الاستعمار الجديد .

حنؤيد شعب قبرص فى مقاومته لهذه السياسة ونؤيد شعب قبرص فى العمل على التخلص من قواعد الاستعمار البريطانى ..

القواعد البريطانية
فى ليبيا

وبعدين لما نتكلم عن القواعد فى قبرص بنقول أن احنا جميع القواعد الاجنبية المحيطة بينا تعتبر خطر علينا وتهديد لينا .

القواعد الاجنبية الموجودة فى ليبيا من الحرب العالمية الثانية تهديد لينا للعرب جميعا واحنا كان عندنا قواعد انجليزية فى مصر وخلصنا منها وما قولناش أن احنا استقلينا الا بعد ما خلصنا منها . كان فيه قواعد اجنبية فى العراق وبعد ثورة ٥٨ خلصوا منها .

القواعد الاجنبية اللى فى العراق دية احنا اتهاجمنا منها فى سنة ٥٦ ..

كان فيه قواعد أجنبية فى تونس وكان آخر جلاء للقوات الاجنبية من بنزرت .. الاحتفال اللى أنا رحته فى تونس وكلنا احتفلنا بهذا الجلاء ، واشتركنا مع الشعب التونسى — والرئيس بورقيبة فى الاحتفال بتحرير تونس من الاحتلال ، وكل الشعب العربى ينتظر اليوم الذى تحتفل فيه الامة العربية بالجلاء الكامل عن ليبيا لان القواعد الموجودة فى

ليبيا هى نتيجة الاستعمار الذى ترتب على الحرب العالمية الثانية .

ليبيا استقلت . كانت قبلت الاتفاق مع بريطانيا فى الماضى واديتها قواعد وعملت تحالف ، لان ليبيا ماكنش عندها أى موارد ، وكانت بتاخد مساعدة تقدر بثلاثة مليون جنيه النهارده ميزانية ليبيا ٤٥ مليون جنيه بعد اكتشاف البترول ، واحنا نتمنى لليبيا انها تزيد ثروتها القومية ، ولكن نتمنى أيضا لليبيا انها تزيل القواعد الاجنبية لان القواعد الاجنبية خطر على ليبيا ، وعلى الامة العربية كلها ..

الاتفاق مع ليبيا

أن بريطانيا الآن تحاول تجديد الاتفاقية المعقودة مع ليبيا ، الاتفاقية المعقودة مع ليبيا انتهت ، بريطانيا تحاول بكل الوسائل تجديد هذه الاتفاقية ، وتحاول أيضا بتجديد هذه الاتفاقية أن تحتفظ بقواعد عسكرية فى ليبيا . نحن نشعر أن تجديد هذه الاتفاقية هو تمكين للاستعمار البريطانى فى الارض العربية والامة العربية ، وهو تعريض الشعوب العربية وتعريضنا احنا بالذات لخطر العدوان .

لن نطمئن

أن بريطانيا اللى اعتدت علينا سنة ٥٦ واللى النهاردة بيتأسف رئيس وزراءها انه مضربناش سنة ٥٦ ، ومكملش غزوه لا يمكن أن نطمئن اليها ، ولا الى سياستها والقواعد البريطانية والامريكية لان بريطانيا بتؤيد اسرائيل ، ولان أمريكا تؤيد اسرائيل ، ولان العرب كلهم ضد اسرائيل .

فاذا وقفنا ضد اسرائيل ، ايه اللى يخلينا نطمئن أن احنا منضربش من القواعد الامريكية والبريطانية اللى موجودة فى ليبيا يجب أن تصفى هذه القواعد .

نتمنى أن نحتفل جميعا مع ملك ليبيا وشعب ليبيا بانهاء هذه القواعد ، وجلاء أخر جندى أجنبى عن ليبيا .

الكلام ده أنا ما بهاجمش ليبيا ، أنا باكمل موضوعى ، احنا ضد القواعد ، وضد التحالفات واذا حد اتكلم علينا كلمة حنتكلم عليه عشرة .

احتمالات المستقبل

ده الوضع بالنسبة للظروف المحيطة بينا .. احتمالات المستقبل ، احنا بنبنى بلدنا بنبنى المجتمع الاشتراكى ، مجتمع الكفاية والعدل . بنبنى الانسان العربى ، بنبنى الوعى العربى ، بندعم قوميتنا العربية . وندعم الاستقلال العربى ، ونفرض على اللى كانوا بيحتلونا زمان انهم يحترمونا ويعرفوا أن احنا عرفنا طريقنا ، احنا بنبنى ويمكن بره محدش بيكتب ولا حدش بيقول وبيقولوا أن اسـ
هى اللى كذا واسرائيل هى اللى كذا ، أحنا أيضا نصمم على حقوق شعب فلسطين ، واذا كانت اسرائيل بتقول انها لن تسمح لشعب فلسطين أن يعود كما قررت الامم المتحدة سنة ٤٨ وسنة ٦٣ وهذا الكلام بيقبل عالميا ، احنا بنقول أنه لابد لشعب فلسطين أن يعود الى بلاده . ويستعيد حقوقه كاملة غير منقوصة ..

حرب مع اسرائيل

اذن احتمالات المستقبل حرب مع اسرائيل احنا اللى نفرض وقتها واحنا اللى نفرض مكانها يجب أن نكون قادرين على ردع اسرائيل حتى يستعيد شعب فلسطين حقوقه . ولكن لا ننكر مأساة سنة ٤٨ .

اذن يجب أن نقوى فى جميع المجالات الاقتصادية وفى جميع المجالات العسكرية ده سبيلنا للمستقبل ، سبيلنا من أجل اقامة الديمقراطية السليمة ، وسبيلنا من أجل بناء المجتمع الاشتراكى . ده سبيلنا فى المستقبل أيضا هو بناء المواطن العربى .. الاتحاد الاشتراكى العربى يساعد على تحقيق كل هذه الأهداف . يساعد على الوحدة الوطنية يساعد على الشعور بالواجب ، يساعد على التحويل الاشتراكى ويساعد أيضا على اقامة الحياة الديمقراطية السليمة . والله يوفقكم . والسلام عليكم .

الوفد العراقي يشترك في عيد الوحدة

احتفل الشعب العربي بعيد الوحدة السادس في ٢٢ فبراير ١٩٦٤ .

وألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا هاما تناول فيه السياسة الداخلية والخارجية والشئون العربية . واعلن الرئيس في أول خطابه شكره لرئيس الوفد العراقي الذي اشترك في احتفالات عيد الوحدة وحمله تحية شعب الجمهورية العربية المتحدة لشعب العراق ورئيسه البطل عبد السلام عارف .

وكان الوفد العراقي الرسمي قد وصل الى القاهرة يوم ٢١ فبراير برئاسة السيد كامل الخطيب وزير العدل .. ويضم الوفد السادة الوزراء : حسن الدجيني وزير المواصلات وعبد الكريم هاني وزير العمل والزعيم الركن محمود عريم قائد الفرقة الثانية والعقيد محمد مجيد رئيس أركان الجيش والزعيم الركن عبد الجبار شنشل آمر هيئة الاركان والمقدم داود عبد المجيد .

وصرح السيد كامل الخطيب وزير العدل ورئيس الوفد عقب وصوله الى القاهرة بأنه يزور القاهرة لاول مرة • وقال انه يحمل التحيات الاخوية من المشير عبد السلام عارف الى الرئيس جمال عبد الناصر • وقال اننا لا نهنىء حكومة وشعب الجمهورية العربية بهذا اليوم • وانما نهنىء كل الشعوب العربية والتى يشعركل شعب منها وهوفى مكانه بهذا اليوم المبارك الذى كان بداية للوحدة العربية الشاملة •

وفى احتفال عيد الوحدة • القى الوزير العراقى كامل الخطيب كلمة استهلها بتوجيه تحية الرئيس عبد السلام عارف الى شعب الجمهورية العربية المتحدة •• ثم قال :

لقد حضرناللمشاركةفى الاحتفال بأعزذكرى قومية تاريخية على قلوب العرب أجمع كانت تعتبر نواة للوحدة العربية الشاملة •• تلك الذكرى التى انبثقت منها الجمهورية العربية الخالدة وقد أخذ العرب فى كل مكان يتطلعون اليها بنظر الاكبار والتقدير باعتبارها المنطلق الثورى الاول نحو الوحدة الكبرى •• ثم قال• وحينما تجسدت هذه الوحدة اخذت الجماهير العربية المؤمنة بقوميتها وعروبتها تترقب التطورات التى ستعقبها للوصول الى الهدف المنشود وعندما رأى الاستعمار وأعوانه أن هذه الوحدة تهددأهدافه الاستعمارية ومخططاته العدوانية القائمة على التجزئة والتفرقة أخذ يحوك المؤامرات فى كل مكان ويسخر أجهزته فى محاربة هذه الوحدة والظاهر أنه أخذ يعتقدبانه قد نجح بتجميدها وتوقيفهاو توقيف مسيرتها الكبرى •• ولكن الحقيقة والواقع انه لم يتمكن •• ولن يتمكن بحول الله تعالى • فان الطليعة الواعية من الامة العربية وقادتها المخلصين ستستطيع متكاتفة أن تعمل يدا بيد على كشف هذه المؤامرات ودسائس الاستعمار فى تمزيق الصفوف العربية المخلصة وبعثرة الجهود القومية • وما مؤتمر الملوك والرؤساء الذى بادرتم ، ياسيادة الرئيس الى الدعوة اليه والعمل من أجل تحقيق مقرراته التاريخية الا مثلا حيالهذا الوعى والادراك•وستظل مسيرتنا بعون الله تعالى ، مسيرتنا الكبرى بقيادة جميع المخلصين سائره نحو غايتها المنشودة رغم دسائس الاستعمار وأذنابه ورغم مؤامرات الانفصاليين والمنحرفين ••

ثم قال •• ان أبناء الامة العربية الواحدة ياسيادة الرئيس تواقون الى معرفة الخطوات التالية التى سيخطوها قادة العرب فى تنفيذ مقرراتهم التاريخية • وان العراق وقد صدقت حكومته الوطنية على هذه المقررات سيساعد بكل امكانياته فى العمل معكم على تنفيذها ودعم وحدة الصف العربى مهما بلغت التضحيات• ولا يخفى على سيادتكم أن الشعب العراقى ناضل خلال الخمس سنوات الماضية التى كانت سنوات عجافا • نضالا مريرا من أجل دحض الحركات المعادية للقومية العربية والوحدة العربية وسيظل أمينا على مبادئه القومية العربية وسحق انواع الانحراف والانتهازية وما ثورة الثانى عشر من تشرين الثانى التى قادها المشير الركن عبد السلام محمد عارف وزملاؤه من العسكريين والمدنيين الا تعبيرا صادقا بالتأكيد على أصالة العراق العربية ورغبته الملحة فى المساهمة فى كل المناسبات القوميه الثورية وان مشاركتنا فى هذه الذكرى التاريخية الخالدة معكم ومع شعبكم العربى الأبى ليست الا مثلا حيا •• مثل هذه الاصالة والرغبة المخلصة فى هذا السبيل ••

واسمحوا لى يا سيادة الرئيس وانا اختتم كلمتى هذه أن أعبر لسيادتكم وللشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة مرة ثانية عن خالص تمنيات الرئيس عبد السلام عارف •• والشعب العراقى راجيا لكم ولشعبكم العظيم دوام التقدم والازدهار•والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته • »

وقد قام الوزراء الثلاثة الذين يضمهم الوفد بعدة اتصالات مع المسئولين فى القاهرة حول التعاون بين البلدين فى مجالات اختصاصاتهم

واستغرقت زيارة الوفد للجمهورية العربية المتحدة حوالى أسبوع

السيد / حسين الشافعى

نائب رئيس الجمهورية

- إن يوم ٢٢ فبراير من كل عام هو يوم جدير بأن يحتفل به كل عربى
- استطاع مؤتمر القمة أن يؤكد معانى الوحدة الحقة بين القادة وبين الشعوب .
- ليست الوحدة العربية ثورة دستورية واحدة .. ولكنها طريق طويل تتعدد عليه المراحل نحو الهدف الكبير .

السيد الرئيس ...

أيها السادة ..

باسم الأمانة العامة للاتحـاد الاشتراكى العربى ، أرحب بكم وأحييكم ، فى هذا اليوم التاريخى العظيم ، الذى تحتفل فيه البلاد ، بعيد الوحدة ... كما أبعث باسم الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى خالص التحية الى الاخـوة العرب فى كل مكان من الوطن العربى ..

السيد الرئيس ..

يجتمع فى هذا المكان فى جامعة القـاهرة أعضـاء لجان الاتحاد الاشتراكى العـربى بالمحافظات .. وكذلك الأمناء ، والأمنـاء المساعدون فى الأقســام وفى المراكز وفى المدن .. حضروا جميعا ، نيابة عن زملائهـم الذين تجـاوز عددهم خمسة ملاييـن من المواطنين .. كلهم أعضاء فى هـذا التنظيم ، سعوا فى الانضمام اليه ، ليسهموا فى البناء، وليضع كل واحد منهـم مع زميله ، جهده ، وعزيمته واخلاصه .. ليقيموا معا ، هـذا التنظيم السياسى الكبير ، الذى يحمل رسالة العمل الاشتراكى ، ويدفع امكانيات التقدم ، ثوريا ، لصالح الجماهير .. ويعمـل جاهدا ضد تسلل أى نفوذ أجنبى .. **وسعت هـذه الملايين ، لتعمل جادة مجاهدة ، يدا واحدة ، وصفا واحـدا .. وراء الرئيس المنتصر .. جمال عبد الناصر ..**

السيد الرئيس ..

ان يوم ٢٢ فبراير من كل عام ، يوم جديد بأن يحتفل به كل عربى ، بشعور من الاعتزاز بعروبته .. ذلك أنه كان اليوم الذى عبر عن أول صورة تاريخية ، لتحرر الارادة العربية ، ولعملها الايجابى ، نحو أول تضامن تلقـائى شعبى ، متخطيا كل العقبات ، فى ثقة واخلاص وايمان بوحدة العرب .

ولما كان من حق هذا اليوم أن يحتفل به كل عربى ، تمجيدا لهذا المعنى الكبير .... فان هناك تجربة جديدة عزيزة ، أضاءت آفاقا للالتقاء على الأهداف ، فى صـورة تاريخية عظيمة لا تنسى .. **ففى اليوم الثالث عشر من شهر يناير عام ١٩٦٤ ، عقد اجتماع القمة ، بدعوة من الرئيس جمال عبـد النـاصر ..** وهو الاجتماع الذى عبر عن وحدة الواقـع الذى تعيش فيه الدول العربية ، كما عبر عن وحدة الهدف ، ووحدة المصير .. فى العمل معا ، والوقوف صفا واحدا ضد العـدوان الخارجى .. لصيانة الحق العربى .

واستطاع مؤتمر القمة أن يؤكد معـانى الوحدة الحقة ، بين القادة والشعوب العربية فى آن واحد .. كما استطاع مؤتمر القمة ، أن يثبت أن العمل العربى فى هذه المرحلـة من التـاريخ ، يحتاج الى كل خبـرة الأمة العربية ، ويحتاج الى حكمتها العميقة ، ان الوحدة العربية ، ليست صـورة دستورية واحدة ، لا مناص منها.. **لكن الوحدة العربية طريق طويل قد تتعدد عليه الأشكال والمراحل وصولا الى الهدف الكبير .**

لقـد أثبت كل من يومى ٢٢ فبراير و١٣ يناير وجودهما ، فى أنحاء البلاد العربيـة كلها ، بل وفى المحيط العـالمى .. واذا كان الاستعمار قد فزع يوم ٢٢ فبراير ، فهـو اليوم وعقب اجتماع القمة أشد فزعا وخوفا ، وأخذ الاستعمار يشيع عن العمـل الكبير صورا يستعدى بها أعداء العرب .. وبذلك ، **أصبح محتما على الشعوب العربية ، تأكيـدا لانتصار الوحدة ، ودعما لحق الانسان العربى أن نعمل معا بمزيد من الطاقة والجهد لنسحق أعداء العرب .**

يا سيادة الرئيس ..

انك خضت بنا معارك متتابعة منذ قيـام الثورة .. كتب الله لك فيها النصر ، وكتب لأمتك على يديك ، عزة ومجـدا .. وأعطيت المثل الناجح ، والدليل القـوى على الارادة والتصميم ، وعلى حبك للعروبة ، ورعايتـك الدائبة للقضايا العربية ..

واستطعت يا سـيادة الرئيس ببصيرتك النافذة ، أن تحدد الشخصية المصرية ، وأن

تغرس فى قلوبنا وفى قلوب الأجيال القادمة ، حق العرب فى حياة عالية جديرة بهم ، وأن تعلم الأجيال مسئولياتهم عن القومية العربية بصفتهم جزءا لا يتجزأ منها •• ومن هنا أصبحنا جميعا - وفى وقت واحد - نشعر بنفس الآمال ، وندرك أهمية العمل المشترك خطورة العدو والقوى الاستعمارية التى تن بكافة صوره، مدركين فى وقت واحد تستطيع بعد اليوم ، أن تتعامل مع الأمة العربية ، على أساس أنها أمة ممزقة الأوصال مفتتة الجهد •

وها نحن يا سيادة الرئيس فى الاتحاد الاشتراكى العربى بملايينه الخمسة التى تمثل قوى الشعب •• ينتظرون وراءك فى وحداتهم الأساسية وما تعلوها من تنظيمات • يعتبرون أنفسهم مجندين فى معركة لا تعرف التردد ، مجاهدين لتطبيق الاشتراكية ، عاملين للوحدة مؤمنين بالله ، وبحرية وطنهم •• وعزة بلادهم ••

ان الاتحاد الاشتراكى العربى ، وهو يشكل الاطار السياسى الشامل للعمل الوطنى ، وتتسع تنظيماته لجميع قوى الشعب •• من فلاحين، وعمال وجنود ، ومثقفين، ورأسمالية وطنية •• على أساس الالتزام بالعمل الوطنى، فى ترابط وثيق بين المستويات المختلفة ، من قاعدة التنظيم الى قيادته الجماعية •• هذا الاتحاد ، يدرك رسالته ، فى أن يكون قوة ايجابية ، تدفع العمل الثورى، ومعينا لا ينضب للقيادات الواعية ، ومصدرا للفكر الاشتراكى العربى ، ومركزا لدعم مبادىء القومية العربية •• •

ولئن كان هذا العدد ، الماثل هنا ، قد جاء اليوم ، ليحتفل بعيد الوحدة ، بالنيابة عن جميع أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى فى المحافظات فان ملايين المواطنين اليوم ، فى مصانعهم ودوائر أعمالهم ، وفى قراهم ، وفى كل مكان من هذا البلد العظيم •• بل وفى كل شبر من أرض العروبة بين خليجها ومحيطها ، ينصتون فى انتباه وشغف ليستمعوا الى صوتك المؤمن •• ينتقل اليهم ، عبر الأثير ، من قلبك الكبير الى قلوب هذه الملايين ، التى تتابع اليوم حديثك ،كعادتها ، باهتمام بالغ •• وتدعو لك ، بالنصر ، وبالتأييد والتوفيق •• وما النصر الا من عند الله •••

والسلام عليكم ورحمة الله •

٩ شول ١٣٨٣ - ٢٢ فبراير ١٩٦٤

السيد الأستاذ المهندس

أحمد عبده الشرباصي

نائب رئيس الوزراء

لشئون الأزهر ووزارة الأوقاف

مبروك .. وفقكم الله للعمل من أجل خدمة الاسلام والمسلمين فى ظل قائد العروبة والاسلام السيد الرئيس جمال عبد الناصر

حديث مع أول سفير لاتحاد ماليزيا فى القاهرة تنكو جعفر عبد الرحمن

— ولد فى ٧ يوليو عام ١٩٢٢ — تلقى تعليمه الابتدائى فى احدى مدارس الملايو • وأتم تعليمه الثانوى بالمدرسة الانجليزية فى (كولاكانسر) بالملايو •

ثم التحق بكلية (ريفولس) فى عام ١٩٤١ وكان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية فى جنوب شرقى أسيا وأثناء احتلال اليابان للملايو •

— التحق بوظيفة ادارية فى مدينة (سرامبان) وبعد الحرب سنة ١٩٤٥ • انتقل الى مدينة (رامباو) بنفس الوظيفة •

— فى عام ١٩٤٨ • ترك العمل وعاد للدراسة والتحق بجامعة نوتنجهام بانجلترا لدرسالة القانون وكان يمثل الكلية فى اغلب أنواع الالعاب الرياضية •

— فى عام ١٩٥١ وبعد ان حصل على ليسانس القانون • التحق بكلية (بيليول) أشهر كليات اكسفورد •• ودرس الاقتصاد

— فى عام ١٩٥٢ عاد الى الملايو واشتغل سكرتيرا مساعدا لولاية (بيرق) فى الشئون الادارية •• ثم مأمورا لمدينة (باريت)

— فى عام ١٩٥٤ • كان مأمورا لمدينة (تمبين) فى ولاية (ينجرى سمبيلان) حتى أصبح من أكبر موظفى حكومة الملايو •

— فى عام ١٩٥٦ • دخل السلك الدبلوماسى الخارجى فى وزارة خارجية اتحاد الملايو • وسافر الى انجلترا للتمرين لمدة عام • ثم سافر الى واشنطن كقائم بأعمال سفارة الملايو وبعد شهر سافر الى نيويورك لافتتاح المقر الرسمى للوفد الدائم لاتحاد الملايو فى هيئة الامم المتحدة • وشغل منصب السكرتير الأول وبعد عام سافر الى لندن كمستشار البعثة الدبلوماسية الملاوية بانجلترا •

— فى عام ١٩٦٢ رقى الى منصب نائب المندوب السامى الملايوى فى انجلترا فى سبتمبر ١٩٦٣ اختير كأول سفير لاتحاد ماليزيا فى القاهرة •

— أهم الدول التى زارها : انجلترا • فرنسا أمريكا . دول غرب أوروبا . بعض دول آسيا شرق افريقيا • بيروت • الاسكندرية

— مثل حكومة ماليزيا فى حفلات استقلال زنجبار • واختيار الرئيس تبمان رئيسا لجمهورية ليبريا •

كيف تم اتحاد ماليزيا :

يقول تنكو جعفر عبد الرحمن سفير ماليزيا الجديد : نشأت فكرة اتحاد ماليزيا عندما تحدث السيد رئيس وزراء الملايو (تنكو عبد الرحمن) الى الصحفيين فى عام ١٩٦١ ، قائلا أنه من الأفضل ان تتحد ولايات سنغافوره وسابه • وسراوا • وبرونى • وهى مستعمرات انجليزية حتى نستطيع ان نوحد مصادر الثروة •• ونطور البلاد لكى يعم الرخا لجميع الأفراد ••

وقد ناقش زعماء الولايات المذكورة هذه الفكرة ٠٠ وكونوا لجنة التضامن لبحث التفاصيل واقتنعوا بها ٠٠ ثم كانت الاستجابة الشعبية كبيرة جدا حتى ان انجلترا قد وافقت على ارسال لجنة لاستفتاء آراء زعماء وسكان ولايتى سراوا وسابه • وذكرت اللجنة فى تقريرها ان الأغلبية قد وافقت على قيام الاتحاد بشروط معينة بالنسبة للتربية والهجرة وفرص العمل والتى توصلوا الى الاتفاق بشأنها ٠٠ وفى نفس الوقت كان هناك استفتاء شعبى عام فى سنغافورة ، وقد اجمعت الاغلبية على ضرورة قيام الاتحاد ٠٠ اما ولاية برونى ٠٠ فنظرا لأنها محمية بريطانية وليست مستعمرة مثل باقى الولايات المذكورة .. فقد كان الأمر فيها متروكا لتقرير سلطانها ومجلسه الاستشارى ولم يكن للشعب حرية حق تقرير رأيه • وقامت ثورة شعبية فى برونى ضد الاستعمار الانجليزى وتحت تنظيم الحزب الشعبى واعلن قائد الثورة (السيد أزهرى) نفسه رئيس وزراء الولايات الثلاث سابه ، سراوا • برونى

الاسلام فى اتحاد ماليزيا

وتحدث سيادة السفير عن ظهور الاسلام فى دول الاتحاد فقال أنه ظهر فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى وعن طريق التجار العرب القادمين من سومطرة وجزء من الملايو فى ولاية ملاكا ٠٠ ويعتبر سلطان هذه الولاية أول من دخل الاسلام ٠٠ ومن ملاكا انتشر الاسلام فى كل اجزاء الملايو ٠٠ وكان انتشاره سريعا لأن السلاطين أصبحوا كلهم مسلمين وأصبحوا رؤساء دينيين فى كل الولايات ٠٠ واصبح الاسلام فى المقدمة بين أهل الملايو عندما اعتبر السلاطين أنفسهم كخلفاء الاسلام ٠٠ وكل الملاويين الأصليين الآن مسلمون ولكن أغلب الصينيين الموجودين بالولايات غير مسلمين ٠٠ ويوجد بعض الهنود المسلمين •

ونسبة المسلمين الى عدد السكان فى الملايو ٥٢٪ تقريبا •

أما نسبة المسلمين فى اتحاد ماليزيا فهى ٤٢٪

الجمعية الخيرية الاسلامية فى كوالالمبور :

وهناك جمعية اسلامية جديدة انشأت حديثا فى كوالالمبور تسمى الجمعية الخيرية الاسلامية وهى جمعية خاصة • أغراضها : نشر الدين الاسلامى والوعى الدينى بتوعيه المسلمين بأمور دينهم • وتشارك الحكومة فى مساعدة الجمعية ماليا. وستنشىء الجمعية دارا كبيرة لها ٠٠ وهى فى حاجة الى المساعدة المالية والأدبية والثقافية من الدول الاسلامية الأخرى ٠٠ وقد اتصل رئيس الجمعية بالدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة فى مصر وببعض المسئولين للمساهمة فى تحقيق اغراض الجمعية ومساعدتها ٠٠ بارسال الوعاظ والاساتذة المدرسين • والكتب الثقافية الدينية •

وتوجد كلية اسلامية عليا فى ولاية (سملانجور) وشهادتها معترف بها من الأزهر وهى فى مستوى كليات الأزهر

وفى القاهرة يوجد مائتان وخمسون طالبا من اتحاد ماليزيا يدرسون فى مختلف الكليات والمعاهد •

ماذا تم فى اجتماع المؤتمر الاسلامى فى كوالالمبور ؟

وفى أواخر يناير وأوائل فبراير عام ١٩٦٤ عقد فى كوالالمبور مؤتمر اسلامى كبير كبير ضم كل ولايات جنوب شرق آسيا تحت رئاسة مفتى فلسطين • وبحثت فيه كل الأمور المتعلقة بالمسلمين وبالدين الاسلامى وبحثوا فى الشئون الاجتماعية والثقافية الاسلامية وفى التقدم العلمى والاقتصادى للمسلمين • وكان الهدف من هذا المؤتمر الدعوة لاتحاد المسلمين حتى يتم التعارف بين الجميع ومعرفة احسن الطرق لنشر الاسلام •

فنحن فى ماليزيا نؤمن بالاتحاد الاسلامى وبأن الدول الاسلامية يجب أن تتقارب أكثر وأكثر لكى تكون الأقوى دائما • ففكرة الاتحاد الاسلامى ستكون سندا قويا لمستقبل المسلمين فى العالم فيجب أن يتعاون المسلمون جميعا على قدم المساواة فى جميع الميادين •

ونرجو من الشعوب الاسلامية جميعا مناقشة هذه الفكرة والتمهيد لتحقيقها ٠٠

النفاق والمنافقون

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

"إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا" صدق الله العظيم

تحدث القرآن الكريم عن النفاق والمنافقين فى ايات وسور كثيرة ، ولم يدع جانبا من جوانب المنافقين الخلقية الا كشفه وأوضح أمره ، ولم يترك ناحية من نواحى ارجافهم على المجتمع ، وافسادهم فيه الا بينها وحذر المؤمنين منها .

وإننا لنرى أول سورة فى المصحف بعد فاتحة الكتاب تتحدث فى مطلعها عن طوائف الناس أمام دعوة الحق ، فتذكر المؤمنين فى ثلاث آيات ، وتذكر الكافرين فى آيتين اثنتين ، بينما تذكر المنافقين فى ثلاث عشرة آية ، كما نرى فى القرآن الكريم سورة تسمى « **سورة المنافقين** » تعرضت لبيان أخلاقهم وأقوالهم وصفاتهم وما يضمرون من نوايا السوء ، لأهل الايمان والاصلاح .

وانما عنى القرآن الكريم هذه العناية الكبرى بالتحذير من النفاق والمنافقين ، لأن النفاق هو شر الأخلاق ، وجرثومة الفساد ، ولا يصدر الا عن أرباب النفوس الضعيفة والنوايا الخبيثة ، الذين آثروا أن يعيشوا فى ظلام الخديعة والمكر : « **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون** »

ان الكافر عدو واضح : صريح فى عداوته صريح فى تكذيبه صريح فى حربه ، ولذلك يسهل اتقاء شره أما المنافق فهو عدو فى ثياب صديق ، سلم فى ظاهره ، حرب فى باطنه ، لا تعرف مسالكه حتى يتقى شره ، ولا تدرك نواياه حتى يتجنب ضرره .

يعطيك من طرف اللسان حلاوة

ويروغ منك كما يروغ الثعلب !

ومن قرأ تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم وعرف مواقف أهل النفاق الذين ابتلى بهم مجتمع المسلمين الأولين ، وتأمل القرآن الكريم فيما سجل من شأنهم ، وفيما حذر من مكرهم وكيدهم ، يعرف أن هذا الصنف من الناس هم بلاء المجتمعات فى كل زمان ومكان ، وانهم ضريبة لابد منها على أهل الايمان والاصلاح والتقدم . ويعرف السبيل الى النجاة من شرهم ، والاحتياط الذى يقى من مكرهم وتدبيرهم .

واليكم أيها القراء بعض ماجاء من ذلك فى القرآن الكريم على قدر ما يتسع له المقام :

* لقد وصف القرآن الكريم مظهرهم الخلاب ، وحديثهم الجذاب ، مع قلوبهم المنطوية على السوء ، وأفعالهم الهادفة الى الافساد والتدمير ، فقال :

« واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة »

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه ، وهو ألد الخصام ، واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد »

فالآية الأولى تبين أن لهم أجساما ومناظر وأشكالا تغر بمظهرها الحسن ، وذلك ما يعنى به المنافق ويجعله فى الدرجة الأولى من اهتمامه ليبدو أمام الناس خلاب المظهر ، فهو يستغل فراهة جسمه ، وذرابة لسانه ، وفصاحة منطقه فى خداع الناس ، ويضيف الى ذلك تجملا بالثياب والزينة ومظاهر المتاع ، ليأخذ العيون كما يأخذ القلوب ، وتراه يترنم بالقول وله فى القائه نبرات وتمويهات ، فيستمع اليه من لا يعرف حاله معجبا به ، مستريحا الى عذوبة منطقه ،ولكنه مع هذه المظاهر لايعدو أن يكون فى حقيقة أمره شبحا بلا روح وجسما بلا عقل ، وشجرة بلا ثمرة ، وكأنه خشبة مسندة الى حائط .

والآيات الأخرى تذكر هذه الظاهرة فى المنافق أيضا ، فتبين أنه ذو قول يعجب السامعين لذلاقته وفصاحته ، واذا تحدث فى شأن من شئون الدنيا بدا وكأنه ذو اختصاص فيه ، ودراسة له ، وتراه يتظاهر مع ذلك بالاخلاص فيما يقول ، ويشهد الله على ما فى قلبه من الصدق وحسن النية ، ليستر حقيقته ويخدع بمظهره ، والله يعلم أنه خبيث الطوية ، فاسد النية ، ذو لدد فى الخصام ، أى شدة وفجور واسفاف ، فان الخصومة قد تكون شريفة اذا لم تستعمل فيها سلاحا دنيئا ، ولم تخرج بها عن دائرة المخالفة فى الرأى ، وقد تكون خسيسة اذا أفحشت فيها ، ونزلت الى حمأة الاسفاف والعداء الفاجر ، الذى يستبيح الكذب والافتراء وتشويه الحقائق فى سبيل الظفر بالنصر الرخيص ولو الى وقت قريب ، وفى السنة المطهرة ما يدل على أن المنافق اذا خاصم فجر فى خصومته ، ولم يرع فى خصمه أية قاعدة خلقية .

وتذكر الآيات الكريمة أيضا ان هذا القوال المتظاهر بصلاح الحال ، المعلن عن نفسه ، اللابس بهذا الاعلان ثوب الزور ، اذا وسد اليه أمر من أمور الأمة سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، فتراه لا يستريح الا الى مناظر الخراب والافساد ، ولا يهدأ الا اذا أشاع أسباب الاضطراب فيمن حوله ، وفيمن هم بعيدون عنه ، تلذ له أخبار المآسى وأنات الآلام ، ومظاهر الكرب والفزع ، والتشرد والفاقة ، ففى ذلك غذاء نفسه ،وشفاء صدره ، وارتياح روحه ، ومن أخلاقه انه اذا تسلط استكبر على النصيحة وأشاح بوجهه عن كل من يبصره بالحق، ويذكره بالله، فتأخذه العزة بالاثم كبرا وبطرا . ويغضب على من يخلصه النصح .

* ووصف القرآن الكريم قلوبهم الواجفة، وأعينهم الزائغة ، وما يبدو عليهم من جبن وهلع فى أوقات النوازل ، ومن سفاهة وسلاطة لسن فى أوقات الأمن ، فقال :

« يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو »

« فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت ، فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد »

*** ووصفهم بأنهم مثبطون لا يمكن أن يقوى بهم مجتمع ، فقال :**

« لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ، ولأوضعوا خلالكم ، يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم »

ولذلك أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باجتنابهم وعزلهم عن المجتمع ، فقال :

« يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم ، قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم ، قد نبأنا الله من أخباركم »

« فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرةفاقعدوا مع الخالفين ، ولا تصل على أحدا منهم مات أبدا ، ولاتقم على قبره »

* ووصفهم بأسوأ خلق تعرفه المجتمعات الناهضة ، وهو خلق الانتهازية ،فقال :

« الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم تكن معكم ، وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين »

فهم قوم انتهازيون يقوم نشاطهم فى المجتمع على أساس استغلال كل حادث يحدث ،والتربص للفرص، ومحاولة الانتفاع بكل ما يسنح منها، وترى لهم قدرة على تخريج مواقفهم ، والتبجح فى تفسيرها وتأويلها بما يتفق والحوادث ،وبما يرضى كل فريق .

* ووصف القرآن الكريم البواعث التي تبعثهم على النفاق ، فقال :

« الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة ، فان العزة لله جميعا »

ولقد ابتلينا - معاشر الشرقيين - بهذا النوع من الذين يبتغون العزة من غير سبيلها، ويرجون أن يقتنصوها من غير ميدانها ، وهم الذين يوالون الأعداء ليتخذوا لهم أيادى تشفع عندهم ، أو منافع تنفعهم ولو على حساب الحق والخير والصلاح ، وقد عرفناهم باسم « عملاء الاستعمار » فى عصرنا الحديث .

* وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى .

« فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين »

والتعبير عن المنافقين بهذه العبارة : « فى قلوبهم مرض » تعبير قوى رائع جاء فى غير هذا الموضع من القرآن كما جاء هنا ، ومن ذلك قوله تعالى :

« فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا »

« ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض »

« فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت »

فانه لما كانت قوة القلب تضرب مثلا للثبات والتماسك والقوة النفسية ، كان ضعف القلب الذى عبر عنه بالمرض مثلا للخور والتردد والتزلزل وانهيار النفس ، وهذه شنشنة المنافق : لايمكن أن يكون صريحا واضحا منحازا الى ناحية معينة ، فهو يتردد بين الناحيتين ، ويلتمس الخطوة فى الجانبين ، ولا يهمه الا أن يطمئن على نفسه فى يومه وغده لذلك يأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه ،ويتخذ عند كل منهما يدا

وقد رد الله عليهم هذا المعنى الذى يدور بنفوسهم ، ويحملهم على النفاق ومصانعه أهل الباطل ، فبين أن الأمور بيده ، وأن الفتح والفصل بين المؤمنين والكافرين مرجو قريب ، فان لم يكن فتح قريب ، فأمر من عنده يترتب عليه أن يصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين .

ولو عقل الناس لفهموا مما يرون فى الحين بعد الحين ، ومما يشاهدون من الأحداث أن ليس الأمر كله أمر تدبير بشرى ، وأنه لا يكفى أن يعتمد المرء على اساليب المخاتلة والمخادعة لكى ينجح فى حياته ، ويحصل على مآربه ، فان الخداع نقد زائف ان راج بعض الوقت ، فمصيره الى الانكشاف ، ثم البوار ، أما الاستقامة والسير على الطريق السوى ، فربما تكلف صاحبهما صعابا ومشاق ، ولكنه فى النهاية الى خير وصلاح ورضا من الله والناس

* ووصفهم القرآن الكريم بأنهم يكرهون أن يروا أهل الاصلاح منتصرين ، ويحبون أن يروهم منهزمين ، فقال :

« ان تصبك حسنة تسؤهم ، وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ، قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون »

* ووصفهم بأنهم مرجفون على المجتمعات يعملون على احداث الفتن ، وبلبلة الأفكاردائما ويشيعون قالة السوء بالباطل ، وذلك قوله تعالى :

« وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله » أى لنا وليس لك فيها فضل يامحمد - وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك » - أى بسببك « قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا »

وفى مثل هؤلاء من قديم يقول القرآن الكريم: فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه »

أى يتشاءمون بهم ، تجنيا عليهم ، وارجافا بالباطل .

* ووصفهم القرآن الكريم بأنهم حلافون بالكذب ، وأنهم يتخذون أيمانهم ستارا ووقاية لهم ، ليتمكنوا بها من خداعهم وترويج نفاقهم ، فقال :

« اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله »

أى اتقوا الناس بالايمان الكاذبة الآثمة ليصدقوا فيما يقولون ، فاغتر بهم من لايعرف حقيقة أمرهم ، فوقع فى حبال مكرهم ،فصدوه بذلك عن سبيل الله وضللوه .

* وقد ذكر هذا الوصف للمنافقين فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى :

« وليحلفن ان أردنا الا الحسنى »

« وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم »

« ويحلفون بالله انهم لمنكم ، وما هم منكم »

« يحلفون بالله لكم ليرضوكم ، والله ورسوله أحق أن يرضوه »

« سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم »

« ويحلفون على الكذب وهم يعلمون »

* ومن أعجب ماوصفهم به القرآن الكريم فى ذلك ، أن هذا الخلق الذميم ملازم لهم ، وأنهم لايقلقون عنه حتى فى يوم الحساب الذين يقفون فيه أمام ربهم .

وذلك قوله تعالى :

« يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء ، ألا انهم هم الكاذبون »

واذا وصل الأمر بالمنافق الى أن يطمع فى أن يروج نفاقه على الله العليم بذات الصدور ، فان ذلك هو الشناعة بعينها ، والبلاهة التى ليس بعدها بلاهة .

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه ، كان فى ظل حجرة من حجره ، وعنده نفر من المسلمين ، قد كاد يقلص عنهم الظل ، فقال « يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ، وينظر بعينى شيطان » فدخل رجل اسمه عبد الله بن نبتل ، وكان أزرق العينين ، فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم - « علام تشتمنى أنت وأصحابك ؟» ، فحلف بالله ما فعل ، وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه ، فأنزل الله عز وجل قوله « فيحلفون له كما يحلفون لكم ، ويحسبون أنهم على شىء ، ألا انهم هم الكاذبون »

قال ابن كثير : وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول :

« ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين ، انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون »

هذه بعض صور النفاق وأخلاق اصحابه ، كما يصورها القرآن الكريم ، وان فيها لدليلا واضحا على أن النفاق هو آفة المجتمعات .

وقانا الله شره ، وأعاذ بلادنا ومجتمعاتنا منه ، « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ومن تجد لهم نصيرا »

مواطن الاحسان

قبس من كلام النبوة

لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

"ان الله كتب الاحسان فى كل شىء" حديث شريف

يعنى : فرضه علينا

١ - فى هذا القبس ملامح القدسية نافحة من جانب الله الذى وصف نفسه بالاحسان ، وأهاب بالناس أن يتخلقوا بالاحسان ، وأن يتعايشوا فى اطار الاحسان ، ووعد برضوانه ومحبته من أخذ فى قوله وعمله بالاحسان « هل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟ » .

وفطرتنا تتلقف من ثنايا القرآن ، وعلى لسان الرسول كلمة الاحسان عذبة ، تطرب لها الأسماع ، وتهتز لأجلها المشاعر .

وينبثق نورها فى الجوانح ، وتتفتح له البصائر .. وفيها روحانية يستجيب لها الضمير ، ويغتبط بها الوجدان .

*

٢ - وقد ردد القرآن ذكر الاحسان فى صيغ جمة ، حتى بلغ عددها خمسا وسبعين مرة فضلا عن ذكرها على لسان الرسول - صلى الله عيه وسلم - مرات لا تكاد تحصر فى عدد .. وفى هذه الكثرة من ألفاظها لا نراها فى جانب الدين وحده .. ولا فى ناحية خاصة من شؤون الدنيا .. ولا فى أسلوب متحد من أساليب التكليف به ، أو الترغيب فيه .

*

واذا كان معروفا لنا من طريق الفطرة ، ومن تشريع الله أن العدل قاعدة الحياة الجدية بين الناس ، وقوام لصلاح الامر كله ، وهو سبيل الاستقرار بين المرء ونفسه ، وبينه وبين غيره فى مصاف المجتمع .. ووسيلة الوئام بين كل قوم وقوم .. فان الاحسان على عمومه تمام للعدالة ، واحكام لها على أكمل مايكون الأخذ بها فى أمورنا .. حتى لايشوب العدالة حيف بها ، وهو سياج لها من التقلص .. فلا يلاحقها اهتزاز .. ولا تميد بها ذبذبة الهوى ..

ومن أجل هذا ترى القرآن ينشد العدل فيما أمر ، ويقرنه بالاحسان دون تقييد لهذا أو لذاك بموطن دون موطن « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » ، يعنى فى كل شىء .

وكان اشعاع هذا التكليف مشرقا فى قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **ان الله كتب الاحسان فى كل شىء** » .

٣ ـ وحسبك اشادة بالاحسان أن الله يفترضه علينا فى جانب الأبوين والأقربين ، والمستضعفين من اليتامى ، والمساكين ، وفى جانب الجار ، وغير هؤلاء .. كما يفترض علينا عبادته وتوحيده بالألوهية :

« **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى واليتامى، والمساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب** » **الآية** .

« **وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا** » .

« **ووصينا الانسان بوالديه احسانا ..** »

وهكذا ترى القرآن لا يقف بنا عند حد قريب من تكريم الوالدين ونحوهما .. بل يطلب ذلك على أكمل وجوهه ، وبأكثر من مجرد الرفق والتلطف ، وذلك هو الغاية فى مقام الاحسان المنشود فى كل شأن .

*

وهكذا فى كل ناحية يتعلق بها تصرفنا ، دينا ودنيا ..

٤ ـ وقد أراد سائل أن يتعرف الاحسان فى الدين على وجه يستريح له ، ويطمئن اليه فتقدم الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أصحابه ، فى هيئة رجل غريب ، وسيم الطلعة ، جميل المحيا .. ولكن الصحابة لا يعرفونه من أى الجهات ..

ثم جلس الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخذ يسأله ـ أولا ـ عن الاسلام ـ وثانيا ـ عن الايمان ـ وثالثا ـ عن الاحسان .. وكان فى قدومه وجلوسه ، وأسئلته موضع العجب عند الصحابة .

أما سؤاله عن الاسلام فأجاب عنه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **الاسلام : شهادة ان لا اله الا الله ـ وأن محمدا رسول الله ـ واقام الصلاة ـ وايتاء الزكاة ـ وصوم رمضان ـ وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا** » ..

فهذه هى الأركان الخمسة التى يتم بها اسلام المسلم ، وتعتبر الشهادة عمادا تقوم عليه بقية الأركان الأربعة ، ومن دونها لاينعقد الاسلام ، كما لو نقص ركن واحد غيرها لايتم البناء ..

*

وأما سؤال السائل عن الايمان ـ وهو العقيدة الباطنة التى تتوطن فى القلب فكان جواب النبى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **أن تؤمن ـ تعتقد ـ بالله ، وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر ، وبالقدر : خيره وشره** » بفتح الدال فى القدر .

فتلك أصول الدين ، ومجمع الايمان ، ولا يعلم بها فى نفس المرء غير الله تعالى .. وتظهر لنا فى القيام بأركان الاسلام ، وبها نعرف المسلم من غير المسلم ..

ونظرا لأن العقيدة هى الجانب الأول ، ثم ينبنى عليها عمل المرء كان المفروض أن يبدأ السائل بسؤاله عن الايمان ، وكأنه قصد الى معرفة ما يشتغل به كثيرا هو وغيره ، ثم قصد أن يتثبت من معرفة الأصل الذى لا بد منه لصواب العمل الظاهر ..

ثم كان سؤال السائل ـ ثالثا ـ عن الاحسان . وكأنه يستشعر فى نفسه أن الأمر فى الدين لا يكفى فيه مجرد حصوله على مطلق وجه ، بل يحتاج الى تأصيله على عقيدة صحيحة سابقة ، ويحتاج الى اتمامه على وجه الكمال ، فان الله يحب من عبده اذا عمل عملا أن يتقنه ، لهذا تشوقت نفس السائل الى معرفة الاحسان ، فأجابه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يطابق رغبته ، ويلائم حاله .. وكانت عادة الرسول أن يلحظ بوادر الحال بفطنته ، وأن يتوخى الافادة المقصودة ويخاطب الناس على قدر عقولهم ..

فماذا قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« **الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه .. فان لم تكن تراه ، فانه يراك** » .

وبهذا الأسلوب الرصين الموجز يغرس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شخصية السائل ضميرا يشعره بلسطان الله ويخضعه

لهيمنة ربه ... حتى كأنه يرى الله شاخصا أمام عينيه ، فهو يخشاه خشية من يبصر صاحب النفوذ يترقبه ، ويحصى عليه عمله ... اخلاصا فيه ، واتقانا له ..

واذا لم يكن لعينيه تعلق بذات الله ، فلتكن بصيرته مستشعرة أنه واقع تحت رقابة ربه ، وأنه مكفول برحمة الله ان كان محسنا لعمله ، أو هو مأخوذ بجبروته ان كان مرائيا .. أو مسيئا ، فان الله يعلم ما نخفى ، وما نعلن ..

*

٥ ــ وليس ما ذكره النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ تحديدا لمعنى الاحسان ، ولكنه الجواب اللائق ساعتئذ .. وبهذا تم للسائل ما أراد ، وعرف عقيدته واسلامه واحسانه ... ثم استوى قائما من مجلس الرسول وعاد الى حيث أتى .. وما كاد يتنحى حتى اختفى عن أعين الصحابة وهى محدقة اليه ..

وكان الصحابة يزداد عجبهم فى شأن هذا السائل ، فكلما سمع من النبى جوابا يقول له : صدقت .. فكيف يسأل ليعرف ، ثم يؤيد الجواب تأييد العارف بقوله : صدقت ؟ ولكن النبى ــ صلوات الله عليه ــ لم يتركهم فى دهشتهم ، فابتدرهم بقوله « **أتدرون من هذا ؟ .. هذا جبريل جاء يعلمكم أمور دينكم** » .. فهدأت النفوس .. واتضحت الأحكام ، وتبين أن جبريل ــ عليه السلام ــ كشف للناس : كيف تكون العلاقة والصلة بالله خالصة على وجه الكمال ، وكيف يكون اسلام المسلمين قائما على الاخلاص فى العمل ، وعلى رعاية الاحسان فيه » .

*

٦ ــ على أن مفهوم الاحسان يتسع لأكثر من هذا ، كما نلمح ذلك فى سياق الآيات .. « **ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى** » .

« **وقولوا للناس حسنا** » ، « **ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم** » ــ **أنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** ــ « **واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها** .. » **الخ** ..

فذلك توجيه عام ، نفهم منه أن الأحسان يتمشى فى كل شىء ، حتى يكون تجاوبا مع القرآن فيما دعا اليه ، ويكون مظهرا كريما لأخلاق المسلمين، وتمثيلا صادقا لروح الاسلام وآدابه ، وتكون الدعوة اليه نابعة من تعاليمه الذاتية ، لامجرد أقوال متصنعة ، مع اقترانها بأعمال تخالفها ، وتكون حجة علينا لا لنا ، ونصير بها فتنة لغيرنا

فاذا كان العدل فى القضاء شرعة حتمية فى حياة المجتمع باعطاء كل ذى حق حقه ، فان الاحسان من تمام العدل المنشود ..وهو أن يجرى القضاء عن تثبت وروية واقتناع ، واقناع بالقدر المستطاع .. دون تصلف من القاضى، أو جفوة على أحد المتقاضيين حتى تطمئن الأنفس الى جهات القضاء وتستريح الى الفصل فى الخصومة على أى وجه يكون .. والنبى يقول : (**ماكان الرفق فى شىء الا زانه**)

ولقد بلغ من احسان القضاة فى القضاء بين الخصوم على عهد الصحابة أن يختصم اليهودى مع المسلم الى قاضى المسلمين ، فيلقى اليهودى من رفق القاضى ، ونزاهته عن العصبية وتحريه للعدل ولو كان ضد المسلم ما يحبب الاسلام الى نفسه فيعلنه فى موقفه على الاشهاد ويعترف بالحق فى الخصومة ويخرج من مجلس القضاء مسلما مقتنعا بما شرع الله على لسان محمد بن عبد الله .

واذا كان قضاء الدين الى الدائن حقا لازما ، فان المبادرة الى الوفاء مع تقدير الفضل لصاحبه يعتبر احسانا منشودا من جانب المدين ، فان شكر الناس للناس على صنائع المعروف من خير القربات الى الله .. والنبى يقول : (**لم يشكر الله من لم يشكر الناس**)

وحينما يدب الخلاف بين اثنين ، أو بين جهتين من الناس كان حتما على الأقربين منهما ان يصلحوا بينهما ، وهذا من الاحسان فى التعايش ، لأن الاسلام حريص على سلامة العلاقات من الوهن ، وعلى صيانة المجتمع من التصدع ، والخصومة تذهب بالمودة ، وتدفع الى المشادة وتفتح للشيطان منافذ الفتنة بين الناس ، أفرادا وجماعات

وذلك يثير الشغب ، ويجدد النعرة ، والله لايحب شيئا من ذلك بين عباده ، قليلا كان أو كثيرا وان يحض الناس على الاتجاه نحو

التسامح ، ويدفعهم الى العفو ، والاقبال ، لو كان المرء صاحب حق فى خصومته ويقول الله فى ذلك : حين ذكره للجنة ، وبيان أهلها ٠٠ (٠٠ **والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين**) فكظم الغيظ ، وعدم مطاوعة النفس والشيطان فى الجنوح الى الخصومة ، أو التمادى فيها يعتبر عملا طيبا، بل احسانا يزيد عن مجرد العمل الطيب ٠

وقد ترتقى فى الانسان نزعة التسامح وكظم الغيظ الى درجة الصفح الجميل : بأن يكون المرء أفسح صدرا ممن يكظم غيظه ، فتصفو نفسه عن طيب خاطر ولا يكون بصدره أثر من الأسى ، أو الحنق على خصمه

ولقد كان فى تشريع الاسلام ألا يعتدى المرء ، وأن يقتص لنفسه من خصمه بمثل ما فعل به الخصم ابتداء : فذلك تشريع لجواز القصاص ، والوقوف به عند المماثلة فحسب لمن غلبته نفسه ، ولم يستطع العفو ، حتى لا يتجاوز العدل فى الجزاء لخصمه بمثل مابدأ

وهو تشريع كريم لمن يرى فيه أخذا بحقه، ودفاعا عن كرامته ، لايطمع أحد فى احد، ولا يذل أحد لاحد ، ولا يشيع بيننا التمرد ، والسفه ، ولا تتجاوز الآداب العامة نحو الغير ٠٠ ولكنه تشريع لايفرض علينا المقاصة من الخصم دائما ، ولايغلق باب العفو ،والصفح الجميل ٠٠ فانه باب فتحه الله احسانا بين عباده ، ولا ينبغى ان تغلق بابا للتراحم بين الناس وقد فتحه الله ، ودعا اليه ، وفيه يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (**تخلقوا بأخلاق الرحمن**)

٨ ـ على أن خلق التسامح، والاحسان بالعفو عن الناس مهما يكن منشودا فى الاسلام فليس على الاطلاق الذى يغتر به العابثون ، بالأمن العام ٠ والمعتدون على حق من حقوق المجتمع ، والمسرفون فى ايذاء الغير ٠٠ فشىء من ذلك لا ينبغى أن نفسح له باب العفو ، ونزعمه احسانا ٠

بل الاحسان فى هذه الناحية أن نأخذ على يد الأشرار بالقمع ، وأن نقيم العدل على قواعده الرهيبة ، حتى لايصير الاجرام مستباحا عند الأغرار ٠٠ والله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ٠ ٠

واذا كان لكل داء دواء : فدواء المفسدين ألا نذيقهم رحمة ، وألا نطمعهم فى هوادة ، حتى لا يتسع الخرق « **ومعظم النار من مستصغر الشرر** » ٠

ولماذا أمر الله بقطع يد السارق ، ورجم الزانى ، وجلد الشارب ؟؟ أليس الله رحيما بعباده ، فيعفى السارق لدراهم قليلة من قطع يده ، وتشويه خلقته ، ويدع الزانى فلا يأمر برجمه ، وبجلده أحيانا : دون ايلامه ، ودون فضيحته على أمر لم يشهده غير شهود قلة من الناس ٠؟

نعم : ان الله رحيم ، بل واسع الرحمة بخلقه ٠٠

ولكن رحمته بالمجتمع اقتضت شدته على الأفراد المعتدين على نظام المجتمع ٠٠ ورب ضارة بالفرد نافعة للجماعة ٠

فقطع يد السارق ٠٠ تمنع هذه الجريمة ويشيع الأمن ، ويستريح الناس من مخاوف السرقات التى تزعجهم فى بيوتهم ، وفى طرقاتهم ، وعلى متاجرهم ، وسائر أموالهم ، فضلا عما يقترن بالسرقات أحيانا من ازهاق الأرواح ، وعلى أبشع وجوه العدوان وهكذا ترى فى العقوبات للأفراد وقاية للمجتمع ٠٠ يدرك ذلك من له فطنة ووعى ، فالذين لا يقدرون حكمة الله فى تشريعه للعقوبات والحدود ، يسفهون على الاسلام بالتشنيع ، ويحاولون أن يترفقوا بالمجرمين ، وينكرون الحدود ، ويتجاهلون ماتعانيه المجتمعات هنا وهناك من فظائع الجرائم المزعجة للضمير الانسانى ٠

والذين يجهلون خطر العفو عن المسىء المعتاد للتعدى يشفعون فيمن وجد متلبسا بسرقته مثلا ، ويحسبون أن العفو دائما من شيم الكرام !!

مع أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنكر هذه الشفاعة الضارة بنظام المجتمع: وقال: « **والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**) ، فأغلق باب الوساطة فى وجه المتوسطين بالشفاعة للمرتكبين للجرائم ٠

والله سبحانه : يقول (**ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها**) يعنى نصيب من وزرها ، لأنها مفسدة ، وليست من الاحسان فى شىء ، **والله يهدينا الى الاحسان فيما يرضيه** ٠

اشتراكيون مسلمون

الدكتور احمد الحوفى

ــ ٢ ــ

بينا فى المقال السابق مابين اشتراكيتنا والشيوعية من تضاد لا مجال للتقارب فيه والاشتباه ، فهى لا دين لها ولا اله ، ونحن متدينون مؤمنون بالله ، وفى هذا المقال نعرض للأسرة وللفرد ووضعهما فى النظام الاشتراكى الاسلامى • وفى النظام الشيوعى •

الأسرة •

١ ــ الأسرة فى رأى أكثر علماء الاجتماع أصغر وحدة اجتماعية عند الأمم فى القديم والحديث ، ومن الأسرة نشأت الجماعات الكبيرة كالعشيرة والقبيلة ، وهى بهذا البيئة الأولى التى يتعلم فيها الانسان كثيرا من الأخلاق وآداب الاجتماع ، وهى الرباط الوثيق الأول بينه وبين وطنه وقومه •

وكثيرا مايعود اليها الفضل فى الاستمساك بالعرف الصالح المميز ، والابقاء على التقاليد النافعة ، والمحافظة على أنواع من الصناعات والحرف والمهارات ، يتوارثه الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد •

على أنها الحافز الاول على العمل المثمر • والتطلع الى المستقبل البعيد ، والبناء للغد المجهول ، لأن الأب يجاهد ليرفع أقدار بنيه فى حياته ، وليورثهم مايمكنهم من مواصلة العمل لرفعة أنفسهم بعد مماته •

وقد اقتضت الحكمة الالهية ، أن يرث الأبناء من آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم بعض صفاتهم الجسدية والعقلية والخلقية ، وهذه وراثة اجبارية لا خيار فيها للمورث ولا للوارث •

٢ ــ ولكن الشيوعية تهدم الأسرة ، وتعتبرها الجذر الأصيل لتخلف المجتمع وتعويده كثيرا من الشرور ، وجريه على نظم فاسدة كنظام الميراث ، ولاشك أن التباين بينها وبين الاسلام فى تقدير الأسرة كان من بواعث اتهامها له بانه دين رجعى يساعد على الاحتكار والاستغلال ، ويعوق عن مسايرة التقدم والحضارة ،

والعجب أن الشيوعية تحرم الابن أن يرث مال أبيه أو أمه ، وهى تعلم أنه يرث منهما كثيرا من صفاته •

وهل من صالح الجماعة والأفراد أن تسوى الدولة بين أب يعمل واب يكسل ؟ وأب يعمل

لغده وغد أبنائه وأب يعمل ليومهوساعته ؟ وأب طموح يريد أن يرقى بأبنائه وأب خامل يقنع لنفسه وأبنائه بما يتيسر من فضلات المجتمع ؟

على أن الشيوعية أذ تهدم الأسرة تطوح بأسمى الفضائل الانسانية من عفة وغيرة ومودة وأبوة وأمومة وبنوة ، وشفقة وحنان ورحمة ، وما ينشأ ، عن هذه كلها من ايثار وكرم ونجدة ، وطاعة مبرورة •

وهى بذا ترجع بالانسانية الى الوراء أحقابا لا يعلمها الا الله ، وتضطرها الى أن تتناسل كما تتناسل الطيور وأصناف الحيوان •

٣ ـ أما الاسلام فانه يعتبر الأسرة وحدة المجتمع ، ويحرص على سلامتها وصفائها ، ويحتفى بها أيما احتفاء ، حتى لقد امتن الله على عباده بما تحققه الاسرة لهم من سعادة وطمأنينة فى قوله تعالى : **« ومن آياته أنخلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »**

وأوصى الله بالوالدين خيرا ، وقرن الأمر ببرهما بالأمر بعبادته سبحانه فى قوله : **« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ، وقال تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير • وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » وصور الاسلام** الابناء من زينة الحياة فى قوله تعالى **« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ،**

وانكر على بعض العرب أنهم كانوا يتلقون ولادة البنت بالضيق والأسى فقال تعالى : **واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الا ساء مايحكمون »**

٤ ـ وميثاقنا يعلن فى صراحة وجلاء : « أن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع ، ولا بد أن يتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى ، مجددة لنسيجه ، متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى »

ويستن الميثاق والدستور والعمل الحكومى والشعبى كثيرا من الوسائل لصيانة النظام الأسرى ودعمه وابعاده عن الرجات ، وللعناية بالأمهات والابناء أجنة وأطفالا وتلاميذ أو طلابا ومتخرجين •

وليس فى التشريع القائم ولا فى التشريع المقترح الا مايصون الاعراض ويكفل سلامة الأنساب ، ويحفظ على الأسرة كيانها ويوطد دعائمها

قيمة الفرد

١ ـ يعلم الدارسون للنظام الشيوعى أنه يلغى كيان الفرد الغاء كاملا ، ويعتبره ترسا فى آلة يعمل وليس له رأى فيما يعمل ، ويدور تبعا لغيره أو يتوقف ولا يدرى لماذا يتوقف ، وينتج انتاجا يجهل فيه قدره وأثره ، وذلك أن الفرد فى الشيوعية قطرة فى بحر لاكيان لها ولا استقلال ولا قيمة ومن هنا فقد الفرد شخصيته وحريته •

وأباحت الدولة لنفسها أن تسد منافذ الحرية وسبلها فحجرت على الذين يغادرون الوطن لغرض من الأغراض التى تعلمها وتبيحها وحجرت على الذين يتصلون بالوافدين الى الوطن من أمم أخرى • وحجرت على الصحف وتشددت فى الحجر عليها •

وضيقت نطاق الاذاعة حتى لقد اصطنعت من الأسرة الواحدة جواسيس عليها ، وكثيرا ما تكشف السر عن ولد يتجسس على أبويه ، وعن أم تتجسس على ابنها أو زوجها ، وعن أب يتجسس على أبنائه وزوجته، ثم صنعت الدولة أجهزة لاتبلغ سامعيها غير الاذاعات المحلية • وهكذا تتعدد القيود والسدود •

ولقد بلغ من الغاء الشيوعية للفرد أنها القت على المجتمعات غير الشيوعية أوزار ما يقترفه الأفراد من آثام وجرائم ، فبرأت الآثمين ، وبررت الآثام ، واتهمت الأبرياء •

وذلك أنها تزعم أن الأفراد مضطرون الى ارتكاب ما أرتكبوه ، وليست عليهم تبعة ما أقترفوه ، بل التبعة على المجتمع الذى عاشوا

فيه ، فالمجتمع فى رأيها مستغل خائن ، فلا جناح على السارق من هذا المجتمع ، وليس للسارق أن يتعفف عن السرقة •

والمجتمع يتعامل بالخداع والنفاق ، فلا تثريب على من يكذب ويخادع ، لأنه صنيعة المجتمع •

ونظام الأسرة قائم على اخلاق اقطاعية ، وتقاليد متحجرة ، فلا غضاضة فى التحلل من العفة التى يقتضيها ، ومن التقاليد التى يراعيها ، ولا تركة ولا وراثة •

ومعنى هذا أن الفرد غير مسئول عما يفعل وانما المجتمع هو المسئول وبذلك تشجع الشيوعية على الجريمة وتزينها للمجرمين •

٢ — ويعلم الدارسون للاسلام أنه يقدر الفرد ، ويعتبره عضوا فى المجتمع له موضعه الكريم ، فهو ذو شخصية مستقلة ، وهو أهل للتكليف وتحمل التبعات ، ولهذا يسأل عما يفعل ويثاب أو يعاقب بما قدم ، لأن القرآن الكريم ينص على أن كل نفس بما كسبت رهينة ، وعلى أن من يعمل مثقال ذرة من خير أو شر يجزيه ، وعلى أن من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فله الجزاء الأوفى •

ولهذا يشعر الفرد بحريته فى الاسلام ، حريته فى عقيدته ، وحريته فى عمله وحريته فى تصرفاته ، وحريته فى ابداء رأيه والدفاع عنه ، وحريته فى أن يمارس من الأعمال ما يشاء فى نطاق القانون العام •

بل ان الفرد فى الاسلام مكلف أن ينصح غيره ، ومكلف أن يدعو الى المعروف وينهى عن المنكر ، ومكلف أن يجهر برأيه فى توجيه الحكم وأرشاد الحكام ، قال عليه الصلاة والسلام : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »

وقال : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده »

٣ — فلنرجع الى ميثاقنا لنستوضحه ما يتصل بقيمة الفرد وحقوقه ، ذكر الميثاق ، أنه **« ينبغى لنا أن نذكر دائما أن حرية الانسان الفرد هى أكبر حوافزه على النضال •**

والعبيد يقدرون على حمل الأحجار ، أما الأحرار فهم وحدهم القادرون على التحليق الى آفاق النجوم »

ومعنى هذا أن ميثاقنا يكرم الفرد ويضعه فى مكانه اللائق به فى المجتمع ، ويؤكد ان حريته وكرامته وشعوره بقيمته أساس بنهوضه بنفسه ، وفى نهوضه بالمجتمع الذى يحيا فيه •

ويقول الميثاق :

« ان الانتاج كله للمجتمع ، لخدمته ولتحقيق سعادته ، ولتأمين الرفاهية وتوفيرها لكل فرد فيها •

والمجتمع ليس وصفا شائعا • ان المجتمع هو كل أنسان فرد يعيش على تربة الوطن وترتبط آماله مع آمال غيره من المواطنين من أجل غد عزيز لهم جميعا وللأجيال القادمة من أبنائهم وأحفادهم •

ان الثورة العربية تحتاج الى أن تسلح نفسها بقدرات ثلاث : منها الوعى القائم على الاقتناع العلمى النابع من الفكر المستنير ، والناتج من المناقشة الحرة التى تتمرد على سياط التعصب والارهاب »

ومن هنا يتبين أن ميثاقنا لاينظر الى الفرد على أنه قطرة فى بحر أو ترس فى آلة أو عبد للمجتمع كما تنظر الشيوعية ، بل ينظر اليه على أنه عضو له فى المجتمع خصائصه ، وشخصيته وله حقوق يجب أن ترعى وتراعى

ويقول الميثاق : « **ان النقد من أهم الضمانات للحرية ، ولقد كان أخطر مايعرقل حرية النقد فى المنظمات السياسية هو تسلل العناصر الرجعية اليها •**

وكذلك كانت سيطرة الرجعية على الصحافة بحكم سيطرتها على المصالح الاقتصادية تسلب حرية الرأى أعظم أدواتها •

ان ممارسة النقد تمنح العمل الوطنى دائما فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها دائما لأهداف العمل الكبيرة •

وان محاولة اخفاء الحقيقة أو تجاهلها يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب وجهده للوصول الى التقدم »

وبهذا أكد ميثاقنا قيمة الفرد وحريته وشخصيته ، اذ أتاح له أن ينقد ، وأن يعلن رأيه ، بل انه اعتبر هذا النقد عملا وطنيا جليلا لا مناص من القيام به فى كل مجال •

للبحث بقية •

الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين ..

واتفاق بعضها مع ما جاء فى القرآن الكريم

بقلم

الدكتور على عبد الواحد وافى

كان لدى المسيحيين فى القرنين الأول والثانى الميلاديين أناجيل كثيرة غير الأناجيل الأربعة المعتمدة لديهم الآن « وهى أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا » ، وكان لكل فرقة من فرقهم انجيلها أو أناجيلها الخاصة التى تعتمد عليها وتغفل ما عداها من الأناجيل أو تحكم بزيفها وبطلانها .

ثم أرادت الكنيسة فى أواخر القرن الثانى الميلادى أو أوائل القرن الثالث أن تستبعد الأناجيل غير المعتمدة فى نظرها وتحكم ببطلانها ، وتحافظ على ما تعتقد فى صحة حقائقه وصحة نسبته الى صاحبه ، فاختارت الأناجيل الأربعة السابق ذكرها من بين الأناجيل الكثيرة التى كانت رائجة حينئذ ، وقررت أنها موحى بها ، وأنها هى وحدها الأناجيل الصادقة فى حقائقها وفى صحة نسبتها الى أصحابها ، وأن ماعداها من الأناجيل أناجيل موضوعة مزيفة غير صحيحة فى حقائقها ، وأن معظمها غير صحيح فى نسبته الى من ينسب اليه ، فصارت هذه الأناجيل الأربعة هى المعتمدة عند المسيحيين دون سواها ، مع أن هذه الأناجيل كانت قبل ذلك أقل ذيوعا وشهرة من بعض الأناجيل الأخرى بل كانت مجهولة لكثير من المسيحيين .

هذا ، وسنلقى فيما يلى نظرة على ثلاثة من الأناجيل غير المعتمدة وهى انجيل متى غير المعتمد « وهو انجيل ينسب لمتى غير انجيله المعتمد » وانجيل الابيونيين وانجيل برنابا لاختلافها اختلافا جوهريا عن الأناجيل الأربعة فى بعض نواحى العقيدة وشخصية المسيح وتاريخه وتاريخ مريم ، ولا تفارقها فى بعض هذه الأمور مع ما قرره القرآن ، مفصلين القول بعض التفصيل فى انجيل برنابا لكثرة وجوه الخلاف بينه وبين الأناجيل الأربعة وكثرة وجوه الاتفاق بينه وبين القرآن وعقائد المسلمين ، ومجملين القول فى الانجلين الآخرين لأنهما لايبلغان مبلغ انجيل برنابا فى هذه الوجوه .

أما انجيل متى غير المعتمد فمن أهم ما يختلف فيه عن الأناجيل الأربعة ما يذهب اليه فى تاريخ مريم أم المسيح .. وذلك وذلك أن الأناجيل الأربعة تذكر أن مريم كانت

مخطوبة أو زوجة ليوسف النجار وانها جاءت بالمسيح بدون أن يمسها يوسف ، وأما انجيل متى غير المعتمد فيذهب الى أنها تكن زوجة ولا مخطوبة وانما كانت من العذارى اللائى نذرن أنفسهن ونذرهن أهلهن لخدمة المعبد ، أى كانت من الراهبات اللائى يتوفرن على العبادة وخدمة المعابد التى يعتكفن فيها • وهذه الطائفة كان يحرم على أفرادها الزواج والاتصال بالرجال ، كشأن الراهبات المسيحيات فى الوقت الحاضر • ويتفق هذا من بعض نواحيه مع ماورد فى القرآن الكريم فى هذا الصدد اذ يقول : « **اذ قالت امرأة رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا، فتقبل منى ، انك أنت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ،وانى سميتها مريم ، وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم • فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها ذكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** »

وأما انجيل الابيونيين فهو أنجيل مدون باللغة الأرامية كانت تتمسك به فرقة مسيحية تسمى فرقة الابيونيين نسبة الى زعيمها ابيون وقد ظل لهذه الفرقة اتباع حتى أواخر القرن الرابع الميلادى ثم انقرضت بعد ذلك • ويقر هذا الانجيل جميع شرائع موسى ، ويعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذى تحدثت عنه أسفار العهد القديم ، وينكر ألوهيته ، ويعتبره مجرد بشر رسول • وهو فيما يتعلق بشخصية المسيح يختلف عنجميع الأناجيل المعتمدة التى تقرر ألوهية المسيحوأنه الابن وأنه أحد الأقانيم الثلاثة المكونة للالاه ويتفق مع العقائدالاسلامية المستمدة مننصوص القرآن الكريم

وأما انجيل برنابا فهو منسوب للقديس برنابا ، وهو على الأرجح أحد التلاميذ السبعين الذين اختارهم المسيح ، بجانب الحواريين الأثنى عشر ، للتبشير بالمسيحية ونشرها بين الناس • وكان معروفا لدى المسيحيين منذ أقدم عصورهم أن لبرنابا انجيلا ، وورد ذكر هذا الانجيل فيما ينسب لقدامى رجال الكنيسة من بحوث وقرارات • ومن ذلك القرار الذى أصدره البابا جلاسيوس الأول الذى تولى بابوية الكنيسة الكاثوليكية بروما من سنة ٤٩٢ الى سنة ٤٩٦، وعدد فيه الكتب المنهى قراءتها ، وذكر من بين هذه الكتب انجيل برنابا • وهذا يدل على أن انجيل برنابا كان معروفا فى القرن الخامس الميلادى أى قبل بعثه رسولنا عليه السلام بنحو قرنين •

غير أنه يظهر أنه اختفت بعد ذلك جميع نسخ هذا الانجيل ولم يعد الناس يعرفون شيئا عن محتوياته ، ولعل تحريم قراءته هو الذى انتهى به الى ذلك • وظل الأمر على هذه الحال حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى • وفى سنة ١٧٠٩ عثر أحد مستشارى ملك بروسيا على نسخة من هذا الانجيل مكتوبة باللغة الايطالية وعلى هامشها تعليقات باللغة العربية • وانتقلت هذه النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار فى سنة ١٨٣٨ الى البلاط الملكى بفينا •

وغنى عن البيان أن هذه النسخة مترجمة عن اللغة التى كتب بها فى الأصل هذا الانجيل ، فاذا صح أن مؤلفه هو برنابا فان من الراجح أن يكون قد كتبه باحدى اللغات الثلاث التى كانت المؤلفات الدينية وغيرها تدون بها فى عصره وفى بيئته وهى اللغات العبريةوالأرامية واليونانية ، ولايمكن أن يكون قد كتب فى الأصل باللغة الايطالية ، لأن اللغة الايطالية لغة حديثة لم يتم تكونها وانشعابها عن أمهااللاتينية الا فى نحو القرن السادس عشر الميلادى •

هذا ، ويختلف هذا الانجيل اختلافا جوهريا عن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحين فى كثير من نواحى العقيدة وشخصية المسيح وتاريخه ، ويتفق كل الاتفاق فيما يقرره فى هذه الشئون مع العقيدة الاسلامية المستمدة من القرآن ، ويرجع أهم ما خالف فيه الأناجيل الأربعة المعتمدة ووافق فيه العقيدة الاسلامية الى الأمور الثلاثة الآتية :

١ – أنه يقر أن المسيح ليس الا بشرا رسولا ، وأنه ليس الاها ولا ابنا لله ، فهو يقول على لسان المسيح عندما افتتن بعض الناس به وظنوا أنه الاه أو ابن الله : « انى

اشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنى برىء من كل ماقاله الناس عنى من أنى أعظم من بشر ، لأنى بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله أعيش كسائر البشر » — وهذا يتفق مع ما يقرره القرآن اذ يقول « **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار » ، واذ يقول : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ٠٠ »**

٢ — أنه يقرر أن المسيح لم يصلب ولكن شبه لهم ، فيقرر هذا الانجيل أن الله ألقى شبه المسيح على يهوذا الاسخريوطى « وهو الحوارى الذى خان المسيح وتآمر مع اليهود الفريسيين ومع الرومان للقبض على المسيح » فأخذوه وصلبوه ظانين أنه هو المسيح ، وأما المسيح فقد رفعه الله الى السماء وهذا يتفق مع ظاهر ما يقرره القرآن اذ يقول « ٠٠ **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » « وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه »**

٣ — أنه يقرر أن مسيا أو المسيح المنتظر الذى ورد ذكره فى العهد القديم ليس يسوع بل محمدا عليه السلام ٠ وقد ذكر هذا الانجيل محمدا « أى لفظا يفيد مدلوله شخصا كثر حمد الناس له وثناؤهم عليه » فى كثير من فصوله وذكر أن المسيح نفسه بشر به بعد أن نفى عن نفسه أنه المسيح المنتظر ، وأن آدم لما طرد من الجنة رأى سطورا كتبت فوق بابها بأحرف من نور : لا الاه الا الله محمد رسول الله ٠ وهذا يتفق فى جملته مع مايذكره القرآن الكريم عن عيسى اذ يقول : « **واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد »**

ويخالف هذا الانجيل كذلك مايعتقده اليهود والمسيحيون ويتفق مع أرجح الآراء عندالمسلمين فيما ينقله عن المسيح بشأن الذبيح الذى تقدم به ابراهيم عليه السلام ، فيقرر أن المسيح قد بين أن هذا الذبيح هو اسماعيل وليس اسحاق ، كما هو مذكور فى توراة اليهود ، وهذا هو نص ماجاء فى انجيل برنابا على لسان المسيح عليه السلام : « الحق أقول لكم ، انكم اذا أمعنتم النظر فى كلام الملاك جبريل لابراهيم تبين لكم أن الذبيح هو اسماعيل وليس اسحاق لأن الملاك قال يا ابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟ حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله ٠ فأجاب ابراهيم ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل مايريد الله ٠ فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا خذ ابنك بكرك واصعد الى الجبل لتقدمه ذبيحة ٠ فكيف يكون اسحاق البكر وهو حينما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين »

هذا ، ويقدم فقهاء المسيحيين وباحثوهم شواهد كثيرة تدل على أن هذا الانجيل موضوع بقلم بعض المسلمين ، وأن مؤلفه قد نسبه زورا الى برنابا لترويج ما يتضمنه ٠ وكثير مما يقدمه هؤلاء من شواهد لايقطع بصحة ما يذهبون اليه ، وان كان بعض ما يشتمل عليه هذا الكتاب نفسه يحمل على الظن بأنه موضوع وخاصة مايقرره من أمور تمثل روايات ذكرها بعض مؤلفى المسلمين ، ولا يطمئن الى مثلها المحققون منهم ، كما يقرره عن آدم وأنه لما طرد من الجنة رأى سطورا كتبت فوق بابهابأحرف من نور : لا اله الا الله محمد رسول الله ، وما ينسبه الى المسيح من أقوال تمثل تحقيقات الفقهاء والمؤرخين لا كلام الأنبياء كالأقوال التى ينسبها الى المسيح بشأن الذبيح وما يذكر أن المسيح قد قدمه من أدلة على أنه اسماعيل لا اسحاق ٠

والاسلام ليس فى حاجة الى كتاب كهذا تحوم حوله شكوك كثيرةلتأييدما يذكره القرآن عن المسيح وحقيقته وديانته وتبشيره بالرسول فالقرآن ، وهو الكتاب الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هو الذى نتخذه دليلا فى الحكم على جميع ماجاء فى أناجيلهم ، ولا ينبغى أن يعتمد فى ذلك على سفر مشكوك فى صحة نسبته الى صاحبه ولم يرد فى القرآن ولا فى السنة شىء عنه ولا عن صاحبه ٠

أ/ مكان الانسان فى الكون

الأستاذ البهى الخولى

– ١ –

مما يمتاز به وعى الانسان فى هذا القرن – القرن العشرين – الجد والدأب فى تبين مكانه بين كائنات هذا الوجود ، ومدى صلته بما حوله ، ورسالته فى هذه الحياة

ومن المعروف أن هذا الموضوع ، قديم ، عرض له بعض أفذاذ الفكر فى فترات مختلفة ولكن تقدم العقل الآن فى كثير من موضوعات العلم ، والحياة ، والفلسفة اقترب بالعلماء والمفكرين من أفق هذا الموضوع الخطير ، فصار يشغل بالهم أكثر من ذى قبل ، باعتباره قضية من قضايا العقل ، وأمرا يتعلق بصميم وجود الانسان ..

ولنا فى هذه الظاهرة أنها صدى انهزام التفكير الحسى ، وأثر هتاف الخصائص الروحية المستكنة فى ضمائر الناس ، فقد ظل العلماء والمفكرون شطرا كبيرا من عصر النهضة ينظرون الى الانسان نظرة مادية بحتة ، تنكر ما له من تقويم روحى ، ولا ترى له من أهداف أو غايات فى الحياة سوى الغايات الحسية التى تنحصر فى العرض الأدنى ، ومتاع البدن على اختلاف أنواعه ، ولا قدر له عندهم سوى القدر الذى تزنه تلك الأغراض التافهة ، فهو حيوان يمر فى هذه الأرض ليأكل ويشرب ، ويتناسل ثم يموت .. وليس ثمة شىء آخر بعد الموت ولا قبله .. فاذا بدت طلائع اهتمامهم اليوم بالتساؤل عن قدر الانسان ، وصلته بالكائنات وحقيقة مركزه فى الوجود ، كان لذلك دلالته على تقلص الفكرة المادية فى أذهانهم وعجزها عن أن تقدم للعقل فى تقدمه الجديد المقاييس الصحيحة التى تقدر الانسان قدره الحق .. أى أن هذا التقدم جاء بلون من الرؤية بدا فيه الانسان بمواهبه وخصائصه الروحية أكبر مما تقدره به النظرة المادية ، وبثق فى الوجدان احساسا بأن غايات الحس وقيم المادة لا تصلح أن تكون أهدافا لذلك الانسان الكبير المتعدد المواهب والملكات ..

على أننا اذ نغتبط لطلائع ذلك الاتجاه نرى القوم فى تفكيرهم ذاك يغلب عليهم النسق العلمى البحت الذى يرفض المقدمات الروحية، ومؤثرات عالم الغيب . وما يترتب عليها من آثار فى تفكير الانسان ، وسلوكه ، وتحديد غاياته وصلته بما حوله من ظاهر الكون وخافيه ، فيعزلون بذلك ابحاثهم عن مشيئة الخالق سبحانه باعتبارها مصدر الخلق والأمر والتوجيه والايجاب فى الكون كله ..

ومع أننا نقرأ لكثير منهم فى اثبات وجود الخالق دلائل علمية رائعة لا تنقض ، فانهم لم يسيغوا بعد خصائص التفكير الروحى التى ترد الخلق الى علة أولى لا ترى بالعين ، ولا تدرك بحاسة من الحواس ... الى الله سبحانه .. ولذا نرى أن سيطول بحثهم ، وأنه سيكثر خطؤهم فيما يقررون للانسان من أقدار ، وغايات ، ومثل ، وصلات بالكون ، فان تلك مباحث لا يغنى فيها التفكير العلمى وحده ، ولابد أن يعتمد فيها ذلك التفكير على أصول العقل الروحى ، التى تربط بعض النتائج بمقدمات روحية . وترد كثيرا من الآثار والمسببات الى أسباب ومؤثرات غير منظورة ..

ان كثيرا منهم قد استدل **بالخلق على وجود الخالق** ، وهذا برهان علمى عقلى لا يدحض .. **وبقى أمامهم أن ينظروا كيف بدأ الخلق** وهو كيف لا يغنى فيه الفكر العلمى البته ، ولا قبل له أن يتصور مثاله الحق ...

والايمان بالله الخالق المريد يتقاضانا ضربا من الادراك والفهم ـ الى ما لنا من ادراك علمي ـ نسيغ به معنى عالم الغيب والشهادة ٠٠ وان سنن الكون الطبيعي لا تفعل بذاتها ، بل بأمر الله تعالى ، أو بسر أودعه سبحانه اياها ٠٠ وان لعالم الغيب كائناته الروحية ، كما أن لعالم الشهادة كائناته الحسية ٠٠ وأن الكائنات الروحية ذات ايجاب وفاعلية فى عالم المادة عن طريق الانسان ومواهبه وملكاته ٠٠ وان ذلك وغيره ، مما لاتستقل عقولنا العادية بادراكه والاحاطة به ، فاقتضت رحمة الله تعالى وحكمته فانزله وحيا من السماء ، جاءت به رسله مبشرين ومنذرين ٠

فمن كان لديه آثار صحيحة من ذلك الوحي فلديه من العلم بتلك الحقائق بقدر ما توحيه أو تتضمنه تلك الآثار ٠٠ ومن كان لديه كتاب كامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قد حفظته رعاية الله من تحريف الاهواء ، وتبديد قرون الظلمة والجهل ، فهو على العلم الكامل بهذه الحقائق ٠٠

وبشهادة التاريخ وأهل العلم فى كل أمة نخلص بان كتابا من الكتب السماوية لم يسلم من آفة التحريف والتبديد سوى القرآن الكريم ، فقد حفظته الأمة فى صدورها ، والواحها ، وصحفها جيلا بعد جيل حتى خلص الينا كيوم أنزله الحق تبارك وتعالى على قلب رسوله العظيم ، محمد صلى الله عليه وسلم ٠٠

ولذا نقدم لهؤلاء الباحثين عن رسالة الانسان وصلته بما حوله ، ماجاء فى هذا الكتاب الكريم خاصا بما يبحثون عنه ، معتزين بالنقل عن عالم الغيب والشهادة سبحانه ، مدركين أن ما ننقل هو العلم اللباب الذى تنحسر جبابرة العقول عن بلوغ شأوه ، واننا اذ نقول : **قال الله تعالى** ، انما نقدم للانسانية كافة ، بصائر الحق التى تحيا بها العقول والأرواح ٠٠ وأننا اذ نتحدث عن الملائكة والروح لانخفض بها الصوت ، ولا ننكس الرأس استخذاء أمام تهمة التفكير الغيبى التى يعيبها علينا الجهلة المحجوبون ، بل نرفع الرأس ونمكن الصوت فى ثقة من يطب لهؤلاء الجهلة، ويهدى اليهم بهذه الغيبيات آفاق وجودهم التى جهلوها ، ويذكروا بها أن وجود الانسان يغطى الكون بأسره ، وأن مواهبه الكبيرة المتعددة اذ امتدت الى كل أرجائه ، ونفذت فى حقائق ظاهرة وخافية ٠ قد احتوت قوانين المادة والروح ، ومبادىء الكرامة والحق التى تقوم بها رسالته فى هذه الحياة ٠٠

ـ ٢ ـ

ولقد أوجز القرآن الكريم ذلك كله فى قوله تعالى : « **واذ قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : انى أعلم ما لا تعلمون** »

والخليفة ـ فى اللغة ـ من يخلف غيره فى أمر من الأمور ، وقد فسره الطبرى بقوله : « الخليفة ، من قولك خلف فلان فلانا فى هذا الأمر ، اذا قام فيه مقامه »

وقد اختلف العلماء فيمن هو الخليفة ٠ فقال جماعة : انه هو آدم عليه السلام وحده وقال آخرون : بل هم أبناء آدم ، لأنهم يخلفون أباهم فى الأرض ، ويخلف بعضهم بعضا فيها وقالت جماعة ثالثة : ان الخليفة هو آدم وبنوه جميعا ، وهو قول الزمخشرى ، وقد قرن البيضاوى بقوله : « والظاهر أنه لم يرد آدم عينا ـ أى بعينه اذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة : « **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** » فانهم أرادوا ان من هذا الجنس من يفعل هذا ٠

وهذا القول الأخير ـ علاوة على أن فيه معنى زائدا على القولين السابقين ـ تظاهره نصوص الوحى فى قصة آدم عليه السلام ، فانها تدل على أن عناصر تكوينه من التراب والروح ، هى عناصر تكوينهم ، وأن مواهب العلم الطبيعى التى بثت فيه ليعلم خصائص الاشياء كلها هى مواهب بنيه ولا ريب ، وفى معنى اجتماع آدم وبنيه على خصائص واحدة جاء قوله تعالى: « **ولقد خلقناكم ، ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** » فان حق المقام أن يقال : ولقد خلقنا آدم ، ثم صورناه ، ثم قلنا للملائكة ٠٠ الخ ٠٠ فان خلقنا نحن وتصويرنا انما جاء بعد خلق آدم وتصويره ، واسجاد الملائكة له ، لا قبله ٠٠ ولكنه عدل الى اظهار الكلام فى صورة خطاب لنا ليقرر ان خلقه

لآدم ، هو خلقٌ لنا ، وتصويره لآدم هو تصوير لنا .. واذا كانت خصوصيات الامتياز التى أهل بها آدم للخلافة دائرة بينه وبين بنيه كانت الخلافة تكليفا له ولبنيه ولا جرم ..

وكذلك اختلفوا فى : هل هى خلافة عن الجن ، أو عن الملائكة ، أو عن الله تعالى ؟ .. وذهب بعض المحدثين الى انها خلافة عن أقوام من البشر سبقوا آدم فى الحياة على هذه الأرض (١) .

وليس فى الكتاب ولا فى السنة الثابتة ما يؤخذ منه أن الانسان خليفة فى الأرض عن الجن أو الملائكة ، والكلام فى السمعيات لايؤخذ فيه بالظن ، ولا مجال فيه للرأى الخاص .. وأما القول بأن ثمة أقواما سبقوا آدم الى الحياة فى هذه الأرض فيستدل له أهله بقول الملائكة : ((**أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء .. الآية**)) فان الملائكة ماكانت تقول هذا الا لانها رأت فى هذه الأرض سيرة فيها فساد وسفك للدماء .. والقول بهذا الرأى اجتهاد محفوف بالمزالق ، فليس قول الملائكة عن الفساد وسفك لدماء نصا فى انهم رأوا « بشرا » يفعلون ذلك فى الأرض ، الا ان ظاهر نصوص القرآن يدل بوضوح تام على أن آدم هو أبوالبشر ، وليس فيها نص واحد يدل على أنه سبق ببشر مثله ، وبالاستقصاء نراها كلها مجمعة على أنه ((بدء)) ظهور الانسانية ، ورأس البشرية القائمة الآن .. والله تعالى يقول للملائكة : ((**انى خالق بشرا من طين**)) فهو اخبار باستحداث عنصر أو كائن جديد فى هذه الأرض ، لم يسبق بمثله .. فالقول بهذا الرأى لا يستقيم الا بتاويل كلام الله فى غير ضرورة ملجئة .. ونعوذ بالله منه .

ولعل الذين ذهبوا اليه استأنسوا له بما عثر عليه علماء الحفريات من جماجم وعظام ترجع الى مئات الألوف من السنين ، يظن أن ذويها أصل الانسان الحالى لوجود بعض الشبه بين تكوينهم وتكوينه ، وهو استئناس خاطىء فان نتائج هذه الحفريات ماتزال فى دور الظنون ، ولم تبلغ مرتبة العلم اليقينى بعد ، ولا يدرى أحد هل ينجح أولئك العلماء فى سد الثغرات القائمة واستكمال الحلقات المفقودة ، أو لا ينجحون ؟.. وليس من الدين ولا أصول البحث العلمى أن ندع اليقين الذى تستقر عليه ضمائرنا وعقائدنا بكتاب الله الى فروض وظنون لا تورث سوى البلبلة والشك .

*

أما القول بأن الخلافة عن الله ، فقد ذكرته كافة كتب التفسير ، وله من وجوه الاستدلال ما يطمئن اليها العقل ، منها : تنويه الله بها ، فانه سبحانه قد أعلنها ، ومهد لها فى الملأ الأعلى قبل اظهارها ، بقوله : ((**واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة**)) أى ساجعل فى الأرض خليفة ، وانما يكون ذلك حين الحفاوة بالأمور الجليلة والأقدار ذات الشأن .. وليس من ذلك فى شىء وان بشرا سيخلف بشرا فى هذه الأرض ، أو خلقا سواه ، جنا أو غيره ، فان العقل على فرض جواز ذلك لا يرى فى شىء منه أى ميزة تدعو للحفاوة على النحو الذى بينا .

ومنها ما نلحظه فى دعوة الملائكة الى مودة ذلك الخليفة والحفاوة به والسجود له سجود تحية وتكرمة ، وهو أمر خطير لا نجد له حكمة اذا كان قد أريد لهذا الخليفة أن يكون خليفة لجن أو بشر نحوهما .. انما تبدو الحكمة وتستقيم الدعوة حين نلحظ أن المحتفى به خليفة عن الله جل شأنه .

ذلك الى أن هذا الخليفة قد نفخ الله فيه من روحه ، فصارت خصائص الروح قوام وجوده ، وجماع مواهبه .. وروح الله تعالى هى حقيقة صفاته ، فصفات الله جل شأنه عماد ذلك كله بالنسبة للانسان ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير الى ذلك بقوله : ((**ان الله خلق آدم على صورته**)) وليس لله تعالى صورة حسية ، انما هى الصفات . قال النيسابورى فى تفسيره شارحا هذا الحديث : ((**أى خلقه على صفته ، فأعطاه — على ضعفه — من كل صفة من صفات جماله وجلاله أنموذجا**)) وسيأتى مزيد بيان لهذا الحديث ، انما يقينا منه فى هذا المقام تلك الصفات القدسية فى الانسان ، فان الذى يلحظها حين التحدث عن الخلافة ، انما يلحظ النموذج الذى يقرر للبشر مكانه من الله ، ومن ثم مكانه من الخلافة عنه سبحانه ، وليس فى مقام تلك المشاهدة أى مكان لخلافة عن غيره جل شأنه (١) .

- ٣ -

واذ خلصنا الى أن خلافة الانسان هى خلافة عن الله ، فما عسى أن يكون موضوعها ؟.. هل هى عبادته سبحانه ؟..

ان مما لاشك فيه أن الانسان خلق - أساسا - ليعبد الله عز وجل ، وهو سبحانه يقول : « **وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون** » فاذا كانت العبادة هى الخلافة كان معنى الآية : ان الله تعالى لم يخلق الجن والانس الا ليخلفوه ، وهو معنى لا يستقيم مع عدة اعتبارات مسلمة منها :

* ان وصف العبودية مطرد فى كل ذات ، وليس كذلك وصف الخلافة ، فكل خليفة عبد لله ، وليس كل عبد خليفة .. وقد يكون للرجل - على ما كان فى الماضى - عبيد كثيرون فيصطفى بعضهم ليؤدى عنه بعض مهماته ، أو يخلفه فى بعض شأنه فى جهة من الجهات .. وليس من مستلزمات العبودية أن يجعلهم كلهم كذلك ..

ومرادنا بالذات التى يطرد فيها وصف العبودية ، كل ذات كونية تدخل فى عموم قوله تعالى : ((**ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا**))

* وقد يكون من التطبيق لما تقدم أن الله تعالى لم يقل فى الجن ولا الملائكة : **انه نفخ فيهم من روحه** ، بل جعل ذلك خصوصية للانسان وحده . فلماذا أمده سبحانه بها ؟

ان العبادة ليست هى العلة التى اقتضت تأهيل الانسان بتلك الخصوصية ، فان الملائكة يعبدونه سبحانه بدون حاجة اليها ، وكذلك الجن .. انما تظهر العلة اذا لاحظنا - الى جانب ذلك - أن الله جل شأنه لم يقل فى الجن ولا فى الملائكة : **انه جاعلهم خلفاء فى الأرض** ، بل خص الانسان وحده بذلك ، فمن خلال الارتباط الوثيق بين الخصوصيتين : خصوصية الروح ، وخصوصية الخلافة ، تنقدح العلة الصحيحة ، ويسوغ لنا أن نقول : ان تلك الروح - بما لها من خصائص الامداد والمعونة - كانت تأهيلا لابد منه للانسان ، أو جهازا لا تؤدى مقاصد خلافته بدونه . . فتقرير الروح موهبة للخلافة - مع امكان تحقق العبادة بدونها - يظهر الفاصل الذى يجعل الخلافة شيئا غير محض العبادة .

على أن موضوع العبادة بمعناها الخاص فى الصلاة ، والصيام ، والحج .. الخ لا يتصور فيه معنى الخلافة ، فلا يقال - مثلا - : ان الصلاة أو الصيام خلافة عن الله فى أمر من الأمور .

فاذا ذهبنا ننظر الى العبادة فى أفق المعنى العام ألفيناها وجدانا صرفا جليلا يغمر مواهب الانسان كافة : مواهبه فى الذوق ، والاحساس والادراك ، والرغبة ، والاختيار .. وجدانا من الاعجاب بخالق الكون العظيم ، وتمجيده ، وتعظيمه ، وحبه ، والاحتياج اليه ، وخشيته والثقة به ، والركون - بل القرار - الى ساحته .. وجدانا من الثقافة الكونية يسطع على وعى المرء كله من التأمل فى آيات السماء والأرض ، وما للكائنات والنعم من دلالة على صفات الجلال والجمال والفضل والهيمنة والرحمة ، والاحاطة .. فاذا هو نابض فى وجوده كله - على غير تقدير منه أو اختيار - بتقديس الخالق جل شأنه وتسبيحه ، وتحميده .. واذا الوجدان نفسه آمر على وجود المرء وجوارحه ، فهى مقيدة ، مرتهنة بامرته .. ذلك الوجدان الساطع ، الآمر ، الغامر ، المنبعث من أعماق النفس تأثرا بروائع أثر الله جل جلاله فى الكائنات ، هو قيد عبودية الانسان لله ، ومعناها العام الذى أردنا .. عبودية لا يفرضها قانون ، ولا يحمل عليها قسر أو قهر ، ولا يقبل فيها نفاق أو خداع ، ولا يتصور معها تثاقل أو اعراض .. هى وجدان جليل جميل ، ينبعث فى النفس لرؤية كل جميل جليل ..

*

فهل الوجدان خلافة عن الله ؟..

واذا كانت الخلافة ليست هى عبادة الله ، فأى شىء تكون ؟

ولعل مما يمهد للاجابة عن ذلك أن تستبعد ما يتوهم البعض من أن رسالة الانسان فى الحياة هى أن يسخر قوانين الطبيعة .. ويهيمن عليها .. ويخضعها لجبروته .. الى آخر ما لديهم من عبارات طنانة لا حقيقة لها ..

ومعنى أن الطبيعة مسخرة لنا ، انها محكومة بمجموعة دقيقة من النواميس التى تنظمها وتدبرامرها على مافيه المصلحة : فالمعادن تتكون فى الأرض بقانون ، بل ان لكل معدن

قانونه الخاص الذى يصنع له ذراته ويؤلفها على نسب خاصة تحقق فيه خصائصه التى أرادها الله سبحانه .. والنبات يتغذى من الأرض بقانون ، بل ان لكل صنف ـ فاكهة كان أو حبا أو خضرا ـ قانونه الخاص الذى يتغذى به ، ويستصفى له من عناصر الأرض نسبته الضرورية التى تميزه عن غيره بلونه وطعمه وخصائصه .. وتتجاذب الكواكب ، وتجرى الرياح ، ويحدث المطر ، وتسبح الطير فى الهواء ، وتتكاثر الكائنات وتتوالد ، كل ذلك وغيره انما يحدث بقوانين مفصلة له على علم الله « وكل شىء عنده بمقدار » .. ذلك عمل سنن الله فى الكون الطبيعى ، فما عمل الخلافة فى ذلك ؟ .. انه ليس مما يقبله العقل ، ولا يقره الواقع ان يكون عمل الخلافة تكرارا لعمل هذه السنن ، فلابد ان يكون للخلافة عمل غير عمل قوانين الطبيعة .. أى لابد أن يكون الله تعالى ـ اذ قدر للانسان أن يجعله خليفة فى الأرض ـ أراد له مهمة تختلف فى كنهها عن المهمة التى تدور عليها السنن فى الكون الحسى ..

فان الذى نراه بالحس وتثبته التجربة ، ويقرره العقل أن قوانين الطبيعة مسخرة بالخالق سبحانه ، فهى قد وضعت بحيث تجعل الطبيعة ملائمة لمصلحة الانسان مسخرة لمقاصده . فالانسان لم يسخر شيئا حين أسقط له شجر الغابة ثمرا فأكل . ولا حين رأى الحديد فانتفع به ولا حين رأى بعض الأخشاب الجافة طافية على الماء فركبها وهذبها ، ولا حين قلد الطير فطار كما يطير .. فالكائنات بطبيعتها مذللة له ، وما عليه الا أن يعرف كيف ينتفع بها ، أى يعرف قانون منفعتها .. فهو غير مسخر شيئا ، انما هو منتفع بما هو مسخر ، فلا يقال ان رسالته ـ أو خلافته ـ فى الأرض ان يسخر الطبيعة ، فانها مسخرة .. **وانما كانت مسخرة لتستقبل خليفة الله ، فتكون تحت أمره .**

ـ ٤ ـ

واذن ، فما عسى أن يكون جوهر هذه المهمة ؟ ..

يقول القرطبى ـ وغيره ـ فى تفسير معنى الخلافة : ان الانسان « **هو خليفة الله فى امضاء أحكامه وأوامره** » .. وأحكام الله تلك ، ليست من قبيل سنن الطبيعة التى تكون المعادن فى الأرض ، وتستخلص اللبن فى الضرع ، وتنبت الصوف فى جلد الشاه ، انما هى فضائل وتعاليم تتضمن قيما قدسية على الانسان أن يمضيها ، أو يحققها صورا ونماذج واقعية فى هذه الأرض .. وقد أوضح النيسابورى ذلك بعض الشىء اذ قال فى معنى ان الانسان خليفة الله فى أرضه : انه « يظهر أنوار صفاته فى هذا العالم بالعدل ، والاحسان ، والرأفة ، والرحمة ، واللطف ، والقهر ، ولا يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك .. »

واذ وكل الله الى الانسان تحقيق خلافته على هذا المثال الروحى ، فقد بث فى فطرته من سر صفاته أمرا يجعله متجانسا مع حقيقة ما وكل اليه ، وذلك أذ نفخ سبحانه فيه من روحه ، فان روح الله هى صفاته ، وروح أى شىء حقيقة معناه ، وقد اوردنا الحديث الصحيح ـ البخارى ومسلم ـ الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ان الله خلق آدم على صورته** » وفى رواية « **ان الله خلق آدم على صورة الرحمن** » ، قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : ان اسحاق بن راهويه كان يقول : « صح ان الله خلق آدم على صورة الرحمن » وان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه كان يقول : « هذا حديث صحيح » وقد علق الحافظ ابن حجر على ذلك بقوله : « والمراد بالصورة الصفة .. والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم ، والحياة ، والسمع والبصر وغير ذلك ، وان كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شىء » .

على أن الشأن فيما نفخه الله فى الانسان أبعد وأوسع من أن يهب للنفس خصائص التجانس مع مهمتها فقط ، فان صفات الله جل شأنه هى حقيقة مثل الخير ، ومبادىء الحق ، ونواميس العدل ، ومعدن العلم ، والنور الذى تميز به القيم ، وتستبان به الحقائق ، وجماع كل ما نزل على الانبياء من أصول التعاليم والاحكام .. فاذا نفخ الله فى الانسان من روحه ، وخلقه على صفاته ، فمعنى

(البقية ص ٦٤)

خواطر مستشار

مقارنات بين .. الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية

للأستاذ المستشار على منصور

عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين :

أمر هذا الخليفة عجب فقد روى عن زهده وعدم ايثاره نفسه على أحد من المسلمين ما كتبت فيه المطولات ويكفى فى شأن اشتراكيته ان نشير الى النذر اليسير من تلك الآثار .

١ ـ عوتب يوما على ابطائه عن صلاة الجمعة ـ فقال غسلت ثيابى وانتظرت الى أن جف .

٢ ـ نشأ فى بيت الامارة والملك فخرج مما ورثه والحقه ببيت المال .

٣ ـ وحادثة شمعه عمر بن عبد العزيز مشهورة .

٤ ـ كان من عادته بعد ان يصلى العشاء ان يمر على بناته فيسلم عليهن فدخل عليهن ذات ليلة فابتدرن الباب وايديهن على افواههن فسأل الحاضنة عن الخبر فقالت **لم يكن لديهن للعشاء سوى عدس وبصل فكرهن ان تشم ذلك فى أفواههن فبكى عمر واستقدمهن وقال يابناتى ما ينفعكن ان أنا اغدقت عليكن ألوان الطعام والثياب والرياش ثم أساق فى الآخرة الى النار فبكين حتى علت أصواتهن**

وهو الذى جعل حد الكفاية للمسلم دارا تؤيه وفراشا يأوى اليه وفرسا يغزو عليه فان كان عليه دين فهو غارم يؤديه عنه بيت المال .

٥ ـ وقد سأل عطاء وكان من فقهاء المسلمين الاعلام فاطمة بنت عبد الملك عن زوجها عمر بن عبد العزيز بعد وفاته فقالت « ان عمر رحمه الله كان قد فرغ للمسلمين نفسه . فكان اذا أمسى ولم يفرغ من حوائج يومه وصل يومه بليلته . ان كان ذات مساء وقد فرغ من حوائج يومه فدعا بسراجه الذى كان من ماله فصلى ركعتين ثم أقعى واضعا راسه بين يديه تسيل دموعه . ويشهق الشهقة يكاد يتصدع لها قلبه . حتى برق الصبح فأصبح صائما فدنوت منه وقلت له ياأمير المؤمنين . اليس كان منك ما كان . قال أجل فعليك بنفسك وخلنى وشأنى فقلت انى ارجو ان اتعظ فقص على الأمر فقال .

انى نظرت فوجدتنى قد وليت امر هذه الأمة اسودها وأحمرها . ثم ذكرت الفقير الجائع والقريب الضائع والأسير المقهور . وذا المال القليل والعيال الكثير واشباه هؤلاء فى اقاصى البلاد . فعلمت ان الله سائلى عنهم جميعا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيجى فيهم . فخفت أن لايقبل الله معذرتى . ولا تقوم لى مع رسول الله حجة . فرحمت يافاطمة نفسى رحمة دمعت لها عينى ووجع لها قلبى . وكلما ازددت لها ذكرا ازددت منها خوفا فاتعظى ان شئت

رد شبهة

فى القرآن الكريم آيات اشتبه فى أمر تفسيرها هذه الأيام والمنادون بان الملكية الفردية مصونة فى الاسلام لايحل الاعتداء عليها بتأميم ولاتحديد فى قدرها ولاتحديد فى ريعها ولا تحديد لأجور العاملين . هؤلاء يستندون الى تلك الآيات وهى :

وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم .

نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا

والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت ايمانهم

وهذه الآيات على ظاهر معناها لاتحول بين المساواة فى الحقوق والواجبات وتكافؤ الفرص على الرغم من وجود الدرجات فهى درجات وتفاوت فى المواهب والطبائع والامكانيات والكفايات التى هى سنة من سنن الوجود .

ولتبسيط الفكرة نقول ان جميع المواطنين متساوون فى حق ولاية الوظائف العامة وهذا لاينفى اختلافهم فى درجات الكفاية وحيازة المؤهلات فوظيفة المهندس لايليها الا من أتم الدراسة فى كلية الهندسة ووظيفة وكيل النيابة لا يليها الا الحاصل على اجازة الحقوق وكثير من الحاصلين على الثانوية العامة تقدموا للحاق بكليات الهندسة فعلا فمنهم من نجح ومنهم تخلف وطرد من الكلية فهذا له درجة فى المجتمع وذاك له درجة أخرى .

والآية الأولى تقول جعلكم خلائف الأرض أى خلفاء الله فيها ولم يساو بينكم فى الدرجات فهذا قوى محارب وذاك ضعيف مريض زمن وهذا عالم وذاك جاهل وهذا عنده هبة الرسم وذاك عنده هبة الغناء ورخامة الصوت . وكل صاحب موهبة مطالب بان يستخدمها فى خدمة الجماعة وخدمة نفسه ولذا تقول الآية ليبلوكم فيما آتاكم .

والآية الثانية « قسمنا بينهم معيشتهم » أى وسائل معيشتهم فهناك الفلاح والعامل والصانع والفنان ومن هؤلاء الاعرج والأعمى والمشلول وفى الحديث الشريف

قل كل ميسر لما خلق له

وتفاوت هذه الدرجات قد يدعو بعض الناس الى السخرية من بعض

والآية الثالثة ايضا تنص على التفاضل فى الرزق أى فى وسائل الرزق .

الميثاق والاشتراكية .

ولعله من المفيد أن اختم كلامى بنقول من الميثاق الوطنى تدليلا على أن اشتراكيتنا نابعة من ديننا وواقعنا غير مستوردة

فلقد ورد فى الباب الثالث من الميثاق « وفى اطار التاريخ الاسلامى وعلى هدى من رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية ... » كما ورد فى آخر الباب الثامن « على انه يتعين علينا ان نذكر دائما ان الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من اديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات .

ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع ان تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة . كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات .

واذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم انبل المثل العليا وأشرف الغيات والمقاصد .

وفى الباب السادس تحت عنوان حتمية الحل الاشتراكى قال الميثاق « ان الحرية الاجتماعية لايمكن أن تتحقق الا بفرصة متكافئة أمام كل مواطن فى نصيب عادل من الثروة الوطنية .

ان ذلك معناه أن الاشتراكية بدعامتيها من الكفاية والعدل هى طريق الحرية الاجتماعية

ان سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج لاتستلزم تأميم كل وسائل الانتاج ولا تلغى الملكية الخاصة ولا تمس حق الارث الشرعى المترتب عليها وانما يمكن الوصول اليها بطريقين

أولهما : خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية

ثانيهما : وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة من غير استغلال »

الخاتمة

لعلى لم اكذبكم الحديث فى أول مقال من هذه المقالات الأربع حين قلت ان الاسلام يتسع لكل ما صدر من القوانين الاشتراكية بل ان الاسلام لا يزال يطالب بالمزيد منها .

ولعلكم تلتمسون لى العذر فى انى أطلت عليكم فما ذكرت لكم عن الاشتراكية فى الاسلام سوى رءوس المسائل والقليل من الآثار . والله أعلم وهو ولى التوفيق .

رحلتى إلى تونس

يوم القيروان

فضيلة الشيخ منصور رجب

من الأيام مالاينسى مهما تقادم عليها العهد : من هذه الأيام - عندى - يوم « القيروان » : هذه التى اختطها عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه سنة خمسين من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

رأيت فى هذه الرحلة من آثار الأقدمين ، وعناية الحاضرين . وشاهدت من جمال الطبيعة الساحرة .. ومناظر الخضراء الباهية ، ما جعل قلبى يسجد لقدرة القوى القادر مترحما على السلف داعيا للخلف ان يجزيهم الله تبارك وتعالى أحسن الجزاء على حركة التعمير والانشاء التى رأيتها على قدم وساق فى كل ناحية على طول الطريق .

فتح لى باب هذه الرحلة مشكورا السيد وزير معارف تونس الأستاذ « محمود المسعدى » وهيأها لى فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور . ورافقنى أو رافقته فيها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الشاذلى بن القاضى : ففى الساعة السابعة والربع بتوقيت تونس من صباح يوم الخميس ٩ مايو سنة ١٩٦٣ - تاهبت السيارة الى مدينة البطل « عقبة بن نافع » ذلكم الذى انطوت تحت سنابك خيله بلاد المغرب ، وغاظه أن يقف المحيط الشاسع فى وجهه فصاح قائلا كلمته المشهورة : « والله لو أعلم أن وراءك أرضا لذهبت اليها غازيا فى سبيل الله » .

كانت المناظر أمامى . ومن على يمينى وشمالى تتذاكر معى تلك الايام الخوالى التى بنى فيها من بنى ، وغرس فيها من غرس ، ثم ذهبت الصور وبقى الأثر : أشجار الزيتون ، واحات الكروم ، المدن ، القرى ، المزارع ، المساكن ، المعابد ، المقابر ، المآذن ، الآثار ، الوديان ، المكتبات ، المتاحف ، البرك ، المحاكم ، الكرم ، البشاشة ، الظرف ، كل ذلك وأكثر منه رأيته فى ذلك اليوم السعيد .

رأيت مدينة « المحمدية » وقصر « الصالحية » .. وسبب تأسيس هذا القصر هو أنه لما ذهب الى فرنسا أحد بايات تونس ورأى فيها قصر « فرساى » جاء فشيد هذا القصر على نمط قصر فرساى ، وهنا يصمت الانسان وينطق الحجر ، وسبحان القاهر فوق عباده بالقدر .. فقد ذهبت الصور وبقى الأثر .

رأيت الرجل الطيب : ذلك الذى يفلح الارض بصبره الجميل وقلبه الكبير : رأيته يسوق محراثا لايجره ثور أو بقرة كما نرى نحن هنا فى مصر . وانما يجره حصان . وهذا المنظر عينه رأيته فى « روما » : رأيته يحزم القصيبة - القصيبة علف الحيوان - بآلات أعدت لذلك : رأيت مخازن القمح التى أعدت ليخزن فيها بعد أن تشتريه الدولة من الأهالى . رأيت « الكيب » . أوتدرى ماالكيب هذا ؟ .. الكيب شىء يشبه « الحصيرة » عندنا الا أنه مصنوع لا من « السمار » وانما من نبات البردى .وهكذا يسمى فى جهة محافظة الدقهلية والشرقية . لكن : الكيب فى تونس يطلق على مسكن العامل . وهو مصنوع من الطين والرمل .

مررنا على جبال الوسط ، وهى سلسلة من جبال الأطلس . وصعدنا فيها على طريق معبد مشجر تشجيرا يسر الناظرين : رأيت بعض المرتفعات العالية كالجبال مزروعة قمحا وشعيرا . ولا غرابة فهى تروى بماء المطر : رأيت قرية فوق الجبل وحولها الزيتون من كل جانب يوحى بالشعر لسكانها الأماجد : رأيت الأعراب بخيامهم ونعاجهم وأبقارهم يعيشون فى بساطة لم تفسدها مدنية القرن العشرين بعد ، رأيت مدرسة فلاحية بجهة « سافنجة » فى موقع جميل من شأنه أن يكسب التلميذ سريرة صافية وذوقا جميلا وقريحة وقادة : رأيت وادى «مكيان» وهو فى طريقك الى «زغوان» : رأيتهم يستخرجون الأحجار من الأرض لتصبح صالحة للزراعة . وفى نفس الوقت تباع هذه الأحجار للبناء ، وهكذا يضرب أهل تونس عصفورين بحجر بجد هادىء ، وصبر باسم .

رأيت فوق جبال زغوان مقهى ومطعما بطريق جميل يؤمه السياح من كل أنحاء العالم ، وهو أثر من تحسينات بلدية زغوان بعد الاستقلال .

زغوان

ودخلنا مدينة زغوان وهى تبعد عن تونس بحوالى عشرين كيلومترا . وهى من أجمل أجواز - ضواحى - تونس .

واول مايقابلك فى زغوان بساتينها الجميلة ، ومئذنة مسجدها التى توحى اليك بتقوى أهلها . وقسم من سكانها أصلهم من الأندلس فاستوطنوها . ورأيت فيها زاوية ولى الله سيدى على عزوز بين جامعين : واحد للمالكية والآخر للاحناف : رأيت فيها لوحة كتب عليها « مقبرة الشهداء » عليها هذه الآية الكريمة « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » فرأيت واجبا على تحية الشهداء ... فأول ماقابلنى ضريح كتب عليه : « هذا ضريح شهيد الكفاح « محمد بن مصطفى بن سليمان بن الناصر الذى استشهد فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢ تغمده الله برحمته » وبجواره رمز العلم التونسى . وهو هلال ونجمة .

وبعده ضريح شهيد الكفاح البشير بن الهادى بن محمد خصيبه الذى استشهد فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢ تغمده الله برحمته .. وبعده رمز العلم « الهلال والنجمة » .

ثم ضريح شهيد الكفاح محمد بن مصطفى بن سليمان البيانكو الذى استشهد فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢ . وفى وسط المقبرة ترى رمزا لهؤلاء الشهداء كأنه يقول لمن

يزورهم : « الحرية هى حدقة العين » يامن تركتم أثرا يذكر ، وعملا يشكر .

معبد المياه

واتجهنا الى معبد المياه فى زغوان حيث عبدها الرومان وسموا الهه « نتون » : وعجيب أمر ابن آدم : عبد « الماء » وعبد «الحجر» وعبد « الجن » و « الملائكة » و « الشمس » و « القمر » وعبد « العجل » و «النار » الى آخر ماعبد من صنوف الانسان والحيوان والاحجار.

تصعد الى معبد المياه هذا فى طريق يكاد يكون مغطى بالأشجار ، فيقابلك على اليسار « بركة » فيها دائرتان وفيها منفذ لتصريف المياه . والمعبد له مدخلان على شكل سلم . صعدت الى محرابه من السلم الايمن وهو على ارتفاع ١٤ درجة . فيقابلك مكان متسع يوصلك الى قبو على شكل محراب فى الحائط ، فتصعد الى هيكل المياه بثلاث درجات ، وكان هذا المكان المتسع فى الأصل مسقوفا اكثره . وعلى جانبيه أمكنة لستة أصنام من كل جهة . أما صورة هذه العبادة ، فلا أدرى كيف كانت رسومها بالتفصيل .

وترى بجوار المعبد عينا ينحدرمنها الماء ، تسمى « عين القصبة » . وهى عين من عيون ماء زغوان الكثيرة وقد شربت منها . وهذا المعبد يقصده السواح من كل أرجاء العالم . وقد أعدت بلدية زغوان مع مصلحة السياحة بجوار المعبد مقهى نظيفا جميلا يستريح فيه السواح من كل أرجاء العالم . وقد استرحنا فيه بقدر ما شربنا شراب الخوخ الممتاز وهو يقدم اليك فى علب مقفلة تفتح أمامك ساعة أن تشرب .

ورايت فى زغوان سوقا لبيع وشراء الحيوان. ويستخرج من احدى جبال زغوان الحديد والنحاس .

وبين « زغوان » و « النفيضه » ترى معمل « البلور » وهو الآن معطل لأن تكاليفه لاتفى بالارباح .

ورايت فى أرض النفيضة المكان الذى حصلت فيه الموقعة بين الحلفاء والالمان ، وانتهت بهزيمة الالمان .

ومن المناظر الجميلة التى رايتها طريق عليه من الجانبين « الصبار » بشكل جميل حول الأشجار .. وترى وأنت ذاهب الى القيروان من بعيد بحيرة «الكليبة» ويصب فيها مياه وادى زرود . ووادى العلم ، ووادى يرق الليل . ويصطاد الحوت من هذه البحيرة ، وعندما تدخل وادى الحلوف ترى الآبار على الطريق .

وترى آثار التعمير على الجانبين فى زرع الأشجار ، وتعبيد الطرق ، وبناء القرى النموذجية ، والمساكن العمالية ، ولم أر فى طريقى فى هذه الرحلة التى استغرقت يوما كاملا أثرا لحوادث وقعت اللهم الا واحدة فى سيارة « لورى » .

وتدخل على مدينة « القيروان » فترى وجه الأرض قد تغير الى أرض أخرى عليها آثار التعب الى أن تصل الى بساتين القيروان ، وهى بساتين جميلة ، وفى كل بستان مسكن ، وهى من منشآت ماقبل الحماية فالفرنسيون لم يملكوا فى القيروان وماحولها شيئا ، بل كانت أملاكهم فى تونس وماحولها .

وأول ماترى شامخا مرتفعا عندما تظهر مدينة القيروان مئذنة — أو على لغة أهل تونس صومعة — جامع عقبة بن نافع ، وحدثنى فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الشاذلى بن القاضى عندما ظهرت المئذنة أن السيد ساطع الحصرى عندما رأى منظر القيروان من مثل هذا المكان قال : هذا منظر الكوفة . كما حدثنى أيضا بأن جامع عقبة بن نافع كان أصلا فى وسط المدينة فأصبح بتخريب الفتن والحروب فى طرفها .. وترى على يسارك وأنت داخل الى القيروان مقام الامام « سحنون » أول من ركز مذهب مالك بن انس بافريقيا مركزا ثابتا ، تراه بعيدا من المدينة بحوالى نصف كيلو تقريبا وكان أولا — على ماروى لى — فى وسط المدينة فصار خارجها على ما يرى .

أبو زمعه البلوى

ووصلنا مدينة القيروان — حوالى الساعة العاشرة والنصف صباحا — فذهبنا أولا لزيارة مقام صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدى أبى زمعة البلوى : فماذا ترى قبل أن تدخل صحن الدار ؟ .. ترى على يمينك هذه العبارة بخط مشرقى على حائط الصحن من المقام :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا مقام أبى زمعة البلوى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان معه فى الحديبية وبايعه بها بيعة رضوان . شهد فتح مصر ، مع عمرو بن العاص . ودخل افريقيا فى جيش معاوية بن خديج فى خلافة عثمان بن عفان ومعه جماعة من أعيان الصحابة : منهم « عبد الله بن عمر بن الخطاب » و « عبد الله بن الزبير » : أدركته الوفاة فى « جلوله » على نحو ثلاثين ميلا من القيروان . ونقل الى هذه .. ودفن بها سنة ٣٤ . ومعه شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم . أقام الأمير « حموده باشا المرادى » على قبره قبة اندلسية ، وأدار بها صحنا فسيحا ، وذلك سنة ١٠٨٥ هجرية . ثم زاد عليها الأمير « محمد بن مراد » قبة الهواء . والصومعة والمدرسة ، والعلو المعروف بعلو الباشا ، وذلك سنة ١٠٩٢ هجرية»

وترى على يسارك هذه العبارة : « ممنوع التدخين ودخول الدراجات داخل الصحن » .

هنا وقبل أن ندخل ساحة الدار . وبمناسبة قول الكاتب على مقام ابى زمعة : « ومعه شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم » .. وبمناسبة مانشرته الصحف بالأمس القريب من اخبار تلك الضجة الكبرى التى قامت فى « سريناجار » عاصمة كشمير بسبب سرقة شعرة قيل أنها للنبى صلى الله عليه وسلم من مسجد « هازراتبال » . هنا وبهذه المناسبة فليسمح لى القارىء الكريم بأن أتركه على باب هذا المقام حينا .. لاستطرد بكلمة عن هذه المسألة — مسألة الشعرات النبوية — فأتساءل :

أولا : كيف وصلت شعرات النبى صلى الله عليه وسلم الى ايدى الناس ؟

ثانيا : هل لوصولها الى ايديهم من سند ؟

ثالثا : من من الناس والبلدان نالهم هذا الحظ السعيد ؟

رابعا . متى اخذ ابو زمعة البلوى رضى الله عنه هذه الشعرة ؟

خامسا : هل فى تونس غير هذه الشعرة التى شرفت بها مدينة القيروان ؟

واذا كان الباطل شرا من العمى فمن الحق أن أقول أولا : انى فى تجلية هذا الموضوع مدين لأخى فضيلة الأستاذ الشيخ احمد حسن الباقورى فقد أمدنى من مكتبته الخاصة بمصدر الهم أن يقرأ فيه مافى نفسى ، فاستقيت منه . وهو كتاب الآثار النبوية للعلامة احمد تيمور باشا .

يقول المصدر — نقلا عن العلامة ابن العجمى فى تنزيه المصطفى المختار — يقول : « ثبت الصحيحين بروايات متعددة أن النبى صلى الله عليه وسلم حلق رأسه الشريف فى حجة الوداع وقسم شعره أو أمر أبا طلحة وزوجته أم سليم بقسمته بين الصحابة : الرجال والنساء . الشعرة والشعرتين » .

ويقول – عن كتاب الشمائل من المواهب اللدنية – ما نصه وعن انس قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة الا فى يد رجل » رواه مسلم . وفى الشرح أن ذلك كان فى حجة الوداع .

وفى البداية والنهاية لابن كثير عن عثمان بن عبد الله ابن موهب قال : « دخلنا على أم سلمة فأخرجت لنا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو أحمر مصبوغ بالحناء والكتم » رواه البخارى .

ويروى السيوطى – فى خصائصه الكبرى – أن خالد ابن الوليد فقد قلنسوته يوم اليرموك فطلبها حتى وجدها .. وقال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهى معى الا رزقت النصر » .

اذن : – على مايقول المصدر – فما صح من الشعرات التى تداولها الناس بعد ذلك فانما وصل اليهم بما قسم بين الأصحاب رضى الله عنهم . غير أن الصعوبة فى معرفة صحيحها من زائفها ».

اما من نالهم هذا الحظ السعيد ، فيقول :

١ – شعرة كانت عند المرشدى بمكة : ذكرها العلامة السخاوى فى الضوء اللامع فى ترجمة أبى عبد الله محمد ابن ابى بكر المعروف بالمرشدى المولود سنة ٧٦٣ بمكة . والمتوفى بالمدينة سنة ٨٢٩ . فقال عنه : « كان خيرا ، دينا ، ورعا ، زاهدا ، متجمعا عن الناس . زار النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من خمسين سنة مشيا على قدميه . وكذا زار بيت المقدس ثلاث مرار ولقى بها رجلا صالحا كانت عنده ست شعرات مضافة للنبى صلى الله عليه وسلم ففرقها عند موته كان هذا أحدهم ».

٢ – شعرة أخرى كانت بمكة : ذكرها ابن العجمى فى تنزيه المصطفى المختار نقلا عن العلامة ابن حجر الهيثمى ونص عبارته : « بمكة شعرة من شعره المكرم مشهورة تزار . واتفق الخلف عن السلف أنها من شعره صلى الله عليه وسلم » . ثم يقول : ولاندرى أهى الشعرة التى كانت عند آل المرشدى أم غيرها .

٣ – شعر كان عند الخلاطى بمصر : ذكره الحافظ بن حجر العسقلانى فى ترجمته بالدرر الكامنة فقال : انه على ابن محمد بن الحسن الخلاطى الحنفى القادوسى المتوفى سنة ٧٠٨ . وكان يقال له الركابى لزعمه أن عنده ركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان يزعم ايضا ان عنده من شعره .

٤ – شعرة كانت بمدرسة ابن الرومى بمصر . قال العلامة السخاوى فى ترجمته بالضوء اللامع : انه شمس الدين محمد بن عمر الزمن القرشى الدمشقى ثم القاهرى الشافعى المعروف بابن الزمن المولود سنة ٨٢٤ والمتوفى سنة ٨٩٧ . وكان مشتغلا كأبيه بالتجارة . واجتمع بعلماء كثيرين ذكرهم ثم قال : « وكذا لقى غير واحد من الصالحين . ووقع له مع بعضهم غرائب وكرامات انتفع بها . وأعطاه شخص منهم يسمى « بهير جمال » الشيرازى شعرة تنسب للنبى صلى الله عليه وسلم . وقال : انها عنده . وكذا أحضر له من خيبر بعض الاحجار المنسوبة أن بها أثر القدم الشريف . وكتاب قيل انه بخط أحد كتاب الوحى ، والكل محفوظ بالمدرسة التى شرع فى انشائها بشاطىء بولاق » .

٥ – شعرات كانت بجامع برسباى بالخانقاه : وهى قرية بمصر شمالى القاهرة على بريد منها تعرف بخانقاه سرياقوس لقربها من سرياقوس . وكان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأ فى هذا المكان خانقاه للصوفية ومسجدا وحماما . وغير ذلك سنة ٧٢٣ . ثم رغب الناس فى السكنى حول هذه الخانقاه ، وبنوا الدور والحوانيت حتى صارت بلدة كبيرة مازالت باقية الى اليوم . وتسميها العامة « الخانكه » . ثم لما تولى السلطان الملك الاشرف برسباى التركمانى على مصر سنة ٨٢٥ . وسافر الى آمد لقتال ملكها سنة ٨٣٢ نزل بمكان خال من هذه البلدة . فنذر ان احياه الله وظفره بعدوه ، ورجع سالما ليعمرن فى هذا المكان مدرسة وسبيلا .. فلما ظفر بعدوه ورجع انشأ هناك جامعا عظيما مفروشة أرضه بالرخام الملون . وبنى بجواره سبيلا ».

ويقول الاسحاقى فى تاريخه – لطائف اخبار الاول – وقيل : ان بمحراب الجامع المذكور تسع شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم .

٦ – شعرات كانت بتونس ، وكانت بثلاثة اماكن :

« ا » قبر الصحابى الجليل سيدى أبى زمعة البلوى دفين القيروان . وكان اخذها من الشعرات الشريفة يوم منى فى عام حجة الوداع لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه . ووضعها ابو زمعة فى قلنسوته الى أن استشهد فى القيروان فدفنت معه ، ويقول عنه العلامة عبد الرحمن بن محمد الدباغ فى كتابه – معالم الايمان فى معرفة اهل القيروان – يقول مانصه : « ومات بالقيروان ودفن بالبقعة التى تعرف الان بالبلوية – سميت به من ذلك الوقت – وأمرهم ان يستروا قبره ، ودفن معه قلنسوته ، وفيها من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويروى انه – أبو زمعه البلوى – اوصى أن تعمل شعرة على عينه اليمنى ، وشعرة على عينه اليسرى ، وشعرة على لسانه » .

«ب» ويقول الوزير السراج الاندلسى ثم التونسى : تواتر الخبر بان بدار الأشياخ بتونس شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى الان بالزاوية البرانية بخارج باب قرطاجنه المعروفة بزاوية ولى الله المرجانى » . ويقول ابن الدباغ : اراني اياها حفيده أبو فارس عبد العزيز فتبركت بها ، وبها براءة قديمة مكتوب فيها صحة كونها من شعره صلى الله عليه وسلم وبها اثر صفرة .

« جـ » ويروى المصدر عن الوزير ايضا – السراج الأندلسى ثم التونسى – يقول : ومن الأماكن ايضا ماحدثنى والدى حفظه الله تعالى ان الشيخ أبا شعرة المدفون بالزلاج وقبته معروفة وحولها فضاء مسور به شجر الزيتون » وانما سمى أبا شعرة لقضية : وهى انه كانت حرفته البناء ، فاصطنع لبعض الأكابر بناءات ضخمة تجمع له فى اجرها مال ذو بال . وكان فى بعض خزائن صاحب البناءات شعرة من شعرات نبينا صلى الله عليه وسلم » فقال له أبو شعرة : اعطنى الشعرة الكريمة ، وأبرأك الله من جميع ماترتب لى بذمتك » فأعطاه اياها ، فأوصى بدفنها معه . فدفنت معه .

الشعرات الباقية الى اليوم

ثم يستطرد المصدر فيقول تحت هذا العنوان : الشعرات الباقية الى اليوم – منها :

١ – شعرات المسجد الحسينى بالقاهرة . وهذه منها : الشعرتان اللتان كانتا مع الآثار النبوية بقبة الغورى . ونقلتا معها الى هذا المسجد » ثم أضيفت اليهما شعرة كانت عند « أحمد طلعت باشا » – كان من رجال مصر المشهورين ومن الكتاب المجيدين للانشاء باللغة التركية . تولى رئاسة الديوان الخديوى مرات مدة والى مصر محمد سعيد والخديوى اسماعيل وابنه الخديوى توفيق . وكان دخوله الخدمة فى ١٦ جمادى الأولى سنة ١٢٥٤ زمن محمد على » واستقال فى جمادى الأولى سنة ١٣٠١ فاقام فى داره بشارع السوطية

بالقاهرة مقبلا على العبادة حتى توفى سنة ١٣٢٢ ـهدية من ابنائه . ثم أضيفت اليها شعرات كانت بالـرباط المعروف بتكية « الكلشنى » بشارع تحت الربع .. ثم اضيفت اليها خمس شعرات ـ على مايقال ـ من الحاجة ملكة « حاضنة الامير » كمال الدين ابن السلطان حسين

٢ ـ شعرة رباط النقشبندية بالقاهرة بشارع درب الجماميز على يسار السالك به من ميدان باب الخلق .

٣ ـ شعرات القسطنطينية .

٤ ـ شعرات المشهد الحسينى بدمشق الملاصـق للجدار الشرقى لصحن المسجد الأموى .

٥ شعرة مقام التوحيد بدمشق . وهو المقام المنسوب للسيد سعد الدين الجباوى رضى الله عنه .

٦ ـ شعرة بيت المقدس .

٧ ـ شعرتان بعكا وحيفا .

٨ ـ ثلاث شعرات بصفد والطبريه وناصره ..

٩ ـ شعرتان بطرابلس الغرب .

١٠ شعرة فى « بهوبال بالهند » . وهذه يقول عنها المصدر أهداها السلطان « محمد رشاد » لملكة بهوبال « سلطان جهان بيكم » ـسلطان جهان اسمها ومعنـاه سلطانة العالم أو ملكة العالم . وأما « بيكم » فلقب تكريم يذكر بعد الاسم .. ومعناه الأميرة لأنه مؤنث بيك بمعنى أمير . وهو الذى تقول عنه عامة مصر « بيه » بالهاء بدل الكاف وبالامالة ـ بنت ملكتها « شاه جهان بيكم » لما زارته فى رحلتها الى أوربا والقسطنطينية . ويقول ـ نقلا عن الاديب الفاضل السيد أبو النصر احمد البهوبالى نزيل القاهرة ـ أنها لما عادت الى بهـوبال احتفلت بنقل هذه الشعرة الى الجامع الأعظم لتحفظ به . فوضعت بلفائها فى صندوق ثمين حمله ولدها ملك بهوبال على رأسه فتكأكأ الناس عليـــه للتبرك بلمس الصندوق ولم يخلص الى المسجد الا بعسر . ثم انهم احتفلوا بزيارة هذه الشعرة بالمسجد مرة واحدة . ثم أبطلت الزيارة لاعتراض بعض العلماء، وبقيت فى صندوقها محفوظة بالمسجد الى اليوم » .

ولعل هذه هى التى كانت قد سرقت من الهند وقامت من اجلها الضجة التى كتبت عنها الصحف أخيرا ثم يقال انه عثر عليها ..

وبهذه المناسبة أقول : ان اخى فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الشاذلى ابن القاضى الاستاذ فى الكليـة الزيتونية للشريعة وأصول الدين أخبرنى ان عبـاس حلمى الثانى خديوى مصر سابقا حينما حضر الى تونس اخبر ان عنده شعرة من شعرات النبى صلى الله عليه وسلم . وسأل : أين يضعها ؟ فأشار عليه الشيـخ الشاذلى بأن يحفظها فى المدينة .. ولاندرى بعد ذلك ماذا فعل بها .

اعود الى القارىء الكريم حيث تركته على البـاب الخارجى لمقام سيدى أبى زمعة البلوى رضى الله عنه . وأعتذر اليه فى انى قد أطلت عليه الوقوف .

تدخل قبة الهواء فترى ثريا كبيرة فخمة جميلة أهداها الى المقام الكريم السيد الرئيس الحبيب بورقيبه .. وتسمع فى صحن المقام زقزقة عصافير كثيرة ملفتة للنظر كأنها تقول للزائر : لاسعادة تعادل راحة القلب . فارح قلبك بالحكمة . وساعة الحكيم فى رقة طبعه وراحـة ضميره .. وكيف لا يرق طبعك ويرتاح ضميرك وأول ما يقابلك حينما تدخل المقام هذه الاية الكريمة : « الله نور السموات والأرض » . وتلتفت الى اليسار فتقرأ هذا الحديث : « أيما رجل من أصحابى مات ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة » وتحته لوحة كتب عليها : « هاته رسالة شكر الى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى زمعة البلوى من العبد الحقير « عبـد السلام البكوش » قالها عند ضريحه . وهى قصيدة مطلعها :

أتيت وكنت بربيع الشبـاب
أقبـل تربا تزكى وطـاب

وعلى يمين الضريح « شمعدانان » اثنان كبيران .. وعلى اليسار مثلهما ، وقد أضيئا لوجودنا نور الله قلب من أضاءهما .

وعلى رأسه لوحة ثمينة كتب تحتها : « عزيزة شاسيه امرأة والى القيروان » وهى مهداة سنة ١٩٦٠ .

ومكثنا داخل الضريح مدة نسبح فيها فى بحر الـذين آمنوا وكانوا يتقون .. وقبل ان أودع ذلك الصحابى الجليـل ابا زمعـة البلوى رضى الله عنـه أقول : انه مشهور بكنيته . أما اسمه فهو عبد غير مضـاف الى الله تبارك وتعالى . وقيل اسمه عبيد بالتصغيـر ابن أرقم البلوى : ذكره الحافظ ابن حجر فى الاصابة .. وابن الاثير فى أسد الغابة فى عبد وفى عبيد قالا . وهو مشهور بكنيته ثم ترجماه فى الكنى .. وقال الحافظ ابن حجتر قيـل اسـمه عبيد ابن آدم .. والـذى فى معالم الايمان عبيد الله بن آدم .

جامع عقبة بن نافع

عقبة بن نافع الفهرى ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة فى معرفة الصحابة : لاتصح له صحبة . وكان ابن خالة عمرو بن العاص ، وهو الذى بنى القيروان فى مكانهـا اليوم . وكان غيضة كثير الاشجار ، مـأوى الوحوش والحيات . وأقام بها ثلاث سنين . وقتل عقبة بن نافع سنة ٦٣ . قتله كسيله الزعيم البربرى الذى كـان أسيرا عند عقبة : أعلم قومه بقلة عدد المسلمين ، فهجم البربر فجأة على عقبة واصحابه وكانوا نحو الثلاثمائة ، فقاتلوا قتال الأبطال . وتكاثر عليهم العدو فاستشهدوا جميعا فى مصرع واحد .. ويقول ابن خلدون ـ نقلا عن الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب فى كتابه « خلاصة تاريخ تونس » ـ : « واجداث أولئك الشهداء : عقبة وأصحابه بمكانهم ذلك من أرض الزاب ، ويعرف هـذا المكان اليوم باسم « سيدى عقبة » . واتخذ على قبره مسجد يعرف باسمه فى بلاد المغرب .

نعود الى مسجده المسمى باسمه فى مدينة «القيروان» بتونس : كلمة القيروان لفظ فارسى دخيل فى العربية . ومعناه محط الجيش ، ومناخ القافلة ، وموضع اجتماع الناس فى فى الحرب .. ومن هنا نعلم بعد نظر عقبة ومبلغ سياسته ، فقد كان معاوية بن خديج قد اختط القيروان بموضع يدعى « القرن » فلما رآه عقبه بن نافع لم يعجبه فعدل عنه واختطها بموضعها اليوم .

دخلنا المسجد باسم الله ، وطفنا فى أرجائه ، وصعدت فى مئذنته ـ أو صومعته ـ حتى نهايتها ، على الرغم من أن الدكتور يمنعنى من أن أصعد سلما طويلا . فالسلم على رأيه منشار القلب لمن هو فى سنى وحالى . ومن على المئذنة ترى قبر الامام سحنون قريبا منها .

ومسجد عقبة بن نافع ـ فى تونس ـ يمتاز بميزات :

١ ـ رءوس الاعمدة المعروفة بالاسطوانات داخل الصحن رآها ـ كما أخبرنى الأستاذ محمد عاشور ، وكان يرافقنا فى الزيارة ـ مهندس فرنسى فلاحظ أنها تحمل شعار عدة دول فى العالم .. ولا أدرى ان كان لذلك نظير فى مسجد آخر أم لا ؟ .. وقد تدل هذه الهندسة على بسط نفوذ المسلمين فى وقت ما على دول العالم صاحبة هذه الشعارات .

٢ ـ المنبر : فهو ـ على ما أخبرنى أيضا فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الشاذلى ابن القاضى الأستاذ فى الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين وكنا معا فى هذه الرحلة ـ هو أقدم منبر فى العالم الاسلامى على

الاطلاق » وقد خطب عليه الامام « سحنون » - الامام سحنون ولد بالقيروان سنة ١٦٠ هـ وتلقى العلم بافريقيه عن على بن زياد ، واسد بن الفرات ، ثم توجه فى طلب العلم الى المشرق سنة ١٨٨ فزار مصر والحجاز والشام » واخذ الفقه من فطاحل تلك الأمصار : مثل عبد الرحمن بن القاسم وابن الماجشون ووكيع بن الجراح وغيرهم . وعاد الى بلده سنة ١٩١ فاظهر بها علم أهل المدينة ، ومذهب مالك بن انس ، وهو أول من ركزه بافريقية مركزا ثابتا . ولما اشتهر سحنون وذاع صيته راوده الامير ابو العباس احمد بن الأغلب حولا كاملا على خطة القضاء حتى قبل منه الولاية سنة ٢٣٤ على شروط منها : اطلاق يده فى تنفيذ الاحكام الشرعية على اقاربه من بنى الاغلب ورجال دولته . ومنها الزام المتنازعين من البيت المالك بالحضور لديه مع الخصوم ، فقبل احمد الشروط كلها . وولى سحنون القضاء ، وباشر الحسبة والمظالم بنفسه ، ووفى العدل حقه الى أن لقب بسراج القيروان وقد رايت محكمته فى ركن من اركان الجامع ولم يمنعه القضاء من بث علم العلماء فكان يحضر مجلسه بجامع عقبة تلامذة من جميع الأقطار المغربية والاندلس . وهو صاحب المدونة الكبرى جمع فيها مسائل الفقه على مذهب مالك بن أنس . وتوفى يوم ٦ رجب سنة ٢٤٠ فى دولة محمد بن الأغلب ودفن بالقيروان وكان قبره أولا داخل المدينة .. ولكنه الآن خارجها وذلك من آثار التخريب فى الموقعة بين اهل السنة والشيعة - اقول خطب هذا الامام العظيم من على ذلك المنبر الموجود حتى الآن بجامع عقبة بن نافع ، وعكازة الامام سحنون التى كان يصعد بها فى هذا المنبر موجودة حتى الآن .. وقد صعدت بها فى هذا المنبر وجلست حيث جلس .. وذلك فضل الله ... وهذا المنبر مصنوع من خشب « الساج » الذى يجلب من الهند . وميزته فوق متانته أنه غير قابل للتسويس . وأبواب المسجد من هذا الخشب ايضا .

٣ - مقصورة صلاة الخليفة والمكتبة العتيقة : اما المقصورة فقد بنيت أيام المعز بن باديس الصنهاجي - نسبة الى قبيلة صنهاجة البربرية - والمقصورة تقع على يسار من يجلس على المنبر . وأعدت لصلاة الخليفة ورجال دولته . بحيث يكونون محجوبين عن باقى المصلين

ودخلت المكتبة من هذه المقصورة . وليسمح لى القارىء الكريم مرة ثانية بأن اتركه فى هذه المكتبة حينا لأقدم لما سأنشره مما رأيته فيها من آثار فيها كل العبرة لمن له قلب .

فى وقت ما كانت الدولة الاسلامية مقسمة على النحو الآتى :

١ - الخلافة العباسية بالمشرق وقاعدتها « بغداد » .
٢ - الخلافة الأموية بالاندلس وقاعدتها « قرطبة » .
٣ - الخلافة العبيدية أو الفاطمية بافريقية . ثم بمصر والشام والحجاز واليمن .

ولما انتقلت الدولة العبيدية او الفاطمية ، او دولة الروافض الى مصر - ٣٥٨ . أيام كافور الاخشيدى - وانتقل المعز لدين الله العبيدى الى مصر خلف على افريقية والمغرب الامير « بلكين بن زيرى » من قبيلة ذات عصبية قوية وباس شديد وهى قبيلة « صنهاجة » البربرية وفى ظل هذه الدولة - الصنهاجية - وقعت ثورة داخلية قتل فيها أهل القيروان الشيعة ومثل بهم العامة فى الحواضر والبوادى . ولما لم يتمكن المعز لدين الله الصنهاجي من قمع الفتنة واطفاء نار الثورة جرى مع الراى العام ، فنبذ دعوة الفاطميين علانية وخلع طاعتهم وحمل جميع أهل المغرب على اتباع مذهب الامام مالك ابن انس حسما لمادة الخلافات المذهبية ثم امر بان يخطب على المنابر للخلافة العباسية - ٤٣٩ - فاعترف له خليفة بغداد بالاستقلال ، فاهتز الخليفة العبيدى أو الفاطمى فى مصر . فماذا يصنع ؟

دبر مكيدة للانتقام فاشار بان يسرح أعراب الصعيد من « بنى هلال » و « بنى سليم » و « رباح » و « زغبة » الى المغرب ، وأعانهم بالمال والذخيرة . فاستباحوا القيروان حتى أصبحت أثرا بعد عين : قبر الامام سحنون كان فى المدينة فأصبح الآن بعيدا عنها بفعل هذا التخريب الذى كان من أثره أن مزقت مخطوطات كثيرة بقيت لنا منها آثار محفوظة فى هذه المكتبة العتيقة .

وأعود أيها القارىء لاريك قطعا من هذه المخطوطات التى عثر عليها فى صحن الجامع وفى غيره ، واستنتج منها ما تشاء ، أما أنا فقد تمزق قلبى لما كان :

١ - قطعة بخط المعز بن باديس الصنهاجي نفسه تقول :

« يقول عبد الله ووليه المعز لدينه : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه ، وأن افضل الناس بعد رسول الله أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على رضى الله عنهم أجمعين . اللهم العن بنى عبيد أعداءك . وأعداء نبيك ، نفعنا الله ببغضهم أجمعين .. حبست هذا المصحف على جامع القيروان لوجه الله الكريم سبحانه » .

٢ - قطعة من المصحف الشريف على ورق جلد غزال ازرق مكتوب بالذهب بالخط الكوفى ، أولها « بالله الغرور ، ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير » .

بسم الله الرحمن الرحيم

« الم ، تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذى خلق السموات »

٣ - قطعة من مصحف مكتوب بخط السيدة فضل ونص العبارة :

« رحم الله من قرأ فيها ودعا لصاحبتها »
« وكتبت فضل بخطها فى المحرم سنة ٢٩٥ »

هذه قطع ثلاث نقلتها من المكتبة العتيقة الموجودة داخل مسجد عقبة بن نافع بمدينة القيروان بتونس . وقد عاونني على قراءتها قيم الدار فى حضرة فضيلة الاستاذ الشيخ الشاذلى ابن القاضى . والاستاذ محمد عاشور ، عدل - مأذون - نهج جامع الوردة بالقيروان .. وغير ذلك كثير فى المكتبة ، أما باقى المصاحف التى نقلت عنها هذه القطع فقد اندثر فى حوادث بنى هلال أيام الفتنة بين اهل السنة وغلاة الشيعة .

قرأنا بخط المعز بن باديس نفسه يلعن بنى عبيد » ويسأل الله تبارك أن ينفعه ببغضهم أجمعين بعد أن كان يدير الدولة نيابة عن العبيديين ، وذلك يعنى أنه اضطر الى ذلك اضطرارا تحت ثورة الشعب التونسى ضد العبيديين فى القيروان .

وكان المصريون فى مصر ايضا على هذا النحو من بغض العبيديين : أولئكم الذين كانوا فى مصر يحملون الناس حملا على سب السلف حتى كانوا يقابلون الحجاج فيحملونهم على هذا السب والا حل بهم مالاتحمد عقباه فالتقت القوتان : اهل السنة فى تونس وفى مصر ضد العبيديين فكانت تلك التخريبات التى رأينا من آثارها فى تلك الوريقات الممزقة ، وعلى كل فهذه حال يؤسف لها فى تاريخ قوم يتجهون قبلة واحدة .

ان اصبعا خفية اتجهت فيما مضى لتمزيق وحدة المسلمين ، وان هذه الاصبع لاتزال حتى الساعة : فهل من سبيل لتحطيم تلك القوة ؟ السبيل ظاهر واضح بين

رسمه الاسلام فى قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وسوف نصل متى حطمنا الشهوات والاهواء وزلزلنا الشكوك والظنون والاوهام بمراقبة الله تبارك وتعالى فى حركاتنا وسكناتنا ، وكلماتنا ، وارادتنا ، وخطراتنا ، وفعلنا كل شىء باسم الله : فى ذلك الوقت نصحح ما افسده الزمان .

والحمد لله الذى بعث العرب من جديد باجتماع ملوكها ورؤسائها فى القاهرة اخوة متحابين متحدين متعاونين متضافرين يحدوهم الامل الواسع وتدعوهم الرغبة الاكيدة فى احياء كلمة الحق والله هو الحق المبين .

متحف ابراهيم بن الاغلب

وانتقلنا الى متحف ابراهيم بن الاغلب ،واول مايقابلك فى هذا المتحف قاعة صبره المنصورية ، وفيها من الآثار مايعطيك فكرة عن مبلغ حضارة المسلمين ، ومما رأيت فى هذا المتحف :

١ ـ دنانير فاطمية مضروبة فى مدينة المهدية ، ومنها للحاكم بامر الله .

٢ ـ دراهم فضية فاطمية ضربت ايضا فى المهدية

٣ ـ قطعة خشبية من مقصورة المعز بن باديس .

٤ ـ قلم بوص مزخرف تاريخه القرن الخامس .

٥ ـ قلم من الفولاذ تاريخه القرن الخامس ايضا .

٦ ـ دنانير صاحب الحمار وعثر عليها فى صيف سنة ١٩٦٢ ، وهى من سنة ٣٣٣ هـ .

٧ ـ آثار لاتينية وجدت بالقيروان تثبت بقاء الكنيسة الافريقية فى العهد الاسلامى ، يرجع تاريخها الى القرنين الرابع والخامس الهجرى .

٨ ـ تحبيس الاميرة فاطمة الحاضنة لمصحف كبير على جامع القيروان .

جولة فى ربوع القيروان

ومما رايته فى القيروان من الآثار وغير الآثار :

١ ـ بئر بروطه ، وهذه أسسها عبد الله بن سعد بن ابى سرح سنة ٢٧ من هجرة سيد المرسلين ، وأسسها ليشرب منها الجيش ، وبنى محمد باشا بن مراد سنة ١٠٩٤ على هذه البئر قبة واحواضا لسقى الدواب .

٢ ـ مسجد الانصار ، اختطه رويفع بن ثابت الانصارى سنة ٤٧ ، والمكان الموجود به الآن يعرف بحومة الاشراف ـ حومة يعنى مجموعة ديار ـ وفى هذه الحومة بيت جد فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الشاذلى ابن القاضى الاستاذ فى الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين . وقددخلناه ورويفع هذا هو الذى فتح مدينة « جربه » ، وجربه هذه الآن ولاية من ولايات تونس وتبعد عنها بحوالى ٤٠٠ كيلومتر ، واهلها مشهورون بأنهم يشجع بعضهم البعض . ويتزوجون من اهالى بلدهم . وهم تجار منتشرون فى كل انحاء العالم .

٣ ـ بركة الاغالبة ، وهى حقا من عجائب الدنيا فى العالم : اسسها ابو ابراهيم احمد بن الاغلب سنة ٢٤٨ ، وجلب اليها الماء من « سبيطله » .

٤ ـ مقبرة الجناح الاخضر ، وبها قبر « زينب الخالصية » حفيدة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبنت عبد الله بن عمر . اتت مع والدها عبد الله سنة ٣٤ ويوجد حول قبرها حوالى سبعين قبرا للعلماء : منهم ابو ميسرة وله فى القيروان مسجد باسمه ، ومنهم شقران الهمدانى ـ توفى ١٨٦ ـ ورباح بن يزيد . والبهلول بن راشد ، وقد روى عن مالك ، والثورى ، والليث بن سعد وتوفى سنة ١٨٢ .

٥ ـ مقبرة باب نافع ، وفيها زياد بن انعم التابعى : روى عن ابن عمر ، وابى أيوب الانصارى،وتوفى فى أواسط المائة الاولى ، وفيها قبر عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل . روى عن مالك وعن سفيان الثورى ، ولقى أبا يوسف صاحب أبى حنيفه ، وتوفى سنة ١٩٨ .

رايت فى القيروان سورها الجميل . وقد أسسه اشعب سنة ١٤٤ فى عهد ابى جعفر المنصور . وأول من جدد بناءه المعز بن باديس الصنهاجى سنة ٤٤٤ . ثم جدده على بن حسين باشا سنة ١٨٨٥ . ورايت فى ابواب القيروان : باب الجلادين ويدعى الآن باب الشهداء لانه سقط امامه اربعة من ضحايا شهداء الاستقلال فى يناير سنة ١٩٥٤ ، وباب تونس وباب الخوخة ، ورايت فيها سوق الربع ، وهذا يباع فيه الزرابى ـ أى السجاجيد ـ والبرانس ـ والاغطية ، ورايت سوق العطارين ، وهذا كان يباع فيه العطور . ولقد انقرضت هذه الصناعة ، ولم يبق منها الا دكان واحد . والباقى أصبح مكاتب للعدول ـ المأذونين ـ وترى فوق السوقين جامع خطيبه حنفى وأمامه الان الشيخ محمد صادق البليش .. وكان من قبل مفتيا للاحناف ، ورايت سوق « البلاغجية » أى البلغ ، وقد كسدت هذه الصناعة بعد أن كانت مزدهرة جدا ولم يبق لها الا بعض دكاكين قليلة

ومما أعجبنى فى القيروان من البنايات الحديثة قصر العدالة ـ الحقانية ـ فهو حقا يدل على ذوق جميل وفن رفيع .

وفى القيروان كنيسة صارت مكتبة عمومية ، وفى تونس مساجد يرى بعض المؤرخين أنها كانت كنائس ، وقد دخلتها فوجدت قبابها من الداخل ترشح هذا الرأى : منها المسجد الملاصق لبيت أخينا فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ « محمد المختار بن محمود » ومن فضل الله على الشيخ ابن محمود أن وراء محراب المسجد من بيته توجد جلسته فى ليله على وسادة طويلة صفت من على يمينها ويسارها الكتب وبعض « الصور » المحببة الى الشيخ ، ويلفت نظرك من الشيخ أنه لايمكن ابدا ان تفلت من يده ابة جريدة أو مجلة الا وقد كتب عليها تاريخ وقوعها فى قبضته ، وهكذا تطالعك كتبه ومجلاته وجرائده ، وكل مايقع فى يده .

من القيروان الى المهدية

وخرجنا من القيروان قاصدين المهدية فمررنا على بلدة « مساكن » وفيها شبكة طرق : اليمين الى «صفاقس» والشمال الى «سوسه» والامام المهدية . ومررنا على منزل كامل ، وفيها جامع ، وعلى « حمال » و « طوزه » و « قصيبه الديوانى » وعلى « قصر هلال » وفيه جامع كبير ، وعلى « المكنين » وفيها جامعان : جامع قديم ، والآخر جديد ، ومررنا على « طبلبه » وعلى « البقالطه » وبعد ساعة ونصف تقريبا بالسيارة من القيروان دخلنا « زياتين المهدية » فالمهدية : هذه التى بناها عبيد الله الملقب بالمهدى لما انف من الاقامة فى « رقاده » لتلك الفتنة التى كانت تقوم يومئذ بين أهل السنة والشيعة أهل مذهبه ، فخرج ـ سنة ٣٠٠ هـ ـ يطلب موضعا يرضاه لبناء مدينة تاويه واهل بيته ، فاختار شبه جزيرة بين سوسه وصفاقس فامر ببناء مدينة فيها وسماها المهدية نسبة اليه . ولما تم بناؤها وتحصينها انتقل اليها بمن معه ـ سنة ٣٠٨ ـ واتخذها لحكمه مقرا .

والواقع ان المهدى لم يبن مهدية واحدة وانما بنى مهديتين وتسمى الثانية « زويله » جعلها لسائر الناس، ولما سئل : لماذا تبنى مدينتين ؟ قال : « فى النهار هم عندى وفى الليل أرزاقهم بين يدى اذا خرجوا على » .. ويفصل بين المهدية و«زويله» فاصل يسمى «باب الفتوح» .. واظن انه ليس منا من يجهل باب الفتوح فى القاهرة ... وبهذه المناسبة اقول : وكما يوجد عندنا فى القاهرة ايضا باب البحر فكذلك فى تونس باب البحر ، وهو

يفصل بين حيين اثنين مختلفين : حى « أوربى » أو حى حديث بشوارعه الواسعة ، وأشجاره الباسقة ، ومعروضاته الحديثة الفاخرة ، وحى عربى أو حى قديم بشوارعه الضيقة ، ومعروضاته الوطنية النادرة ، وباب البحر هذا يوصلك بنهج جامع الزيتونة ، وهو يشبه جد الشبه عندنا « خان الخليلى » وفى نهاية هذا النهج ترى الجامع الأعظم . جامع الزيتونة ، وقبل أن تصله بقليل من على اليمين تقع الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين .

نعود الى المهدية : دخلنا من باب الفتوح هذا الذى يفصل بين المهديتين ، أو بين المهدية وزويله ، ودخلنا من السقيفة وهى مدخل المدينة القديمة ، وصعدت فى سلالم الى البرج ، أو الى سطح أرى منه البرج .. ومنه رأيت مئذنة جامع الحمزاوى ، وهذه تكاد تكون فريدة غريبة فى تونس ، وقريبا منها مئذنة على شكل وفن آخر . ومساجد الأحناف فى القيروان وكذا فى تونس لها طراز مخصوص فى صومعتها ، أو على اصطلاحنا مئذنتها : فشكلها فى مساجد الأحناف مسدس غالبا ،وفى جوامع المالكية مربع غالبا .

رأيت فى المهدية

القرافة ، الجبانة ، مدينة الأموات .. رأيناها على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، تماما بجوار ميناء المهدية ، كأن هذا يقول : شواطئكم عرى وسنار وشاطئى عظة واعتبار : فهل من مدكر ؟

رأيت مرسى المهدية : ذلك الذى كان حجرا صلدا .. فنقره المهدى نقرا وجعل منه حصنا لمراكبه ، وجعل عليه سلاسل من حديد يرفع طرف منها عند دخول السفن ، وتحصينا للمهديه من مراكب الروم .

رأيت جامع عبد الله المهدى وهو جامع كبير ويجدد الآن ، ورأيت بجوار مساكن المهدى مقام « سيدى جابر » ويقال : انه والد « سيدى جابر » الموجود فى الأسكندرية .

رأيت مسجد سيدى مطير : ذلك الذى قرأ فيه الامام المازرى ، وقد رأيت قبره ـ المازرى ـ فى المستير ، وبجواره شيد السيد رئيس الجمهورية الحبيب بورقيبة مقبرته وقد كتب عليها : « الله أكبر لا اله الا الله محمد رسول الله ». والمازرى نسبة الى « مازره » من بلاد صقلية ، ومازرة هذه هى التى انتقل اليها وسكنها حامل لواء الأدباء التونسيين « ابن رشيق القيروانى » صاحب العمدة ـ ولد ابن رشيق فى مدينة « المحمدية » تلك التى مرنا عليها فى أول هذه الرحلة ، أو فى اول يوم القيروان ، وهى لاتبعد عن تونس كثيرا ، ثم رحل من المحمدية الى القيروان ، ولم يزل بها الى أن هجم عليها الأعراب المخربون ، فانتقل الى « مازره » الى أن توفى فى سنة ٤٦٣ ـ فى الصناعة الشعرية ، والمهدية هى البلد الوحيدة التى لم يدخلها الذين خربوا القيروان

وأهل المهدية كرام بفطرتهم : رآنا فضيلة الشيخ محمد الجيلانى بن احمد حمزة الامام الاول بجامع الحنفية ومدير المدرسة القرآنية بها فلم يتركنا حتى زرناه فى منزله . وفى المنزل لم يتركنا نتفرق الا على ذواق على عادة أهل الكرم فى تونس ، ولقد أهدانى كتابه « السعادة الأبدية » ، وقد جعله فضيلة الأستاذ الجليل الشيمخ محمد الطاهر بن عاشور ـ فى سبتمبر سنة ١٩٤٨ ـ ضمن الكتب التدريسية بالمعاهد الزيتونية ، وعينه للسنة الثانية من المرتبة الأخيرة فى مادة الأخلاق وهو مقسم الى قسمين : القسم الأول ويشتمل على تفسير الجزء الأخير من القرآن الكريم . والقسم الثانى يشتمل على نحو خمسين حديثا .

وفى المهدية قسم كبير من الأتراك من سنة الف من هجرة سيد المرسلين تقريبا .

من المهدية الى سوسه

وخرجنا من المهدية فلاح لنا « قصر هلال » ويمتاز بمعامل النسيج ـ الفوطه والملايه ـ وتوجد هذه الصنعة بكثرة فى البيوت . وفى هذه البلدة تأسس حزب السيد الحبيب بورقيبة أول ماتأسس ، ومررنا على بلدة صياده وهذه مشهورة بصيد الحوت . فبلدة « بنان » ولعل عائلة البنانى عندنا فى مصر نسبة الى هذا البلد ، ثم ملاحة منستير .. ومنستير هذه مسقط رأس السيد الحبيب بورقيبه ، ومما رايت فى هذه من المنشئات الحديثة مدرسة ثانوية هى آية فى الفن والنظام والترتيب ففيها مساكن الأساتذة ، وتطالعك دار ترشيح المعلمين . وفيها صالة أفراح جميلة ، ورأيت فى المنستير صومعة مسجد على شكل صوامع مصر تقريبا .

واسترحنا فى أوتيل « سيلاندى » ويقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وهو حقا آية فى الجمال والأبهة والعظمة ، وقد طفنا بأرجائه فأخذ بلبنا تنسيقا وجمالا .

جامع الحبيب بورقيبة

ورأيت فى المنستير جامعا ينشأ حديثا باسم السيد الحبيب بورقيب ، ويحتار من يصف هذا الجامع ومافيه من عناية ، ومن فن ، وقفنا فى محرابه فوجدناه مطليا بالذهب الخالص عيار ١٨ ، وفيه أعمدة من مرمر لانظير له مجلوبة من باكستان ، وأعمدة المسجد من ايطاليا . وفيه عمال يشتغلون من جهات متعددة ، كل فيما يخصه من فنه . وقبل أن أغادر المنستير أتساءل :

ورد فى كتاب رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وافريقيه ، وزهادهم ونساكهم ، وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم تاليف أبى بكر عبد الله بن أبى عبد الله المالكى ، ورد فى هذا الكتاب عن المنستير مايأتى :

عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رابط بالمنستير ثلاثة أيام وجبت له الجنة » قال أنس : بخ.. بخ يارسول الله .. وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير ـ تابعى مشهور ـ يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بالمنستير باب من أبواب الجنة يقال له الألف » ا.هـ .

قليل من التأمل فى حياة الانسان ومصيره يقرب له الحكم على مثل هذه الأحاديث التى وردت فى فضل البلدان ، وعلى كل فلايبعدنا هذا عن مواصلة الرحلة الا بمقدار الاشارة اليه .

وعند خروجنا من المنستير هذه البلدة التى يضفى عليها الرواة هذه الروايات مررنا ببساتين « صفاقس » ويطالعك فيها جمال القصر الجمهورى ، وتلك المقهى العربية الجميلة التى شيدتها السيدة الماجدة حرم السيد الرئيس بو رقيبة . وقبل أن تصل الى القصر والمقهى ترى سواعد الفتية ، والتصميمات الفنية تقيم فندقا سياحيا على أحسن طراز ، وأجمل مثال . وكان الليل قد أقبل فبتنا لانرى الا أشباحا تظهر لنا من بعيد شىء ظننته جبلا فقال السائق : انه ملح .

وفى «سوسة» عرجنا على الولاية فزرنا الاستاذ عبد الحق الأسود ، ثم واصلنا سيرنا حتى تونس .. ومن المناظر الطبيعية التى أخذت بلبى منظر الشمس وهى تختفى وراء جبال زعوان .

والى اللقاء عند سيدى بوسعيد الباجى امام هذه الكلمة : « الناس فى الدنيا بالاخوان وفى الآخرة بالأعمال » .

« يتبع »

عناصر الحيوية فى الدين الاسلامى

فضيلة الشيخ عبدالله المشد

مراعاة التشريع للفطرة الانسانية

من دلائل الحيوية فى الدين الاسلامى آنه جاء موافقا للفطرة الانسانية التى خلق الله الناس عليهـــا ، تلك الفطرة السليمة النقية التى لم تلوثها الأغراض ، أو تزل بها الأهواء ، أو تؤثر فيها الموروثات والبيئات ، هى الجبلة أو الطبيعة الخالصة ، الجامعة بين العالمين ، المـــادى والروحى ، المستعدة لمعرفة عالم الغيب والشهادة ، وما أودع فيها من غرائز تقوم بها حياة البشر ، ومن عقل يسيطر على هذه الغرائز ويوجهها الوجهة الصالحة .. ويشعرها بالحاجة الى قوة أعلى وموجه أعلم .

وهذه الفطرة مزودة بمعلومات أولية خالصــــة ، و مدركات بدهية هى الأصول الأساسية للمعارف الانسانية ونظام الحياة البشرية ، كادراك أن الكل أعظم من الجزء وأن كل فعل لابد له من فاعل ، وأن هناك أمورا حسنة وأخرى قبيحة ، وهذه الأصول يدركها الأطفال فى مبـــدأ نشأتهم وان لم يستطيعوا أن يفصحوا عنهـــا فى بعض الأحيان .

والفريزة مع العقل قوتان لازمتان لسعادة الانسان فى دنياه وأخراه ، والأولى بدون الثانية تنزل بالانسان الى عالم الحيوان المحض الذى يسير فى حياته بغرائزه ، ليس له هدف معين يرمى اليه من وراء تصرفاته فى الجملة .. والثانية بدون الأولى تجعله من العالم العلوى الذى لايستطيع أن يباشر نشاطه فى الأرض ويتقلب فيها بين المتناقضات والمتضادات التى هى من لوازم عمارة الدنيا، وقد جعله الله خليفة فيها .

والتشريع الذى يقوم على مراعاة هذه الطبيعة البشرية بكلتا قوتيها ، يقوم على دعامة أصيلة ، تجعـــل النفس تستجيب لهذا التشريع وترى فيه معينا لاعدوا لها ، ومسالما يبغى الخير لها ولا يريد القضاء عليها ، والذين فسروا دين الله دون مراعاة لهاتين القوتين معا انحرفت بهم السبل وضلت بهم الحياة وفسد الاجتماع . فمن ركبوا متن المادة المحضة ، وجعلوها كل همهم فى الحياة ، أسلمهم سوء فهمهم الى مآزق ومتاعب ذاقوا هم وبالها، وأذاقوا العالم من ورائهم شرها أيضا ، ومن استمسكوا بعصمة الروح المجردة انعزلوا عن الحياة وتركوها تعج بالفساد ، ولم يحققوا ماقصد أصلا من تمكينهم فى الأرض فشقت بهم الحياة كما شقيت بالأولين .

والاسلام تشريعا وسلوكا حافظ كل المحافظة على أن يوازن بين القوتين أو يعقد بينهما معاهدة قوية ، للعمل المشترك لخير الانسانية .

ان الفطرة السليمة البعيدة عن تيار الأهواء والمؤثرات الأخرى تستطيع باتزانها وجبلتها الطبيعية أن تهتدى الى أصول كثيرة من الخير ، وأن يكون لها من الامكانيات التى أودعها الله فى الكون عون على معرفة القوة العليا التى تسيطر على العالم ، والتى تحس من داخلها بالحاجة اليها .. تلك هى قوة الله سبحانه ، التى تدل عليها الأعـــلام المنصوبة فى النفس وفى الكون على السواء ، يرشـــد الى ذلك قوله تعالى : واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهـــورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم الســـت بربكم قالوا بلى » وهو تمثيل للصلة بين استعداد الانسان ، وبين ظهور آيات الله فى الكون ليستنتج منها عقيـــدة التوحيد التى هى اصل التدين ، ولقوة هذه الصـــلة ولوضوح الأدلة وسلامة الاستعداد عبر عن ذلك بأخـــذ العهد والميثاق ، وقال تعالى « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » يقـــول الزمخشرى فى تفسير هذه الآية : الزموا فطرة الله ، أو عليكم فطرة الله ، أى خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام

لكونه على مقتضى العقل والنظر الصحيح ، حتى انهم لو تركوا وطباعهم لما اختاروا عليه دينا آخر . ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « ما من مولود الا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

لقد تحدث الفلاسفة من قديم الزمان عن الفطرة ، وحفظ عن سقراط وأفلاطون وغيرهما كلام جليل فى هذا الشان ، ولكنهم عجزوا كل العجز ، كما عجز من جاء بعدهم ، عن اقامة أمة تجتمع على أصول مبنية على مراعاة هذه الفطرة ومتجاوبة معها ، والقرآن الكريم والسنة النبوية أشادا بسموها وخطرها ، فجاءت دعوة الدين الى الناس على هذا الأساس ، وبلغها رسول الله على ضوء هذه الحقيقة .

يقول « كانت » : « الديانة الحقة الوحيدة هى التى لاتحتوى الا على قوانين ، أعنى قواعد صالحة للجرى عليها ، نشعر من ذاتنا بضرورتها المطلقة ، وتكون مجردة عن الأساطير والتعاليم الكهنوتية » .. وكلامه يشير الى ماقررناه من أن الفطرة تقوم على دعامتين : الغريزة والعقل .. فغرائزنا تشعر بضرورة الديانة الحقة التى تتجاوب معها على المصلحة ، وعقلنا ينفى الخبث والعوج عن الفكر بكل مظاهرهما . والتشريع الذى يتناول العقائد والسلوك الفردى والجماعى ويسير على طريقة تراعى التركيب الطبعى للجسم الانسانى ، من حيث تلبية غرائزه وحاجاته الضرورية لحياته كحيوان ، وتراعى انه مخلوق فى درجة أعلى من المخلوقات الأخرى ، استحق بها الخلافة فى الأرض ، فتحكم عقله فى سياسة هذه الغرائز والتخطيط الصحيح ، مع عدم نسيان الجانب الروحى فى غمرة المطالب المادية ، حتى يتوفر له ما هو جدير به ، وحتى يحقق لنوعه مايجب أن يحققه لنفسه كفرد ، مع شعوره الدائم بأنه عضو فى أسرة كبيرة أصلها واحد هو آدم أبو البشر ، التشريع الذى يوفى بهذه المطالب جميعها يوفر السعادة لكل انسان فى كل جيل ، فى كلتا حياتيه الدنيوية والأخروية ، تلك السعادة التى يعبر عنها بالحياة فى قوله سبحانه « يأيها الذين آمنو استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

وبهذه الميزة كان الاسلام ملائما لجميع الاجناس البشرية وتقبلته النفوس على مختلف مستوياتها عندما نادى النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان من أتباعه العربى والرومى والحبشى ، والتاجر الكبير ، والخادم الصغير ، وأصحاب الرياسات والسفارات والشورى ، ورعاة الابل والغنم ، وكان من أنصار هذه الشريعة اليهودى والنصرانى والمجوسى ، الذين فتح الله قلوبهم للدعوة الجديدة ، التى التقت مع نداء الطبيعة فى جوهرها الصافى ومزاجها السليم .

الاسلام بموافقته للفطرة السليمة يرفع من قدر الانسانية ، لتشعر بوجودها الكامل وحريتها المقررة وأثرها فى الكون ، وليكون بينها وبين التكاليف الالهية ، كما قدمنا ، انسجام وأنس يستطاع معهما تنفيذ هذه التكاليف بدون عنف أو حرج ، أرأيت الى حديث النبى صلى الله عليه وسلم وهو يفسر التجاوب بين احساس الانسان الكامل وبين احكام الشريعة ، حيث يقول لمن جاء يسأله عن البر والاثم « البر ما اطمأنت اليه النفس والاثم ماحاك فى الصدور وأن أفتاك الناس وأفتوك » .. وهذا تقدير عظيم للفطرة السليمة ، فهى تميل الى الخير وتصدق فى أحكامها ما لم تفسدها وراثة ضالة أو تسلط قاهر أو مؤثر قوى آخر ، وهذا ينقلنا الى تقرير أن الفطرة السليمة فى حاجة الى قوة موجهة أخرى تكون معصومة من الزلل تتلقى عنها التعليم والارشاد .. فالاسلام حين يمجدها لايعنى أن ينساق الانسان مع شعوره وغرائزه وأفكاره ووجدانه بمقتضى طبيعته ، فقد ضل المشركون حين عبدوا الأصنام لتقربهم الى الله زلفى مع اعتقادهم أنه سبحانه خالق الكون كله « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » « ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله » ..

فجاء الاسلام مصححا لعقيدتهم مبينا خطأهم فى التفكير .. فالوحى ، وهو المصدر المعصوم من الخطأ ، لابد منه لضمان استقامة الفطرة ، ومن هنا يظهر خطأ من قالوا بعدم الحاجة الى الدين فالضمير كاف فى اصدار الاحكام على أفعال الانسان وفى توجيهه الى العمل الصالح .. وهذا الفهم الخاطىء يستلزم انكار الرسالات ، ويجعل ارسال الرسل عبثا ، مع أن الله سبحانه وتعالى أرسلهم مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس عليه حجة فلا يقولوا « ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نزل ونخزى » .

يقول الشيخ شلتوت فى تفسيره ص ٢٣٣ : وقد فات هؤلاء أن فهم ماينفع الهيئة الاجتماعية ومالا ينفعها كثيرا ما تختلف فيه الانظار والاراء ، وقلما نجد فى تاريخ هذه النظرية قديمه وحديثه اتفاقا على نفع جزئية معينة ، أو ضرر جزئية معينة ، وفاتهم أيضا أن النظر الواحد ، أو الضمير الواحد ، كما يعبرون ، كثيرا مايتغير فى معرفة الخير والفضيلة ، ولقد عدل كثير من الفلاسفة عن آرائهم الأولى ، واستحدثوا آراء أخرى جديدة ، ولهذا تعترك فى عصرنا الحاضر المذاهب الاجتماعية من ديمقراطية وفاشية ونازية وشيوعية واشتراكية .. بل يتنازع أرباب المذهب الواحد ، بل يتناقض الفرد الواحد مع نفسه ورأيه فى وقتين مختلفين ، وكل هؤلاء يتحاكمون الى الضمير ، أو يتحاكمون الى الادراك البشرى فى معرفة الفضيلة ، وهو تحاكم كما نرى الى أساس غير ثابت ولا منضبط ولا مأمون العاقبة ، وهو فى الوقت ذاته يسير بالنفس وبالعالم فى طريق محفوفة بالمخاطر ، تهدد العالم فى أمنه واستقراره ، وتشعل فيما بين جوانبه نار الحروب والتدمير . ولا سبيل الى الاستقرار فى هذا العالم وسلامته من أثر الآراء المشتجرة الا بالرجوع الى أساس ثابت منضبط ، صادر عن علم بطيات النفوس ونزعات البشرية ، يبصرهم ذلك الأساس بالخير والفضيلة التى ارتسمت فى لوح الوجود الحق ، الذى لايكتنهه الا خالق الوجود ومدبر الكون ، على مايعلم فيه من سنن وشؤون . وليس ذلك المبصر الا وحى العليم الحكيم « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » .

وتتضح مراعاة الاسلام للفطرة فى مظهرين كبيرين ، الأول : بناء التكاليف على أساسها بحيث تكون ملائمة لها ، غير مصطدمة معها ، أو مهملة لمقتضياتها ، وذلك بالقدر الذى يوجهها لسعادة الفرد والمجتمع ، وسيأتى توضيح ذلك ان شاء الله فى أشكال متعددة ، والثانى : تقرير الأدلة وسلوك السبل للدعوة وغرس المبادىء ، حيث كان ذلك مستوحى من الفطرة ومستخدما اياها فى هذا الفرض ، من ذلك مثلا أسلوب القرآن والحديث فى الترغيب والترهيب ، واستعمال وسائل الايضاح والتشويق بضرب الأمثال وايراد القصص ، والاشادة بقدر العاملين وتشجيعهم على المضى فى سبيلهم وترويض النفس بالشكر عند الرخاء حتى لاتطغى ، وبالصبر عند الشدة حتى لاتجزع ولاتيأس ، وبيان خطر القدوة وأثر التقليد وسلطان الايحاء وحكم البيئة ، وغير ذلك من الامور الكثيرة التى تدل على مدى تقدير الاسلام للفطرة .. ذلك التقدير الذى كان سببا قويا فى نجاح الدعوة الاسلامية وخلق أمة مثالية ومجتمع فاضل فى زمن وجيز من التاريخ .

موقف الإسلام بإزاء العلوم الحديثة

الدكتور محمد غلاب

نحن نبنى مجتمعنا بالعلم وبالأخلاق (من خطبة السيد الرئيس بجامعة الاسكندرية فى ٢٨ يولية سنة ١٩٦٣)

سنعالج فى هذه الكلمة ايضا دراسة علائق الاسلام بالعلم الحديث . وقبل أن نخوض فى تفاصيل هذه الدراسة ، يجب أن نعيد الى الأذهان تلك العبارة الحكيمة التى نطق بها المندوب الكردى فى المؤتمر الاسلامى الأول منذ اكثر من ستين عاما ، والتى سجلناها فى الكلمة السالفة والتى يقول فيها :

« ان السبب الأسيف فى ضعف العالم الاسلامى ان منشأ الشر كله هو أن علماء الاسلام قد ضيقوا آفاقهم بتصرفاتهم الجامدة ، وحصروا أنفسهم فى نطاق العلوم الدينية ، وجزئية صغيرة من العلوم الرياضية ، ونبذوا الجانب الأكبر من تلك العلوم الرياضية ، وجميع العلوم الطبيعية ، وان آثار العلماء الذين كانوا يعنون بتلك المعارف فى عهد العظمة الاسلامية قد فقدت ، وان المتنطعين والمتعصبين قد محوا منتجات اسلافهم الأجلاء خاضعين لتلك القاعدة الشهيرة وهى : « الناس أعداء ما جهلوا » .

وليس هذا فحسب ، بل لو اراد أحد اليوم العناية بتلك المنتجات العالية القيمة ، لحكم عليه أولئك المتعصبون بانه فاسق أو زنديق . ومع ذلك فان هذه العلوم هى التى أخذها الغرب عن المسلمين ، وانها هى التى نمت لدى الغربيين وأنتجت تلك الثمار الباهرة فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، وهى التى صيرتهم شموس المدنية الحاضرة ، بينما أن المسلمين الذين هجروها قد انحدروا الى الدركة الدنيا اذا قيسوا بالغربيين فى الصناعة والزراعة الآلية والفن والتربية والأدب وسياسة الحكم ، وما ذلك الا لأنهم - بهجر تلك العلوم - قد ابتعدوا عن الروح الحقيقية لدينهم الحنيف » .

ونحن نجزم بأن هذا هو أحد الأسباب التى تضافرت على قهقرة الأمم الاسلامية حتى سبقها غيرها بأشواط طويلة ومراحل بعيدة كما نجزم بأن الاسلام فى مبدا شبابه كان - بوساطة الدفع القرآنى والوثوب النبوى - بريئا أتم البراءة وأكملها من رذيلة الجهل . بل ان التأمل فيما كانت عليه حالة المسلمين فى القرون الأولى للهجرة يبعث على الاعجاب ، بل يسحر الألباب ، اذ أن حرارة الايمان وحماسة العقيدة والنهم فى العلم ، والشغف بالاطلاع ، والنشاط العقلى كانت متضافرة متكاتفة كأنها « البنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » . وكان المسلمون فى تلك العصور الذهبية يتلألأون فى العلوم السماوية ، ويلمعون فى المعارف الأرضية ، وكان أعلامهم البارزون يسطعون سطوع المنارات فينشرون الضوء فى كل مكان ، ويشيعون النور فى كل صقع من وطنهم ومن البلاد التى شرفوها بفتوحاتهم العادلة المفيضة بالرحمة والنزاهة والانقاذ . ولقد تنبه المهيمنون على أزمة الأمور فى الأمة العربية منذ فجر الاسلام الى خطورة العلم ووجوب جعله أساسا رئيسيا لكيان الدول التى تريد أن تحيا كريمة عزيزة . ثم نظروا فى تعاليم دينهم فوجدوها كلها متفقة على هذا المبدأ التأسيسى فتشبثوا به وعضوا عليه بالنواجذ ، فأنشأوا أعظم نهضة علمية وأدبية عرفها تاريخ الانسانية .

سار الخلفاء الراشدون على هذا المبدأ الحكيم الرفيع وتبعهم فيه الأمويون ثم العباسيون والأندلسيون ، فترجموا حكمة الهنود وفلسفة الاغريق وعلومهم الرياضية والفلكية والطبيعية والكيميائية والطبية وفهموها فهما دقيقا ، وهضموها هضما حقيقيا ووجهوها توجيها مستقيما ، وعلقوا عليها تعليقات رشيدة مفيدة . وجددوا فيها تجديدات أساسية نافعة . وبالاجمال كانوا يتناولون المنتجات الانسانية فى عصرهم بالترجمة واصلاح الأخطاء

والتقويم ، ويتقدمون نحو الكمال بالمبادىء العامية التى يلتقون بها فى الأصقاع التى يفتحونها وكذلك العلوم التى يستقدمونها من البقاع التى نشأت فيها دون تعصب أو تحيز أو ضيق بما يخالفهم فى الرأى أو يباينهم فى الاعتقاد . وكانوا يشيدون المراصد ويقيسون الأبعاد ويتعمقون فى دراسة أصول الحياة ووظائف الأعضاء ، ويحملون الى أوربا البربرية نتائج أبحاثهم وتعليقاتهم وينقلون اليها علوم : مصر والهند والاغريق وفارس بعد تنقيتها من أدرانها وازالة ظلمتها وغموضها ومنحها الأضواء الضرورية لانارة السبل أمام الذين كانوا يعيشون فى الجهالة ، ويحيون فى العماية ، ويتخبطون فى الظلمات ، والذين عرفوا بعد ذلك كيف يستثمرون هذه المنتجات ، ويستغلون تلك الجهود لأنفسهم ولمواطنيهم ، بل عرفوا كيف يستخدمونها فى استذلال أساتذتهم من المسلمين الذين أنقذوهم من الظلمات الى النور ، ولكن التبعة ليست على أولئك الذين حملهم العقوق على انكار الجميل ومقابلة الاحسان بالاساءة ، وانما هى واقعة على هؤلاء الذين نسوا الله فانساهم أنفسهم ، وغفلوا عن مبادىء دينهم فالبسهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

أيا ما كان ، فقد أينعت رسالة الاسلام التى اداها المؤمنون الأولون خير تادية فى أوطانهم ثم نقلوها الى الغرب فأخصبت وآتت أكلها فى تلك الربوع بعد أن أصبح الشرق راكدا يغط فى نوم عميق كان من نتائجه الحتمية أن هوى فى العبودية وظل يرزح تحت نيرها الثقيل حتى عادت النهضة الاسلامية سيرتها الأولى ، لأن كل شعب من الشعوب الاسلامية يحتوى - والحمد لله - على عناصر القوة الكامنة فى رجال أعزاء يدركون منزلتهم الحقيقية فى أممهم ويعرفون رسالاتهم أكمل المعرفة ويقدرون واجباتهم حق قدرها ، ويشعرون بالظروف المحيطة بهم أدق الشعور ، ويميزون الأسس التى تصلح وحدها لأن تبنى عليها النهضات والتى بغيرها لا تنتج النتائج المقصودة منها .

ولحسن الحظ أيقن رجال ثورتنا المباركة - وعلى رأسهم السيد الرئيس جمال عبد الناصر - بحقية هذا المبدأ ، والايمان بانه القبس الذى تنفج منه جميع أضواء الحياة الكريمة وأنوارها المرشدة الى الهدى والمنتهية الى الفوز والنجاح ، فجعلوا يبذلون الجهود الجبارة وينفقون المال رخيصا هينا فى سبيل انعاش حركة التعليم ونشر الكتب الثقافية بين أفراد الشعب وطوائفه ، وانشاء المدارس الكثيرة العدد فى المدن وعلى هوامش القرى لكى تكون رمزا حقيقيا ساطعا ناطقا بمجهودات رجال هذا العهد معبرا عن عقلياتهم ونفسياتهم وأذواقهم الرفيعة الممثلة فى جمال هذه المدارس ورشاقتها التى نستطيع أن نباهى بها دول الغرب فى العصر الراهن . ولكى يسجل الرئيس أن نهضة الثورة قائمة على العلم قبل كل شىء أعلن بلا مواربة ولا تردد فى احدى خطبه الحديثة فى جامعة الاسكندرية « اننا نبنى مجتمعنا بالعلم وبالأخلاق » .

وليس هذا فحسب ، بل ان أولئك القادة الأقوياء المؤمنين يدركون أن نهضات الأمم الاسلامية لا بد لها من استعادة شباب الاسلام الأول ومجده التليد فيبذلون جهودا جبارة فى احياء تراثه والاسترشاد بنوره .

غير أننا - لكى نحقق هذه البغية العالية من نهضتنا - يجب أن نتتبع ذلك الطريق القويم الذى سلكه أسلافنا الأجلاء فى تعهد الحركة العلمية وتغذيتها بعصارة القلوب وخلاصة العقول ، وأن نتخذ قدوتنا من أولئك الأماجد الذين عرفوا منذ فجر الاسلام أن عظمة الدين لا تتركز فى الاقتصار على العلوم الدينية وتفاسيرها وتأويلاتها واستنباط الأحكام الشرعية من الآيات والأحاديث فحسب ، ولكنها تتمثل قبل كل شىء ، فى تحقيق غايته العليا التى هى الاصلاح والتنظيم اللذان أشرنا اليهما فى الكلمة السالفة ، وهذا يتطلب من صفوة المسلمين أن يكونوا على رأس الحركة العلمية العالمية ما دام أن العلوم هى التى تقوم بشرح نواميس الكون وأسرار الطبيعة .

ولقد تنبه المغفور له الأستاذ طنطاوى جوهرى الى هذه الحقيقة المرة الأليمة التى سجلها المندوب الكردى فى المؤتمر ، وهى أن جهل المسلمين بالعلوم الكونية قد جعل العالم الاسلامى يتقهقر وينحدر وينزل عن مكانة الصدارة للغرب . ومن ثم فقد جعل يبذل جهودا مشكورة فى حمل المسلمين على الاستزادة من العلوم الكونيةوالتضلع فيها بعد أنبرهن لهم على أن روح الاسلام تتطلب منهم هذا ، بل توجبه عليهم ، وأن هذه هى الوسيلة المثلى التى تضمن عودة الاسلام الى مجده الأول وقوته الفطرية . وقد أمعن فى هذا المجهود فراح يعلن أن القرآن قد اشتمل على سبع مائة وخمسين آية تحث على دراسة عجائب الطبيعة وتأمر من قريب أو من بعيد بالنظر فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله .

وأخيرا ينتهى من هذه الدراسة العميقة بان سمو الاسلام على غيره من الأديان الأخرى يبدو فى أنه يأمر بالعلم والنظر والتأمل ويحض عليها فى عناية وشدة ، بينما الاديان الاخر تكتفى بان تجيزها أو أن تسمح بها أو ألا تعترض على وجودها .

بيد أن هذه النتيجة المزهرة التى نود الانتهاء اليها من دراسة تلك العلوم الحديثة ، والتى نجزم بأن العالم الاسلامى يظفر عن طريقها بالصدارة المقبلة كما كانت له الصدارة السالفة ليس معناها أن العلوم العملية والميكانيكية يجب أن تكون لها المنزلة الأولى فى حياتنا الثقافية ، أو ينبغى أن تصبح هى الغاية المرموقة من جهودنا العقلية ، والا لكان ذلك قلبا للأوضاع التى تبغيها ، وعكسا للأهداف التى نرنو اليها ، والتى تمنح الأولية دائما للتأملات الفلسفية والمبادىء الخلقية .

وينبغى ألا يفوتنا هنا أن نعلن أن العلم بطبيعته لا ينفعل ولا يتأثر ، وهو من هذه الحيثية يتعارض مع الطابع الانسانى الذى تتميز به الفلسفة التى تجابه كل شىء من وجهة علائق الانسان بالانسان . ومعنى هذا أن الفلسفة مجهود يبذل للعثور على كل ما هو انسانى فى الكون ، وبالتالى يجب أن ترفرف باجنحتها على كل شىء وأن تكون ممثلة فى كل موضع . وهذا المرمى هو الذى يقصده الأستاذ « أبيل ريه » فى كتابه « الفلسفة الحديثة » حين يلاحظ « أن علماء الفلاسفة بوجه عام كانوا علماء يشار اليهم بالبنان ، وأن أماجد العلماء لم يترفعوا عن أن يفلسفوا .. ان أولى مهمات الفلسفة المتفق عليها اليوم من كل الذين يجمع الرأى العام على أنهم أساتذة العقل المعاصر هى « أفكرة العلم » أى مزجه بالفكر النظرى أو الفلسفى .

ومما لا ريب فيه أن هذه العبارة الشائقة تسمح لنا بان نفهم مخاوف العالم الذرى الأمريكى الكبير « فيليب أوبينهمير » الذى يقرر فى سنة ١٩٥٨ : « ان الحقيقة البشرية لا تتعلق بالعلم بل بالحكمة .. حقا ان الانسانية لم يعد لديها اية نظرية عن معنى الحياة ، أن معارفنا العلمية تتضاعف فى كل عشرة أعوام ، ولكن

جهلنا بالفلسفة ينمو بهذا المقدار أيضا ، فنحن لم تعد لدينا رغبة فى معرفة الانسان ، وحياة العقل أصبحت لا تشوق أحدا ، بينما أن حياة العلم المادى صارت هى الغاية . ان مدينتنا قد أمست فظيعة ، لأننا لا نعرف فيم نستعمل قوتنـــا . واذن فنحن فى حاجة الى فلاسفة » .

ولا ريب أن هذه الشكوى الصارخة الصادرة عن هذا العالم الطبيعى الأمريكى تعبر تعبيرا واضحا صادقا عن روح الاسلام ومبادئه التاسيسية التى تنادى فى كل كلمة من كلماتها بأن العلم الطبيعى ليس غاية للانسانية ، بل هو وسيلة من وسائل اسعادها وتقدمها نحو الكمال الثقافى والخلقى ، وأن المدنيـة المؤسسة على الدعائم المادية والقوة الوحشية ، مآلهـا الى الزوال العاجل والفناء السريع .

وفى الحق أن العلوم الطبيعية فى مجموعها تمثل مظهرين متباينين من حيثيتين مختلفتين . أولهما نظرى ، وظيفته شرح أسرار الكون وارضاء حاجات العقـل البشرى الى المعرفة البريئة ، وثانيهما عملى ، وهدفه اشباع الحاجات المادية للانسان ودور الاسلام بازاء هذا المظهر العملى هو كبح جماح طغيانه الذى يرعب ذلك العالم الثرى الأمريكى ، ويملأ قلبه بالفزع والانزعاج .

والعلم الطبيعى من حيثيته الأولى النظرية ، يدخل فى محيط الثقافة الرفيعـــة التى تسترشد بنور الفلسفة . ولا ريب ان هذه الثقافة العالية هى التى تضمن الصدارة والأولية للامم التى تنمو فيها ، وهى لا تنمو الا بمقدار التوسع فى التعليم العالى .

ومن ثم فان تلك اللفتة الكريمة التى بدت من السيد رئيس الجمهورية فى هذه الآونة الحاضرة نحو التعليم العالى ، قد وضعته فى منزلته الحقيقية السامية ، اذ أنه عندما نطق بهذا التوجيه الحكيم فى محيط التعليم العالى فايقظ فى تلك البيئة كل نائم ، ونبه كل غافل ، وارشد قادتها الى أن الأمم لا تسمو ولا تتفوق على غيرها الا اذا اتسع فيها نطاق التعليم العالى الى أبعد الحدود الممكنة . عند ذلك أحسست كأنى انغمست فى بحر عميق من التامل . وسرعان ما تداعت المعـانى فى ذهنى ، وازدحمت فى عقلى ، فتاملت مليا فى سيادة الشعوب التى تقيض لها السماء من أبنائها رجالا ذوى عقول ممتازة وأفكار مستنيرة ، وآراء ثاقبة ، وعزائم فولاذية ، وارادات حازمة يرشدون نهضاتها الى الخير وياخذون بايديها الى الرفعة حتى يحلوها فى المنزلة التى يغبطها عليها غيرها من الامم الأخرى .

وبينما أنا على هذا النحو من الثمل اذ دار بخلدى احد أسماء اولئك الأفذاذ التاريخيين الذين اقتادوا أممهم الى أسمى أوج الثقافة والعرفان . أتدرى من هو ذلك البطل الذى نقلتنا الى عصره لفتة الرئيس جمـال عبد الناصر العملاقية الى العناية بالتعليم العـالى ، ودفعتنا الى التـامل فى ذكريات ما أداه الى التعليم العالى فى بلاده من مكرمات خالدة ، ذلك الرجل هو « جول فيرى » الذى كان أعظم رجال حكومة الجمهورية الفرنسية الثالثة فى القرن التاسع عشر ، والذى كان له اكبر الأثر فى مصيرها الثقافى ، لأن الدولة الفرنسية كلهـا مدينـة لهـذا الوزير الخالد بصدارتها العقلية وسطوعها الثقافى الذى يعترف لها به العـدو قبل الصديق .

ولم لا ؟

الم يقف جول فيرى فى ابريل من سنة ١٨٧٠ ابان الحرب السبعينية الطاحنة التى اشتعل أوارها بينها وبين ألمانيا ، وكادت تاتى فيها على الأخضر واليابس ، ثم يرفع الصوت قائلا : « اننى اخترت من بين جميع مشاكل العصر الحاضر مشكلة واحدة أريد أن أهبها كل ما لدى من قلب وعقل وقوة معنوية ومادية ، وهى مشكلة تربية الشعب » .

لم يكن هذا من جانبه قول عابث ، ولا تعبير لاه ، بل كان عزما صارما ، وتصميما قاطعا ، اذ قد خصص جميع قواه ومواهبه لقضية التعليم ، ولم يقتصر كغيره من رجال الحكومات السابقة على التعليم الأولى الاجبارى ، بل بذل كل ما فى وسعه من جهود لنشر التعليم العالى. ولم يكترث جول فيرى بتلك الفكرة الخاطئة التى كانت تسود عقول رجال السياسة فى عصره ، وهى فكرة محو الأمية من الشعب ، بل اليه يرجع الفضل فى هدمها ، اذ أعلن أنه لا يؤمن بعقيدة الاقتصار على تلك الفكـرة الساذجة التى ترفع من شان الكتابة والقراءة ومعرفة الأرقام فحسب » .

اجل انه كان يعرف ان التعليم الابتدائى والعملى هما الخطــوة الاولى الضرورية لاحتفاظ الامة بمنزلها فى صفوف الكفاح الاقتصادى بين الأمم ، ولكنه يعلم علم اليقين « أن الأمة لا تستطيع أن تظفر بالصدارة الا عن طريق التعليم العالى والأخذ منه بنصيب موفور ، وهذا لا يتيسر الا اذا أحيطت الجامعات بالعناية الفائقة . وتلك العناية هى التى تبينت لنا صورتها من خلال لفتة الرئيس جمال عبد الناصر ، اذ أن اليوم الذى تتخلى فيه أمة من الأمم عن منزلة الصدارة الفكرية ، وتكتفى بأن تحصر نفسها فى دائرة الأوليات العملية النفعية هو أول يوم من أيام انحدارها وهويها .

وهكذا قهرت تلك الارادة الحديدية أنصار تضييق التعليم العالى ، وتخطت حواجز الأزمات المـالية التى سببتها هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية ، اذ اتخذ ذلك الوزير العظيم شعاره الدائم تلك العبارة الخالدة ، وهى « انى اقبل الاقتصاد فى كل شان من شئون الحياة ما عدا شئون التعليم » .

وبهذا المبدأ استطاع أن ينفذ برنامجه بجدارة ، فاسس الكليات فى أهم المــدن الفرنسية ، وأنشا الكراسى لكثير من أنواع المعرفة ، وأوجد المعامل العصرية ، وبعث البعثات العلمية والادبية وبذل جهده فى تحسين حالات الأساتذة ، وعمل على احياء تراث الأقدمين ، ورفع من شان الفن والفنانين ، وأعلن رأيه فى أن التعليم العالى هو فى مقدمة اهتمامه وعنايته ، فكان بمثـابة حجر الزاوية فى رفع منزلة فرنسا وفوزها بالصدارة العقلية من بين أمم العصر الحديث ، وجعلها مصدرا هاما من مصادر الاشعاع الفكرى ، رغم ما توالى عليها من كوارث الحروب فى الحقبة الأخيرة والفضل فى هـذا راجع الى تاسيس ذلك الوزير الخالد .

هذه هى المعانى التى ازدحمت فى خاطرى عندما كنت أقرأ توجيهات السيد رئيس الجمهورية الخاصـة بالجامعات فاشعر بان أمنيتنا الثقافية القديمة قد جعلت تخطو الى التحقق خطوات واسعة ، وأن مركز الاشعاع الثقافى المصرى الذى أخذ ـ منذ الاعوام الأولى لثورتنا المباركة ـ يسطع فى جميع جوانب الأصقاع الناطقـة بالضاد وغيرها من البلاد الاسلامية سيستمر وينمـو ويظفر فى الشرق بالألاء ، الذى ظفرت به فرنسا فى الغرب .

التراث الإسلامي

ثقافة

الدكتور إسحق موسى الحسيني

كنت أتتبع ما ألف المسلمون فى موضوع « الحسبة » – وهو موضوع ثانوى بالقياس الى أمهات الموضوعات – فوجدت باحثا يذكر اربعة كتب فيه ، ثم جاء بعده باحث آخر وذكر عشرين كتابا ، ثم استقصيت البحث فوجدت ثلاثين كتابا ، ولو توغلت لاربى العدد على الثلاثين . وما طبع منها لايتجاوز الثلث .

ولا يتيسر لباحث ، فى الشرق أو فى الغرب ، أن يحصى عدد الكتب المطبوعة ، ناهيك بالمخطوطة ، التى حفلت بها دور الكتب وخزائنها فى مختلف البلدان . ولكن الزمن مازال يكشف كل يوم عن مزيد من المخطوطات تضع التراث الاسلامى فى مكانة لا يكاد يضاهيه فيها تراث اخر فى تاريخ الحضارات جميعا .

كتب الشيخ محمد الحسينى الادريسى الكتابى الفاسى فى كتابه التراتيب الادارية سنة ١٣٤٦ هـ – ١٩٢٧ م يقول : « قال صاحب الوافى فى المسألة الشرقية (يقصد أمين بن شميل اللبنانى صاحب كتاب الوافى فى المسألة الشرقية المطبوع فى الاسكندرية سنة ١٨٧٩) أنه كان بمكتبة قرطبة وحدها على عهد الاسلام ستمائة الف مجلد من الكتب المختارة .. وقال بعض المؤرخين المصريين أن الباقى من الكتب التى الفها المسلمون ليس الا نقطة من بحر مما أحرقه الصليبيون والتتر والاسبان»

وجاء بعده المستشرق عبد الكريم جرمانوس ونشر بحثا فى مجلة مجمع اللغة العربية (الجزء ١٤ ص ١٠٤ سنة ١٩٦٢) عنوانه « مقارنة بين اللغات المجرية واللغة العربية » قال فيه : « كانت اللغة اللاتينية فى القرون الوسطى سائدة فى الاديرة ، واستطاع القساوسة فقط القراءة والكتابة . وكان ذلك هو السبب فى فقر الادب المسيحى بالمقارنة مع الادب العربى ، لان المسلمين فى القرون الوسطى أحكموا القراءة . ويدلنا التاريخ على أن بمكتبة قرطبة أربعمائة ألف مخطوط ، فى الوقت الذى فاخرت فيه الأديرة المسيحية بان لديها مائة أو مائتين من المخطوطات »

ومع تسليمنا بان العدد قد يكون مبالغا فيه ، وانه لا يبلغ الستمائة الف فى مكتبة قرطبة وحدها حسب رواية الشيخ الكتابى عن شميل اللبنانى ، ولا الاربعمائة الف حسب رواية المستشرق جرمانوس ، وأن بين هذه الكتب رسائل لطيفة ، وأن بعض هذه الكتب مكرر ، فان العدد يسترعى النظر حقا ، ويدعو الى التساؤل : اى تراث هذا الذى خلفه المسلمون حتى بلغ نصف مليون أو ربع مليون فى مدينة واحدة من مدن الاسلام ؟ وماعدد الكتب التى وجدت فى خزائن القاهرة ودمشق وبغداد والاستانة وغيرها من العواصم ؟

نشر أخيرا الجزء الاول من طبعات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكى . وقد أثبت الناشران الفاضلان أسماء الكتب التى صنفها السبكى فاذا هى اثنان وعشرون كتابا لم ير النور منها الا اربعة كتب .

واذا جاز أن نتخذ ذلك مقياسا صح القول أن دون الخمس من مصنفات السبكى قد طبع . ويقدر بعض الباحثين أن ما طبع من المخطوطات لا يتجاوز العشر ، واذا تواضعنا قلنا الخمس أو الربع .

ولكن المخطوطات التى سلمت من الحريق والغريق والسلب والنهب جزء صغير جدا من الكتب التى صنفت ، ولا نقول كما قال الشيخ الكتافى نقطة من بحر .

هذا من حيث الكم ، واما من حيث النوع فان التراث تشعب حتى أحاط بالصغير وبالكبير ، بالجد وبالهزل بالعلم وبالادب ، بالدين وبالدنيا ، وما من موضوع مس الحضارة من قريب أو من بعيد ، فى العصور الذهبية ، الا عالجه المؤلفون ، متوسعين حينا ، ومختصرين حينا اخر ، وما وصل الى علمهم بحث الا قلبوا النظر فيه ببصيرة واعية ، وامتصوا منه رحيقه ، وأغفلوا زبده ، حتى استوعبوا لب الحضارات المعاصرة . ولا عجب بعد هذا أن يبلغ عدد ما الفوه هذا الرقم الخيالى الذى لا نكاد نصدقه .

ولهذا الامر دلالات خليقة بالاعتبار . ان الحضارة الاسلامية ما تزال اشبه بالاثار المدفونة فى باطن الارض ، وما نعرفه عنها صورة مصغرة ومشوهة . واذا حرصنا على استكمال الصورة وتوضيح معالمها لابد من البحث والاستقصاء فى مختلف بقاع الارض التى تسرب اليها تراثنا ، ابتداء من الشرق الاقصى الى الغرب الاقصى . ففى خزائن الصين وروسيا عدد ضخم من المخطوطات تصل الينا أحيانا اسماؤها فنرتاح ونلتاع . وفى جامعة

برنستن - احدى الجامعات الامريكية المعنية بالدراسات الاسلامية - عدد ضخم من المخطوطات صنف فيه مجلد خاص ! وفى ايرلندا مكتبة ضخمة اقتناها ثرى يتاجر بالمعادن لم يصلنا خبرها الا أخيرا . ويعمل المستشرق أربرى فى وضع فهرست لهذه المكتبة منذ سنوات !

والدلالة الثانية أن تاريخنا لم يدون ، لان مصادر البحث مازالت مغلقة . وقد كنا نتهم المؤرخين القدامى بانهم قصروا تاريخهم على الخلفاء والأمراء والولاة والقضاة واشباههم . ولكن ما يتكشف لنا كل يوم يدل على انهم أحاطوا بالحياة من جميع أطرافها ، ولكن العجز جاء من قبلنا نحن الذين فرطنا فى تراثنا ، وتركناه يتسرب الى أطراف العالم ، ولم نسع اليه نسترده أو نكتشفه ونرتاد مجاهيله .

والدلالة الثالثة ان هذا التراث يضم ذخيرة لغوية عجيبة حقا لم تحط بها جميع المعاجم التى وصلت الينا لقد امتصت العربية الفاظ الحضارات المعاصرة ، مع امتصاصها الحضارات نفسها ، واتسع صدرها لالاف الالفاظ التى نحاول اليوم البحث عما يؤديها فى لغتنا . ان كل موضوع خليق ان يؤلف فيه معجم خاص ، وأن يتكون من هذه المعاجم معجم كبير يستوعب الدفين فى بطون المخطوطات . ان الالفاظ فى كتبها كائنات حية ، وفى المعاجم آثار دارسة . واذا أردنا أن نقف على دلالتها بالدقة فلنرجع الى مواطنها التى عاشت فيها وأدت عملها .

على أن الدعوة الى البحث عن تراثنا وحدها لاتجدى فلابد من توافر ثلاثة أسباب :

الاول : رصد الاموال اللازمة لشراء التراث او تصديره او نسخه . وهذا يحتاج الى « وقفية » تدر موارد ثابتة ، حتى نضمن للعمل الاستمرار سنوات كثيرة .

والثانى : أن ينهض بالعمل علماء متخصصون فى مختلف الموضوعات . فكتب التاريخ لابد لها من مؤرخين ، وكتب الفلسفة لابد لها من اساتذة فى الفلسفة ، وكتب الفقه لابد لها من علماء فى الفقه .

والثالث : ان ينشر الكتب الخليقة بالنشر محققون متمكنون من تحقيق الكتب ، وان يثبت فى أخرها فهارس وافية تشمل الاعلام والموضوعات والشواهد ، على نحو ماتجد فى بعض كتبنا المطبوعة فى الغرب ، وفى القليل المطبوع فى بلادنا ، على أيدى علماء أجلاء وهبوا حياتهم للعلم .

والتراث الاسلامى خليق بهذه العناية فى هذا العهد الكريم الذى تثب فيه الآمال فى الصدور وثبا .

بقية مقال « الخلافة . أو مكان الانسان فى الكون »

ذلك أنه بث تلك الحقائق فى كيانه ، وجعلها قوام فطرته .. أى أنه بث فيه دستور **الخلافة نفسها** .. وليست النبوات ورسالات المرسلين - بعد ذلك - الا تذكيرا بما هو مركوز فى خفايا الفطرة ، وتفصيلا وايضاحا لها .. « فذكر انما انت مذكر » « كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره » ..

فالخليفة بهذا لن يلتمس منهاجه من خارج نفسه ، من مكان بعيد أو قريب ، اذ هو حاضر بين جوانحه فى صفحة ضميره ، فمن هدى الى اسرار نفسه ، فقد هدى الى ما فيها من مبادىء ، ومثل ، وقيم وتعالم ، وسنن ، ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوجه الى ذلك بقوله : « **استفت قلبك ، وان أفتاك الناس ، وافتوك ، وافتوك** »

ذلك الى أن تلك الخصائص التى نفخها الله فى الانسان من روحه ، هى التى تهب لعقل الانسان ميزة الادراك الروحى ، فاذا كانت هى فى محيط النفس - مبعث مثلها ومبادئها، وصفاتها الكريمة ، فهى فى محيط العقل موهبته الروحية .

قال الفخر الرازى فى تفسير قوله تعالى « **ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** »

« واعلم أنه يشبه أن يكون الخلق عبارة عن تركيب القوالب والابدان .. والهداية عبارة عن ابداع القوى المدركة والمحركة فى تلك الاجسام .. وعلى هذا التقدير يكون الخلق مقدما على الهداية - أى سابقا لها - ولذا قال: « **فاذا سويته ونفخت فيه من روحى** » فالتسوية راجعة الى القالب ، **ونفخ الروح اشارة الى ابداع القوى** » ، أى القوى المدركة .

فالفخر الرازى يلمح فى نفخ الروح انه اشارة الى القوى المدركة وهى قوى - باعتبار مصدرها العلوى - خاصة بالمدركات الروحية فى مقابل ما للعقل من موهبة رياضية .. وبهذه الموهبة يكمل للانسان استعداده لتبعات الخلافة ..

وبعد ، فالخلافة ذات خصائص ايجابية .. فما معنى ذلك الايجاب ؟ وللعقل بموهبتيه الرياضية والروحية دور فى تلك الخلافة ، فما مدى ذلك الدور ؟ ذلك ما سنجيب عنه - وعن غيره - فى المقال التالى ان شاء الله .

حول ترجمة القرآن

... وأخطاء المستشرقين

الدكتور محمد وصفي

قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وهكذا تحدى الله الانس والجن على أن يأتوا بمثل القرآن الكريم فى أسلوبه ونظمه وفى علومه وحكمه ، وفى كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة ، وفى دقة ألفاظه ومعانيه ، وقد عمل المستشرقون على ترجمة القرآن الى كثير من اللغات ، وحاول أكثرهم ترجمة الآيات الكريمة على نسق يوهم بأن هذه الترجمة صورة صحيحة لنظم القرآن وطريقة تركيبه وفصاحة كلامه وبلاغته ، حتى انه ليخيل لمن لا يعرف اللغة العربية من المسلمين وغير المسلمين أن الترجمة قرآن يتعبد بتلاوته كما تتعبد اليهود والنصارى بتلاوة العهد القديم والعهد الجديد باللغات المختلفة .

ان الترجمة اللفظية للقرآن الكريم مضللة الى ابعد الحدود ، واعتقد أن المستشرقين حين قاموا بمحاولة ترجمة الآيات الكريمة ، كان لهم هدف معين يسعون اليه ، وما نأسف له ان من المسلمين العرب وغير العرب من تابع المستشرقين فى اختيار ألفاظ أجنبية ترجمة لبعض ألفاظ القرآن تخرج بالقارىء من المعنى الاصلى الذى جاء فى كتاب الله .

نضرب لذلك مثلا ترجمة لفظ الجلالة « الله » ، فقد عمد المترجمون الى ترجمته بلفظ «اله» dieu - God مع ان هذا اللفظ الاخير يصح اطلاقه على أى معبود آخر من دون الله ، وقد سألت من قبل قريش الرسول الكريم أن يعرف لهم « الله » الذى يدعوهم الى عبادته ، فنزل قوله تعالى : قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » فالله بهذا هو المعبود الذى وصف فى الآيات الكريمة . ولهذا نعتقد انه لا يصح ترجمة لفظ الجلالة فى المواضع التى جاء فيها فى كتاب الله بلفظ آخر بل يجب أن يترجم بحيث ينطق كما ينطق به فى اللغة العربية هكذا Allah

تأمل ركاكة الاسلوب والبعد عن المراد فى ترجمة (لا اله الا الله) فى قوله تعالى : انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون » بقولهم «لا اله الا الاله» (There is no God But God) ترجمة رودول : Rod Well) والخطورة فى مثل هذه الترجمة أن من قرأها من غير المسلمين بلغته لا يفهم منها الا انه لا اله الا معبوده الخاص الذى يعبده ، أما اذا ذكر لفظ الجلالة فى الآية وترجمت مثلا هكذا There is no God Save Allah اضطر القارىء أن يقف عند لفظ الجلالة وان يسأل السؤال الذى سألته قريش من قبل : من هو الله ؟ فاذا عرفنا له الله كما ذكر فى القرآن فى سورة الاخلاص فقد هديناه الى الحق والى الصواب .

ولنضرب مثلا آخر لترجمة بعض الفاظ جاءت في القرآن ، عمد فيها المستشرقون الى تضليل قارئي ترجمتهم لكتاب الله ، ويؤسفنا كما قدمنا أن بعض المسلمين من المترجمين وقعـوا في نفس الخطأ في الترجمة .

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنه أنزل التوراة والانجيل من قبل أن ينزل القرآن على رسوله فقال : الله لا اله الا هو الحى القيوم . نزل عليـك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفـروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقـام فراح (ردويل) وأمثاله يترجم لفظ (التوراه) بلفظ (القانون) The Law وراح غيره يترجمه بلفظ Pentateuque (سافارى :Savary) مع ان لفظ « القانون » فى الاصطلاح الدينى يعنى الكتب الخمسة الاولى من كتاب العهد القديم وهى : أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ، ونحن بصفتنا مسلمين لا نؤمن بهذه الاسفار مطلقا ولا نؤمن بانها هى التوراة التى أنزلها الله على موسى ، وكذلك لفظ (بنتاتوك) الذى يكتب بالانجليزية Pentateuch والذى يتركب فى اللغة من مقطعين : بنتـا Pente ومعناها خمسة وتيكس Teuckos ومعناها كتاب ، والذى يطلق فى مجموعه على الكتب الخمسـة التى ذكرناها ،والتى تعتقد اليهود انها كتابة موسى وانها الكلام الذى كلمه الله به ، مع أنها من انشاء أفراد غير معروفين من اليهود ، قال تعـالى : فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عنـد الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

ومثل هذا ترجمة لفظ (الانجيل) بلفظ (جوسبل) G ospe كما فعل بعض المستشرقـين بل بعض المسلمين أمثال محمد مارمادبوك بكتال M.M. Pickthall فان لفظ (جسبل) يطلق فى الاصطلاح الدينى على أحد الكتب الاربعة التى يؤمن بها نصارى اليوم ، والتى يبدأ بها كتاب العهد الجديد The New Teat Ament المقدس عندهم ، والتى يروى كل منها قصة عن حياة المسيح وينسب أحدها الى متى الحوارى وثانيها الـى مرقص الغير حوارى وثالثها : الى لوقا الطبيب الغير حوارى ورابعها الى يوحنا الحوارى ، والتى يعتقـد المسلمون أنها شىء آخر غير الانجيل الذى أنزله الله على المسيح قبل أن ينزل القرآن .

ان قارىء التراجم المذكورة يخيل اليه عنـد قراءتها أن القرآن الكريم يقر صحة الكتب السالفـة الذكر ، وهو ما يتنافى مع ايمان المسلم وعقيـدته ، ولهذا نرى أن يترجم كل من لفظتى (التـوراة) و (الانجيل) بالحروف الاجنبية بحيث تقرأ الكلمة كما تقرأ فى اللغة العربية ، فيترجم لفظ التـوراة بلفظ Al-Tawrah ، وهو ما يكتب عادة هكذا Torah وأن يترجم لفظ الانجيل بلفظ Al-Ingeel وهو ما يكتب عادة هكذا Evange بالانجليزية و Evangile بالفرنسية ، وهذا بشرط أن يعنى المترجم بشرح المعنى المراد فى القرآن الكريم من هذين اللفظين ، وأن يذكر أن ما بأيدى اليهود والنصارى اليـوم من الكتب ليست هى التوراة والانجيـل اللذين ذكر الله تعالى أنهما أنزلا على موسى وعيسى قبل نزول القرآن .

وللبحث بقية ان شاء الله .

شُبهات حول

١ ـ هل فى الاشتراكية مايناقض ارادة الله فى أن يكون من الناس الغنى والفقير ؟

٢ ـ هل فى الاشتراكية قضاء على كيان الفرد ونشاطه الذاتى وتطلعاته فى الحياة ؟

بالايجاب يجيب بعض الناس عن هذين السـؤالين متخذين منهما تكأة للنيل من الاشتراكية والتزهيد فيها .. وما أكثر الذين كتبوا عن الاشتراكية داعين اليهـا متحمسين لها ، لكن ما أقل الذين جربوا تفجير هاتين الشبهتين لدراستهما والرد عليهما بالحجج العلميـة الدقيقة ، فما علينا نحن الآن ، وفى هذه المقالة الا أن نمر بهذه التجربة فنقول :

أما الشبهة الأولى ، فنصوص القرآن الكريم تعطى بظاهرها ولأول وهلة أن الغنى والفقر والتفاوت فيهما وبسببهما أمر مفروض ومقرر سلفا ومفروغ منه . شبيه فى بابه بالنواميس الكونية ،وسنن الله فى خلقه .

يختلف الحكم فى كتاب الله فى ولاية اليتيم بين أن يكون الولى غنيا أو فقيرا ، فيقول تعالى فى سورة النساء : **« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرافليأكل بالمعروف »** .

ويختلف الحكم فى كتاب الله فى النفقة الواجبة على الزوج لمطلقته ـ حاملا كانت أو مرضعا ـ بين أن يكون الزوج غنيا موسعا عليه فى الرزق ، أو فقيرا مضيقا عليه فيقول تعالى فى سورة الطلاق **« وان كن أولات حمل** فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى ، لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر **عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله سيجعل الله بعد عسر يسرا »** .

ويوجب كتاب الله أداء الشهادة على وجهها الدقيق ، لايثنى عن القيام بها قرابة المشهود عليه أو فقره أو غناه فيقول تعالى فى سورة النساء **« يأيها الذين آمنوا كونوا**

الاشتراكية

الأستاذ عبد الغنى عوض الراجحى

قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على انفسكم او الوالدين والأقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى. ان تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » .

ويختلف الحال فى متعة المطلقة بين ان يكون المطلق غنيا أو فقيرا ، فيقول تعالى فى سورة البقرة : « ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » .

ويرشد سبحانه وتعالى الى الزواج من أهل الصلاح والتقى ، اغنياء كانوا أو فقراء ، فيقول فى سورة النور « وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليم وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » .

وينهى الله المسلمين عن أن يمكنوا المشركين من المسجد الحرام ودخوله ،وان خافوا فقرا بسبب نقص الوافدين الى بيت الله الحرام ، فان الله تعالى سوف يغنيهم من فضله ان شاء ، فيقول تعالى فى سورة التوبة : « يايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم »

ويتمدح سبحانه وتعالى بأن الامر فى ذلك عائد اليه فيقول فى سورة النجم عن نفسه وذاته العلية « وانه هو اغنى وأقنى » .

ويمتن على خاتم رسله بانه اغناه بعد عيلة فيقول سبحانه مخاطبا له « ووجدك عائلا فاغنى »

ويقول فى سورة الرعد « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر »

ويقول فى سورة القصص « ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » .

ويقول فى سورة الروم « أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون »

ويقول فى سورة سبأ « قل أن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » أى يضيق ..

وقد حكى سبحانه عن اليهود انهم اتهموه بالفقر وتباهوا بما عليهم من غنى ومال وذلك لما حضهم سبحانه على الانفاق والصدقة وأوجب على الاغنياء أن يعطوا الفقراء ، وسواء أقالوا ذلك عن سخرية أم عن عقيدة فان الله تعالى قد قال تهديدا لهم وتنديدا بهم « لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق » .

ان قضية الفقر والغنى فى كتاب الله كظاهرتين اجتماعيتين متضادتين ، وكونهما بارادة الله وفعله ، ومراعاة جانبهما فى كثير من الاحكام الشرعية ، والاضواء التى سلطت عليهما ، من حيث تفاعلهما فى حقل الرسالات والهدايات ، الغنى الذى كان فى أغلب أمره صادا من اتباع الحق صارفا عن قبول الهدى . والفقر الذى كان فى أغلب أمره دافعا الى اتباع الحق والالتفاف حول الرسل .. كما يفيده قوله تعالى : « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ، ومايمكرون الا بانفسهم وما يشعرون » .

وقوله تعالى « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

وقوله تعالى : وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا ومانحن بمعذبين » .

وقوله تعالى : وقالوا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا » .

كل ذلك لايستطيع أحد أن ينكره أو يجادل فيه لانه ظاهر مسلم الثبوت ، الا أنه مع ذلك كله لايتناقض مع الاشتراكية فى شىء ولايتنافى معها بحال ، بل انه أساس لها ، ومورد ترد اليه ، وهو المجال الحيوى بالنسبة لها وهو الحقل الذى تعمل فيه ، ومن أجله وبسبب علاجه وعلاج مشكلاته كانت هذه الاشتراكية ، ووجدت فى نفس الكتاب العزيز الذى كانت فيه نفس هذه الظاهرة ... ظاهرة الفقر والغنى .. ولو كان الناس كلهم سواسية فى الغنى والفقر ، فلماذا كانت توجد المبادىء الاشتراكية والى أى شىء كانت تدعو ؟ انها كانت عبثا ولغوا .. وكانت تكون غير ذات موضوع .. وهل نادت الاشتراكية بمحو الملكية أو بوجوب المساواة فى مقدار الملك وأسباب الرزق ومجالات الانتاج حتى تكون مصادمة لارادة الله ونصوص الذكر الحكيم التى هى منه ؟ ... كلا .. انها حدت من حدة الغنى وحدة الفقر .. انها مصالحة بين طرفى نقيض .. انها مواءمة وملاءمة يتعايش بواسطتها الغنى والفقر تعايشا سلميا !! انها تقريب للفوارق أو تذويب .. كما تتقارب الفوارق بين أصابع اليد الواحدة فتجعلها أكثر ملاءمة وفائدة ..

.. اننا لو أبحنا لانفسنا أن نفهم من ورود الفقر والغنى فى كتاب الله وبارادته وفعله أنه وضع مقدس لا مجال للتعديل فيه ولا حقوق للفقير على الغنى فاننا فوق أن نكون قد آمنا ببعض الكتاب الذى تحدث عن قضية الفقر والغنى ، وكفرنا ببعضه الذى ينادى بالاشتراكية الاسلامية ، نكون مع ذلك قد أبحنا لانفسنا أن نردد وأن نعتنق نفس ماكان يردده ويعتنقه اليهود حين سمعوا الله يأمر بالانفاق والصدقة وينهى عن البخل والكنز فقالوا لماذا لايطعم هو من يشاء اطعامه ؟ أنطعم

من لو يشاء الله أطعمه ؟ ان الله فقير ونحن أغنياء ؟ انه بخيل ويأمر بالكرم . فرد الله عليهم بقوله الكريم **« وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا »** سورة المائدة .

انها عملية ابتلاء وتفاعل ، وجود الشيء وضده غنى وفقر ، علم وجهل ، حق وباطل ، عناصر تعادلية وبضدها تتميز الأشياء وتتناحر الأضداد فتكون معركة .. والى أرض المعركة يقفز المصلحون وتعمل فى حقولها الطبيعية الهدايات والاصلاحات ولا تناقض بين هذا وذاك ، بل تكامل وتلازم واستتباع ..

ما أسعدنا حين نجد فى كتاب ربنا البيان والسند لما نقول ، فما أكثر الآيات القرآنية التى تبين أنه سبحانه رفع بعضنا فوق بعض درجات فى الخصائص والرزق والكفايات ، ليبتلينا وليسخر بعضنا لبعض متعاونين متكافلين فى تحمل أعباء رحلة الحياة وقطع مفازتها يأخذ كل منا بيد أخيه . ففى سورة الانعام يقول تعالى : **« وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم »** .

ولما اقترح أهل مكة نزول الرسالة على رجل أغنى وأعظم من محمد صلى الله عليه وسلم ، رد الله عليهم بقوله الكريم فى سورة الزخرف **« أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ، ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين »** .

ينكر سبحانه عليهم أن يتحكموا فى انزال الرسالات لأنهم لايستطيعون التحكم فى انزال ماهو أدون وأحقر وهى المعايش والأرزاق ، وبين سبحانه لهم أن الغنى الذى جعلوه مناطا للرسالات واستحقاقا لا يأبه الله له فى قليل أو كثير ، ولولا كلمة سبقت وكلمة روعيت لجعل للكافرين من الذهب والفضة والزخارف فوق مايشتهون ومسويا بينهم فى ذلك .

ثم يقول سبحانه فى سورة النحل **« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون »** .

ويقول المفسرون أن الاية الكريمة مثل ضربة الله لكفرة مكة كيف سمحوا لأنفسهم أن يتصوروا أن مع الله الخالق الرازق شركاء أحجارا لاتشبهه فى شيء قط وهى مخلوقة له ، مع انهم لايسمحون لبنى جلدتهم المتساوين معهم فى الادمية ، وان كانوا أرقاء مملوكين أن يشاركوهم فى أرزاقهم وأملاكهم ، على قدم المساواة !! كما أفصحت عن هذا المعنى المراد آية أخرى فى سورة الروم حيث يقول تعالى **« ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ماملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء ، تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون »** ..
وكأنما كان أبو ذر رحمه الله متأثرا بهذه المعانى حيث كان يرى عبده معه الا ورداؤه وداؤه ، وازاره ازاره ، **من غير تفاوت ، لاسيما وقد كان سمع من النبى صلى الله عليه وسلم قوله « انما هم اخوانكم فاكسوهم مما** تلبسون ، وأطعموهم مما تطعمون ولا تكلفوهم من الأعمال مالا يطيقون . واذا كلفتموهم فأعينوهم » .. لقد اشترى رضى الله عنه ذات مرة ثوبين فلبس أحدهما ، وأعطى غلامه الآخر ، فقال قائل لو لبستهما لكان أجمل ، فقال : أجل ، لكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون .

وأما الشبهة الثانية فمخطىء كل الخطأ من يظن أن الاشتراكية قاتلة لنشاط الفرد ، وقاضية على آماله وتطلعاته فى الحياة ، انها ليست عملية زهادة أو رهبنة ، أو تواكل أو يأس ، أنها عدل وكفاية وانتاج ، انها مشاركة وتعاون فى مجالات التنمية ، انها ايجابية لاتعرف الضعف والسلبية ، ان ممارسة النشاط الاستثمارى والتطلع الى الثراء ، فى حدود الحد الأقصى للملكية ، وتنمية الرأسمالية الوطنية غير المستغلة ، والاستزادة من المال والثراء ، على المواصفات التى رسمتها الاشتراكية الاسلامية العربية ، ذلك كله مسموح به ، والملكية الخاصة على هذه الأوضاع مصونة لاتمس ذات أبعاد طويلة يتنافس فيها المتنافسون ، لينفسوا عن غريزة حب التملك ، التى لاتفكر الاشتراكية فى اقتلاعها والقضاء عليها .

ان الاشتراكية قبل كل شيء احساس وضمير وملكة نفسانية ، وخلق سمح ، وسلوك كريم ، فقد يكون الشخص ذا مال وفير وجاه كبير لكنه مع ذلك يتمتع بأحاسيس اشتراكية رفيعة فهو دائم البذل والعطاء ، وقد يكون ذلك من أسباب زيادة ماله ونمائه وتفتح آماله فى الحياة ، كلما ازداد اشتراكية وانفاقا على الناس ازداد خيرا وبركة ومالا حسبما هو مقرر فى نصوص الذكر الحكيم وصحاح الأحاديث من أن المال يزكو بالانفاق ويزداد .

لقد كان عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، **ذوى مال وفير وغنى كثير سارت بذكره الركبان .. وذهب مثلا فى التاريخ ، فهل يمكن لباحث منصف الا أن يعتبرهما على رأس قائمة الاشتراكيين الذين فاقوا بتصرفاتهم المالية وانفاقهم للصالح العام كل ما يمكن أن يتصور عمله من الاشتراكيين ، الذين جعلهم الرسول موضع حسد وغبطة فى قوله صلى الله عليه وسلم « لا حسد الا فى اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها بين الناس »** .

ان الاشتراكية تفتح أبواب الأمل والعمل على مصاريعها أمام الأفراد والجماعات ، وتهيىء لهم الفرص لينتهزوها ولا ترضى لنفسها أن تستغل بين الناس استغلالا رخيصا لتقودهم الى حيث الدروب المسدودة والعقيمة فينحرف بها المنحرفون الذين يظنون أنها تعطى ولا تأخذ وأنها حق لايقابله واجب ..

ان العمال فى مصانعهم والزراعيين فى مزارعهم ، اذا خدعتهم الأمانى الكاذبة وأهملوا فى أداء الواجبات والالتزامات وجعلوا نصب أعينهم أن يأخذوا ولا يعطوا كانوا شرا ووبالا على الاشتراكية من أعدى أعدائها .. وصدقت فيهم الحكمة القائلة : عدو عاقل خير من صديق جاهل .

اذا كانت الاشتراكية فى نهاية أمرها حربا على الفقر والمذلة والهوان للكرامة الانسانية فقد كان من خطط الاسلام فى هذه المعركة أنه كما حث على العون والعطاء من جانب ، عاد من جانب آخر فحث على التعفف والاستغناء صيانة لماء الوجه ، وحرض على العمل والجد فى الحياة والاجتهاد للترقى من مرتبة العوز والفاقة الى

مرتبة اليسار والغنى ، من مرتبة اليد السفلى الى مرتبة اليد العليا ، فيقول صلى الله عليه وسلم « اليد العليا خير من اليد السفلى » والعليا هى المعطية ، والسفلى هى الآخذة المتكففة ، ويقول صلى الله عليه وسلم « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » ويقول « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن ياكل من عمل يده ، وان نبى الله داود كان ياكل من عمل يده » ويقول « اطلبوا الرزق فى خبايا الأرض » ويقول « تسعة أعشار الرزق فى التجارة » .. ويحث على الاقتصاد كوسيلة لتوقى الفقر والعوز فيقول « لا عال من اقتصد » ويقول عمر بن الخطاب : ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موضع أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى ، ولقى أبو قلابة صديقا له كثير القبوع فى المسجد .. فقال له : لأن أراك تطلب معاشك خير من أن أراك فى زاوية المسجد ..

والى هذه المعانى العتيدة فى اشتراكيتنا الاسلامية العربية يشير الميثاق حين يقول : العمل حق ، العمل واجب ، العمل حياة ، العمل كرامة .. ولعل ذلك كله كان موضع رعاية ومحل اعتبار عندما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبى وقاص وهو فى مرض خطير أن لايتصدق قبل وفاته بماله كله بل بالثلث والثلث كثير ، ويترك الباقى للورثة من بعده يشقون به طريقهم فى الحياة ولا يكونون عالة يتكففون الناس ، مريقين ماء وجوههم ، منحدرين الى الحالة التى يكرهها لبنيه الاسلام .. فقد روى مسلم فى صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم عاد سعدا فى مرضه فقال يارسول الله بلغ بى من الوجع ماترى وأنا ذو مال ولايرثنى الا ابنة أفأتصدق بمالى ؟ قال كلا ، فقال سعد : أفأتصدق بنصفه ؟ قال : كلا . قال سعد : أفأتصدق بثلثه ؟ قال تصدق بالثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس .

لكن هذه المبادىء الانسانية الرحيمة النبيلة لا يبيح الاسلام أن تتخذ ستارا يخفى وراء تطلعات منهومة للثراء الفاحش المستبد المتحكم فى رقاب الناس ، الذى يسد الطرق والمسالك فى وجوه الجماهير ، ويقضى على تكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع الواحد .

ان الاشتراكية الاسلامية العربية لاتزج بنفسها فى حرب مع الفطرة والغريزة والا كانت مغلوبة غير غالبة ، ومن الفطرة والغريزة نزعة الملك والبروز والأمل فى الحياة وبالصورة الفردية ثم بالصورة الجماعية ، فهى لاتحاول القضاء على هذه التطلعات بكبتها واقتلاعها ، ولكن فقط تعدلها وتعليها وتتسامى بها ، وتقودها من زمامها الى خير الفرد والمجموع فى رفق ولين تارة وفى عنف وشدة تارة أخرى .

ان الاسلام الذى صرح فى أكثر من موضع بأن الملكية كلها وفى أصلها وحقيقتها ليست الا لله ، كثيرا مايعود فى أكثر من موضع فيصرح باضافتها الى الأفراد اضافة تعلق وحيازة ، ارضاء لما أودعه سبحانه فى النفوس التى خلقها ـ وهو أعلم بما خلق ـ من حنينها الى ذلك واعجابها به فيقول سبحانه « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » ويقول « وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى » ويقول « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ويقول « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .. ويقول فى ذم اليهود « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » . ويقول فى شأن اليتامى « فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » .. ويقول الرسول الكريم « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » ويقول « من قتل دون ماله فهو شهيد »

لقد شاء المذهب الشيوعى أن يحول الفطرة عن طريقها فى مسألة الملكية الفردية واستخدم لذلك الضغط والارهاب والحديد والنار والتجسس وكل وسائل الحكم البوليسى الشنيع التى اعترف بها خروشوف فى اعترافاته عن عهد ستالين ، فماذا كانت النتيجة فى النهاية ؟! كان ذلك التراجع المستمر خطوة خطوة نحو الفطرة البشرية باباحة التفاوت فى الأجور بين عمال الطبقة الواحدة والعمل الواحد واباحة الملكية الخاصة فى بعض أنواع الممتلكات والشكوى المريرة من نقص المحاصيل الزراعية ... والبقية تاتى ، فى الطريق الى الاشتراكية لأنها المذهب الأوفق بطباع البشرية وبشرية الطباع .

فى رحاب القرآن الكريم

أللّه خليفة ؟!

الأستاذ عبد العزيز العلى

« فتعالى الله الملك الحق ، لا اله الا هو رب العرش الكريم »

الخلافة : لغة وعقيدة

اذا كان معنى السلف لغة هو الاول ومعنى الخلف هو الآخر • فالله هو السلف الذى لا اول له وهو الخلف الذى لا آخر له . هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم •

والخليفة للشىء لغة هو الذى ياتى بعده ويحل محله ، ويأتى بدلا عنه ، والخلف ما استخلفته من شىء تقول « اعطاك الله خلفا عما ذهب منك والخلف الولد الصالح يبقى بعد الانسان ، والخلف والخالفة : الطالح ، ويقال بئس الخلف أى البدل ، والخلف : القرن يأتى بعد القرن، وفى التنزيل العزيز « فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » ، وفى الحديث « فلينفض فراشه فانه لا يدرى ما يخلفه عليه » وخلاف الشىء بعده وقال لبيد :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

وقال ابن الاثير :

الخلف بالتحريك والسكون كل من يجىء بعد من مضى الا انه بالتحريك فى الخير والتسكين فى الشر ، وقال غيره يستعمل التحريك والسكون فى الخير والشر ، ورجلان خلفه يخلف احدهما الآخر ، وفى التنزيل العزيز « وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة » هذا خلف من هذا .

وخلفة من ماء اذا بقى فى الحوض منه شىء وكل شىء يجىء بعد شىء فهو خلفه

فقل للذى يبقى خلاف الذى مضى
تهيأ لأخرى غيرها فكان قد

ولمتمم :

وفقد بنى آم تداعوا فلم أكن
خلافهم ان استكين واضرع

ويقال :

اعطاك الله خلفا من تلف ، اى عوضا عما تلف واستخلفت الارض فانبتت العشب الصيفى ويقال لمن هلك له عزيز خلف الله لك واخلف عليك ، وفى الحديث الشريف :

« يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين » ومن قول لابن الاثير : أخلف فلان خلف صدق اى ترك فيهم عقبا ، واعطه هذا خلفا من هذا اى بدلا منه والخالفة الامة الباقية بعد الامة السالفة لانها بدل ممن قبلها وانشد :

كذلك تلقاه فى القرون الخوالف

وخلف مكان أبيه يخلفه خلافة وخلفه ربه فى أهله وولده أحسن الخلافة وخلفه فى اهله وولده ومكانه يخلفه خلافة حسنة ويقال أخلف النبات : اخرج الخليفة ، وخلفه الزرع والثمر الشىء بعد الشىء ، واخلف الطائر خرج له ريش بعد ريش ويقال : خلف قوم بعد قوم وسلطان بعد سلطان •

وقول حسان بن ثابت الانصارى :

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا
لاولنا فى طاعة الله تابع

وقول الشماخ :

تصيبهم وتخطينا المنايا
وأخلف فى ربوع عن ربوع

وقول آخرين :

ولاقت مناياها القرون السوالف
كذلك تلقاها القرون الخوالف
مضوا سلفا قصد السبيل عليهم
وصرف المنايا بالرجال تقلب

وفى التنزيل العزيز :

« وقال موسى لاخيه هارون اخلفنى فى قومى » .

استخلف فلان فلانا جعله خليفة له وفلان من فلان جعله مكانه ويقال قوم كرام خلفا عن سلف اى متوارثون الكرامة ابناء عن آباء . وفى التنزيل العزيز :

« وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

والخليفة هو الذى يستخلف ممن قبله ، وجمعه خلائف مثل كريمة وكرائم ، وهو الخليف وجمعه خلفاء كالظريف وجمعه ظرفاء . ومن المسلم به أنه ليس فيما تقدم جديد اذ هو منقول من كتب اللغة .

ومما هو معلوم ايضا ان من معانى الاستخلاف والخلافة : الامارة والامامة والوكالة والوراثة ولا خلاف فى استخلاف انسان لانسان آخر كخليفة له من بعده فى امامة او امارة أو وكالة او وراثة او غير ذلك « أى أن يحل انسان محل انسان يقوم بدلا عنه » ، سواء بعد موت هذا الانسان أو غيابه أو انشغاله فى أمور أخرى والدنيا دول أى خلائف وخلفاء بعضهم لبعض وفى التنزيل العزيز :

« وتلك الايام نداولها بين الناس » « كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم » « وهو الذى جعلكم خلائف الارض » « ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون » « وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا » . « هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره » « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » . « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض » . « امن يجيب المضطر اذ دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أ اله مع الله قليلا ما تذكروون » . انما الامر الجلل الذى قصدت التنبيه اليه والتذكير به فى هذه الكلمة هو نفى معانى الخلافة لجلال قدس البارى عز وجل فى قوله سبحانه « واذ قال ربك للملائكة أنى جاعل فى الارض خليفة » ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق .

وان الاستخلاف لآدم وداود اذا كان بمعنى الامامة والامارة فهو منة من الله وفضل على عباده الذين اصطفاهم لهذا الامر الجلل والمسئولية العظمى . ولا يجوز بحق الله جل سبحانه أى معنى من معانى الخلافة ،تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، يؤيدنا فى ذلك النقل والعقل وفطرة الله التى فطر الناس عليها ، حيث :

١ - اذا كان لكل سلف خلف ولكل خلف سلف فالله جل سبحانه وحده هو السلف الذى لاسلف له ولاقبل وهو الخلف الذى لا آخر له ولا بعد « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم » . « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » ومن الدعاء المأثور « اللهم انك انت الخليفة فى الاهل والمال والولد » .

٢ - ان المعانى الاخرى للخلافة كالوكيل والوريث لاتصح الا لغائب او ميت أو مشغول وهذه صفات نقص يتنزه عنها العلى القدير جل سبحانه وهو الموصوف بجميع صفات الكمال والمنزه عن جميع صفات النقصان .

ورايت ايضاح ذلك - رغم اعتقادى - انه لايمكن لمؤمن بالله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد منذ بدء الخليقة الى أن يرث الله هذه الارض ومن عليها ان يتطرق اليه مثل هذه المعانى قاصدا عامدا . حيث أنها تجر الى الاشراك والعياذ بالله .

واذا جاء ذكر الخلافة لآدم وداود بدون ايضاح تام لمعنى هذه الخلافة فى برامج « نور على نور » وغير ذلك من بعض الاقوال ، للمتقدمين والمتاخرين فى هذا الباب ارجو الا يتعدى ذلك المعنى الذى يقره الدين واللغة ، وهو الامامة والامارة خلف لمن سبقهم من الائمة والامراء المتقدمين .

اما الوكالة والوراثة التى يشملها معنى الخلافة ، فيجوز تداولها بين الخلائق ولكن الله وحده هو الوكيل الذى لا وكيل له وهو الوارث الذى لا وارث له وتشير بعض آيات التنزيل الى ذلك :

« فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » « وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل » . « انما انت نذير والله على كل شىء وكيل » . « فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » . « ولله مافى السموات ومافى الارض وكفى بالله وكيلا » . « وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا من دونى وكيلا » . « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب » . « ان الارض يرثها عبادى الصالحون » « اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم » . « ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده » . « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » . « ولله ميراث السموات والارض والله بما تعلمون خبير » « ومالكم لاتنفقون فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض » « وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون » « انا نحن نرث الارض ومن عليها ، والينا يرجعون » .

ولا خلاف فى ان داود عليه السلام كان مسبوقا بخلفاء استخلفهم الله على الارض قبله كما ورثه هو سليمان من بعده ، واذا كان هناك خلاف فى وجود بشر قبل آدم فلا خلاف فى أن الملائكة الكرام والجان كانوا موجودين قبل آدم عليه السلام .

على ان العقل والعلم لايقفان فى سبيل الميل الى القول باحتمال وجود اوادم قبل أبينا آدم عليه السلام حيث أن العلم يثبت ان لهذه الارض بضعة بلايين من السنين واحتمال الارض من الاحياء محدود بالنسبة لرقعتها المحدودة ومما لاشك فيه أن الخلق الموجودين حاليا هم اولاد نبى الله نوح بل كل الاحياء الموجودة على سطح هذه الارض هم سلالة من كان مع نوح فى السفينة أى بعد الطوفان الذى غمر الارض بالمياه .

واذا كانت احصاءات الامم المتحدة تثبت ان عدد سكان المعمورية من البشر فى مطلع سنة ١٩٦٣ هو ثلاث بلايين نسمة و٢ من عشرة وأنها تقدر عدد سكان الارض مقدما لسنة الالفين بما يزيد على ستة بلايين نسمة فبالرجوع الى الوراء يستطيع الحاسب معرفة تاريخ بدء سفينة نوح معرفة تقريبية ويقدر المحصون أن عدد السكان فى زمن بعثة النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - هو خمسمائة مليون نسمة كما يقدرون السكان فى زمن المسيح عليه السلام بثلاثمائة مليون نسمة .

على ان التوراة اشار الى ذلك التاريخ وانه لايزيد عن بضعة آلاف سنة ويؤيد ذلك الآثار الظاهرة على وجه الارض بعد الطوفان الذى غمر ظاهر الارض وازال معالمها وانها لاتزيد عما جاء فى التوراه ومعنى ذلك أن امتلاء الارض

بالسكان محدود على أن الآثار الموجودة فى باطن الارض يزيد تاريخها عما هو ظاهر على سطح الارض باحقاب كثيرة .

كما توجد آثار لمخلوقات فيها شبه كبير بالانسان وجدت فى أعماق الارض مما يثبت أن هناك أوادم متعددة قبل ابينا آدم كما أن الجماجم والعظام التى وجدت فى باطن الارض فيها شبه كبير بالقرود من حيث صغر الجبهة وكبر الفك الاسفل أى الحنك ولعل مثل هذا الامر هو الذى جعل دارون ينادى بنظرية كون اصل الانسان قرد ولكن دارون عجز عن الحلقة التى توصل هذا الانسان بالقرد . فلو قال دارون او غيره ان الحلقة المفقودة هى آدم عليه السلام اى أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على احسن تقويم من طينة خلق كان قبله ، واستخلف الله آدم على الارض بعد تلك الخلائق البائدة لما عورضت نظريته فيما أعتقد .

اما قول سنة التطور فهو قول باطل بدليل ان اقدم صورة او موميا بعد الطوفان لاتختلف عن الخلق الحالى بشىء اذا لم تكن أحسن صورة واجمل خلقا .

يؤيدنا فى ذلك غيرة الملائكة الكرام على ألله من ان يخلف خلقا خليفة لخلق كان يفسد فى الارض ويسفك الدماء ، والمولى جل سبحانه جدير بخلق يعرفه حق المعرفة ويقدسه حق التقديس كالملائكة الكرام ، فقال لهم جل سبحانه انى أعلم مالا تعلمون ، أى ان هذا الخلق الطينى فيه ناحية ليست موجودة فى الملائكة الكرام وهى التقدم العلمى والتطورالفكرى ، أى ان الملائكة اوجدهم الله بأمره بعلم لايزيد ولا ينقص ، « قالوا لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم » أما الانسان فولد وعاء علميا خاليا ، ولكنه يزداد علميا ويتقدم فكريا كلما جد واجتهد وامتدت تجاربه فى الحياة .

لذا نرى الله جل سبحانه عندما اراد أن يقيم الحجة على الملائكة الكرام ، وكيف أنه يعلم مالا يعلمون ، جمع جميع من فى الملأ الاعلى واعطاهم كامل الحرية بان يقولوا مايعتقدونه ويقررونه والقى على الجمع درسا فى الامتحان العلمى ففاز هذا المخلوق الطينى الضعيف ونجح فى الامتحان وذلك فى اختصام الملأ الاعلى فذكر المولى جل سبحانه ملائكته الكرام بقوله جل سبحانه « الم اقل لكم انى اعلم مالا تعلمون » ثم طلب من الملائكة الكرام السجود لآدم لتعترف الروح المؤمنة الطاهرة بفضل العلم المادى عليها وأن المخلوق الذى احتقر هذه الطينة ابعده الله عن ملاه وطرده من رحمته لانه قال : أأسجد لمن خلقت طينا .. « خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

فاهيب بالمؤمنين الطيبين ان لايشيدوا دائما بفضل الروح على الطين فيحاكوا بعملهم هذا عمل الشيطان المبعد المطرود والعياذ بالله حيث ان هذه الطينة منفوخ فيها من روح الله فتفاعلت الروح مع هذا الجهاز الطينى فكان انسانا متعادلا وجهازا قابلا لتيار الخير وهم الملائكة المقربون وتيار الشر وهم الشياطين المبعدون ، على ان للانسان نفسا وعقلا وارادة تكون الرجحان بين هذين الكفتين ان مالت لجهة الخير فازت وأن مالت لجهة الشر خسرت الا أن يتداركها الله برحمته وفضله .

فارجو الله أن يوفقنا لتقواه بتنزيهنا لجلال قدسه سبحانه عن خلف أو سلف فى الارض او فى السماء ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم .

من اعجاز القرآن

- ٩ -

على بن ربن

انتهيت فيما مضى من اعجاز القرآن البيانى الى ابن قتيبة فى كتابه « مشكل القرآن » ووقفت معه عند اعجاز القرآن بنظمه وطرقه فى الدلالة التى هى الالوان البيانية ، ثم التقيت بعالم آخر - وكثيرا من العلماء - لم نعرفهم الا بصفحات قليلة أبقت عليها الايام من ألون كتبوها ومن هؤلاء :

على بن ربن الطبرستانى المتوفى سنة ٢٤٧ :

يقتضينى البحث هنا ان اكشف من شخصية هذا العالم قبل مناقشة رأيه فى « اعجاز القرآن » لان ما وصل الينا من اخباره لا يكون فكرة كافية للحكم عليه حكما صحيحا ولكن يغلب على الظن أنه كان رجلا أعظم مما صوره لنا من عرضوا للترجمة له - وان كانوا قلة - .

كان ابن ربن فيلسوفا وطبيعيا وطبيبا ولكنه مع هذا كان على غير دين الاسلام تثقف واخذ عن حنين بن اسحق ، وكتب للمرزبان بن قارن ، هجر بلاده الى الرى بعد أن وقعت الفتنة فيها ثم خرج من الرى الى العراق حيث كانت قد سبقته شهرته اليها فاتصل بالخليفة المعتصم وعلى يديه أسلم واصبح من اشهر أطباء بيت الخلافة العباسى وأقربهم الى الخليفة .

الف فى الطب « فردوس الحكمة » وله فى الدين والسياسة كتاب « الدين والدولة » اثبت فيه « النبوة » أثبات العارف بالاديان ، وجود الكلام فى « الدين » و « أمية » الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتحدث كثيرا عن الصحابة وعرض لجميل سيرتهم ، ومما أثر من كلامه فى الطب : اجتنب ثلاثة وعليك باربعة ولا حاجة لك الى الطبيب : اجتنب الغبار والدخان والنتن ، وعليك بالدسم والحلوى والطيب مع الاقتصاد »

إعجاز القرآن البياني

تتمة

الدكتور حفني شرف

ومما أثر عنه فى صناعة الكلام : **التكلف يورث الخسارة وشر القول ما نقض بعضه بعضا .**

ومما أثر عنه فى اعجاز القرآن قوله فى كتابه : « الدين والدولة : ٤٤ » :

« حينما كنت مسيحيا كنت اقول كما يقول عم لى متعلم بليغ بان أسلوب القرآن ليس معجزا وليس من علامات النبوة لانه فى استطاعة الناس كلهم ، ولكن عندما حاولت تقليده ، واطلعت على مدلول كلماته علمت أن اتباع القرآن على حق فيما يدعونه له لانى لم أطلع على كتاب يأمر بالخير وينهى عن الشر ويقدم شريعة الله والعقيدة فى النبوة والهام الرغبة فى الجنة والبعد عن النار كالقرآن فعندما يحمل لنا شخص كتابا يحمل نفس الميزات ويوحى الينا بهذه الطلاوة وهذه الروعة فى القلوب ويحوز مثل هذا النجاح ويكون فى نفس الوقت أميا لم يتعلم أبدا فن الكتابة والبلاغة فهذا الكتاب يكون بلا شك من علامات النبوة » .

فابن ربن فى هذا النص يرجع اعجاز القرآن الى طلاوته واسلوبه مع هدفه الاصلاحى وتحقيقه هذا الهدف مع كون الرسول اميا ، وليست الامية نقصا فى حق رسول البشرية - صلى الله عليه وسلم - بل لله فى ذلك شأن حتى يكون أبعد عن الظنة والريب ، فان كان لا يعرف الكتابة فقد منحه الله مستلزماتها لان الكاتب انما يقرأ ويكتب ليتعلم البلاغة ويستفيد علما وفهما ، وقد منح الله النبى - صلى الله عليه وسلم - بلاغة وعلما وفهما .

الطبرى واعجاز القرآن البيانى :

تركت ابن ربن والتقيت بعالم آخر اشتغل بخدمة القرآن والحديث والفقة والتاريخ وهيأته الفطرة لذلك فكان مثالا باهرا بألمعيته وحريته ودهائه ومضائه ، تجسدت فيه الامانة العلمية - وهى الصفة الاولى للعالم - فوقع الاجماع على قبول كلامه او كاد كما كان عارفا كل المعرفة بسياسة العلم والف كثيرا ولقد كتب البقاء لمؤلفاته .

التقيت بهذا العالم - وهو : **محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ابو جعفر المعروف بابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ -** فى تفسيره الكبير الذى بين فيه أحكام القرآن وناسخه ومنسوخه ومشكله وغريبه ومعانيه واختلاف اهل التأويل والعلماء فى أحكامه والصحيح لديه فى ذلك واعراب حروفه والكلام على الملحدين فيه والقصص واخبار الامم ، وسماه « جامع البيان » .

يقول فى حديثه عن اعجاز القرآن وبلاغته فى ١ : ٦٥ من جامع البيان :

« ومن اشرف تلك المعانى التى فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب ، ووصفه الغريب ، وتأليفه البديع الذى عجزت - عن نظم مثل أصغر سورة - الخطباء ، وكلت عن وصف شكله البلغاء وتحيرت فى تأليفه الشعراء » .

من هذا النص نرى الطبرى قد خرج بالتفسير من التفسير اللغوى الى الايضاح والتأويل اذ جعل اعجازه قائما على تلاؤم الالفاظ وائتلافها مع تحدى الرسول للعرب أن يأتوا بمثله لانه بلغتهم ولفظه كلفظهم ثم ذكر الوجوه التى أدت الى التفاوت بين بلاغة القرآن التى عجزت العرب وبلاغتهم وما أتى منها فى اللسان العربى كالتقديم والتأخير والاستعارة والايجاز والاطناب .

كما نفهم من نص الطبرى أن التحدى لم يكن فى الاتيان بمثل ألفاظ القرآن ولا بمثل معانيه وانما التحدى كان بالاتيان بمثل أقصر سورة نظما وتأليفا .

الرمانى واعجاز القرآن ، والمتوفى سنة ٣٧٤ :

وفى نفس القرن التقيت بأبى الحسن على بن عيسى بن على بن عبد الله الرمانى النحوى المتكلم ، أحد الائمة المشهورين والجامعين بين علمى الكلام والعربية والمتوفى سنة ٣٧٤ ، التقيت به فى رسالة صغيرة وسمها « **بالنكت فى اعجاز القرآن** » وقد طبعت أخيرا ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن بتحقيق السيد الاستاذ **محمد خلف الله احمد** .

وقد جعل وجوه الاعجاز تظهر من سبع وجهات وهى : **ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة ، والصرفة ، والبلاغة ، والاخبار الصادقة عن الامور المستقبلة ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجزة .**

ويهمنا او يتصل ببحثنا من هذه الوجوه السبعة : البلاغة التى تحدث عنها الرومانى قائلا :

فأما البلاغة فهى على ثلاث طبقات :

« منها ما هو فى أعلى طبقة ، ومنها ماهو فى أدنى طبقة ، ومنها ما هو فى الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة .

فما كان فى أعلى طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن .

وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس ، وليست البلاغة افهام المعنى لانه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيى ، ولا البلاغة بتحقيق اللفظ على المعنى لانه قد يحقق اللفظ المعنى وهو غث مستكره ، ونافر متكلف .

وانما البلاغة ايصال المعنى الى القلب فى أحسن صورة من اللفظ ، فأعلاها طبقة فى الحسن بلاغة القرآن ، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن ، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كاعجاز الشعر للعجم فهذا معجز للعجم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة » أنظر ٦٩ – ٧٠ من ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ، وعبارتها « **كاعجاز الشعر المفحم فهذا معجز للمفحم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة** » ويغلب على ظنى أنه تحريف وتصحيف فى الاصل كان على المحققين »

ولم يقف أمر الرمانى عند بيان اعجاز القرآن البيانى بقوله : ان بلاغة القرآن فى أعلى طبقة بل أخذ يبين ذلك بتوضيح أساليب بادية المعنى وطرقه فى القرآن فتكلم عن الايجاز وعرفه بقوله :

هو تقليل الكلام من غير اخلال بالمعنى ، واذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بالفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بالفاظ قليلة فالالفاظ القليلة ايجاز :

وقسمه الى قسمين :

ايجاز خذف : وجعله باسقاط كلمة للاجزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام وأخذ يمثل له من القرآن الكريم بأمثلة كثيرة أكتفى منها بقوله تعالى : « **وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها** » كانه قيل : حصلوا على النعيم المقيم الذى لا يشوبه التنغيص والتكدير ، وانما صار الحذف فى مثل هذا أبلغ من الذكر لان النفس تذهب فيه كل مذهب ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذى تضمنه البيان . انظر ص ٧٠ ، ٧١ من ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن .

ايجاز قصر : وان كان هذا النوع أغمض من الحذف – وان كان الحذف غامضا – للحاجة الى العلم بالمواضع التى يصلح فيها من المواضع التى لا يصلح واستشهد على ذلك بقوله تعالى : « **ولكم فى القصاص حياة** » وقوله : « **يحسبون كل صيحة** » وقوله « **ولا يحيق المكر السىء الا باهله** » .

وان كان هذا النوع من الايجاز كثيرا . وقد استحسن الناس من الايجاز قولهم : **القتل أنفى للقتل** » وبينه وبين قوله تعالى « **ولكم فى القصاص حياة** » تفاوت فى البلاغة والايجاز ، وذلك يظهر من اربعة اوجه :

انه أكثر فى الفائدة ، وأوجز فى العبارة ، وابعد من الكلفة بتكرير الجملة وأحسن تاليفا بالحروف المتلائمة .

أما الكثرة فى الفائدة فيه ففيه كل ما فى قولهم : القتل انفى للقتل ، وزيادة معان حسنة منها ابانة العدل لذكره القصاص ، ومنها ابانة الغرض المرغوب فيه لذكراه الحياة ، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة الحكم الله به .

وأما الايجاز فى العبارة فان الذى هو نظير – القتل انفى للقتل – قوله : « والقصاص حياة » والاول أربعة عشر حرفا ، والثانى عشرة أحرف .

وأما بعده عن الكلفة بالتكرير الذى فيه على النفس مشقة ، فان فى قولهم : القتل انفى للقتل تكريرا غيره أبلغ ، ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصر فى باب البلاغة عن أعلى طبقة .

وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس ، وموجود فى اللفظ فان الخروج من الفاء الى اللام أعدل من الخروج من اللام الى الهمزة لبعد الهمزة من اللام .

وكذلك الخروج من الصاد الى الحاء أعدل من الخروج من الالف الى اللام ، فباجتماع هذه الامور التى ذكرناها صار لفظ القرآن أبلغ وأحسن ، وان كان الاول بليغا حسنا .

وبعد أن بين الايجاز وأنواعه ومراتبه وتأملنا ما جاء فى القرآن استطعنا أن نقف على فضيلته على سائر الكلام ، وهو علوه على غيره من سائر الكلام بل وعلوه على غيره من أنواع البيان .

ومما لا شك فيه ان الايجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان ، والايجاز تصفية الالفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن ، والايجاز البيان عن المعنى باقل ما يمكن من الالفاظ ، والايجاز اظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير .

ولم يقف امره فى بيان الاساليب القرآنية عند الانجاز بل تعداه الى أسلوب التشبيه وما تفرع منه الاستعارة وعرف التشبيه وقسمه وجعله من الاساليب التى يتفاضل فيها الشعراء وتظهر فيها بلاغة البلغاء لانه يكسب الكلام بيانا عجيبا لاخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة ، واخراج ما لم تجر به العادة الى ما جرت به ، واخراج ما لا يعلم بالبديهية الى ما يعلم بالبديهية ، واخراج ما لا قوة له فى الصفة الى ما له قوة فيها . وسوف أترك التمثيل للتشبيه المختلف النوع المتنوع المرمى الى الدراسة التطبيقية التى ستوافى القارىء بها بعد الدراسة النظرية لفكرة اعجاز القرآن البيانى (ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن) .

ولم ينس الرمانى فرع التشبيه وهو الاستعارة وعرفها وقسمها ص ٨٧ واستشهد لها ثم تكلم عن التلاؤم فى الحروف والالفاظ فى القرآن وجعل القرآن من المتلائم فى الطبقة العليا ومقياس التلاؤم والتنافر فطنة الناس ، وبعض الناس أشد احساسا بذلك وفطنة له من بعض كما أن بعضهم أشد احساسا بتمييز الموزون فى الشعر من المكسور واختلاف الناس فى ذلك من جهة الطباع كاختلافهم فى الصور والاخلاق .

وميزة هذا النوع البلاغى حسن الكلام فى السمع وسهولته فى اللفظ وتقبل النفس له كما يرد عليها من حسن الصورة وطريف الدلالة ، لان مخارج الحروف مختلفة فمنها ما هو من أقصى الحلق ، ومنها ما هو من ادنى الفم ومنها ما هو فى الوسائط بين ذلك .

كما لم ينس الرمانى تواصل الآيات لان الفواصل فى القرآن حسب نظره بلاغة أى بلاغة مع أن الاسجاع عيب ينافى البلاغة ، وذلك لان الفواصل تابعة للمعانى

وأما الاسجاع فالمعانى تابعة لها وهو قلب لما توجبه الحكمة الدلالة ، اذ كان الغرض والحكمة انما هو الابانة عن المعانى التى تمس اليها الحاجة ، فاذا كانت المشاكلة وصلة اليها فهو بلاغة ، واذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة لانها تكلف ، ومن يستعملها فهو كمن رصع تاجا ثم البسه زنجيا ، أو قلادة در ثم البسها كلبا ومنه قول بعض الكهان : « والارض والسماء ، والغراب الواقعة بنقعاء ، لقد نفر المجد الى العشراء » ومنه ما يحكى عن مسليمة الكذاب : يا ضفدع كم تنقين ، لا الماء تكدرين ولا النهر تفارقين .

فهذا أغث كلام يكون لتكلف المعانى من أجله وجعلها تابعة له . « ثلاث رسائل فى الاعجاز ص ٩٠ » .

وفواصل الكلام كلها بلاغة وحكمة لانها طريق الى افهام المعانى التى يحتاج فى أحسن صورة يدل بهـا عليها وجعلها على قسمين :

احدهما قائم على الحروف المتجانسة كقوله تعالى: « والطور وكتاب مسطور ، فى رق منشور » .

الثانى قائم على الحروف المتقاربة كقوله تعالى :

« ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب » .

وانما حسن فى الفواصل الحروف المتقاربة لانه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد فى تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة ، وأما القوافى فلا تحتمل ذلك لانها ليست فى الطبقة العليا من البلاغة وانما حسن الكلام فيها اقامة الوزن ومجانسة القوافى فلو بطل أحد الشيئين خرج من ذلك المنهاج ، وبطل ذلك الحسن الذى له فى الاسماع ونقصت رنينه فى الافهام ، والفائدة فى التواصل دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل وابداؤهـا فى الآى بالنظائر

ولننظر الان لما قاله الرمانى من أن الفواصـل بلاغة والسجع عيب ، ولكن لما كان ذلك مشكلة فانه يجب أن نقف على رأى علماء البلاغة الذين أتوا بعد الرمانى فيها وبذلك تكون قد أوضحنا ذلك بعض الايضـاح وفتحنا الباب لمن يريد الزيادة فى وضع الصواب فى هذه المسألة (فى الصناعتين : ١٢٦١) .

فأبوا هلال العسكرى خالف الرمانى فى عد السجع من العيوب مطلقا وقال : « وكذلك جميع ما فى القرآن مما يجرى على السجع والازدواج مخالف فى تمكين المعنى وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجرى مجراه من كلام الخالق ، ألا ترى قوله عـز اسمه : « والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا، فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا » قد بان عن جميـع أقسامهم الجارية هذا المجرى من مثل قول الكاهن : والسماء والارض ، والقرض والفرض ، والغمر والبرض، ومثل هذا من السجع مذموم لما فيـه من التكلف والتعسف ، ولهذا قال النبى - صلى الله عليه وسلم- لرجل قال له فى شأن الجنين : أندرى من لاشرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل اليس دمه قد بطل » : اسجعا مثل سجع الكهان ؟! لان التكلف فى سجعهم فاش ، ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجعا لقال : « أسجعا » ، ثم سكت ، وكيف يذمه ويكرهه واذا سلم من التكلف وبرىء من التعسف لم يكن فى جميع صنوف الكلام أحسن منه وقد جرى عليه كثير من كلامه عليه السلام »

ومن ذلك نرى ان السجع عند ابى هلال العسكرى ليس عيبا فى القرآن ما دام بعيدا عن القصد والتكلف وازالة المعنى فى سبيل ارتكاب سجعه .

وقد عقد الباقلانى فصلا فى كتابه « اعجاز القرآن ص ٥٩ طبع السلفية » نفى فيه السجع من القرآن وتلك نظرته فى البعد باعجاز القرآن من الصور البديعية فقال « ذهب أصحابنا كلهم الى نفى السجع من القـرآن وذكره أبو الحسن الاشعرى فى غـ يرموضـع من كتبه وذهب كثير ممن يخالفهم الى اثبات السجع فى القرآن، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام وانه من الاجناس التى يقع به التفاضل فى البيان والفصاحة كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التى تعرف بهـا الفصاحة ، وأقوى مايستدلون به عليه اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هرون عليهما السلام ولمكان السجع قيل فى موضع هرون وموسى ، ولما كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهـرون «...»

وهذا الذى يزعمونه غير صحيح ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ، ولو جاز أن يقال : هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا : شعر معجز ، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر «..» لان الكهانة تنافى النبوات » .

ولا شك أنه بذلك ينفى السجع من القرآن كما نفى الشعر ، وقد تخيل أن سائلا يسأله وما قولك فيمـا توافقت فيه الفواصل بحروف متشابهة او متقاربة فى القرآن ؟ فقال رادا على ذلك : « والذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم لانه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعا ، لان ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض لان السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع ، وليس كذلك ما اتفق مماهو فى تقدير السجع من القرآن لان اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى ، وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت افادة السجع كافادة غيره ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى ، وفى مكان آخر من كتابه ص ٦٣ قال: « ولا معنى لقولهم : ان ذلك مشتق من ترديد الحمامة صوتها على نسق واحد وردت غير مختلف ، لان ما جرى هذاالمجرى لا يبنى على الاشتقاق وحده ولو بنى عليه لكان الشعر سجعا ، لان رويه يتفق ولا يختلف وتتردد القوافى على طريقة واحدة ، وأما الامور التى يستريح اليها فانها تختلف فربما كان ذلك يسمى قافية وذلك انما يكون فى الشعر ، وربما كان ما ينفصل عنـده الكلامان يسمى مقاطع السجع ، وربما سمى ذلك فواصل ،وفواصل القرآن - مما هو مختص بها - لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولاتناسب .

وابن سنان الخفاجى لم يترك الرمانى ومسألة السجع فى القرآن من غير أن يتعقبه فيها فقال بعد أن ذكر رأيه فى كتابه « سر الفصاحة ١٦٥ - » فقال بعد ان ذكر رأى الرمانى والعلة التى من اجلها منع وجود السجع فى القرآن : « والذى يجب أن يحرر فى ذلك أن يقال ان الاسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفصول على ما ذكرنا، والفواصل على ضربين :

ضرب يكون سجعا وهو ما تماثلت حروفه فى المقاطع «

وضرب لا يكون سجعا وهـو ما تقابلت حروفه فى المقاطع ولم تتماثل ، ولا يخلو كل واحـد من هذين القسمين - أعنى التماثل والتقارب من أن يأتى طوعا سهلا وتابعا للمعانى ، وبالضـد من ذلك حتى يكون متكلفا ينبعه المعنى ، فان كان من القسم الاول فهـو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان ، وان كـان من الثانى فهو مذموم مرفوض .

فأما القرآن فلم يرد فيه الا ما هو من القسم الاول المحمود لعلوه فى الفصاحة ، ومثل للنوع الاول وهـو المتماثل بقوله تعالى : « والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل اذا يسر ، هل فى ذلك قسم لذى حجر » وقوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد »

ومثل للمتقارب بما مثل له به ابو هلال العسكرى « ولم يجعله من السجع لانه جعل السجع ما كانت حروفه متماثلة «

ولعل الذى دعا مفكرى السجع فى القرآن لرأيهم هذا هو تنزيهه اياه عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهـذا غرض فى التسمية قريب .

والحقيقة أنه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام فى كونه مسجوعا ... ولا فرق بين الفواصل التى تتماثل حروفها فى المقاطع وبين السجع .

وقال « ابن الاثير » فى المثل السائر جـ ١ : ١١٤ من السجع فى القرآن « وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ، ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به ، والا فلو كان مذموما لما ورد فى القرآن الكريم ، فانه قد أتى منه بالكثير حتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرها ، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور .

وذكر من طرق البيان فى القرآن التجانس وجعله على قسمين : مزداجة كقوله تعالى : « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه** » ومناسبة كقوله تعالى : « **يمحق الله الربا ويربى الصدقات** » مجونس بارباء الصدقة ربا الجاهلية والاصل واحد وهو الزيادة الا أنه جعل بدل تلك الزيادة المذمومة زيادة محمودة .

ولم ينس الرمانى من طرق تأدية المعنى فى القرآن : المبالغة (ثلاث وسائل فى الاعجاز ٩٦) اذ عرفها بقوله : « هى الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن اصل اللغة لتلك الابانة وتحدث عن وجوهها الست ممثلا لكل وجه منها من آيات القرآن (ولنا عود على شواهد المبالغة عند الدراسة التطبيقية) .

كما لم ينس البيان الذى هو الاحضار لما يظهر به تمييز الشىء من غيره فى الادراك وثلاث رسائل ص ٩٨ وجعله على أربعة أقسام : **كلام ، وحال ، واشارة ، وعلامة** ، وحسن البيان فى الكلام على مراتب : فاعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن فى العبادة ، من تعديل النظم حتى يحسن فى السمع ويسهل على اللسان ، وتتقبله النفس تقبل البرد ، وحتى يأتى على مقدار الحاجة فيما هـو حقه من المرتبة .... والقرآن كله فى نهاية حسن البيان فمن ذلك قـوله تعالى : « **كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم** » فهذا بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالامهال ، وقوله تعالى : « **وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** » فهذا أبلغ ما يكون من الحجاج وغير هذا كثير .

ثم تكلم بعد ذلك عن بقية الوجوه فى اعجاز القرآن وهى ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة الذى يترتب على سابقـه ، والصرفة وجعله أحد وجوه الاعجاز التى يظهر منها للعقـول ، والاخبار الصادقة عن الامور المستقبلة لانه لماكان لا يجوز أن تقع على سبيل الاتقان دل على أنها من عند عـلام الغيوب ، ونقض العادة ، لان العادة جرب بضروب من أنواع الكلام معروفة كالسجع والشعر والخطب والرسائل ولكن القرآن أتى بطريقة مفردة خارجة عن العادة لهـا منزلة فى الحسن تفوق كل طريقة ، وقياسه بكل معجزة لانه يظهر اعجازه من هذه الجهة ، ومما لاشك فيـه أن الرومانى آمن بكل ما ذكره من وجوه الاعجاز وجعله طريقا من طرقه ولكن أهمها عنده بل ما بنيت عليه هذه الوجوه كلها هو بلاغة القرآن .

« للبحث بقية »

حركة الدفاع

واجه الاسلام هجوما عنيفا مركزا ، لم يقف هـذا الهجوم عند حدود الاسلام نفسه ، بل امتد الى العرب والمسلمين والشرق من ناحية العقلية والجنس والتاريخ واللغة وأساليب الفكر ومناهج البحث .

ولم يتخذ هذا الهجوم المنهج العلمى بل سلك سبيل التعصب الخالص والهوى الخاص ، ولست أنسى فى هذا كلمة الباحث الغربى الذى يقول : ان الغربيين ربوا فى عاطفة التعصب ضد العرب والاسلام والشرق وأنهم رضعوا هذه العاطفة مع لبن الأم فهى ليست منحسرة عن أنفسهم ومشاعرهم مهما بلغ بهم الانصاف أو قدمت لهم الأسانيد الدامغة والحقائق الأكيدة .

وفى الوقت الذى يدعونا الغرب الى الأخذ بمنهجـه العلمى فى البحث القائم على نسيان العوامل الخاصة والاهواء الذاتية ، وافراغ النفس من كل ما سـوى الوثائق والاسانيد ومانؤدى اليه ، يذهب كتابه وباحثوه الى أبعد الحدود فى الاستسلام للهوى ، والانسياق وراء الرغبة الجامحة التى تصدر عن التنكر لكل ما هو ليس غربيا أو أوربيا ، مع مشارب عاصفة تملأ النفس بالسيطرة والسيادة ، وفلسفة الرجل الأبيض ، وسلطان الرجل المتحضر ، ومع أهواء الخامات الرخيصة والأسواق المفتوحة وضرورة تدمير كل المقومات التى يمكن أن تؤدى بالعرب والمسلمين الى النهضة واليقظة والمقـاومة والتحرر من نفوذ الغرب .

* * *

هذه هى العوامل التى تسيطر فى الواقع على نفـوس المتصدين للحملات المختلفة التى وجهت من كتاب الغرب الى المسلمين والعرب والشرق بوجه عام والتى تمثلت فى كتابات دوق داركو فى كتابه « المصريون » وهانوتو فى حملاته على الاسلام والمسلمين وفى عبارات كرومر التى طالما أدمجها تقاريره وأوردها فى كتابه عن مصر ، وحملات الكردينال لافيجرى على الرقيق فى الاسلام وحملات رينان بشأن العقلية العربية ، ومطاعن توربان وباسـكان وجينزاز وجابنيه ، وكازانوفا من كتاب الفرنسيين على الاسلام والعرب ، يضاف الى هذا حملات الاب لامنس اليسوعى فى كتابه « الاسلام عقائده ونظمه » ومفتريات المبشر زويمر فى كتابه « الاسـلام ماضيه وحاضره ومستقبله » ، وحملات « ليوتى » فى المغرب وهو صنو كرومر فى مصر ، وآراء لويس برتران فى كتابه « امـام

يقلم عن الإسلام

الأستاذ أنور الجندى

الاسلام » وصرخات تيودور موريس فى « مجلة القرن التاسع عشر » وكلمات دكتور راطسون مدير الجامعة الامريكية .

فاذا اضيف الى هذا حملات مرجليوث عن مستقبل الاسلام وتريتون فى كتابه « الاسلام عقيدته وعباداته » وحملات جريدةالتيمس ، ورورم لاندو فى كتابه « البحث عن الغد » ومستر سكوت ..

هذا الى عشرات الكتب التى توالى صدورها أمكن تصور جو المعركة المحمل بالظلم والحقد ، منذالسبعينات فى القرن الماضى وحتى اليوم وكلها مؤلفات تتسم بطابع التعصب والعجز عن فهم الحقائق أو التحامل والهوى .

اضف الى هذا دوائر المعارف وما تحويه من عبارات عن الاسلام والعرب وما أوردته دائرة المعارف الاسلامية التى يراس تحريرها مستشرق مبشر متعصب هو « فنسنك » الذى طرد من المجمع اللغوى المصرى عام ١٩٣٢ .

وما اوردته دائرة معارف أكسفورد مثلا عن العرب جاء على هذا النحو

Arab, native of Arabia, A horse homeless.

ومعناها عربى . أو عرب : هو الطفل المطرود ، الطفل المنبوذ الذى لا مأوى له .

اماعبارات مرجليوث ورينان ولامنس وزويمر فان طابع الحقد والتعصب فيها يجعلها ليست أهلا للعرض والنظر، ويجعلها بعيدة كل البعد عن الطابع العملى الذى يحمل صاحبه أمانة الكلمة بحيث يحتاج الى المراجعة والنقد.

ولقد واجه كتاب الاسلام والعرب هذه الحملات مواجهة قوية وكشفوا زيفها ونقضوها على أساس علمى صحيح ، ولم يكونوا متعصبين أو مندفعين بالهوى والحماس العنيف الذى يفسد الرأى ويضع بينه وبين الحقيقة حجابا كثيفا .

وقد حمل لواء الدفاع عن الاسلام فى هذه الفترة : محمد عبده وقاسم أمين ومصطفى الغلاييني وفريد وجدى واحمد شفيق باشا ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وشكيب أرسلان وعبد العزيز الثعالبى ومولاى محمد على وأبو الكلام ازاد وسليمان الندوى وطاهر الجزائرى وعلى يوسف واسماعيل عصبرنسكى والدكتور هيكل وعباس العقاد والدكتور الهراوى وأحمد زكى باشا ولطفى جمعة وعلال الفاسى وعبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمى وغيرهم كثيرون ..

وحملت لواء الدفاع عن الاسلام صحف متعددة كان أبرزها العروة الوثقى والمؤيد واللواء والمنار والفتح والزهراء والاسلام والازهر ومنبر الاسلام والعرفان والتمدن الاسلامى ، وتكونت فى ظل الدفاع عن الاسلام هيئات كثيرة كان أبرزها جماعة المنار والشبان المسلمين فى مصر والندوة فى شبه القارة الهندية وجماعات أخرى فى شمال أفريقيا تحمل لواء السلفية وفى أندونيسيا ووسط أفريقيا .

وقد ظلت الصحف الاسلامية الى الاربعينات تقريبا وهى لاتدع كتابا من كتب الغربيين يظهر فى أوربا الا وتنقل نصوصه وترد عليه وتبين زيف ما حمله من آراء منحرفة ، ولقد عاش مثلا شكيب ارسلان فى أوربا أكثر من ربع قرن (١٩٢٢ - ١٩٤٠) وهو يوالى الصحف فى العالم العربى بأبحاثه وكتاباته عن كل ما يصدر فى أوربا عن العالم الاسلامى ، ولطالما نقد فى جريدتى الفتح والمنار هذه المؤلفات وواجه كتابها ، بل انه نشر مجلة فى سويسرا باسم « الأمة العربية » انفق عليها ألوف الجنيهات من أجل كشف هذه الاباطيل وابلاغ الحقائق الى الغربيين فى ديارهم ، وبلغاتهم .

وكذلك فعل الدكتور على زكى على الطبيب المصرى الذى أقام فى سويسرا منذ الثلاثينات وكتب ألوف المقالات فى الصحف المصرية ، وأصدر كتابا ضخما باللغةالانجليزية عن الاسلام فى العالم طبعه فى لاهور وضمنه خلاصة دراساته واحصائياته عن أحوال المسلمين فى العالم كله .

أما هنا فى مصر فقد عاش المنار حياته الطويلة منذ صدر عام ١٨٩٨ حتى توقف بوفاة صاحبه عام ١٩٣٥ (٣٧ عاما) وهو يواصل حملته للدفاع عن الاسلام مستعرضا كل ما يرد فى صحف الغرب ومؤلفاته من آراء مصححا أخطاءها ، دالا على وجه الحق ، فى سماحة ودون تعصب .

وكذلك عاش محمد فريد وجدى حياته كلها من اجل الدفاع عن روحانية الأديان ضد مادية الغرب ، حتى لقد تخصص فى ذلك تخصصا كاملا والف عديداً من الكتب فى هذا المجال .

وكذلك فعل محب الدين الخطيب فى مجلته « الفتح والزهراء » التى اتخذت نفس الخط الذى بدأه جمال الدين ومحمد عبده فى « العروة الوثقى » وكانت مجالا خصبا لمقاومة خصوم الاسلام والعرب والرد على آرائهم وقد عاشت صحفه أكثر من ربع قرن ولاتزال مجموعاتها مرجعا هاما فى هذا المجال .

ويمكن القول بان أكثر من ألف مقال للامير شكيب ارسلان وعجاج نويهض وعشرات من كتاب المغرب العربى والمشرق العربى والهند واندونيسيا ومختلف أنحاء العالم الاسلامى قد ضمتها هذه المجموعات ، ومنها يكتب تاريخ الدفاع عن الاسلام فعلا .

فقد كانت فكرة الثلاثينات هى « عقدة المحز » كما يقولون بالنسبة لحملة الهجوم التى قامت على قاعدتين هامتين :

* ابحاث المستشرقين . واغلبهم يعملون فى مجال خدمة الاستعمار ، ويتبعون وزارات الخارجية والمستعمرات فى بلادهم .

* حملات التبشير ، وكانت تمر فى هذه الفترة بمرحلة مسعورة فى البحرين والقاهرة والهند واندونيسيا ومختلف أنحاء العالم العربى ، فاذا ذهبنا نؤرخ لمعركة « الدفاع عن الاسلام » ورد حملات خصومه ، فلا نستطيع أن نبدأ البحث قبل أن نذكر كتاب « الرد على الدهريين » للسيد جمال الدين الافغانى عام ١٨٦٩ تقريبا حيث حمل على الملايين وفند آراءهم ، ومهما تكن قيمة الكتاب من الوجهة العلمية فانه علامة على الطريق الذى سلكه من

بعده « الشيخ محمد عبده » في رده على (١) هانوتو (٢) فرح انطون فى كتابه « الاسلام والرد على منتقديه » و « الاسلام والنصرانية » وموقفهما من العلم والمدنية. وقد ظلت كتابات محمد عبده التى تناولت الاصول الشاملة للحرية والعلم أساسا لكل المباحث التى توالت من بعد من أجل الرد على كتابات الغربيين الذين هاجموا الاسلام والعرب والدين والعقلية العربية والجنس.

حاولت هذه الحملات فى مجموعها (١) اتهام الاسلام بانه مصدر التخلف (٢) مهاجمة المصريين واتهامهم بضعف الخلق القومى.

ومن نموذج صغير لكتابات واحد منهم هو « كيمون » يظهر معنى التعصب والبعد عن الاسلوب العلمى وتغليب عامل الاثارة والهوى، فهو يصف الاسلام مثلا بانه « جذام فشا بين الناس واخذ يفتك بهم فتكا ذريعا. بل هو مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولى، يبعث الانسان على الخمود والكسل، والمسلمون وحوش ضارية ومن الواجب ابادة خمسهم والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة. ووضع ضريح «محمد» فى متحف « اللوفر »

ومن هذه العبارات القليلة تبدو حقيقة الهدف والدافع، وأسلوب العرض البعيد كل البعد عن النقد البناء، أو الجدل الشريف، أن مناقشة المذاهب والاسس والنظريات. وفى عشرات من كتابات هؤلاء الغربيين تبدو هذه الصورة من صور التعصب.

* * *

ولعل من أبرز الأخطاء التى وقع فيها كتاب الغرب نتيجة لتعصبهم، هو محاولة فهم الاسلام بصورة المسلمين الذين كانوا يعيشون فى هذه المنطقة خلال فترة احتلالهم للعالم العربى والاسلامى، وهى فكرة خاطئة اشد الخطأ، فليس هناك من سبيل لاتخاذ « صورة المسلمين » فى هذه الفترة حجة على الاسلام أو محاولة لفهم الاسلام من خلال حياتهم وتصرفاتهم. ذلك أن المسلمين كانوا قد بعدوا طويلا عن « روح الاسلام ومقوماته » فى مختلف تصرفاتهم واعمالهم، وقد غلب عليهم الوهن وتحطمت قواهم المعنوية فى ظل الصراع القبلى والمذهبى، وتوقف كفاحهم من أجل حماية حدودهم، وتجديد جيوشهم، وغلب سلطان المستبدين من السلاطين والامراء، وتطرق الترف الى المجتمعات، وجرى العلماء الرسميون فى ركب ذوى الجاه، واغلق باب الاجتهاد، وعزلت الطبقة الشعبية، وأغلقت أبوابها خوفا من ظلم الولاة، وانصرفت عن الكفاح الى السلبية ممثلة فى الصوفية والزهد، وعلا صوت نزعات التواكل والضعف واختفت من المجتمع صورة الاسلام التى طبقها فى العصر الاول اختفاء تاما. تلك الصورة التى تتمثل فى محاورات الشعب مع عمر وأبى بكر « اذا احسنت فاعينونى واذا أخطأت فقومونى » أو فى عدالة القضاة فى مواجهة الحكام والولاة، أو فى صور عمر بن الخطاب بالليل أو مواقف عمر بن عبد العزيز، أو فتوح خالد وسعد أو استشهاد المسلمين فى المعارك، أو فى الايثار ممثلا فى المجاهدين والانصار بالمدينة، أو الحياة العلمية الحية فى عصرى الرشيد والمأمون، او جامعات قرطبة أو انكار الذات فى صورة صاحب النقب أو غير ذلك من الصور التى تعطى معالم الاسلام الحقيقية فى تجربته من المجتمع.

من أجل هذا فان التعلل بصورة المسلمين التى عرفها هؤلاء الكتاب على أنها هى الاسلام ليست من الحق فى شىء، ولا يقبلها باحث نزيه.

٢ ـ ولكن الحملة أيضا لم تقف عند حد هذه المغالطة بل ذهبت الى تحريف الصورة الاولى، صورة الاسلام فى نقائه وسماحته فجرت المحاولات للتشكيك فى كثير من المواقف والمواقع والاحداث المتصلة بالرسول والمسلمين وصور البطولات والتصرفات التى برز فيها السمو النفسى، وكان مصدر ذلك أمران: « أولهما » قياس هؤلاء الكتاب والباحثين الأمور بالعقلية الغربية المادية التى لا تعرف القضايا الامتصلة بالغاية والمصلحة والمنفعة ولا تفهمها أبدا مجردة خالصة لوجه الله أو الحق أو القيم الانسانية العليا « ثانيهما » انكار ماقد يكون مقبولا فعلا من هذه الصور تحت تأثير التعصب أو الغاية المقصودة من الكتابة نفسها.

* * *

ويمكن القول بان جميع الدراسات التى كتبت عن الاسلام والمسلمين والعرب كانت من مفكرين أو باحثين لهم صلة بالسياسة الأوربية أو الغربية فى مواجهة العالم الاسلامى، وكان ذلك مرتبطا عندهم بموقف الاستعمار ومن وجهة نظره، فضلا عن أن أمثال هانوتو ودوق داركور وغيرهم كانوا أعضاء فى المجالس النيابية فى بلادهم ويمثلون وجهات نظر أصحاب المصالح والمصانع وشركات الاستيراد والتصدير، ولذلك فان زياراتهم للشرق والعالم العربى كانت مشوبة بروح الاستعلاء، ولم تكن هذه الرحلات للبحث والدراسة والمراجعة الشاملة للامور، أو الاتصال بذوى الاختصاص من أجل استيضاح الامور، وانما كانت زيارات سريعة طارئة، ومن هنا كانت انطباعاتها ضحلة سطحية مشوبة بروح التعصب وهادفة فى نفس الوقت الى خدمة الامبرليالية الاستعمارية المتطلعة الى السلطة، وابانة عظمة الغرب وفضل الرجل الابيض، وتبرير الاستعمار والنفوذ الاجنبى وضرورة السيطرة على هذه الاقطار من أجل تمدينها وتحريرها من قيود الجهالة والظلام.

هكذا كانت دوافع أغلب هؤلاء الكتاب الذين كتبوا عن الاسلام والمسلمين منذ أوائل هذا القرن، والذين عنى محمد عبده وفريد وجدى وقاسم أمين وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب بالرد عليها وكشف دخائلها.

فقد كانت السيطرة على الامبراطورية العثمانية وتمزيقها وتوزيع أسلابها هو الهدف الاساسى لكل هذه الكتابات. فلما تحقق ذلك، وتمزق العالم الاسلامى بعد سقوط دولة الخلافة، تغيرت الاهداف ودخلتها غايات أخرى واختفى اسم الاسلام مؤقتا، لتحل معه كلمات أخرى كالعروبة واللغة العربية وغيرها.

وفى نفس الوقت تعددت الجهات التى تهاجم الاسلام. فلم تعد هى أوربا المسيحية صاحبة رسالة تمدين آسيا وافريقيا، وانما بدأ هنا خصوم آخرون فى مقدمتهم الصهيونية والشيوعية والنفوذ الامريكى، وقد كان عمل هذه الجهات جميعا يسير فى نطاق واحد وهدف واحد، أما النطاق فهو طريق المؤسسات والمنظمات الاستشراقية والتبشيرية ممثلة فى المدارس والارساليات والصحف والمؤلفات وأفلام السينما، وقد اعتمدت الدول المختلفة لهذه المؤسسات مبالغ ضخمة، وأولتها نفوذا كبيرا يحميها ويعينها ممثلا فى الحكومات التابعة والحكام العملاء.

* * *

ولم يقف الهجوم عند حد اتهام الاسلام بالضعف والقصور، والاساءة الى مؤسسه وقادته وتزييف تاريخه ووقائعه، وانما امتد الى انكار فضل العرب والمسلمين على الحضارة الغربية التى قامت فعلا على الأسس التى بدأها العرب والمثلون ممثلة فيما ترجموه من ثقافات اليونان والرومان، وما أضافوه فى جامعاتهم وعن طريق علمائهم من بحوث وكشوف فى مجال الفلسفة والفلك والجراحة والموسيقى والعلوم والآداب.

ولقد بلغ من ظلم الغرب وبعده عن الانصاف أن أنكر فضل هذا العمل الكبير الذى قامت عليه النهضة ، والذى ظل أكثر من ثلاثمائة سنة هو قاعدة البحث العلمى وأساسه الاصيل فى تطوير الحضارة وما بلغته من ثمار انما يرجع أساسا الى هذه الحصيلة العربية الاسلامية.

ولقد عمدت «الصهيونية» منذ بدأت نشأتها ١٨٩٧ الى عمل كبير فى مجال ثقافى واسع شمل كل موسوعات التاريخ والعلم والثقافة الغربية ، استهدف هذا العمل تزييف حقائق الفكر الاسلامى والحضارة العربية والثقافة التى ظهرت فى هذا الجزء من العالم ، ووضع عناصر التشكيك فى كل القيم والمقومات وفق أسلوب دقيق ملىء بالمكر والخداع ، يحمل فى مظهره طابع العلم والانصاف ولكنه ما يكاد يمضى بالباحث حتى يسلمه الى الشكوك والاكاذيب والمداخلات مع التجاهل لفضل العرب والمسلمين وغبنهم فى حقهم ، واثارة الاتهامات الى الحد الذى يصور الفكر الاسلامى على نحو مضطرب قلق ناقص، هذا بالاضافة الى استغلال النظريات الجديدة حول الجنس والاجناس وأصل الانواع وغيرها .

أما « الشيوعية » فهى تلتقى مع المذاهب الغربية فى النزعة المادية ، وتبرز مذهب التفسير المادى للتاريخ فتقضى على الجوانب الروحية والانسانية ، وتنظر اليها فى سخرية واحتقار .

ويجتمع الى هذه المذاهب والنزعات فى مقاومة الاسلام ومهاجمته ، مذاهب أخرى تتصل بالاديان الوضعية ، فالبوذية فى شرق آسيا تقاوم الاسلام أيضا وتحاربه بأسلحة لاتقل عن أسلحة الصهيونية والشيوعية والفكر الغربى المادى .

* * *

وقد يرى بعض هؤلاء الكتاب فى «الاسلام» رأيا لايتفق مع الحقيقة ، فهم قد يطبقون عليه ماطبقه الغرب على الكنيسة حين رأوها تقف أمامهم فى أوائل النهضة لتحول بينهم وبين آفاق العلم ، ومن هنا جاء فصل الدين عن الدولة هناك كوسيلة للتحرر من الجمود الذى كان يفرضه الكهنة .

وهم حين ينظرون الى العالم الاسلامى وامة العربية لا يلبثون أن يخلطوا بين الاسلام هنا والمسيحية هناك ، وذلك خطأ لا حد له فى العجز عن فهم الحقائق ، ذلك أن الاسلام يختلف كثيرا فى هذا المجال ويكشف عن طابع واضح فى الحرية والقدرة على مسايرة الحضارة وفتح الآفاق لها دون الاصطدام بها ، ولقد كان كذلك منذ بدأت النهضة العلمية فيه ، فقد واجه حركة الترجمة والكشف والعلم فى مجال الطب والفلك بمزيد من التقدير والرعاية ، ولم يصطدم يوما بهذه الاتجاهات ولم يقف أمامها ، ولذلك فان كل محاولة للمقارنة فى هذا المجال ، هى مقارنة باطلة لانها تقوم على غير اساس .

***

ولقد جرى اتهام الاسلام بالتعصب ازاء العلم والعلماء ، ولكن الذين حملوا لواء هذا الاتهام لم يقدموا دليلا واحدا من التاريخ على صدق ما يدعونه ، وفى هذا المجال كانت كتابات الشيخ محمد عبده الذى كشف عن موقف الاسلام ازاء المدنية والعلماء .

* * *

وقد استطاعت الاقلام العربية أن تصل الى مستوى هذه المعركة وان تواجهها فى قوة وان تكشف زيفها . وقد عملت من أجل ذلك فى ميدانين : فى ميدان الغرب نفسه فقد ألفت عشرات الكتب فى دحض هذه الاتهامات واستطاعت هذه الكتب أن تروج فى الغرب وان تجد من يقرأها وان تترجم معانى كثير من آيات القرآن الكريم ، ولعل اقوى قوة فى هذا المجال هى قوة كتابات المسلمين الهنود وفى مقدمتهم «الاحمدية» ، وبالرغم من اختلافهم مع المسلمين فى كثير من القضايا ، الا انهم قد استطاعوا أن ينقلوا الى الغرب صورة من الاسلام لا شك فى نصاعتها وفق الاسلوب العلمى الحديث وكتابات محمد اقبال فى مقدمة هذه الكتابات ، وهناك عديد من مؤلفات الكتاب العرب بالانجليزية والفرنسية ونذكر فى هذا المجال مؤلفات الدكتور غلوش والدكتور أحمد شلبى وقد ترجمت الى مختلف اللغات الشرقية والغربية .

* * *

اما الميدان الثانى فهو ميدان المسلمين انفسهم فى العالم الاسلامى وقد تحقق العمل فعلا فى هذا المجال بعشرات الابحاث وألوف المقالات وكان للصحافة الاسلامية دور كبير ولكتابات شبلى النعمانى والاعظمى والندوى فى الهند أثر كبير واضح ، بالاضافة الى كتابات المسلمين والعرب فى مصر والشام والمغرب .

ولا شك ان هناك تراثا ضخما فى هذا المجال ، يمكن أن يطلق عليه «أدب الدفاع عن الاسلام» يمكن تقويمه والنظر فيه وكتابة دراسات مطولة عنه ، ولم يكن هذا الأدب دينيا خالصا وانما كان فكرا اسلاميا متكاملا فيه دراسات عن قضايا الاسلام مع الاستعمار فى المجال السياسى ، وفيه مواجهات للفكر الغربى ولاتهاماته للاسلام وفيه أحاديث متعددة فى القرآن والسنة النبوية ، والفقه والتشريع الى جوار اللغة العربية والادب العربى والتاريخ العربى الاسلامى وبين ذلك جليا فى الصحافة الاسلامية كالمنار والفتح وفى كتابات رشيد رضا ومحب الدين الخطيب وشكيب أرسلان .

فلم ينفصل الفكر الاسلامى عن واقع الامة الاسلامية، وانما ظل يكافح فى الميادين الاربعة ؛

١ ـ ميدان العالم الاسلامى السياسى فى خصومته مع الاستعمار .

٢ ـ ميدان الفكر الاسلامى ومقوماته من فقه وتشريع ولغة وتاريخ .

٣ ـ ميدان التحديات والرد على خصوم الاسلام والعرب .

٤ ـ بعث الصورة الاصيلة للاسلام فى بساطته ونقائه وتجليتها والكشف عن الزيوف التى اتصلت بها وتخليصها من الانحرافات .

ويتسم هذا الفكر الاسلامى فى مجال الدفاع عن الاسلام بسمات واضحة أبرزها :

١ ـ الانصاف والتجرد الخالص من الهوى ، وفق الاسلوب العلمى العربى الذى كان أساسا مشيعا لما أسماه الغرب الاسلوب العلمى الحديث ولم يطبقه تطبيقا صحيحا فى مجال نظرته الى الاسلام والعرب ، وأفسده بتغليب الهوى والتعصب وعدم التحقق والبلوغ مرتبة اليقين بالاسانيد والادلة .

٢ ـ اتخذ الاسلوب العربى الدقيق القائم على المنطق والفلسفة ، البعيد عن العاطفة والصناعة اللفظية أو الكتابة الانشائية العاطفية أو الخطابية .

٣ ـ عدم التعرض لجوانب القصور أو الاتهام للفكر الغربى أو العقائد الغربية فى مجال الانتقاص ، أو التشكيك أو التعصب ، وانما قام بالمقارنة فى مجال الانصاف مستندا على النصوص الفعلية والوثائق الاكيدة .

وقد حققت هذه الحملة فى الرد على الاتهامات والتحديات اثرا واضحا فى العقل العربى والاسلامى المعاصرين ، بلغ حد « عدم الثقة » لهذه الابحاث واتهامها بالقصور والهوى .

ومن أجل هذا لابد من دراسة المنظمات الغربية التى حملت لواء الحملة على الاسلام والعرب على نحو أوسع ممثلة فى الاستشراق والتبشير .

الصديق خطيبا

عهد أبى بكر

الدكتور محمد كامل جمعة

قبل أن نتناول فن الخطابة عند أبى بكر الصديق يلزمنا أن نلقى نظرة عامة على تاريخ الرجل والأحداث التى عاشها وتفاعل معها وتاثربها وأثر فيها . ذلك ان عهد أبى بكر له ذاتيته الخاصة وتكوينه التام . وهو عهد ينطوى على عظمة نفسية تثير الدهشة والاعجاب . فقد تم فيه على قصره أعمال جليلة . وذلك ان شبه جزيرة العرب ببواديها الماحلة وصحاريها الجرداء بعثت أمة بعد عدم ، وانشأت دولة بعد فرقة ونزاع. والفضل فى البعث والوحدة راجع الى الدين الجديد دين الاسلام الذى خلق من أمة العرب دولة واجهت فارس والروم وحاربتهما وتغلبت عليهما . واستطاع العرب بعد ذلك انشاء الامبراطورية الاسلامية التى حملت عبء الحضارة فى العالم عشرة قرون متتابعة ، ونشرت الاسلام فى انحاء الامبراطوريتين المتداعيتين ، وفيما وراءهما من الصين شرقا الى اسبانيا غربا .

لقد تغلب العرب رغم قلة عددهم ، وضعف حضارتهم، وتأخر علومهم وقوتهم ، على هاتين الدولتين الراسختين علما وحضارة ، القويتين بعديدهما وأموالهما وعتادهما. وقدكان عهد أبى بكر الصديق فاتحة الفتوح الاسلامية الكبرى التى قضت على هاتين الامبراطوريتين ونشرت الدين الاسلامى فى أراضيهما ، وبثت فيها الحضارة الاسلامية الشابة بعلمها وأدبها وفنها وثقافتها لتحل محل الثقافة اليونانية بعلمها وأدبها وفنها وتفكيرها ، والحضارة الفارسية بقوتها وتنظيمها . ولا شك أن هذا الذى بدا فى عهد أبى بكر كان معجزة اكدت نفسها وفرضت استمرارها فى عهد خلفه عمر ومن بعده عثمان .

وكأن هذا الذى حدث من انتصار العرب تحت لواء الاسلام على دولتى فارس والروم سنة من سنن الكون وقضاء ما كان له أن يتخلف . فقد هرمت الامبراطوريتان وشاخت ودب الفساد الى كيانهما ، وأدى الترف والفجور الى انحلالهما . ولذلك استطاعت الدولة الاسلامية الفتية أن تقضى عليهما وترثهما وتفرض مكانهما سلطانها وحضارتها ودينها .

واستطاعت الدولة الاسلامية الشابة ان تحل محلهما، وأن توجه العالم وتكيف مصايره ، فقد حملت اليه رسالة يشوق الناس سماعها ، ويرون فيها منقذا من شرور قاسوها طويلا ورزحوا تحت أعبائها دهورا متعاقبة وهم تحت حكم الفرس والرومان . وكأنما كانت الأمة العربية على موعد مع القدر ليلقى عليها عبء النهوض بالحضارة بالبلاد المحيطة بشبه الجزيرة شرقا وغربا . واصطفى القدر من تلك الامة العربية نبعة أصيلة ورسولا كريما ليحمل عبء الدعوة للدين الجديد الى قومه خاصة والى الناس كافة . وانزل الله على نبيه الوحى بكتابه الكريم ، القرآن العظيم ، الذى يدعو الى سبيل الله بالحجة والبينة والحكمة والموعظة الحسنة .

وقد حوربت الدعوة الاسلامية منذ قيامها وفى عقر دارها ومهاجرها حربا متصلة زادها الجهل والمكابرة والانكار من المشركين الكفار ، والايمان والاصرار وحب الاستشهاد من جانب المؤمنين الأبرار ، حتى نصر الله محمدا عبده، وأعز جنده ، وهزم الكفار وحده . وكان فتح مكة انتصارا لهذه الدعوة الجديدة ببساطتها وصفائها وسموها بالكرامة الانسانية والعقل الانسانى ، وقضاء على الوثنية بجهالتها وانحطاطها بكرامة الانسان وعقله وتفكيره . ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، يطلبون تحقيق انسانيتهم ومثلها العليا باعتناقه ، ويوفرون حريتهم وكرامتهم وعقولهم بانتهاج صراطه المستقيم . فالاسلام دين التوحيد لله سبحانه ، لا يملك غيره لعباده نفعا ولا ضرا ، ولا ثوابا ولا عقابا . والله وحده يحاسب عباده على ما قدمت أيديهم فى الحياة الدنيا ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

فلما اتم محمد – صلى الله عليه وسلم – رسالته ، ونشر دعوته ، واعلى الله كلمته ، انتقـل الرسول الى الرفيق الأعلى . وبلبل ذلك نفوس المسلمين من صحابته الاقربين حتى أن بعضهم لم يصدق أن الرسول يموت كما يموت سائر الناس . ولكن ثبات الايمان أعاد برد اليقين الى نفوس المسلمين ، وانتهى الامر بعـد وفاة الرسول الى مبايعة ابى بكر الصديق خليفة للرسول على المؤمنين . واحس ابو بكر بجسامة المسئولية الملقاة على عاتقه . ولكن الرجل ارتفع الى مسـتوى المسئولية ، وأدرك بقوة ايمانه ورهافة حسه ، وصرامته فى الحق ، كيف يقيم الحق لذاته وينصره لذاته حتى لو اضطره ذلك الى النهوض بشخصه وحده لمناصرته .

فالصديق – رضوان اللهعليه – نهض لمحاربةالمرتدين، واصر على قتالهم حتى يعودوا الى حظيرة الحنيفيـة السمحة ويؤدوا ما عليهم لبيت المال حق أداء . وأبوبكر الصديق يعتبر الرجل الثانى فى ارساء دعائم الاسلام فى شبه جزيرة العرب ، وتوطيد أركان الدولة الاسلامية الناشئة داخل شبه الجزيرة ، وتامين ظهرها ضد الفتن الداخلية وتطلعات المرتدين والمتنبئين الذين لم يحاول زعماؤهم اعادة الوثنية ، وانما أرادوا استغلال التوحيد ومبادئه لنشر سلطانهم ورواج منافعهم العاجلة فى الحياة الدنيا ، وكسب غنم أو اجتناب غرم .

ولما أراد الله للاسلام أن ينتشر فى فارس والروم ، حدثت انطلاقة كبرى من داخل شبه الجزيرة الى خارجها عبر بادية الشام والعراق لاعلاء كلمة الله ونشر دينـه والظفر باحدى الحسنيين. وكان أبو بكر الصـديق الرأس المفكر ، والقائد المدبر الذى يبعث جيوشالغزو، ويوصى القواد الذين انتقاهم ، وينفث فى جنود الغزو من روحه روحا ، ومن ايمانه ايمانا ، ومن ثبـاته ثباتا . وهكذا اثبت الصـديق انه كان يملك من المواهب والقدرات ما جعل منه حاكما عادلا ، قويا فى الحق ، ثابتا على المبدأ ، صارما لا ينثنى ، ماضيا الى هدفه لا يحيد عنه او يهلك دونه ، محققا بذلك تاريخا حافلا بالمعجزات المذهلات . وكان ابا بكر زعيم قبيلة تيم والتاجر الناجح قبل الاسلام كان على موعد مع القدر الذى اختاره ليكون رجل الاسلام بعد محمد عليه الصلاة والسلام ، وليثبت الدعائم التى كان يقتلعها المرتدون وتعصف بها الاهواء الجامحة المتطلعة الى النفوذ والسلطان .

ولو لم يكن الصديق عنيفا صارما فى مجابهة حـروب الردة والقضاء على المرتدين لانحسرت أمواج الدعـوة الاسلامية عن شبه الجزيرة العربية ، ولكان للتاريخ وجه آخر مغاير تماما لما حدث من انتشار الاسلام فى عهـده وبعد عهده شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . فالصديق يعتبر المؤسس الثانى للدولة الاسلامية . وقد كان الصـديق مؤمنا قويا اتخذ بطش القوة سبيله الى دعم الحق ورفع لوائه ، والقضاء على أعدائه . وربما تساءل قوم : « اذا كان الاسلام دين الرحمة والتسامح والصفح والجنوح الى السلم ، فما بال أبى بكر يعمد الى السلاح والحرب والكفاح فى تثبيت دعائم الدعوة عندما هبت عليهـا عواصف الردة الهوجاء ؟ »

والجواب عن ذلك التساؤل أن الصديق لم يجاوز ما جاء فى القرآن الكريم حين يقول : « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ، ونفصل الآيات لقوم يعلمون . وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم ، فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون » (سورة التوبة ١١ ، ١٢) . فالصـديق قد صدع بأمر الله كما صدع به محمد – صلى الله عليه وسلم – من قبل . وقد كان أبو بكر رضى الله عنه أقرب الناس الى رسول الله ، وأعرفهم بانتهاج الصراط السوى الذى يوصل الى مرضاة الله ومحبته . ولذلك كان اقدام أبى بكر علىغزو العراق والشام ، بعد ان دان سكان شبه الجزيرة بالطاعة ، امرا طبيعيا ، وخطوة حيوية فى سبيل نشر الدعوة . وكان لزاما على الصـديق أن يستغل الطاقة الهائلة من الايمان والاذعان التى تفجرت بين المسلمين والمنيبين من المرتدين داخل شبه الجـزيرة ويوجهها الى الفتوح خارجها لينشر الاسلام ويحقق المبادىء السامية والمثل الانسانية الرفيعة التى ينشدها من الأمن والسلام ، وتحرير الفكر البشرى ، وتربيـة الضمير الانسانى الذى كان يعيش طفولته تحت ضغط الغرائز التى حرمته من بلوغ مرحلة النضج والاكتمال ، وجرت على العالم ويلات الحرب والدمار والوبال .

فالزحف الاسلامى على الامبراطوريتين الهرمتين انقذ الشعوب التى كانت تحكمانها من ربقة العبودية ، وظلمات الجهل ، وتعاسة الحيوانية ، وأسر الغرائز التى تحكمت فى مصـائرهم وتركتهم مكبلى الأرواح ، مغلقى العقـول ، لا يقـدرون من أمرهم على شيء . وانما عاشت تلك الشعوب المغلوبة على أمرها لتكون البقرة الحلوب التى تستدرها الدولتان الحاكمتان فارس والروم لمصلحة طائفة من الحكام والقواد والغزاة المترفين .

وقد كان مما جرت به المقادير أن تتحرر تلك الشعوب بفضل الدين الجديد ، ورجاله القادة الصناديد من أمثال خالد بن الوليد ، والمثنى بن حارثة ، وخالد بن سعيد وعمرو بن العاص . فبفضل الغزو الاسلامى وانسياح الجيوش الفاتحة فى دولتى فارس والروم ان فتحت تلك الشعوب المحكومة عيونها على حياة روحيـة وفكرية وانسانية لم يعهدوها. وقد أفادت تلك الشعوب المفتوحة أمنا وعدلا وحرية . وقد دخل منهم من دخل فى الـدين الجديد طواعية واختيارا ، لا قسرا واجبارا . وذلك أن الدين الجديد دين السماح والمساواة والتحـرر من الخوف والفقر والجهل . وفى نظر الاسلام ليست امة خيرا من أمة ، ولا جنس خيرا من جنس ، ولا لون خيرا من لون ، ولا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى .

وان الانصاف يقتضينا أن نقرر ان ما تم فى عهـد الصديق رضوان الله عليهكان جليلا خارقا للعادة . وان تلك الأعمال الجليلة استمدت قوتها من ايمان ابى بكر وتمسكه بالمبادىء التى ورثها عن رسول الله ، وتحليه بالصفات التى جعلت أعماله وتصرفاته امتدادا لعهـد الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد كان ابو بكر يقر ما اقر الرسول فى حياته ، ويستلهم صـنيعه فى كل تصرفاته ، ويسير على الهدى النبوى فى أعماله واقواله.

وان أبا بكر الصديق أرادت له المشيئة الربانية أن يكون خليفة رسول الله فى ولاية أمر المسلمين ، والأمانة على دعوته ، والمضى قدما فى تثبيت رسالته ، وارسـاء اللبنات الأولى فى بناء الامبراطورية الاسلامية .

ورجل كالصديق عاش تلك الحياة الحافلة كان من شانه أن يقف بين المسلمين يخطبهم ويتحدث اليهم ، أو يوصى قواد الغزو فى حروب الردة أو عند الفتـوح الاسلامية بما يصلح شأن جندهم ، ويوضح لهم المنهج الاسلامى فى معاملة الأعداء . كما كان للصديق موقف لا ينسى موقف السقيفة بعد ان انتقل رسول الله الى الرفيق الأعلى ، واجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليولوا منهم سعد بن عبادة أمر المسلمين بعد رسول الله . ففى كل تلك المواقف التاريخية الحرجة كان للصديق رضوان الله عليه ، مواقف حاسمة ، وخطب ناصعة ، وحجج دامغة ، وضعت الامور فى نصابها ، ورسمت ملامح تاريخ المسلمين فى فترة حرجة كان الصديق بطلهـا وواحدها . وتلك الخطب والوصايا موضوع مقالنا المقبل ان شاء الله تعالى .

القرآن والعلم الحديث

الأستاذ محمود ابو الفيض المنوفي

« ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا » .

والظل بمعنى الطيف ظهر او خفى فالكائنات بالنسبة لحقيقتها أو « الشيء فى ذاته » على رأى كانط الالمانى انما هى مجرد ظلال او أطياف تخفى حقيقتها وراء مظاهرها المرئية المحسة ووراء الاطياف طبعا توجد الحركة ثم السرعة ثم الاشعاعات وقدمنا أن الطيف الشمسى الابيض « نور النهار » يتكون من اطياف لالوان السبعة البنفسجى ثم النيلى ثم الازرق ثم الاخضر ثم الاصفر والبرتقالى والاحمر • وقلنا ان وراء تلك الاطياف الاشعاعات التى نشأت عنها تلك الأطياف فيما فوق البنفسجى وما تحت الاحمر وتلك اشعاعات لاترى وفى قوله تعالى « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى » فاذا انت نظرت الى مصباح من خلال منشور زجاجى او الى نور الشمس نفسها ينحل ذلك النور الى أطيافه السبعة المتقدمة وبالفعل فانك ترى حول المصباح حلقات ودوائر او دفعات من النور الطيفى منها الوان (قوس قزح) وذلك عبارة عن انحلال بعض أطياف النور الى ألوانها الأصلية وأما فى قوله تعالى « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » يعنى امتداد أطياف الأشياء التى تواجه الآلة الفوتوغرافية مثلا فترسم أشباح تلك الأطياف وهى غير مرئية لمجرد النظر على زجاجات التصوير أو الورق الحساس المعد لهذه الآلة ومعنى قبض الظل تكتله تدريجيا أى قبضا يسيرا او قبضه عن أن يظهر للعين المجردة سيان .

ومعلوم ان حواسنا التى ندرك بها العالم الخارجى المحس خمس حواس : البصر والسمع والشم والذوق واللمس وبها نبصر ونحس الاشياء وهى اطياف كما قدمنا او ظلال لما ورائها من حقائق • والآن نتكلم عن الكيفية التى ندرك بها وجود الاشياء •

١ - أما البصر وهو اعظم الحواس واشملها تاثرا • فانه يرى الاشياء بحسب اهتزازات النور فى البيئة المتوسطة بين الرائى والمرئى • وذلك يتم بان يحدث فى المحيط ذبذبات ضوئية متدافعة متأثره بذبذبات الاشياء نفسها بواسطة الاطياف الضوئية التى تنكسر وتنعكس على الاشياء كما قدمنا فتؤثر على شبكة العين ، ومن ثم على العصب البصرى الذى يحمل أطياف صورها وألوانها وأحجامها - ان خطأ أو صوابا - الى الذهن . وبعبارة اخرى الى الادراك الحسى الذى يكيف المرئى ويحول صورته المحسة الى ادراك ذهنى وعقلى ، فيدرك العقل حينئذ مفهوم الشىء المرئى .

وهنا يجب أن تعلم ان مرئيات الاشياء لاتدخل الى الذهن كذبذبات كما صدرت عن أشياء وانما تدخل اليه كمعان ادراكية مجردة • ويجب أن تعلم خلافا للمادية والماديين أن ليست افكارنا هى افرازات للمخ كما يزعم مسفسطو المذهب المادى وليس بخاف عليك الآن ان النور الشمسى الابيض الذى تبصر به الاشياء هو فى الحقيقة مركب من أطياف النور السبعة كما تقدم وهى تتحرك حركات سريعة فى موجات تختلف أطوالها ما بين(٦٥٨) جزء من مليون من المليمتر للاحمر ، و (٤٨٦) للبنفسجى وبعبارة أخرى يبلغ طولها نحو جزء من (٢٥٠٠٠) جزء من البوصة للاحمر ، ونحو ذلك للبنفسجى ولا يخفى ان فوق البنفسجى وتحت الأحمر اشعاعات عدة لا تتناولها حواسنا قط !

وللاشياء التى نبصرها الوان متكيفة طبعا بتلك الالوان المنعكسة عليها ، والمرتدة الى أعيننا (الوان الطيف الشمسى) بل قل ان العناصر التى تتركب منها تلك الاشياء لها اطياف ايضا لانحسها • وانما تحسها الالواح الحساسة الفوتوغرافية كما قدمنا .

والعين نفسها بعدستها اللامة للاشعة ، وعصبها البصرى لاتعطينا عن الشىء المرئى الا مجرد ذبذبات نورية تحدثها الالوان والصور •

٢ - الاصوات والسمع : اما الاصوات فهى ذبذبات او اهتزازات تؤثر على غشاء الاذن الوسطى بتموجاتها

الصوتية ، فيتاثر بها العصب السمعي ، الذى ينقلها الى المخ فيحولها الذهن الى مدلولاتها ويفهم ان كانت ناشئة عن صوت موسيقى محبب او عن صوت مزعج مكروه .

ثم اعلم ان متوسط اهتزازات الصوت المسموع لنا هو بين (٥١٧) اهتزازة فى الثانية وبين (١٠٣٤) اهتزازة تقريبا .

فاذا مابلغت الاهتزازات الى أكثر من ذلك لاتطيقها الاذن ، واذا قلت عن المتوسط فهى لاتسمعها ، واذا زادت فبلغت (٣٢٧٦٨) اهتزازة فى الثانية تعود الاذن لاتسمعها أيضا . لان الصوت يكون حينئذ قد تحول الى كهرباء واشعاعات نورية او حرارية وذلك بحسب سرعة تلك الاشعاعات وزيادة أو نقص اهتزازاتها وطول أو قصر موجاتها .

واطول الموجات ماهو تحت الاحمر من الطيف الشمسى ، واقصرها هو مافوق البنفسجي . وهاقد رايت ان الصوت ايضا يتحول الى ضوء وبعبارة اخرى الى نور غير مرئى

٣ ـ اما الروائح المتعلقة بالشم فهى جزئيات او هباءات من مادة الشيء المشموم تنطلق متطايرة الى الفضاء الخارجي حتى تصل الى فتحتى الانف فتتصل بنتوءات عصبية فى غشائه المخاطى فتتاثر بها وتحمل ذلك الى الاحساس أى الى المخ وبذلك تتم عملية الشم ، اما المشموم فانه لا يزال يتطاير شيئا فشيئا ويتحلل تحللا بطيئا حتى يتلاشى .

٤ ـ وأما حاسة الذوق : فانهاخاصة باللسان كما قدمنا وتحصل بتفاعل جزئيات الشيء المذاق التى تنتشر على اللسان مع الغدد اللعابية فيتاثر بها العصب الذوقى ، ومن ثم ينتقل التاثر الى المخ فيتبين قيمة وطعم الشيء المذاق .

٥ ـ واما حسة للمس . فهى منتشرة فى سائر اجزاء الجسم بواسطة فريعات الاعصاب التى يتكون عنها احساسنا بالشيء الذى نلمسه ثم يتحول ذلك الاحساس بواسطة العصب أيضا الى المخ الذى يدرك نوع الشيء الملموس . والعامل المميز لما تاتينا به الحواس عن العالم الخارجي هو الادراك الحسى الماثل فى اذهاننا ومن هذا تعلم أن أحاسيس الحواس جميعا وأعنى وظيفة الاحساس يقوم بها مجموعنا العصبى الذى يتاثر باحاسيس الاشياء وذبذباتها فيحملها الى المخ . ومن ثم الى الادراك العقلى وهناك الذهن فيقوم بتحويلها الى مدركات عقلية بواسطة الحس المشترك .

والمجموع العصبى هو المخ والمخيخ والنخاع الشوكى او المستطيل والعصب السبتاوى ثم بقية فروع الاعصاب الدقيقة .

والاعصاب تبرز من اسفل الدماغ اى من النخاع الشوكى وتنتشر فى جميع أجزاء الجسم ومن وظائفها ماهو للحركة وماهو للحس وماهو للحس والحركة معا . ولولا ذلك كله ما ظهرت لنا الأشياء ولا تعقلنا شيئا عن وجودها ووجود خصائصها مع وجود ادراكنا الحسى وادراكنا العقلى أيضا .

ومعلوم ان كل كائن معنوى لاينقسم ولا يتحيز ولا يتعدد وان اختلفت صور مفاهيمه وكل محس متعدد بالضرورة ومختلف فى نوع الصور والكيفيات ولكنه مع ذلك يتوحد فى اصله من النور المطلق طبيعيا كان أو عقليا أو بحكم التكامل والتضايف يتحد نور العقل مع نور الحس من طريق الادراك .

وكذلك النورالطبيعى او النواوى متوحدفى أصله وهو الذى تبدو به الاشياء وكذلك نراها أيضا به وهنا يتلاقى عرفاننا العقلى الادراكى وعرفاننا الحسى والمادى الاتى عن اطياف الاشياء المحسة ويلتقيان أيضا فى ادراك الحقيقة المطلقة .

وها انت ترى اخيرا ان الاشياء تكونت عن النور واننا نراها وندركها بالنور وحتى العقل لايمكن فى حالة ادراكه للمعقولات والمحسات أن نصفه الا بالنور فنور الرؤيا (١) ونور الشيء (٢) ونور العقل (٣) كلها أنوار يتصل بعضها ببعض ويتلاحق بعضها بالبعض الاخر ولا معنى لهذا كله الا تصديقا بلسان العلم الى قوله تعالى فى كتابه العزيز « نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم » ولكن مهلا فكل هذا مصدقا لقوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » أو فقل ان النور الذى كون الكائنات والنور الذى يدركها والنور الذى يظهرها والنور الذى يضع لها القوانين والنظم والنور الذى يدير طرائقها ويحدد غاياتها كلها دلالات قاطعة على صدق قول الله عز وجل « الله نور السموات والارض » فهو منورهما بنور الخلق والابداع أولا ونور التنظيم والتكييف ثانيا ونور ادراكها ثالثا ثم النور التى تعرف به الحقيقة ـ الحقيقة الالهية ـ هو الغاية القصوى لسائر الكائنات وللانسان وصدق الله العظيم فى كل ماجاء فى كتابه العزيز . الذى جمع بين دفتيه أصول الكائنات وحقائقها يفسر مع تتطور الدين وتطور العقول .

الشعر العربى

فى مهرجان الأعياد

الدكتور عبد الرحمن عثمان

الامم على اختلاف أجناسها وعقائدها تحتفل باعيادها الدينية والقومية احتفالا يصدر عن وحى صادق من عقائدها المتأصلة فى وجدانها وعواطفها الروحية ، وينبعث عن اعتزاز قوى بالامانى التى تتصل بكيانها القومى فى نطاق التحرر من السيادة الاجنبية ، وتوفير السعادة للمواطنين على السواء .

وتعتبر هذه المواسم تذكيرا لكل أمة بما تعتز به من أمجاد معنوية أو مادية ترى انها ارتبطت بماضيها ، واندمجت فى حاضرها على نحو وثيق لا تهن عراه ، ولا تضعف قوته .

ففى مجال القومية ، يذكر بها الشعب ما بذل من جهد فى سبيل تاكيد شخصيته الاجتماعية ، ويستعرض فيها كفاحه المرير من أجل الحرية ونيل الامانى الوطنية فيكون ذلك حافزا له على المضى فى طريق النضال المقدس ليحمى مكاسبه أو يضيف اليها كل يوم جديدا لا تبلى جدته على الايام .

والعيد فى منطق العقيدة يقترن بحدث دينى له جلاله وقداسته ، أو يجىء رديفا للفراغ من اداء شعيرة فرضها الدين ، قامت النفس الانسانية بادائها فى كثير من الرضا والاحتمال ، على ما بهذه الفريضة من مشقة تحتاج الى صبر واذعان .

فعيد الفطر ـ بعد صيام شهر كامل ـ تقاوم فيه النفس المؤمنة نزعاتها التى كانت منطلقة طوال احد عشر شهرا من العام .. وذلك ضرب من المجاهدة لا لا يطيقه الا المؤمنون الاقوياء .

وعيد الاضحى اثر فريضة الحج ، والمشقة فيها لا تحتاج الى بيان .

واذا كنا فى مقالنا هذا نقصد الحديث عن الشعر العربى فى الاعياد الدينية ، فهل مفهوم العيد فى الاسلام يقف عندما أشرنا اليه فحسب ، أم ان الاسلام بتقاليده الموروثة عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخيار صحابته قد حدد للعيد مفهوما عرفه خيرة المسلمين فى مختلف العصور ، وفطن اليه الشعر العربى بسبب ما أودع فى النفس الشاعرة من حساسية وصفاء ، وقدرة على التغلغل فى جوهر الاشياء ، وتصويرها على النحو الذى ينبغى أن تصير اليه فى كمالها واعتدالها .

وعيدا الفطر والاضحى وقتا اثر عبادتين هامتين ، هما : الصوم والحج .. فشعيرة الصوم تحقق المساواة الكاملة بين الناس جميعا ، وتنظمهم فى شعور واحد هو حرمان النفس ومجاهدتها فيما تنزع اليه من شهوتى البطن والفرج ، والاسلام قصد بهذا أن يشترك المسلمون فى حرمان موقوت ، لا فرق فيه بين الغنى والفقير ، حتى يتساوى الجميع فى معنى واحد ، يشعر الغنى معه أن ماله وحده لا يحقق له ميزة على الفقير الذى حرم من المال ، فهما سواء فى نهار رمضان .

فاما فريضة الحج التى يتبعها عيد الاضحى ، فهى خاصة بالاغنياء القادرين ، وكأنها اشارة من الله سبحانه وتعالى لاولى الثراء أن ينزلوا مجبرين عن بعض ثروتهم بانفاقها فى وجه ينتفع به الفقراء ، وهى بعد هذا بمثابة الفرصة المتاحة للقادرين من الامة الاسلامية لتبادل الرأى فيما ينبغى الاخذ به بصدد أحوال المسلمين عامة ، واصلاح شئون الفقراء منهم والعاجزين بما يجعلهم أهلا للدفاع عن العقيدة بنوع خاص ، فالمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، ومثل هذا الاصلاح لا يتم الا بالعمل على التقارب بين الطبقات واحلال الايثار محل الاثرة ، وتوفير العمل الشريف لكل مسلم قادر .

وفى عيد المساواة الكاملة وهو عيد الفطر كما بينا ، أقر الاسلام زكاة الفطر على كل صائم يقدر عليها ، ليشعر الفقير أن التشريع لم يغفل أمره وجعل قبول الصوم معلقا باخراجها للفقير ، يرفعها عن معنى الصدقة الاختيارية ، فالاسلام فى حقيقته لا يؤمن بنظام « التكايا » ، بل انه اعتمد على ضمير الغنى المسلم ، وحركه فى كثير من آيات القرآن الى عمل الخير ، وانفاق المال فى الوجه المثمر من وجوه البر ، وليس أمرا سهلا أن يفترض « الغنى الحميد » من أهل الثراء للفقراء اخوانهم : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » ، ولم يشأ التشريع أن يأخذ النفوس الخيرة فى هذا الصدد بالجبر والقوة ، لانه اكتفى بتربية الضمير الحى فى المؤمنين ، ثم وكل الاحسان والعطف على الفقير لهذا الضمير الذى مات عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقيرا مدينا ، ونزل بسببه ، عبد الرحمن بن عوف ، وأبو بكر ، وعثمان عن ثرواتهم كلها أو جلها لاقامة مجتمع اسلامى متكامل ، أما حين يتبلد الضمير الاسلامى فى الاغنياء فيؤثرون اذلال اخوانهم الفقراء بما رزقهم الله من ثروة ، فان الفهم الصحيح للنصوص القرآنية ، والرجوع الى روح التشريع الاسلامى يبيحان اعادة توزيع الثروة على المسلمين توزيعا عادلا ، بحيث يرتفع معه الطغيان والجبروت من جانب المستعلين بثرواتهم ، ويتقرر به تخليص الفقراء من ربقة الحاجة والمذلة .

ولا أظننى قد خرجت عما عنونت له بالحديث السريع عن الايحات الانسانية التى توحى بها الاعياد فى الاسلام ،

لانني قررت أن الشعر العربي قد استشف هذا الروح الراحم في مهرجان العيد ، ولم يصرفه البشر المصنوع عن التغلغل في أطواء النفوس المحرومة من الفقر ، فاراد أن يلتمس لها علاجا ، وأن يعطف اليها الانظار ،وسنمضي مع بعض الشعراء فيما اخترنا لهم من نماذج ، لنكشف بها صدق النظرة الشعرية في مفهوم العيد وكنهه .

وحتى لا يضطرب القارىء في تطبيق ما قدمت من الانطباعات الشعرية على ما أسوق اليه من أبيات ، يحسن أن أشير له الى أنني قد انتخبت مذهبين شعريين أحسست انهما يمثلان مجتمعين بينهما اختلاف كبير والشعر كما نعلم يمثل مجتمعه حين يجيء صادقا ، وكل مذهب من هذين يشهد بصحة تمثيل الشعر لبيئته ، وجريانه على أسلوبها في الاحساس والتفكير .

وقد وقع اختياري على شعراء عاش بعضهم فيالقرن الرابع الهجري ، وشهد مطلع القرن الخامس ، وهؤلاء الشعراء هم : البحتري ، وتميم الفاطمي ، وابن دراج القسطلي ، وقد اختلطت نظرتهم الى العيد بالواقع الاجتماعي الذي عاشوا فيه ، اذ الدولة الاسلامية كانت - على ما تحمل من عوامل ضعف - لا تزالمتمسكة باظهار الطابع الديني الذي تراه يظهر في ذهابالخليفة الى المسجد ليؤم المسلمين ويخطبهم بين جنوده الاشداء، ابرازا للقوة لمن تحدثه نفسه بالخروج على الحاكم المسلم ، ومن ثم اقتصرت ملاحظة الشعر في هذه الفترة على أن تجعل من هذا المظهر المهيب عزةللاسلام ومجدا يغتبط به المسلمون في يوم العيد ، واذا كان البحتري وزميلاه لم يتحدثوا عن وجوب اقامة ميزان العدل في الرعية بالحدب على الفقراء والمستضعفين ، فليس معنى ذلك أنه لم تكن هناك طبقات متباينة ،لاننا نعلم فساد الحكم العباسي والاندلسي من هذا الجانب، وانما التفسير الذي يقال في اختفاء النقد الشعري لتلك الظاهرة التي تنفر منها النفس الشاعرة بطبعها هو أن هؤلاء الشعراء قد انفصلوا عن حياة الجمهور المكدود ، والتحقوا بحياة القصور المترفة ، فانستهم مرارة الفقر والحاجة ، وبهذا نسوا أن يتحدثوا عن الرحمة والنصفة بمن كانوا اخوانا لهم في العوز وسوء الحال ، ومهما قيل في شعر هذه الفترة ، فانه يمثل خطرة لها وزنها من خطرات الاعياد والمواسم .

كما اخترت شاعرين عاشا في عصرنا الحاضر ، على نحو لا يكاد يلتقي فيه طرف بطرف ، لان كلا منهما يمثل طبقة منفصلة عن الاخرى انفصالا فرضته ظروف اجتماعية قاسية عشنا فيها صدرا من حياتنا ، وما ظنك بالحاكمين المتسلطين الذين احتضنوا أمير الشعراء أحمد شوقي فكان لسانا لهم في كثير من الاحوال ، وما ظنك كذلك بالسابلة والدهماء في أزقة حي « الدراسة والباطنية » ممن صاغ من بأسائهم وفاقتهم الشاعر عبد الحميد الديب تاجا لفنه الشعري فأصبح بينهم ملك العوز ، وامام البائسين غير مدافع ، ومن هذا المجتمع الواحد الذي يبدو متباعدا في العصور والدهور ، انتخبت نظرة الشعر المعاصر الى المعنى النبيل الذي يحمله العيد في اشراقه وقدومه .

- ١ -

ولنعد الى البحتري وصاحبيه ، لنرى كيف كانت نظراتهم الى الأعياد ؟

قال البحتري يمدح المتوكل على الله ، ويذكر خروجه يوم الفطر :

فاسلم أمير المؤمنين ، ولا تزل
تعطى الزيادة في البقاء وتشكر

عمت فواضلك البرية فالتقى
فيها المقل على الغنى والمكثر !

بالبر صمت ، وأنت افضل صائم
وبسنة الله الرضية تفطر

فانعم بيوم الفطر عينا ، انه
يوم اغر من الزمان مشهر

اظهرت عز الملك فيه بجحفل
لجب يحاط الدين فيه وينصر

خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت
عددا يسير بها العديد الاكثر

فالخيل تصهل ، والفوارس تدعي
والبيض تلمع ، والاسنة تزهر

والارض خاشعة تميد بثقلها
والجو معتكر الجوانب اغبر

ثم يمضي في مدح الخليفة حتى يصل الى قوله :

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا
لما طلعت من الصفوف ، وكبروا

حتى انتهيت الى المصلى لابسا
نور الهدي ، يبدو عليك ويظهر

ومشيت مشية خاشع متواضع
لله ، لا يزهى ، ولا يتكبر

فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما
في وسعه لسعى اليك المنبر

***

والشاعر تميم بن المعز لدين الله يهنىء الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بعيد الفطر ، بقصيدة منها :

فلما بلغت المنبر الطاهر الذى
له بك فضل لا ينال ، كبير

تواضعت للرحمن لما علوته
خطيبا ، وكل اللحظ عنك حسير

وابديت ما ابدى النبي من الهدى
كذا الفرع للاصل الزكي نظير

فاسهبت في حمد الاله بخطبة
تفجر منها للصواب بحور

وبشرت ترغيبا ، وانذرت خشية
بايجاز قول : ما حواه نذير

وكثير غير هذه هنا بها الخليفة الفاطمي بالعيدين ، وكلها تدور حول مدح الخليفة ، ووصف موكبه ، والثناء على خطبه ، ولان المضمون متحد وان اختلفت العبارة لا نرى فائدة من ذكرها .

***

وابن دراج الذي يقول عنه الثعالبي في «يتيمة الدهر» كان لصقع الاندلس كالمتنبي في صقع الشام ، حين يمدح المظفر بن يحيى بن المنصور في تهنئة بالعيد ، يقول مشيرا الى فتوحاته في اسبانيا :

وكم ساجد لله منا ؛ وراكع
يبيت على شفع ، ويغدو على وتر

ولاح لنا فيه هلال ، كأنه
بشير بفتح منك اشرق بالبشر

واسفر عن زهر النجوم ، كأنما
جبينك أبدى عن خلائقك الزهر

وحين يصفه فى موكبه المهيب يقول :

هلال مساء بات يضمن للضحى
غداة المصلى ، مطلع الشمس ، والبدر

وملء عيون الناظرين كتائبا
كتبت بها الآفاق سطرا الى سطر

مخططة بالخيل ، والاسد ، والحلى
ومعجمة بالبيض ، والبيض ، والسمر

وصادقة الاقدام تهتز للوغى
وخافقة الاعلام تعتز بالنصر

فصليت ، وهى النور ، فى مشرق العلا
واصليت ، وهى النار ، فى مغرب الكفر

- ٢ -

ومع اتصال أمير الشعراء فى عصرنا بالقصر ، ومع حياته المترفة التى يعرفها كثير من الاحياء ، فانه كان صادق الشعور بآلام الفقراء ، ومظهرا للاسف العميق على ما يرى من تخاذل مواطنيه ، وشقاقهم أمام الامانى الوطنية ارضاء لشهوة حزبية ، أو جريا وراء الحكم فى ظل المستعمر .

وقد استلهم شوقى معانيه تلك من عيد الفطر ، وكأنه يرى فى العيد معانى سامية ، ينبغى أن تجمع المواطن الى اخيه فى المحنة والاستعباد ، وأن تهيىء للفقراء البائسين عيشا كريما فى ظلال الوفاق والتعاون ، يقول شوقى فى استقبال عيد الفطر :

وطنى ، اسفت عليك فى عيد الملا
وبكيت من وجد ومن اشفاق

لا عيد لى حتى اراك بامة
شماء ، راوية من الاخلاق

ذهب الكرام الجامعون لامرهم
وبقيت من خلف بغير خلاق

أيظل بعضهم لبعض خاذلا ؟؟
ويقال شعب فى الحضارة راقى !!

واذا اراد الله اشقاء القرى
جعل الهداة بها دعاة شقاق

انى اجلّ عن القتال سرائرى
الا قتال : البؤس والاملاق

وارى سموم العالمين كثيرة
وارى التعاون انجع الترياق

وشوقى فيما قرأنا له جدير بان تمثل أبياته الانعكاس الصادق لحال مجتمعه الذى عاش فيه ، وذلك من وحى العيد ، وهو وحى فياض بالعطف على مجد الوطن ، وعلى المملقين من الفلاحين والعمال .

***

فاما امام البائسين عبد الحميد الديب ، فقد كان ثائرا على العيدين والناس اجمعين ، وهو بهذا يعتبر - بحق - الشاعر الثائر الجائع المحنق ، ويعتبر شعره كذلك ادق صورة يستقبل بها مسلم افضل أيام حياته ، وأحبها الى نفسه .

ان صرخات عبد الحميد الديب تجمعت فى قوتها صرخات الشعب كله حينذاك ، فالطبقة العليا تمكنت بوسائلها المريبة من الاطباق على رقاب الفقراء بكلتا يديها ، يظاهرها المال ، والتأييد الاجنبى ، والاحتكار السياسى والاقتصادى ، ولم أجد من الشعراء من صاح صيحة الديب ، ولكنه الجوع ، وخيبة الرجاء ، واستنفاد الحيلة ، كل ذلك جعل منه خير معبر عن امانيه وأمانى اقرانه فى ليالى العيد .

يقول : وقد تخيل طارقا يطرق باب حجرته العارية من الاثاث :

من زائرى بالعيد ؟ من بالباب ؟
وهم ، فقدت به رشيد صوابى

من ذا يطالع شحنة مغبرة
فكأنها لعنت بكل كتاب

يا حجرتى ما عشت أحبوك الرضا
فلقد حجبت عن الورى اوصابى

فعلى ثراك عفرت جسمى نائما
كثرى البقيع لعابد أواب

ووقيتنى فى مدمعى وشكايتى
أذن اللئيم ، ونظرة المرتاب

وهى قصيدة طويلة رائعة ، شأن الديب فى شعره الحزين .

ثم يستقبل عيدا آخر بقوله :

عيد يطالعنى ، والعيش منكود
لأنت يوم الاسى والحزن يا عيد

يجدد الناس من لبس ومن فرح
وعندنا للاسى والهم تجديد

المسلمون وقد عشنا خيارهم
كأننا بينهم فى عيدهم « هود »

لو أنصف الناس ما ضحوا بشاتهم
بل كان قربانهم للمعتفى جود

ويستقبل آخر اسوا من سابقه فى حزن عميق ، فيقول :

يا من لجرح بهذا القلب ياسوه
جرح اليتيم المعنى مات اهلوه

تزاور الناس يوم العيد ، ليس بهم
أخ على الدهر ، يدعونى وادعوه

أنا الغريب على الدنيا ، فعالمها
أعدى عدوى ، يهجونى واهجوه

ثم يقول :

يا قوم ما لى من ذنب ادان به
ما بال نورى ان اظهرت تخفوه

لكنها محنة أنتم طواغيها
فيها لدهرى ، ان يامر تجيبوه

وحسبنا هذا القدر مع الشعر العربى فى مهرجان الأعياد .

طلعت حرب

****

من دعاة الإصلاح الإسلامي

بقلم

الأستاذ علي الجمبلاطي

بالامس القريب اختفى تمثال « سليمان باشا الفرنساوى » فى مسارب المتحف الحربى بالقلعة بعد أن ظلت معالم الاستعمار الشؤمى تطل من تقاسيمه علينا منذ أواخر أيام الخديو اسماعيل ويتوسط قلب القاهرة فى واحد من اهم ميادينها كان يحمل اسمه . وهو اليوم ميدان « طلعت حرب » رائد تحرير الاقتصاد المصرى من سيطرة الاجانب . واحد الذين حققوا لامتهم أمجادا خالدة . وانه الزعيم العظيم الذى سيعلو تمثاله قاعدة تمثال سليمان الفرنسي الضابط فى الحملة الفرنسية على مصر . وهكذا نشهد كل يوم آيات التقدير والانصاف والوفاء من ثورتنا العربية المفداة لاصحاب الرسالات الكبرى من سوالفنا الذى شيدوا أخلاد نهضتنا الحديثة وماكانوا يسيرون على ارض ناعمة بل كانوا يرتادون المجاهل وينحتون الصخور وسط ظلام الاستعمار وظلمه ليحققوا أهداف أمتهم فى الاصلاح ويحفظوا كرامتها ويردوا اليها ثقتها المضيعة .

ولعل هذه القدوة الحية التى حمل مشعلها رجال ثورتنا الاحرار تستوجب منا أن نقف أمام تمثال « محمد طلعت حرب » الذى كان ولا يزال اسمه نشيدا وطنيا لا يتعلق بشخصه بقدر ما يتعلق بعظمة رسالته الكبرى التى أداها لوطننا وللشرق متمثلة فى أعماله الشامخة نقف أمام تمثال رمز العزة القومية والكرامة الوطنية لنذكر كيف كان « طلعت حرب » قوة فى الذخائر المعنوية للوطن من هذه القوى التى يوجهها القدر أى اتجاه يشاء لكنها فى أى متجه لا بد أن تثمر وأن تملأ الدنيا فيما حولها من الوجود خيرا وبركات . ولنرى كيف انفرد بين العظماء بتعدد جوانبه وتنوع آفاق تفكيره وكيف نلمس هذه الظاهرة عنده وهو بعد فى أيامه الاولى فى شبابه وصدر جهاده وقد وسعت شخصيته كل هذا التعدد الرائع فهو يكتب فى الادب والدين والاجتماع فيوفى على الغاية ويجيد ويكتب فى السياسة والوطنية فيوفى على الغاية ويجيد ويكتب فى الاقتصاد وشئون المال فيوفى على الغاية ويجيد فهو صاحب مزاج أدبى رفيع وقلم خصب متأنق وخيال صاف رائق . وان صح أن هذا التراث المذخور لم ينتجه « طلعت حرب » فى وقت واحد بل تخللته فترات زمنية قد تقصر وقد تطول الا انه يمتاز فى كل باستقامة عالية وروح قوى وارادة عنيدة وهمة غلابة بعيدة تؤمن برسالتها وتقف دونها وتناطح من أجلها .

ولعل هذا الحيز الضيق والاطار الصغير من مجلتنا الغراء يحول بيننا وبين التصوير الصادق لاعز ميادين النشاط التى ارتادها بفكره وروحه وارادته لا فى الحياة الاقتصادية وحدها كما يحسب الكثيرون بل فى المجالات الدينية والاجتماعية وفى دوائر السياسة وفى ميادين الثقافة العامة . هذه النواحى الجليلة التى تكاد تبتلعها زعامته الاقتصادية فى الاذهان .

ولذا نقصر هذا المقال على مقابس من رسالته الروحية والاجتماعية التى استهدف فيها المثل العليا فى الاصلاح . ومنها يتضح أنه لو لم يغد «طلعت حرب» بارادة من عند الله عظيما من عظماء الاقتصاد لكان كبيرا من رجال الادب أو من رجال الدين والاصلاح الاجتماعى .

على أن استعداده الادبى ومافيه من سمو الفكر، واستعداده الدينى والاجتماعى ومافيه من سمو الروح كليهما كانا أداة هذا الداعية المصلح الذى جعل من قضية الاقتصاد سببا الى الاصلاح .

وهنا نبدأ : فلقد فطن الزعيم العظيم الى خطرين مهيبين يتسربان الى حياة الشرق خلسة : خطر انقلاب الحقائق الروحية عند الشرقيين فى نظر الغربيين وخطر تعصب الشرقيين تعصبا قاسيا عنيفا لعقيدتهم الدينية فراح يدفع هذين الخطرين عن مواطنيه فنقل اليهم فى العقد الاخير من القرن الماضى - حين كانت الدولة فى الشرق للاسلام والصولة للمسلمين وحين كان النفوذ الروحى للاسلام فى الشرق يخنق الغربيين ومن على شاكلتهم وحين كان المحنقون من الاسلام والمسلمين يذيعون الدعوات الضعيفة أو الباطلة ضد هذه الوحدة الروحية فى سبيل الاستعمار - أجل نقل « طلعت حرب » الى مواطنيه نسخة فرنسية من رسالة تقدم بها « عثمان بك كامل » سكرتير السلطان خليفة المسلمين الى مؤتمر المستشرقين بباريس عام ١٨٩٤ فترجمها الى العربية تحت عنوان « كلمة حق فى الاسلام والدولة العثمانية » .

وكان قد قرأها فرأى فيها دفاعا مجيدا عن الاسلام تمنى أن يجهر به حينما طالعه فيها هذا السؤال : « هل كان فى وسع الاسلام أن يعلى كلمته أو يرفع رايته بحد الحسام ولم يكن القائمون به الا بضعة آلاف من العرب ... ؟ » ثم استجابت نفسه للجواب عنه وقد

اوردته الرسالة فترجمها .. ونوجز ما اجاب به المؤلف على السؤال فى قوله « كلا فان البطل الهمام - اتيلا - ومعه ملايين من أقوام - الهون - لم يتيسر له أن يتغلب على البلاد المتاخمة لمملكة الرومان وغاية ما توصل اليه بعد الجهد والعناء انه تمكن من العبور بها مع جيوشه الجرارة من غير ان يتم له اخضاع أهلها .. اما الاسلام فلم تكن لديه تلك الملايين من النفوس ولا تلك العدد الحربية التى كانت عتادا للفرس والروم فى حروبهم بل انه كان لا يذكر بجانب خصومه من حيث العدد والقوة والنظام .. فما هى اذن تلك القوة التى تيسر بها للاسلام ان يخضع العالم المتمدين فى أقل من خمسين عاما !.. لعمرى أنها حرية الاديان والمساواة فى الحقوق والاخاء بين المسلمين مهما كان جنسهم من غير تمييز ولم تك هذه المبادىء الشريفة اللازمة للكمال الانسانى والتمدين الحقيقى معلومة قبل الاسلام فظهرت بظهوره وفضلا عن ذلك فان صلح - الحديبية - يشهد بان محمدا - عليه الصلاة والسلام - هو الذى أمضى أول معاهدة دولية فى العالم » . ويقول فى نهاية الرسالة الاسلوب المطوع الدافق بالحيوية مدللا على الاخاء والعدالة والتسامح والمساواة فى الاسلام « أرونى مدينة واحدة خربها الاسلام أو مذبحة واحدة أمر وقام بها الاسلام - ذلك ليس فى الامكان اللهم الا فى مخيلة امثال - فولنى ورينان - ان كان الاسلام يقضى بعدم التساهل مع الاديان الاخرى أو بابادة معالمها كما يدعون فلم لم يخرب طليطلة وقرطاجنة وشريش حينما كان حاكما على أوروبا مدة ستة قرون ؟ » .

كانت هذ الرسالة كما اسلفنا ردا من ردود الحملة التى شن غارتها الغربيون على الشرقيين .

وفى هذه السنة بعينها تصدى الكاتب الفرنسى « داركور » لنقد الحضارة الاسلامية فى بلاد المشرق واتخذ وسيلة هذاالنقد حياة المراة الشرقية المسلمة وماهى عليه من حجاب أو احتجاب . وقد تصدى للرد على هذه الحملة القاسية العنيفة المرحوم «قاسم امين» وبعد الفراغ من رده السديد المحكم انقلب الى القيام بثورة فكرية ضد الحجاب وما الى الحجاب من تقاليد قديمة متأثرا بمخالطته الغربيين وتأثره بثقافتهم ولم تكن المقدمات قد ارهصت للانقلاب المصرى الجديد الذى عناه المستشار « قاسم امين » فكانت خطورة ثورته على الروح الشرقية فى عالم المراة فانبرى له « طلعت حرب » المصرى الشرقى المسلم الذى أحس فى هذه الثورة خطر المفكرين الغربيين على بلاده فما الف « قاسم امين» كتابه « تحرير المراة » فى عام ١٨٩٨ حتى أدركه المصلح « طلعت حرب » بكتابه « تربية المراة والحجاب » وهو كتاب عف نزيه يقرر المبادىء السليمة لبنات الوطن وأبنائه وكان مشغولا فيه بمسالة أعظم من السفور والحجاب هى سلامة الوطن الاسلامى من نوايا المستعمرين من الغربيين ويمثل هذا الكتاب صفحات مشرقة لاسلوب الاصلاح ، فلانصار الحجاب فيه صفحة مجيدة من الدفاع ،ولانصار حرية المراة صفحة ناصعة من الانصاف وفيه للذين حرروا أفكارهم من التحيز لبعض الرأيين صفحة كريمة من الحكمة وقد سار « طلعت » المصلح جنبا الى جنب مع زعيم هذه الثورة ازاء تثقيف المراة وتهذيبها وامتاز المصلح الرصين على المصلح الثائر بأنه طالب بتعليمها تعليما ينفع المراة ولا يضر الرجل فقال :
« قال قاسم امين : ارى همم الناس موجهة الى التعليم ولا أرى أحدا يلتفت الى تربية النفوس . وارى ان الحرص على التعليم منحصر فى تعليم الذكور مع أن تهذيب الاخلاق مقدم على التعليم وتعليم البنات مقدم على تعليم الذكور ، فهذا كلام كله حكم ونوافق عليه حضرة المؤلف جهدنا ولكن لا يؤاخذنا اذا كنا نخالفه فى أمر واحد . وهو أننا نعتقد ان التهذيب واجب للذكور والبنات معا لا تقديم للبعض على الآخر» وفى موضع آخر من الكتاب يرد على ما أورده « قاسم أمين » فى كتابه من ان الشريعة الاسلامية لم تتضمن نصوصا تقضى بالحجاب على ما هو معروف الآن عند بعض المسلمين فيقول بعد ان اورد فى ذلك الآية الكريمة « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم..» الى آخر الآية الكريمة ..

هذه آية جمعت فأوعت اذ امرت الرجل والمراة معا بغض النظر وحفظ العرض وأمرت النساء زيادة على ذلك بألا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها اى من الزينة . لانى لست ادرى ما الداعى للتكلف فى التأويل والقول كما قال حضرة صاحب تحرير المراة . من أن الشريعة أباحت فى هذه الآية أن تظهر المراة بعض أعضاء من جسمها أمام الاجنبى عنها ما دام المعنى ظاهرا لا يحتاج لهذا التعسف » .

عندما اشتدت الخصومة بين المتطرفين والمعارضين واخرج قاسم امين كتابه « المراة الجديدة » يؤيد به رأيه فى كتاب « تحرير المراة » ورأى « طلعت حرب » ان قاسما يغالى فى سبيل الدفاع عن رأيه فاخرج كتابه الثانى « فصل الخطاب فى المراة والحجاب » جمع فيه اقوال « قاسم أمين » بذاتها فى رده على « الدوق داركور » وما فيها من دفاع عن الاوضاع الاجتماعية الشرقية التى نشأت وعاشت عليها نساؤنا واستل منها سلاحا يحسم النزاع بين الجانبين ثم قبض ببداهة قوية على اعتراف من « قاسم امين » بان المراة الشرقية المسلمة تستمتع بمدى أوسع من حرية المراة الغربية حيث كان المستشار يقول فى رده على الدوق داركور :
« هذا وسبق انى قلت أن لنسائنا مطلق الحرية فى كافة افعالهن وازيد الآن اننا لو نظرنا من جهة أخرى للحالة التى جعلتهن عليها الشريعة الاسلامية الغراء لوجدناها أحسن ما يمكن أن تطمع فيه نفس المراة فانها وهى زوجة تتمتع بكافة حقوقها المدنية ثم هى مكلفة شرعا وأهلا للتصرف بكامل أوجه التصرفات التى تقتضيها ادارة أملاكها فلها بيعها بدون ان يكون هناك ادنى احتياج لاذن المحكمة أو لتصريح من الزوج وهذه الحرية تابعة لحريتها الشخصية وسلطة الزوج عليها فى ذلك ليست الا سلطة معنوية فالمراة المسلمة لا تطبع الا رائد عقلها فيما تريد ان تجريه من بيع أو شراء أو هبة أو قبض أو مقاضاة الى غير ذلك بخلاف المراة الفرنساوية مثلا التى لا يمكنها أن تعمل عملا ما من هذه الاعمال الا اذا رضى به سيدها والمسيطر عليها فى أعمالها ورخص لها بعمله » جاء « طلعت حرب » مؤلف « فصل الخطاب فى المراة والحجاب » بمثل هذا النص من حديث مناظرة ثم علق على هذه النصوص قائلا :
« هذا ما قاله محرر المراة فى سنة ١٨٩٤ وقد رددنا صداه فى سنة ١٩٠٠ » وكانت الفقرات التى اختارها والتى يضيق المجال عن تعدادها تدل فى وضوح على وجهة نظر « طلعت » المصلح ازاء ثورة تحرير المراة وقد تفرد هو بتحديد لون الثقافة التى تقى المراة خطر ما ذهب اليه المتطرفون فى دعواهم فقال فى كتابه - تحرير المراة والحجاب - « التعليم الذى لا بأس به أن يشترك البنات بالاشتغال فيه والانتفاع به متى آنس الانسان منهن رشدا واستعدادا له هو عبارة عن تعليم القراءة والكتابة ضمن تعليم القرآن الشريف وأمور الدين لتعرف البنت ما يجب عليها وما يجب لها من

الحقوق والواجبات ومبادىء الحساب والهندسة والجغرافية ومختصر تاريخ بلادهن فان هذا يزيدهن أدبا وعقلا ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن لديهم » وبعد أن يحرص زعيم مذهب المعتدلة فى الاصلاح الاجتماعى « طلعت حرب » - على أن ينصح بالحذر فى تعليم المرأة وتثقيفها ومايتبغى أن تكون عليه المرأة من العلم بالتدبير المنزلى يعود فيقول فى لهجته الصريحة « على أن لاشىء يمنع المرأة من التوسع فى العلوم والمعارف اذا وجدت عندها قابلية من نفسها وكان وقتها يسمح لها به . كما أن لا شىء يمنعها عند اقتضاء الحاجة من أن تتعاطى من الاعمال بعض ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها » .

ومن هنا يتضح ان الخصومة الفكرية التى كان « طلعت حرب » زعيم المعتدلين طرفا فيها لم تكن خصومة على التحرر الادبى الصحيح للنساء انما كان موضوعها فى نظره هذه الطفرة الطارئة التى لا مبرر لها وما وراء هذه الطفرة من شر يستغله الدخلاء فى مصالحهم المعنوية والمادية معا .

وحينما زج « طلعت حرب » بنفسه فى هذا الميدان قال كلمة بليغة حقا تفسر ما نعنيه من انه المصلح الراسخ العقيدة فى دينه « اننا لا نكتب طمعا فى أن ننال تصفيق الجهال وعامة الناس وانما نكتب انتصارا للحق وخدمة للدين » وهى تفسر أيضا موقفه فى نقطتين اثنتين :

أولا - ان الدين هو عماد الايمان ، والايمان هو سلاح الزعيم .

ثانيا - ان الغرب قد انتهى فى نهاية القرن التاسع عشر الى ان فى المبادىء الدينية المحمدية قوة روحية للشرقيين ولا بد لغزوهم أدبيا وماديا أن تزلزل أركانها .

وآية هذا أن « المسيو هانوتو » وزير خارجية فرنسا أخذ ينشر رسائله ضد العقائد الشرقية الاسلامية وقد استطاع الاستاذ الامام « محمد عبده » أن يحفظ بردوده كرامة الاسلام والمسلمين وقد وجدت ردود الامام من يترجمها لهانوتو ولكن هذا المجال كان ينقصه رجل قريب الثقافة من الغربيين ليرد « لهانوتو » حجته عليه فكان المصلح الشاب « طلعت حرب » الذى كتب رده الفرنسى الشهير على المسيو هانوتو وكان هذا الموقف التاريخى النبيل هو الذى أوحى الى نفسه بإحياء الدين فكان المدافع الحق عن روحية قومه وكرامتهم الاجتماعية .

وأخيرا يتم « طلعت حرب » رسالته الروحية التى لا تصدر الا عن رجل مؤمن بوضع كتاب جديد فى « تاريخ دول العرب والاسلام » ظهر منه الجزء الاول فى عام ١٩٠٥ وقد اشتمل هذا الجزء على تاريخ العرب وما كانوا عليه قبل الاسلام حتى دولة الخلفاء الراشدين وها هو ذا يذكر فى أحد فصول الكتاب تحت عنوان - اعجاز القرآن - « القرآن هو الكلام العربى المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - المتحدى بأقصر سورة منه المنقول تواترا وهو من معجزاته - عليه الصلاة والسلام - وذلك انه لماكانت معجزة كل نبى من جنس ما غلب على أهل زمانه وتهالكوا عليه وتفاخروا به كالسحر فى زمن موسى والطب فى زمن عيسى والموسيقى فى زمن داود وكان زمن نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - زمن فصاحة وبلاغة ، كانت معجزته القرآن المجيد الذى عجز فصحاء العرب وبلغاؤهم عن معارضته مع كونهم احق بها ان امكنت لكثرة اشتغالهم بما يناسب ذلك وكمالهم فيه وفرط اهتمامهم بالمعارضة وتوفر دواعيهم » ..

وهكذا أصاب السير « ادوارد كوك » عميد البنك الاهلى فى حكمه على الزعيم المصلح « طلعت حرب » حين قال عنه : « ينقسم الرجال الى فريقين أحدهما من أصحاب الاحلام والملهمين من الادباء والانبياء ، وثانيهما من الرجال العمليين ويندر جدا أن تتألف مجموعة من هذين الصنفين معا مثل هذه المجموعة المؤتلفة فى شخص طلعت حرب » .

وحسبنا فى هذه العجالة تلك الصفحة المشرقة من سيرة « طلعت » العطرة وناحية من نواحى عبقريته الفذة التى كانت تنشد المثل العالى وتسعى اليه فكان هذا المتجه الذهبى الخالد الذى أضحت غايته سعادة الامة فى أى شكل من أشكال السعادة ورخاء المجتمع فى أية صورة من صور الرخاء حتى أصبحت ذكراه جزءا هاما من حياة كل مصرى عبر الاجيال لا ينساه الا اذا استطاع ان ينسى وجوده المادى والمعنوى على السواء واننا فى ذكراه الثالثة والعشرين نهتف مع الشاعر بأمجاد الزعيم الخالد الذكر :

ذخيرة قوم فوجئوا بضياعها
فما دفع الحرص القضاء وما فدى

فأى أديب المعى طوى الثرى
وأى اجتماعى حكيم تغمدا

وأى اقتصادى رماه ولم يبن
له مقتل رام خفى فاقصدا

تولى وما خلناه يحصى زمانه
عليه وما خلنا امرءا منه أسعدا

له من خلود الذكر عمر وليت من
يرجى جناه كان بالعمر أخلدا

دراسات في التاريخ الإسلامي ..

الفتوح الإسلامية

الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف

استجاب أبو بكر لطلب المثنى بن حارثة الشيباني وأمره على من قبله من قومه ، وأصدر اليه أمره بالبدء فى غزو العراق ، وتقدم المثنى ليتابع ما بدأه من الاتصال بقبائل العرب الذين يقيمون بدلتا النهرين والتحدث اليهم ، والتعاهد معهم للتخلص من حكم الفرس ، والانضمام الى الدولة العربية التى قامت فى جزيرة العرب ووحدت العرب جميعا فيها تحت راية عقيدة واحدة وحكومة واحدة . وتقدم المثنى فى دلتا النهرين فأحرز انتصارات على من تصدى له من قوات الفرس ، وحين وصلت أنباء هذه الانتصارات أبا بكر ، أصدر أمره الي خالد بن الوليد ان يجمع بقية جنده ممن بقى معه بعد انتصاره على مسيلمة فى اليمامة ، وأن يسير اليه ، وأن تكون القيادة العليا لخالد بطبيعة الحال ، وفى نفس الوقت امر عياض بن غنم ان يسير الى دومة الجندل يخضع أهلها المتمردين ثم يسير منها شرقا الى الحيرة ، وذلك لتأخذ القوات العربية الفرس من الجانبين ولتضعهم بين طرفى كماشة ، وقد عهد الى قواده بأن يسلكوا طريق العدالة وأن تكون روح الانسانية هى الحكم فى تصرفاتهم ، وأن تتمثل تعاليم الاسلام ومثله العليا فى تصرفاتهم .

أمرهم ألا ينالوا العرب الفلاحين بسوء ، لايقتلون منهم احدا ، ولا يأخذون منهم اسرى ، ولا يسيئون اليهم فى امر يتصل بهم ، فهم عرب مثلهم ، وهم يشعرون بالظلم تحت نير الفرس ، فيجب أن يشعروا بزوال هذا الظلم حين مقدم العرب ، ويجب أن يعمهم العدل على أيدى بنى عمومتهم ، وكما يجب أن يعاملوا هؤلاء العرب يجب أن يعاملوا الفرس ممن لا يحمل سلاحا أو يشارك فى القتال، ذلك واجب المسلمين يأمرهم الله به ، وهو بعد السياسة الحكيمة التى تكفل النصر ، وتكفل بعد النصر ألا يؤتوا من خلفهم أن ينتقض عليهم .

كان خالد بعد اليمامة قد سرح من جنوده من أحب الرجوع الى أهله ، كما كان قد قتل من رجاله فى معركة عقرباء ضد مسيلمة وبنى حنيفة ، وبذلك كان عدد رجاله قليلا لا يكفى للقيام بهذا العمل الكبير ، لذلك طلب المدد من أبى بكر ، فأمده الخليفة برجل واحد هو « القعقاع ابن عمرو التميمى » . وعجب الناس وقالوا : أتمد رجلا أرفض عنه جنده برجل ؟! وأجابهم أبو بكر بقوله « لا يهزم جيش فيهم مثل هذا » ! وسنرى فيما بعد كم صدقت فراسة أبى بكر فى القعقاع ، على أنه كتب الى خالد حين بعث اليه القعقاع يقول له « استنفر من قاتل أهل الردة ، ومن ثبت على الاسلام بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — » ثم بعث بكتاب منه الى خالد موجه اليه ومن معه من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ، وفيه بعد حمدالله والثناء على نبيه والتذكير لامره ما نصه « فقد أمرت خالد بن الوليد بالسير الى العراق لا يبرحه حتى يأتيه أمرى ، فسيروا معه ولا تثاقلوا عنه فانه سبيل يعظم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته ، وعظمت فى الخير رغبته . فاذا قدمتم العراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمرى . كفانا الله وإياكم مهم أمور الدنيا والآخرة ! والسلام عليكم ورحمة الله ! »

لم يلبث خالد حين تلقى أمر أبى بكر وتوجيهاته أن اعاد تنظيم جيشه ، فحشد ثمانية آلاف من قبائل ربيعة ومضر الى ألفين كانا معه ، ثم سار الى العراق على رأس عشرة آلاف قدم بهم على ثمانية آلاف كانوا مع المثنى ومن معه من قواد المسلمين الذين سبقوا خالدا .

غزاة كاظمة وانتصار خالد فى أول لقاء مع الفرس :

كان أمر أبى بكر الى خالد اذا دخل العراق أن يبدأ بميناء الأبلة ، والأبلة ثغر على الخليج الفارسى تسير التجارة منه الى الهند والسند وترد الى العراق منهما، وبين المؤرخين خلاف : أفتح المسلمون الأبلة فى هذه الحرب ثم عاد الفرس فاستردوها منهم ، فاعاد العرب فتحها فى عهد عمر بن الخطاب ، أم أنهم لم يفتحوها أصلا الا فى عهد عمر ؟ . ويقول الازدى فى كتابه «فتوح الشام» ان

سويد بن قطبة الزهلى قاتل أهل الابلة فقاوموه مقاومة شديدة ، فلما بلغ خالد العراق وسار اليه اتفقا على أن يتظاهر خالد بمغادرته والسير الى المثنى ، ثم يرجع اليه اذا جن الليل . وخيل الى جيش الفرس بالابلة أنهم قادرون على قتال سويد بعد أن ذهبت عنه قوات خالد، فغدوا اليه مصبحين ، فلقيهم خالد فهزمهم شر هزيمة . ويؤيد هذه الرواية البلاذرى فى كتابه « فتوح البلدان ».

انما يجمع الرواة على أن أول غزاة بالعراق كانت غزاة الحفير ـ غزاة كاظمة ـ والحفير تقع قريبا من الخليج الفارسى على حدود الصحراء وعلى مقربة من ثغر كاظمة. وكان أمير هذه المنطقة رجل فارسى هو « هرمز » وهو ممن تم شرفهم بين أمراء الفرس ، وكان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أجسامهم فى قومهم ، فمن تم شرفه كانت قيمة قلنسوته مائة ألف ، وتلك كانت قيمة قلنسوة هرمز . وكان هرمز من أسوأ أمراء الثغور معاملة للعرب ، حتى لقد بلغ من كراهيتهم له وحقدهم عليه أن جعلوه مضرب المثل فى الخبث والكفر، فكانوا يقولون : **«أخبث من هرمز»** و **«أكفر من هرمز»** . وترجع كراهية هرمز للعرب وسوء معاملته لهم الى أن القبائل المتبدية فى شبه الجزيرة كانت تغير على هذه المنطقة فكان يقاتلهم فى البر ويشتد فى حربه لهم ، وكانت سفن الهنود تجىء الى تلك الثغور فتقوم فيها بأعمال تشبه القرصنة ، فكان يقاتلهم فى البحر ، وكان بهذه الحرب يعد نفسه حامى البلاد التى تعد مفاتيح فارس .

سار خالد من اليمامة الى العراق ، فلما بلغه ألفى المثنى ومن معه ينتظرونه ، فما كاد يلتقى بهم حتى قسم الجيش الى فرق ثلاث وجه كل واحدة منها فى طريق على أن يلتقوا جميعا بالحفير . فأما الفرقة الاولى وعلى رأسها المثنى بن حارثة فسارت قبل خالد بيومين . وأما الفرقة الثانية وعلى رأسها عدى بن حاتم الطائى فسارت بعد المثنى بيوم . وسار خالد بفرقته فى المؤخرة ، وقبل مسيره بعث الى هرمز بكتاب يقول فيه : « أما بعد ، **فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية ، والا فلا تلومن الا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة »** .

ما كاد هرمز يتناول كتاب خالد ويعلم أنباء مسيرة المسلمين اليه حتى كتب الى أردشير الملك بالخبر ، ثم جمع قواته وسار الى الكواظم يلقى خالدا بها ، فلما علم أن خالدا أمر قواته بالسير الى الحفير أسرع بجيشه اليها ، وسبق خالدا عليها ونزل على الماء فيها ، ولما قدم خالد عليهم وأمر جنده لينزلوا ويحطوا أثقالهم تحدث اليه بعض رجاله بأنهم على غير ماء ، فقال لهم ملهبا حماسهم **« ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ، ثم جالدوهم على الماء . فلعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين ! »**

تعبأ الجيشان للقتال ، ووقف هرمز من جيشه ، وعلى ميمنته وميسرته أميران من بيت الملك فى فارس ، هما قباذ ، وأنوشجان ، واقترن مشاته بالسلاسل لألا يفروا ووقف خالد بقواته على تعبئته . وهنا حدث موقف استخدم كل من الطرفين مواهبه الخاصة ، فأما هرمز ورجاله فاستخدموا الحيلة والغدر ، وأما خالد ورجاله فتسلحوا بالشجاعة والذكاء : كان خالد قد استطارصيته فى جزيرة العرب بعد انتصاراته الرائعة فى حروب الردة ، وكان هرمز يعرف من بطولة خالد وفعاله هذه ما آمن معه بأنه ان يقتله يضمن لفارس نصف النصر ان لم يكن النصر كله ، ولكن كيف السبيل اليه وهو البطل الذى لم يغلب ؟ ورتب الامر على أن يبارزه لا ليتولى بنفسه قتله ، ولكن ليغدره فان مبارزة خالد رجلا برجل على قواعد الشرف أمر غير مأمون العاقبة ، ولكنه مكفول النجاح أن تم التدبير واحكمت الخطة ، وليتال مأربه أمر جماعة من فرسان حرسه أن يكونوا على أهبة الاستعداد للهجوم على خالد وقتله حين ينزل للقاء قائدهم.

ونادى هرمز «رجل ورجل. أين خالد ؟» فلما برز اليه خالد نزل ودعا للمبارزة ، فنزل خالد ومشى اليه ، فالتقيا فاختلفا ضربتين فاحتضنه خالد وقبض على ناصيته ، وهنا اندفع فرسان الفرس يريدون قتل خالد واستخلاص هرمز من يده ، لكن القعقاع بن عمرو لم يكن محتاجا الى تدبير سابق ، وانما كان من قوة الذكاء وسرعة البديهة ما أدرك معه الموقف قبل أن يتم تدبير الفرس ، فاندفع بقوة من فرسانه حين كان خالد قد قبض على ناصية رستم فاستلحم فرسان الفرس فأنامهم بينما كان خالد يستل روح هرمز من بين جنبيه ذبحا بالسيف . وهكذا غلبت الشجاعة والذكاء تدبير الغدر والدهاء . ثم شد المسلمون شدة رجل واحد فانهزم جيش الفرس أمامهم ، فطاردوهم وركبوا أكتافهم الى الليل . وبلغ المسلمون الجسر الاعظم من الفرات حيث تقع البصرة الآن ، فى حين فر قباذ وأنوشجان فيمن بقى معهم لا يلوون على شىء .

تم النصر للمسلمين ، وجمعوا غنائم الفرس ومن بينها قلنسوة هرمز وفيل كان معهم ، وجمعت السلاسل التى يقترنون بها فبلغت حمل بعير الف رطل . ثم أمر خالد معقل بن مقرن السلمى بالسير الى الأبلة فسار اليها وجمع مالها وسبيها . وأمر المثنى بن حارثة أن يلاحق المنهزمين من جيش الفرس فطار فى أثرهم وكأنما يريد ألا يقف من مطاردتهم حتى يدخل المدائن عاصمتهم ، وفى أثناء مطاردته لهم مر بحصن تقيم فيه أميرة فارسية يطلق عليه مؤرخو العرب لذلك اسم المرأة ، فترك أخاه المعنى على حصار هذا الحصن ، وسار هو فحاصر زوجها فى حصنه ففضه عليه وقتله ومن معه واستفاء أموالهم ، ثم استمر يطارد بقية الجيش . وعلمت المرأة بما أصاب زوجها فصالحت المعنى وأسلمت وتزوجته .

كان لهذه الغزوة الأولى التى التقى فيها المسلمون لأول مرة بقوة فارسية كبيرة أثر عظيم ألهب حماستهم ، فقد رأوا الفرس لا يثبتون أمامهم أكثر مما ثبت العرب فى حرب الردة . وكان قتل خالد لهرمز مرضاة للعرب جميعا أى مرضاة فقد أخذ لهم ابن الوليد ثأرهم من رجل طالما نكل بهم حتى امتلأت صدورهم حقدا عليه وغيظا منه ، فقد قتل أشجع العرب أخبث الفرس وأكفرهم . هذا الى جسامة ما وصل الى أيديهم من غنيمة لم يكن لهم بمثلها عهد ، فقد بلغ نفل الفارس ألف درهم خلا السلاح .

وزاد هذا النصر جلالا تنفيذ خالد لسياسة أبى بكر مع العرب فى العراق أدق تنفيذ ، فلم يتعرض للفلاحين بأذى بل أقرهم على أرضهم وجعل لهم الذمة ، ولم يسب الا أبناء المقاتلة الذين انضموا الى الفرس وقاموا بأمرهم وحاربوا معهم .

وبعث خالد بخمس الغنائم الى أبى بكر بالمدينة ، وبعث مع الخمس بقلنسوة هرمز وكانت مفصصة بالجوهر ، وبعث بالفيل الذى غنموه فى الموقعة ، ولم يكن أهل المدينة قد رأوا فيلا من قبل ، بل لم تر بلاد العرب كلها فيلا قبل ذلك الا فيل أبرهة الذى حاول غزو الكعبة، فلما طاف قائد الفيل به فى طرقات المدينة عجب أهلها لمنظر هذا الحيوان الضخم وتولى بعضهم الريب فى أمره حتى لقد جعلت ضعيفات النساء يقلن : أمن خلق الله هذا !! وظنه بعضهن من صناعة أهل فارس ! ورأى أبوبكر أنه لا نفع فيه فى المدينة فرده الى العراق مع قائده ، ثم رد قلنسوة هرمز نفلا لخالد .

غزوة المذار :

الهب انتصار المسلمين فى غزاة كاظمة حمية المسلمين حتى لقد استمر المثنى فى مطاردة الفرس المنهزمين حتى لا يريد أن يفوتهم قبل أن يبلغ المدائن . وفيما هو يتعقبهم جاءته الأنباء بأن جيشا عظيما من المدائن قد أقبل لملاقاة خالد وجنوده . ذلك أن كسرى أردشير حين وصلته رسالة هرمز أعد جيشا كبيرا وجعل على رأسه قارن بن قريانس أحد الامراء الذين تم شرفهم ، وأرسله مددا لهرمز . ولقى قارن فى طريقه قباذ وأنوشجان على رأس المنهزمين ، فاستوقفهم وتحدث اليهم وبعث السكينة فى نفوسهم ، وضمهم الى جيشه ومناهم بالنصر وحبب اليهم شفاء نفوسهم من العرب بأخذ ثأرهم من يوم الحفير . ثم عسكر بقواته فى المذار على ضفاف قناة تصل دجله بالفرات . ورأى المثنى ورجاله أنهم قلة أمام هذه القوة العظيمة ، وادرك انه لو دخل معهم فى معركة فانه قد يصاب بهزيمة ، لذلك اختار مكانا قريبا من المذار عسكر فيه بجنوده ، وكتب الى خالد بتفصيل الخبر . وخشى خالد أول ما بلغه النبأ أن يلقى جيش قارن فرقة المثنى فيهزمها فيفت ذلك فى أعضاد المسلمين ، فطار بجيشه وبلغ المذار وقارن يعدجيشه للقاء المثنى ، وجنود المثنى فى موقف حرج لايعلمون ما الله فاعل بهم .

وكان للمثنى وجنوده العذر أن تثور مخاوفهم ، فقد أقبل الفرس تملؤهم الحفيظة والحقد لهزيمة هرمز ، فكلهم حب للانتقام من هؤلاء العرب الذين بلغ من جرائتهم أن يقتحموا العراق وأن يلحقوا الهزيمة بهم ، وحسبوا انهم بالغون غايتهم بهزيمة المثنى وجنوده وهم بعيدون عن مركز قيادتهم . وحين وصل خالد كان قباذ وانوشجان يستنهضان همم جندهما ويدفعانهم للميدان ، يريدان بذلك أن يغسلا عنهما عارالهزيمة فى يوم الحفير ، ثم خيل اليهما والى قارن أنهم ان يهاجموا خالدا قبل أن يتخذ للموقف عدته لم يفتهم الظفر بالمسلمين ، وأن يردوهم الى صحرائهم منكسة رءوسهم ، صريعا فى أذهانهم كل أمل فى قتال كسرى ومنازلة رجال فارس .

ورأى خالد تأهب جيوش الفرس ، فبقى على تعبئته التى جاء بها وشد بقواته عليهم ، ورأى جنود المثنى فى مقدم خالد عليهم فرجا من الله عليهم ومعجزة أمدهم الله بها لينصرهم ، فانقلبوا من الخوف من الهزيمة الى اليقين بالنصر ، واندفعوا الى جوار قوات خالد أسودا كاسرة لا تهاب الموت وحقت كلمة خالد لهرمز « انى جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » والتحم الجيشان ، فاذا قارن وقباذ وانوشجان يذبحون بأعين رجالهم ، واذا سيوف المسلمين تأخذ الفرس من كل جانب ، واذا الجيش الذى خيل اليه أن النصر ملك يمينه يفر لا يجد أمامه الا السفن يتخذها مطايا للنجاة ، واذا المسلمون يغنمون ما شاء الله ان يغنموا ، ولولا الماء حال بينهم وبين عدوهم ما تركوا منهم قادرا على القتال . وتم النصر وسلم خالد الاسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت ، وقسم الفىء ونفل من الاخماس من أحسنوا البلاء .

أقام خالد بالمذار ، فسبى ابناء المقاتلة ومن اعانهم وأقر الفلاحين ومن أجاب الى الخراج من جميع الناس . وحرص بعد ان اطمأن له الامر على تامين مواصلاته الى الخليج الفارسى ، فأمر القواد على الجند الذين استبقاهم فى الحفير ، وولى العمال على الجباية ، وبقى يتنطس اخبار عدوه ، فلم يكن مثله من يطمئن الى النصر ما دام فى العدو قدرة على معاودة القتال ، وهو يستعد ليوم آخر أشد هولا من يوم الحفير ومن يوم المذار يلقى فيه من قوة الفرس وكيدهم ماسنتابع خبره فى غزوة الولجة .

إيمان

اى العلماء اريد ؟ علماء الاديان ام علماء الحديث ؟

لا أريد هنا ان أدخل فى تعريف العلم والعلماء . وانما اريد أن أحدد صفة واحدة يتميز بها هؤلاء العلماء ، ولك بعد ذلك أن تطبقها على من تشاء - تلك الصفة هى خشية الله وتقواه .. وليست هذه الصفة من عندى أو من ابتكار أحد ، انما هى من عند الله حيث يقول : انما يخشى الله من عباده العلماء .

فمقياس العلم الحق هو خشية الله ، وما فائدة علم لاينفع صاحبه . ولا يهديه سواء السبيل ! حيثما وجدت المرء يراقب الله ، ويعبده كأنه يراه ، فذلك هو العالم الحق .

على أن العبادة هنا ينبغى ان تفهم على معناها الرحيب الواسع .. فليست العبادة مقصورة على أداء الفرائض والنوافل فحسب ، وانما هى تنتظم كل عمل تقوم به لخير الانسانية جمعاء ، طالما كنت تريد به وجه الله : سعيك فى الرزق عبادة . اخلاصك فى وظيفتك عبادة ، مراقبة الله فى كل عمل يصدر منك عبادة ، مهما بدا لك هذا العمل بعيدا عن مظاهر العبادة كالصلاة والصيام مثلا .. فليست العبرة بالمظهر ، انما العبرة بالروح . وما الروح الا الاخلاص فى العمل ، حتى الفرائض من العبادات اذا خلت من الاخلاص فقدت قيمتها ، وأصبحت لعنة على صاحبها ، والعياذ بالله .

***

تساءلت فى صدر الحديث عن العلماء ، وانتهيت الى صفة مميزة لهم ، وكان من حقى أن أتساءل قبل ذلك عن الايمان : ماهو ؟ وما حقيقته ؟ وأى نوع أريد ؟ غير أننى أخرت الحديث عنه لما فيه من تفصيل وتحليل وتمثيل .

الايمان هو التصديق الجازم كما يقولون ، تصديق باى شىء ، ولو كان خرافة من الخرافات . أو اسطورة من الاساطير - فالمعنى اللغوى للايمان لايخصه بالاله الحق ،

العلماء

الدكتور أحمد مكى الأنصارى

وانما هو مطلق الايمان والتصديق الجازم الذى لايقبل التزحزح بأى حال من الاحوال - وكثيرا مايحدثنا التاريخ فى عصوره القديمة والحديثة عن الوان من الايمان والمعتقدات ، تباينت فيها السبل ، وتشعبت بها الاهواء ، دون أن تكون لها صلة ما بالاله الحق ، بل انها احيانا تفقد كل صلة لها بالفضيلة والمروءة والرجولة والخلق .

اقرا - ان شئت - فى القديم مثلا اعياد (باكوس) عند قدماء اليونان ، ثم عند الرومان من بعدهم .. ترى المهازل الساخرة ، والدعارة السافرة ، ترتكب نهارا جهارا باسم الدين والايمان .. كانوا يؤمنون بأن الآلهة تفرض عليهم الفسق والفجور فى اعياد (باكوس) التى ان رؤساء الدين كانوا يلقون فى روع العامة والخاصة كانوا يقيمونها فى فترات متقاربة بحيث تكون أكثر من مرة فى كل عام .. وأهم مايلفت النظر فى هذا الايمان أن الآلهة لاترضى عنهم فى هذا العيد الا اذا تجردوا عن عفافهم وحيائهم وغيرتهم .. واستجابوا لنداء الآلهة بالتجرد عن ثيابهم تجردا كاملا نساء ورجالا .. واستباحوا فى هذا اليوم مالم يكن مباحا من قبل ، واطلقوا العنان للغريزة الجنسية تشبع نهمها الحيوانى على مرأى ومسمع ، وتفتك بالفضيلة على مذبح الدين ، وتهتك الحرمات كيفما تشاء ، وأنى تشاء ، ارضاء للآلهة وتحقيقا للايمان ، وتنفيذا لاوامر الدين .. والويل كل الويل لمن تحدثه نفسه بالعفة ، والغيرة والشرف فينكص عن المشاركة فى هذه الدعارة السافرة .. مثل هذا لاجزاء له الا ان يدفن حيا فى مكان سحيق .

كل هذا كان يرتكب قديما باسم الايمان ، والايمان الحق منه براء وفى العصور الحديثة ، بل فى القرن العشرين نجد شيئا من هذه التقاليد ، او نحوا منها فى مجاهل افريقيا .. والرواد الاوربيون يحدثوننا عنهم كثيرا وعن ايمانهم ومعتقداتهم اكثر واكثر .. غير أننا نقتضب الحديث فلا نطيل بذكر الامثلة اكتفاء بما ذكرناه عند اليونان ايثارا للايجاز .

وغنى عن البيان ان اقول : أننى لا أريد هذا اللون من الايمان ، وما اليه قصدت ، ولكن طبيعة البحث دعتنا الى التحليل ، وانما أريد الايمان بالله الحق - على أن هذا الايمان الوان كذلك ، بمعنى أن مظاهره ودوافعه تختلف من ايمان الى ايمان ، ونستطيع من الآن أن نستبعد كثيرا من هذه الالوان لنحصر الحديث فى لونين اثنين : ايمان العجائز ، وايمان العلماء .

اما ايمان العجائز فيمتاز بالرسوخ والقوة ، كما يمتاز بالغموض والابهام - والمراد بالعجائز هنا من لانصيب لهم من التعليم أو الفهم الدقيق الذى يقوم على البحث والتحليل - وأمثال هؤلاء ليس من اليسير عليك ان تزحزحهم عن ايمانهم ، وهذا هو مظهر القوة والرسوخ ، وربما كان مبعث هذه القوة هو الشعور بالعجز التام أمام قدرة الله .. دون ان يستطيع لذلك تحليلا او تعليلا ، كل ماهنالك مشاعر راسخة يلفها الضباب بلفائف من الغموض والابهام .

ولئن كان مثل هذا الايمان عزيز المنال .. لايكاد ينال منه المغرضون او الكائدون الا أنه احيانا يتعرض لهزات عنيفة تجتثه من الجذور ، فتعصف به عصفا كأنه هشيم تذروه الرياح ، نتيجة طبيعية لايمان لايقوم على البحث والتحليل كما يحدث فى الحالات النادرة من ارتداد المرتدين . تحت تأثير الاغراء والخداع . وتغرير المبشرين

أما ايمان العلماء - وناهيك به من ايمان - فهو كان وليد البحث والتعمق الذى يفضى بهم الى اقتناع راسخ : هو الايمان الحق بالاله الحق ، ومن ثم حث القرآن الكريم - بشدة بالغة فى آيات متعددة على النظر والتدبر والتفكر فى الكون والنفس والسموات والارض وما خلق الله من شىء .. ليؤمن الانسان حين يؤمن عن بحث واقتناع جازم راسخ رسوخ الطود الاشم او هو أقوى واعظم ، لايؤثر فيه الاغراء او التغرير ، بل يستطيع هو أن يؤثر فى المغررين من المبشرين .

على ان ميادين البحث كثيرة متعددة .. تنتظم - فيما تنتظم - البحث العقلى الذهنى المحض ، والبحث الروحى الصوفى البحت ، والبحث الكونى ، والبحث النفسى ، والبحث الطبى ، الى غير ذلك من ميادين البحث العلمى .. وكلها رحيب فسيح يحتاج الحديث فيه الى مؤلف ضخم ، بل مؤلفات ومجلدات ، مما لايتسع له المقام - لهذا ساقتضب الحديث هنا ايضا ، واقتصر فى هذا المجال على امثلة كاشفة عن ايمان بعض العلماء ، واليك البيان :

من علماء النفس الدكتور (كارل يونج) يحدثنا فى كتابه القيم « الانسان العصرى يبحث عن نفسه » فيقول عن اثر الايمان فى شفاء الامراض بعد التجربة الذاتية التى لمسها فى نفسه وحسه ، نتيجة الايمان القوى ، وبعد التجارب العامة التى أجراها فى عيادته الطبية النفسية : « ان كل المرضى الذين استشارونى خلال الثلاثين سنة الماضية من جميع انحاء العالم كان سبب مرضهم هو نقص ايمانهم بالله ، وتزعزع عقائدهم ، ولم ينالوا الشفاء الا بعد أن استعادوا ايمانهم الكامل »

وفى هذا المعنى يقول عالم آخر من علماء النفس هو الاستاذ (ديل كارنيجى) : « ان اطباء النفس يدركون أن الايمان القوى ، والاستمساك بالدين كفيلان بان يقهرا القلق والتوتر العصبى . وأن يشفيا هذه الامراض »

اما حديث علماء الفلك عن الجاذبية • والاشعة الكونية والاجرام السماوية والمجموعة الشمسية ، والكواكب السيارة ، الى آخر ماهنالك من عجائب الآفاق •• قلنا عودة اليه عما قريب ، هو والحديث الروحى الصوفى باذن الله •

وقد آن لنا ان نتحدث عن علماء الطب وايمان الاطباء ولنبدأ بطبيب اجنبى من امريكا ، حائز على جائزة نوبل هو الدكتور (الكسيس كارليل) - استمع اليه يحدثك عن الصلاة • وما لها من أثر روحى فى شفاء الامراض المستعصية نتيجة الايمان بالله ، وقد لاحظ ذلك حينما كان رئيسا لقسم البحوث فى مؤسسة روكفلر بامريكا •• لاحظه وشاهد تطوره ونتائجه فرصدها رصداً علميا فى ابحاثه ، ثم اذاعها على الناس فى مؤلفاته حين قال : « ان الصلاة أعظم مولد للنشاط عرف الى يومنا هذا » وقد رايت بوصفى طبيبا كثيرا من المرضى أخفقت العقاقير فى علاجهم ، فلما رفع الطب يديه عجزا وتسليما تدخلت الصلاة فابرأتهم من عللهم •• انهاتخلق ظاهرة عجيبة ، انها تاتى بالمعجزات فقد شاهدنا تاثير الصلاة فى الحالات الباثولوجية اذ برئ كثير من المرضى من أمراض مختلفة متعددة •كالتدرن البريتونى ، والاخرجة الباردة والتهاب العظام ، والجروح القائحة ، والسرطان ، وغيره •• »

ليس بعجيب ان نرى مثل هذا الايمان القوى من طبيب رأى بعينيه اثر الايمان فى شفاء مرضاه •

على أن البحث العلمى الناقص ربما كان سببا فى الزيغ والضلال ، أو الحيرة والقلق أكثر مما يكون سببا فى الايمان والاطمئنان غير ان ذوى البصائر المتفتحة ، والعقول الراجحة لايلبثون ان يعودوا الى حظيرة الايمان الكامل - وقد أعجبنى فى هذا المجال ماقراته للطبيب العالمى الكبير الدكتور نجيب محفوظ فى بحثه الممتع عن سر الخليقة فى كتابه القيم « حياة طبيب » حيث قال :

« ماكدت ابدا دراستى فى الطب حتى عرضت لى أثناء مرحلة التعليم المتقدمة شكوك وشبهات تتصل بالعقيدة ، وتتناول مدى التوفيق بين العلم والدين ، فكنت احاول كثيرا ان أصل الى معرفة شئ عن سر الخليقة ومكان الخالق منها - وفى مضطرب تلك الشكوك والشبهات عانيت من القلق الروحى ، والحيرة النفسية ما عانيت .

على أن مواصلة البحث والتامل لم تلبث أن هدتنى الى الحقيقة وعمرت وجدانى بالايمان •• انظر الى مختلف الخلائق : من أدناها الى أعلاها ، من الفيروس الى الانسان سيد المخلوقات تجد أنها تمارس وجودها بتقدير واتقان • لهذا كله مما هو وليد البحث والتامل والملاحظة والاطلاع اطمأنت نفسى تماما الى سر الخليقة ، وحقيقة الكون ، وازددت دنوا من معرفة الله . وأصطبغ بالتاييد العلمى والنظرى مانعمت به منذ صباى من معتقدات دينية قوامها الايمان بواجب الوجود »

***

رأينا فيما اسلفنا حقيقة العلماء - أو بعبارة ادق - رأينا الصفة المميزة للعلماء ، كما راينا حقيقة الايمان وماهيته . ووقفنا طويلا مع صورة من صور الايمان عند قدماء اليونان والرومان فى أعياد (باكوس) •• ثم القينا الضوء على ايمان العجائز . وسرنا معا فى هذا الضوء الى ايمان العلماء ، على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم فى العلم والحياة : من علماء النفس ، الى علماء الفلك ، الى علماء الطب ، وضربنا له الامثال من الغرب والشرق على سواء ، واستمعنا معا الى القمم الشوامخ من أساطين العلم فى العالم ، مثل الدكتور « كارل يونج » و « ديل كارينجى » و « الكسيس كارليل » ثم الطبيب العالمى الدكتور نجيب محفوظ وناهيك بهؤلاء حجة فى العلم وحجة فى الايمان •

***

وبعد فلئن كان بعض اسلافنا الصالحين كان يقول فى دعائه : « اللهم ايمانا كايمان العجائز » فلا ضير علينا اليوم ولا تثريب ان نقول : « اللهم ايمانا كايمان العلماء » أولئك الذين رأوا قدرة الله راى العين ، فآمنوا به ايمانا لاتزعزعه الاحداث ، وشهدوا انه الحق ، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، او لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد » - صدق الله العظيم

١

دول إسلامية فى أفريقيا

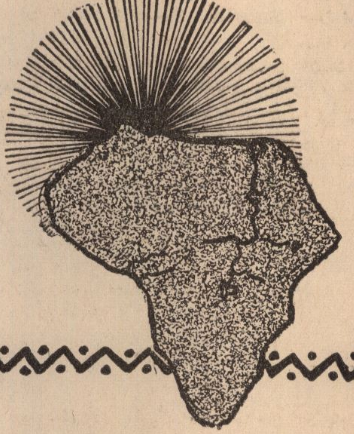

التوكولوريون

بقلم الأستاذ عبده بدوى

اذا كان المؤرخون لا يختلفون على أن الشرق الأفريقى كان «مهجرا» للعرب قبل قدوم الاسلام ، فانهم لايختلفون على أن نقاط الارتكاز قد تحددت تماما بعد ظهور الاسلام، بحيث أصبحت تمثل ما اصطلح عليه تاريخيا باسم « دول مدن افريقية » .. ذلك لأن نقاط الارتكاز هذه كانت تمثل ارستقراطية تجارية محافظة ، بحيث كان من الصعب تجميعها فى كيان موحد قوى .

وأول ما يطالعنا من نقاط -الارتكاز هذه تلك النقاط التى سميت بمند ، وبتى ، وبساسة ، وزنجبار ، وكلوة ، وويب ، وأم واوازى ، والتى كانت تتركز على تلك المنطقة الجغرافية التى تتمثل فى الشاطىء الافريقى الشرقى ، وفى الجانب الغربى من البحر الأحمر .

ونحن اذا تجاوزنا عن الملامح الباهتة للتقدم العربى الى افريقية ، نستطيع أن نعثر على ملامح واضحة ومحددة لأشكال من التقدم الجماعى :

فقد كانت هناك حوالى عام ٦٩٥ م هجرة عربية كبيرة تتمثل فى هجرة سليمان وسعيد ابنى عباد الجلندى اللذين كانا حاكمين على عمان ، واللذين اضطرا أمام ضغط الحجاج بن يوسف الثقفى ، أن يتقدما فى جمع كبيرا الى افريقية ، بعد أن فشلا فى التثبيت للزبيرين كما كانت هناك هجرة الطائفة الزيدية حوالى عام (٧٣٩ م - ١٢٢ هـ) وهجرة « الحسن بن على » وأولاده ، بالاضافة الى هجرة بنى نبهان من عمان ، وهجرة سبعة أخوة من الاحساء حوالى عام ٣٠٩ هـ نتيجة لضغط حاكم مجاور لهم .

على ان ما يشكل عمليات التقدم جميعا أنها - فى أكثرها - كانت ثمرة للصراع السياسى الذى كان بين الأمويين ، والعباسيين ، والعلويين ، بالاضافة الى «الخط التجارى» الذى كان يغرى الكثيرين بالمشى فوقه ، والتغلغل من أجله فى الشرق الافريقى ، ومده بقدر الامكان الى أكثر من مكان بالداخل .

وهناك وثيقة هامة عثر عليها الاستاذ تشيرولى تحت اسم « تاريخ الزنوج » وقد نشرها فى مطبوعة خاصة بالصومال ، وهى تتحدث فى وضوح عن هذه الفترة، فتقول :

فى تاريخ سنة ٧٥ جاء العرب من الشام وهم جنود أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .. ووصلوا الى مقدشوه والى كلوى ، وأرادوا الخراج من أهل البلاد.. وكان لهم امير يقال له « موى بن زبير الخثعمى » ، وكان أهل البلاد له طائعين من أولهم الى آخرهم .

ثم جاء « المرسول » من الدولة العباسية الى السلاطين فى مقدشوه ، ومند ، وبتى ، وام واوزى ، وكلنى ، وبساسة ، وزنجبار ، وكلوى ، وويب .. وكان الوزير يقال له يحيى بن عمر العنزى ، ونال من السلاطين مرادا ، ورجع الى بغداد بخير ، وأخبر أمير المؤمنين أبو جعفر عبدالله المنصور بكون أهل بلادنا فى الطاعة

وفى سنة ٨٥ كان أمير المؤمنين عبدالله هارون الرشيد ببغداد ، وخاف منه الزنوج ، ولم يسلموا له خراجا ، وأرسل عساكره الى الزنوج ، وولى ولاة من الأعاجم .

ولما ظهر القول بخلق القران ضعف امر المامون ببلاد الزنج ، وصير المامون خمسين ألفا من عسكره ، وهزموا من فى البلاد ، والقرى ، والمدن »

تلك هى الوثيقة التى تؤرخ للعرب ، افريقية ، على ان هذه القوى ظلت بعيدة عن بعضها البعض ، ومع أنها حاولت التجمع أمام التقدم العثمانى ، والبرتغالى الا أن عملية التجميع هذه كانت من الضعف بحيث انهارت تماما أمام التقدم البرتغالى .

ولقد شهد الكثيرون بأن البرتغاليين قد راوا مدنيا زاهرة فى هذه المناطق ، وراوا رخاء عجيبا له أكثر العجب ، على انهم سرعان ما ارتكزوا على نقطة الارتكاز « الاثيوبى » ثم عملوا على تخريب هذه المدن .

ثم كانت عودة للنفوذ العربى حين استطاعت عمان أن تنفض عنها النوم ، وأن توجه للبرتغاليين ضربات قاسية، ثم حين استطاعت أخيرا تكوين أول دولة « أفرسيوية » فى تاريخ هذه المنطقة فى عهد السلطان سعيد .

وقد ظل العرب يحكمون فى هذه المنطقة من نقطة ارتكاز كبيرة فى « زنجبار » ، وظل هذا الاريج العربى يعبق من أردان السلطان « جمشين » الذى عزل أخيرا فى يناير عام ١٩٦٤ .

على ان هذا الحادث لا يمكن أن يمر دون أن يذكرنا بعملية العزل الاخرى التى كانت فى غرناطة ، والتى كانت تمثل انحسار القوى الاسلامية فى أوربا ، وهذا يجعل مستقبل العرب فى هذه المنطقة فى كفة الرياح .

على أن مما لا شك فيه أن العرب من هذه المنطقة قد نشروا المعرفة ، ودفعوا بالاسلام دفعات موفقة للداخل، واستطاعوا تغيير المفاهيم الافريقية ، وتثبيت الدعائم العميقة للاسلام .

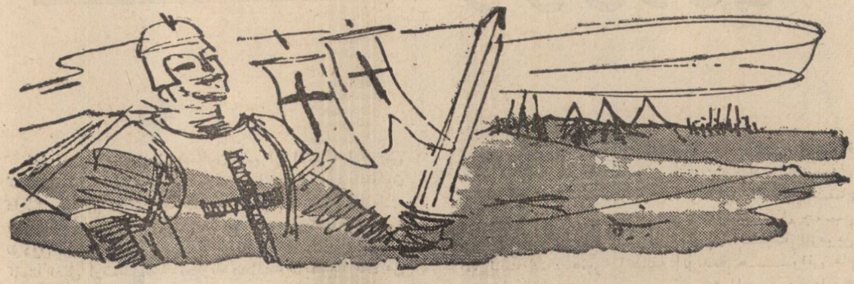

عبد الناصر صانع السلام

فى مؤتمر أقطاب دول أفريقيا المستقلة بأديس أبابا ..

للأستاذ كامل عبد المجيد

(انها خطـوة هامة ان نتبين حدود مسئولياتنا وخطوة اهم ان تلتقى هذه المسئوليات مع ارادتنا الواحدة ، ولكن الخطوة الحاسمة والنهائية ان تمنح لهذه الارادة الواحدة محركات قوية تولد الطاقة الخلاقة وتدفعها مع الاعصاب الحساسة الى ممارسة التغيير الكبير الذى نريد به تطوير الحياة على ارضنا الافريقية)

(من خطاب جمال عبد الناصر فى المؤتمر)

ان هذا المؤتمر - كما قال السيد الرئيس - يمثل وجود ارادة افريقية حرة وواحدة تحقق لافريقيا املها فى الحرية والكرامة ، بل وتحقق لافريقيا كلها ، أملها الانسانى فى السلام - القائم على العدل والمساواة - وهذا بالاضافة الى ان هذه هى المرة الاولى فى تاريخ افريقيا الحديث التى يجتمع فيها هذا العدد الكبير من رؤساء الدول الافريقية الذين يمثلون مائتين وخمسين مليونا من البشر لبحث شئون الشعوب الافريقية والعمل على حل مشاكلها خاصة وأن افريقيا من اكبر القارات التى يدور فوق ارضها نضال عنيف بين القوى الافريقية الوطنية من جهة وبين الاستعمار باطماعه وعملائه من جهة أخرى .

ومن ناحية أخرى فان هذا المؤتمر قد أتاح الفرصة للقاء ٣٣ ملكا ورئيسا من زعماء القارة لكى يناقشوا - موضوعيا - مشكلات القارة كوحدة ، وعلاقة القارة بالدول الاخرى ، وامكانيات التعاون والتلاقى بين دول القارة وحدها دون الاعتماد على اوروبا أو غيرها .

وفى ذلك معنى جدكبير ، ان يتحقق هذا الالتقاء بين رؤساء الدول الافريقية التى يمثل سكانها نحو عشر سكان العالم اجمع ، بينهم من المصالح المشتركة ومن الحضارات القديمة ، مايوحد كلمتهم وينسق بين جهودهم فيصبحون قوة انسانية تقدمية يمكن ان تلعب دورا انسانيا قياديا هاما على مسرح السياسة العالمية .

وهذا كله يؤكد أن القارة السوداء - التى ظن الاستعمار أنها لن تفيق مهما طال بها العهد - قد أصبحت قارة خضراء ، تهدر بكفاح التحرر ، وأصبح نضال شعوبها ملء أسماع الشعوب فى كل مكان . بل ان

هذا الاجتماع بين اقطاب افريقيا يثبت بطلان جميع المزاعم القائلة بأن افريقيا منقسمة على نفسها الى معسكرات متنافسة ومتنافرة .

وقبل أن نستطرد في حديثنا عن المؤتمر لا ننسى ان نشيد بصاحب فكرة انعقاده وهو الرئيس سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا ، وقد خامرته فكرته أثناء اجتماعات اللجنة السياسية لدول ميثاق الدار البيضاء التى انعقدت فى القاهرة فى يونيو عام ١٩٦٢ .. وقد تم انعقاد المؤتمر فعلا فى المدة من ٢٢ مايو الى يوم ٢٥ من الشهر نفسه عام ١٩٦٣ فى عاصمة الحبشة .

أهداف المؤتمر واهميته :

ان الهدف الأساسى لهذا المؤتمر هو البحث فى وسائل تحقيق الوحدة الافريقية والعمل على تحرير ما بقى من القارة الافريقية تحت نير الاستعمار وفى هذا قالت صحيفة التايمز اللندنية (ان المؤتمر أديس أبابا هدفا واضحا هو تحقيق وحدة القارة الافريقية) .

وتتركز أهمية هذا المؤتمر فى اجتماع الدول الافريقية المستقلة فى مؤتمر واحد ، اذ أن ذلك يعد فى واقع الامر - خطوة كبيرة - فى سبيل استكمال تحرير افريقيا خاصة وأن الاتصال سيكون مباشرا بين رؤساء الدول الافريقية ، فقد كان الاستعمار يعمل دائما على اشاعة الفرقة وبذر بذور الخلاف وخلق أسباب التباعد بين الدول الافريقية حتى يمكن لسيطرته ويستطيع ضرب كل دولة على حدة وحول هذا المعنى بعث (خروشوف) تهنئته للمؤتمر حين قال (ان انعقاد مثل هذا المؤتمر هو نتيجة حتمية لانتصار الثورات التحررية القومية التى اكتسحت من على ظهر الارض النظام الاستعمارى المخجل وفتحت للشعوب طريق الحرية والتقدم والسلام) .

ويمكن لنا تلخيص اهداف المؤتمر فى النقاط الاربع التالية التى وردت على لسان السفير الاثيوبى فى القاهرة :

* التعجيل بحصول المناطق الباقية من القارة الافريقية والتى ما زالت فى حالة التبعية ، على استقلالها التام .

* وضع الاسس الرئيسية - للمرة الاولى فى تاريخ هذه القارة - من أجل تبادل وجهات النظر التى سوف تساعد على حسم المشكلات المشتركة .

* محاولة وضع ميثاق افريقى شامل يضم توصيات مؤتمر دول الدارالبيضاء ومونروفيا وملاجاس .

* اتخاذ الاجراءات السلمية لتدعيم التعاون الاقتصادى بين دول افريقيا .

ونضيف الى ذلك مسألة نزع السلاح التى تضمنها جدول الاعمال الذى اعده وزراء خارجية الدول المشتركة - فقد قرر المؤتمر أن لا يغفل بحث مشكلة نزع السلاح باعتبارها أمرا يهم افريقيا كما يهم دول العالم اجمع وكذلك قضية التفرقة العنصرية - التى اعتبرها منافية للانسانية ولحقوق الانسان . اما تفصيل جدول الاعمال الذى اعده وزراء الخارجية فكان كما يلى :

* انشاء منظمة للدول الافريقية

* التعاون الافريقى فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية ، وكذلك نظام الامن الجماعى

* تصفية الاستعمار .

* التفرقة العنصرية .

* أثر الجماعات الاقتصادية الاقليمية على تنمية الاقتصاد الافريقى .

* نزع السلاح .

كذلك قرر المؤتمر أن يضع المبادىء والقواعد التى تكفل منع الدول الافريقية من استخدام القوة فى فض المنازعات الافريقية الداخلية أو الخلافات القبائلية ومنشؤها الحدود المصطنعة التى خلقها الاستعمار .

هذا ويعتبر المؤتمر حدثا تاريخيا هاما فى حياة القارة الافريقية لعدة أسباب فالمؤتمر :

* يعتبر اول لقاء شامل بين رؤساء وزعماء القارة بعد الحرب العالمية الثانية وتحرر عدد كبير من دول افريقيا .

* محاولة جديدة لبحث أسباب الخلاف بين مايسمونه بكتلة دول مونروفيا وبين مجموعة دول الدار البيضاء .

* محاولة لوضع ميثاق التضامن أو الوحدة الافريقية على أسس واضحة وصريحة .

* محاولة لبحث المتاعب الاقتصادية والسياسية والعسكرية التى تواجهها القارة ومحاولة ايجاد حلول لها .

* محاولة لبحث مشاكل كل الدول التى مازالت مستعمرة فى القارة وتنسيق التعاون بين الدول المستقلة لمعاونتها على الاستقلال .

* المؤتمر فرصة طيبة لكل دولة لكى تعرض مشاكلها وملاحظاتها ، ثم فرصة طيبة للجميع لمحاولة الوصول الى اتفاق .

هذا وقد حقق المؤتمر اربعة مكاسب للعرب هى :

١ - القضاء على التفرقة الاستعمارية فى القارة الافريقية التى كانت تهدف أول ماتهدف الى تقسيم القارة الى دول افريقية شمال الصحراء ودول افريقية جنوب الصحراء .

٢ - فتح المجال واسعا فى افريقيا للدول العربية الافريقية لتواجه المؤامرات الاسرائيلية والقضاء على محاولات التسلل الصهيونى الى القارة .

٣ - توضيح خطورة التسلل الاسرائيلى ومؤامرات اسرائيل باعتبارها أداة للاستعمار فى افريقيا وذلك بفضل الاتصالات التى اجراها الرئيس عبد الناصر مع رؤساء الدول الافريقية أثناء المؤتمر

٤ - شعبية عبد الناصر فى افريقيا كان لها دور كبير فيما استطاع ان يحققه للعرب جميعا ويتضح فى حضور وفود من مناطق افريقيا النائية لرؤية عبد الناصر وذلك لايمانهم بان حركة التحرر انما انبعثت فى القارة الافريقية يوم ان تغلبت مصر عام ١٩٥٦ على ثلاث دول استعمارية فى معركة قناة السويس .

وهذا يدعونا الى الحديث عن دور عبد الناصر فى المؤتمر وجهوده لانجاحه ، وعن ذلك النجـاح تحدثت وكالة الاسوشيتد برس فقالت :

« ان الرئيس جمال عبد الناصر من اهم الرؤساء تاثيرا فى مؤتمر اقطاب الدول الافريقية فى أديس أبابا وأنه يحمل رغبة راسخة فى ازالـة الاستعمارين البريطانى والفرنسى من القارة الافريقية » •

وقال الامبراطور هيلاسلاسى امبراطور الحبشة :

« ان الرئيس عبد الناصر قد اسهم مساهمة فعالة فى انجاح مؤتمر القمة الافريقى ، كما انه يقوم ببناء صرح الوحدة العربية •• واننى لا أرى وجود أى تعارض بين هذين الاتجاهين فى سياسة الرئيس العربى ، بل على العكس ، فاننى اعتقـد أن سياسته تجاه العالم العربى ستسهم فى تعزيز العلاقات الافريقية العربية » •

وقال هيلا سلاسى أيضا :

« أن موقف عبد الناصر ازاء القضايا الافريقية يتسـم بالاخلاص والصدق وتتوفر فيه النية الطيبة » •

كما أشاد السيد حمد فيروز وزير خارجية السودان بالحنكة السياسية التى يتمتع بها الرئيس جمال عبـد الناصر والتى ظهرت بوضوح فى خطابه امام المؤتمـر وقال

« ان الانسان لا يستطيع الا الانحناء ــ احتراما لتلك الحنكة السياسية العظيمة » •

وقال أيضا :

« ان الرئيس عبد الناصر ساهم مساهمة فعالة فى انجاح المؤتمر وليس أدل على ذلك من اننا كنا نبحث ــ دون جدوى ــ مسألة استخدام اللغة العربية واللغات الافريقية الاخرى فى المؤتمر أثناء اجتمـاعات وزراء خارجية الدول الافريقية ، ولكننا لم نلبث أن توصلنا الى اتخاذ قرار حاسم فى هذا الشأن بمجرد وصول الرئيس عبد الناصر ، وقد تضمن ميثاق الوحدة الافريقية هذا القرار » •

قرارات المؤتمر :

اتخذ مؤتمر اقطاب الدول الافريقية قرارات هامة خاصة بتصفية الاستعمار ومناهضة التفرقة العنصرية والتعـاون الاقتصادى ونزع السلاح •

فتقرر تشكيل لجنة مكـونة من تسـع دول انتخبت الجمهورية العربية المتحدة والجزائر من بينها بالاجماع وهذه الـدول هى : اثيوبيا ــ غينيا ــ السـنغال ــ أوغندا ــ تنجانيقا ــ الكونغو ــ نيجيريا ــ الجمهورية العربية المتحدة والجزائر •• ومهمة هذه اللجنة تنسيق المساعدات التى ستقدم الى الحركات الوطنية فى افريقيا ، على ان تكون دار السلام فى تنجانيقا قاعدة لعملها وان تبدأ اجتماعاتها خلال اسبوعين •

وتبحث هذه اللجنة مسألة الاعتمادات الخاصة بمناهضة الاستعمار كما يكون لهذه اللجـنـة الحق فى أن تطلب من أى دولة السماح بمرور المتطوعين والمقاتلين الافريقيين فى أراضيها وتسهيل دخولهم الى الاراضى المستعمرة التى لم تتحرر بعد •

كذلك أخذ باقتراح فتح اعتماد خاص او صندوق خاص لمساعدة المناضلين من اجل الحرية فى افريقيا واعلان يوم ٢٥ مايو يوم تحرير افريقيا ، تجمع فى هذا اليـوم التبرعات الفردية علاوة على المساهمات الوطنية لصندوق التحرير •

ووافق الرؤساء على استقبال الوطنيين من المناطق التى لم تتحرر بعد لتدريبهم فى جميع الميادين وانشاء وحدات للمتطوعين فى كل دولة من الدول لمـد حركات التحرير المختلفة فى القارة بشتى المساعدات •

وطالب الرؤساء بقطع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية بين جميع الدول الافريقية وحكومتى البرتغـال وجنوب افريقيا ، مادامتا ــ مستمرتين فى اتجاههما الاستعمارى والعنصرى الحـالى ، ومقـاطعتهما تجاريا ومنع استيراد البضائع منهما واغلاق المطارات والموانى فى وجه طائراتهما وسـفنهما ومنع طائراتهما من الطيران فوق الاراضى الافريقية •

وقرر الرؤساء تقديم المساعدات من كل نوع الى حركات مناهضة التفرقة العنصرية فى جنـوب افريقيا وتقـديم المنح الدراسـية وفرص العمل الى اللاجئين منهـا ، وتاييد التوصيات التى قدمت الى مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتـحـدة بواسطة اللجنة الخاصة التابعة للامم المتحدة بشأن سياسة (الابارتيـد) العنصرية التى تتبعها حكومة جنوب افريقيا •

كما قرر الرؤساء ادانة التمييز العنصرى بجميع صوره فى افريقيا والولايات المتحدة وفى اى مكان آخر •

وطالبوا ــ كذلك ــ بتمثيل افريقيا تمثيلا أكثر عدلا فى الاجهزة الاساسية للامم المتحدة ــ وخصوصا ــ فى مجلس الامن والمجلس الاقتصادى والاجتماعى والوكالات المتخصصة للمنظمة الدولية •

وقرر المؤتمر اعتبار افريقيا منطقة خالية من الاسلحة النووية وتحريم التجارب الذرية وتشجيع استخدام الطاقة الذرية فى سبيل السلام وتحطيم الاسلحة النووية الموجودة حاليا وازالة القواعد العسكرية من افريقيا وعـدم ربطها باية احلاف عسكرية مع دول اجنبية •

ونادى المؤتمر الدول الكبرى وعلى وجه الخصوص الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة أن تعمل على تخفيض قواتها التقليدية ، ووضع حد لسباق التسلح ، وتوقيع معاهدة لنزع السلاح التام تحت اشراف دولى دقيق •

وفى المجال الاقتصادى قرر المؤتمر انشاء لجنة اقتصادية تمهيدية تقوم ــ عن طريق استشارة الحكومات الافريقية من ناحية واللجنة الاقتصادية لافريقيا من ناحية أخرى بدراسة امكان انشاء منطقة للتجارة الحرة بين الـدول المختلفة فى افريقيا ، وانشاء ضريبة جمركية خارجية عامة لحماية الصناعات الناشئة ، وصندوق لاستقرار اسعار المواد الاولية ، واعادة ترتيب البنـاء الذى تقوم عليه التجارة العالمية ودراسة وسائل تنمية التجارة بين الدول الافريقية وتبادل تسهيل المواصلات والترانزيت وتنسيق وسائل المواصلات ، وانشاء شركات للنقل البرى والجوى والبحرى •

وكذلك انشاء اتحاد افريقى للمدفوعات وطالبوا بالتحرد المضطرد للعملات الوطنية من أى ارتباطات فنية ، وانشاء منطقة نقـدية افريقيـة ، ومحاولة الوصول الى احسن الطرق والوسائل التى تكـفل الانسجام والتنسيق بين خطط التنمية الاقتصادية •

حديث فتح مكة

الاستاذ ابراهيم على ابو الخشب

بعد ست سنوات من هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة والشوق قد ازداد به وبأصحابه الى البيت الحرام يطوفون به ويشمون عبيره الطيب وهواءه الحلو رأى فى منامه أنه داخل الى مكة فى جموع المسلمين الذين أرغمتهم الحوادث على تركها ، وألجأتهم الظروف القاسية الى الجلاء عنها ، وحملتهم الليالى السود أن يتركوا فيها منازلهم وقرابتهم وأهليهم .. ولم يسعه من شدة الفرح الا أن يفضى اليهم بما رأى ، وأن يملأ نفوسهم غبطة بهذا الذى يرقبه من ربه من فرج قريب ، وأمل دان ، ورجاء محقق .. وهنالك سرى فيهم النبأ مسرى الصحة والعافية فى الجسم الذى أضناه المرض ، وأنهكه الضعف ، وحطمته العلل . واصطلحت عليه النوائب .. فلم يتمالكوا أنفسهم من الارتياح وأخذوا يملأون الدنيابهذا الخبر ، ويعطرون الجو بتلك البشرى .. ويرددون فى مجالسهم العامة والخاصة ذلك النبأ العظيم .. ولا سيما بعد أن أمرهم ان يتجهزوا له ، ويتخذوا العدة لحدوثه ، ويهيئوا أنفسهم لوقوعه ... واذا كان السر الذىيتجاوز الاثنين مآله الذيوعوالانتشار فان هذا الخبر كان يسرى فى شعاب مكة ، ويزلزل مجالس قريش ، ويدوى فىأرجاء البيت الحرام ، وهنالك أخذوا يتدارسون أمره ، ويتناقشون فيما يجب أنيقابلوه به .. وراء حمل السيوف ، وضم الصفوف ، وجمع الكلمة ورأب الصدع ، وتجهيز الجيش . والمرابطة فى الثغور ، وقد أقسموا بآلهتهم المعبودة ، وأوثانهم المنشودة ، أن يحولوا بين محمد هو وأصحابه وبين الدخول الى مكة . أو الطواف بالبيت مهما كلفهم ذلك من ثمن ، أو حملهم من أعباء ، وألزمهم من تضحيات ولذلك عسكروا بعددهم وعددهم بذى طوى « غربى مكة » ليصدوا كل واغل ،ويمنعوا كل مغير ، ويقاتلوا من يريد أن يدخل عليهم ديارهم ..

وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه الآونة قد غادر المدينة فى ألف وأربعمائة من المسلمين قاصدين العمرة والطواف بالبيت .. فلما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأشعر وأحرم حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان العبى من خزاعة وأخبره باستعداد قريش واستماتتها فى الدفاع عن البيت .. وهنالك حول طريقه والى أن كان بالحديبية على بعد تسعة أميال من مكة بركت ناقته « القصواء » فأخذ بعض الناس يتندر بها ويقول خلأت وكان رده أن حابس الفيل خبسها ، وأمرهم أن ينزلوا بهذا المكان ، فقال بعضهم ليس فيه ماء ولكن هنالك أثرا لبئر نضب ماؤها فأمره أن يغرز فيها رمحه وحينئذ نبع الماء باذن الله .. وكان بديل بن ورقاء الخزاعى قد وصل الى هذا المكان يسأل النبى عن مجيئه ونصحه بالكف عن دخول مكة فأفهمه أنه لم يجيء محاربا وانما جاء معتمرا .. الا أن قريشا لم تصدق فأرسلت الحليس بن علقمة سيد الأحابيش فكان خبره خبر بديل بن ورقاء ولكنهم قالوا ومع ذلك لا يدخل هو وأصحابه ويتحدث الناس أن الذين هزمونا ببدر دخلوا علينا عن رضى وطيب خاطر وفى هذه الآونة هدد سيد الاحابيش بأن ينسلخ عنهم هو والأحابيش معه حتى لا يكون مشاركا فى الصد عن المسجد الحرام فخافت قريش من تهديده ووعيده وأرسلت نعيم بن مسعود الذى عاد ليقول لهم لقد رأيت كسرى وقيصر والنجاشى فما رأيت ما رأيت من محمد وأصحابه يهابونه ويحترمونه ويفدونه بأموالهموأولادهم ونفوسهم فانظروا ماذا تفعلون ؟

وفى هذه الآونة كان خمسون رجلا قد تسللوا منهم الى صفوف المسلمين يريدون أن يفرقوا شملهم ، ويضعفوا قوتهم ، ويكيدوا لهم بكل ما يملكون من خداع وحيلة ، فأوقع المسلمون بهم وقادوهم أسرى الى النبى فعفا عنهم وخلى سبيلهم .

وفى الوقت الذى عفا فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هؤلاء الخمسين الواغلين على جيش المسلمين .. وفى الوقت الذى عادوا فيه الى مكة وتحدثوا الى أهليهم وقومهم بتلك اليد التى أسداها اليهم الرسول الكريم حين خلى سبيلهم ، وحال بينهم وبين الذين ارادوا أن يفتكوا بهم من أصحابه كان فى مكة خراش بن أمية

الخزاعى بعث به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليقنع قريشا أنهم لم يقصدوا الا الطواف بالبيت وهنالك وثب عليه عكرمة بن أبى جهل ليقتله لولا أهله من خزاعة والأحابيش الذين صدوه وزجروه فاكتفى بعقر ناقته ..

وكان ذلك كله سببا فى ابطاء خراش بالعودة ففكر الرسول أن يرسل غيره فعرض ذلك على عمر فاعتذر بعداوته لقريش وعدم وجود أحد من أهله ونصرائه هناك فأرسل عثمان لما له فى مكة من أهل وأصدقاء ربما ذادوا عنه ووقفوا الى جانبه وبعد الحفاوة والتكريم عرضوا عليه أن يطوف وحده وأن يبقى فى ضيافتهم كما يحب الا انه لم يقبل أن يطوف دون النبى والمسلمين وحينئذ غضبوا عليه وحبسوه ومنعوه من العودة ، ولما ترامى الخبر الى النبى والمسلمين اشتد وقعه على نفوسهم وصمموا على أن يقابلوا الشدة بمثلها ، وأن يعالجوا موقفهم من مشركى مكة بغير الهوادة واللين . وتقلدوا سيوفهم متأهبين للنزال ، وبدا على وجوههم الغيظ . وقال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا نبرح حتى نناجزهم ؟ واتكأ الى شجرة كانت بجانبه وتوافد جنده من أصحابه يبايعونه على ألا يفروا عنه ، أو يتركوه ، أو يخالفوا أمره ، أو يقصروا فى نصرته ، أو يتوانوا فى الجهاد معه حتى آخر رمق من حياتهم ، وتلك هى بيعة « الرضوان » التى تعنيها الآية ! « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وآثابهم فتحا قريبا » وتعنيها الآية الأخرى « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله .. يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما » ولما أتم المسلمون المبايعة ضرب الرسول باحدى كفيه على الأخرى وقال وهذه لعثمان ـ كأنه حاضر معهم بيعة الرضوان ـ وبهذه البيعة أصبح المسلمون فى قوتهم ومنعتهم وغليان نفوسهم . واشتعال عزائمهم ، وتوثب هممهم ، وكمال استعدادهم يهددون خصومهم ، ويرهبون عدو الله وعدوهم ..

وعلى الرغم من عودة عثمان يخبر بأنهم لا يقبلون دخول محمد وأصحابه الى مكة يطوفون بالبيت حتى لا يقول القائلون انهم بعد هذا التحرش والاستعداد ذلت قريش وخضعت لأمر محمد وأصحابه فانهم أرسلوا من قبلهم سهيل بن عمرو رجاء أن يفاوضه على الصلح على أن يكف عن الطواف فى هذا العام ثم يجىء فى العام القابل ليقضى عمرته ، وبعد المناوشة والخلاف على صيغة عهد الصلح والكف عن القتال لمدة عشر سنوات حضر أبو جندل بن سهيل هذا فارا باسلامه من عنت المشركين له فرده النبى بمقتضى المعاهدة ثم جاء ـ كذلك ـ رجل اسمه أبو بصير فارا بدينه وجاء وراءه اثنان يطلبان رده فرده النبى معهما وفى الطريق قتل ذلك الفار أحدهما والتوى فى طريقه عن العودة الى مكة وسار الى العيص بشاطىء البحر على طريق تجارة قريش الى الشام ليدخل على قوافلهم الفزع والخوف وانضم اليه كثير من المغلوبين على أمرهم بمكة من المسلمين وكونوا بعددهم كتيبة يحسب حسابها كان من أثرها أن تطلب قريش تعديل معاهدة الصلح ؟! بما يكفل قبول هؤلاء الى صفوف المسلمين بالمدينة . وقبل الرسول تعديل المعاهدة ..

ومضى هذا العام ووفد المسلمون الى مكة مع النبى فى العام القادم أكثر عددا وأوفر عددا وخلى المشركون بينهم وبين البيت ثلاثة أيام أشاعوا فى نفوس الكفار الرعب والخوف ولما كانت المعاهدة تنص على أن من حق كل من الطرفين أن يحالف من شاء من العرب فقد حالفت خزاعة محمدا وحالفت بكر قريشا الا أن خزاعة وبكرا تناوشا وتراشقا وأعانت قريش حليفتها على خزاعة فكان ذلك من ناحيتها نقضا صريحا للمعاهدة فلم ير الرسول والمسلمون معه بدا من فتح مكة واعلان التعبئة العامة والحرب الدائرة على الشرك والمشركين .

الرق والاسلام

الاستاذ محمد عطيه الابراشى

الحرية أثمن ما وهب الله للبشرية ، وخير ما تمتع به الناس فى حياتهم ، ولدت مع الانسان ، فعرفها منذ القدم ، وسعى اليها ، وحرص عليهـا ، وضحى فى سبيلها بالنفس والمال . بل ان الطيور والحيوان ألفت الحرية واهتدت اليها بفطرتها ، وكم من طير أو حيوان سجن ، فعاف لذيذ الطعام ، ومرىء الشراب ، وكان سجنه نذير موته ، وسبب هلاكه ، حزنا على حريته . غير ان الناس منذ القدم الفوا أن يكون فيهم الاحرار والعبيد ، وأن ينعم أحرارهم ، ويسعدوا بقدر ما يشقى عبيدهم ،: فالسيادة والرياسة للاحرار ، والخدمة والسخرة للعبيد ، وتغالى السادة فى التعالى على العبيد ، وسن لهم المجتمع قوانين الجور والظلم حتى لكأنهم ليسوا من بنى البشر ، وكأنهم لم يخلقوا الا لخدمة الاحرار . والتاريخ شاهد عدل على صدق ذلك ، فقد كان قدماء المصريين يستخدمون الارقاء من الاسرى فى فلاحة الارض ، وكان الهنود يعاملونهم أسوأ معاملة ، وكان الفرس يتخذونهم رعاة لمواشيهم ، وينكلون بهم اذا أذنبوا ، وكان اليونان يشجعون على الرق ، وكان فى أثينا سوق لتجارة الرقيق ، وفى اسبرطة كان الارقاء يعاملون بكل خشونة وفظاظة ، قال « بلوتارك » المؤرخ اليونانى : ان الحرية والكرامة للاحرار ، والمذلة والمهانة للعبيد . وكان الرومان يربطون حياة العبيد بزراعة الارض ، ويبالغون فى تعذيبهم ، كأن يربط العبد من يديه ، ويعلق من رجليه ، ويجلد بالسياط ، الى غير ذلك من ألوان العسف والظلم التى كانت تقاسيها تلك الطائفة فى مشارق الارض ومغاربها .

جاء الاسلام فوجد الرق على تلك الحالة ، ورأى مآسيه ومخازيه تزيد مع الايام ، فلم يكن له بد من علاج هذه المشكلة ، واستئصال ذلك الداء ، غير ان الاسلام رأى – شأنه فى كل تشريع – ألا يلغى الرق مرة واحدة ، بل يتدرج فى هذا الالغاء ، ويسير فيه على هدوء واتزان ، رحمة بالناس وشفقة ، حتى لا يصدموا مرة واحدة بما لم يألفوا ، فينفروا ويرفضوا .

واول ما بدأ به الاسلام انه لم يجعل للاسترقاق الا وسيلة واحدة ، هى الاسر فى حرب مشروعة بين المسلمين وغيرهم ، ومع ذلك لم يجعل استرقاق الاسرى أمرا لازما ، بل كان للامام أن يمن عليهم ويطلق سراحهم ، كما كان له ان يفتديهم بمبلغ من المال ، **قال الله تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء »** .

وبعد غزوة بدر كان الرسول الكريم يطلق سراح كل اسير يعلم عددا من المسلمين القراءة والكتابة ، واوصى النبى صلى الله عليه وسلم باحسان معاملة الارقاء فقال : « اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم ، اطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فما أحببتم فامسكوا ، وماكرهتم فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله ، فان الله ملككم اياهم ، ولو شاء لملكهم اياكم » فالاسلام يرى الرقيق انسانا بمعنى الكلمة ، وينظر الى الرق على أنه محنة ابتلى بها هذا الانسان ، ويطلب الينا ازاء ذلك – ان نخفف عنه بلواه ، وان نعامله معاملة كريمة فى طعامه ولباسه وعمله ، واذا كرهنا العبد فليس لنا ان نعذبه او نقتله ، بل ينصحنا النبى عليه السلام ان نتخلص منه فنبيعه ، فرب مكروه عندنا يكون محبوبا عند غيرنا ، وفى النهاية يهدد الرسول الرفيق أولئك السادة الذين يستبدون بعبيدهم ، ويتوعدهم بان الله ملكهم هؤلاء العبيد ، وهو قادر على ان يغير الاوضاع ، فيجعل العبيد سادة ، والسادة عبيدا ، ليذوقوا سوء ما صنعوا ، وليجربوا حياة العبودية الكريهة : **« قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء »** وقال ابن عمر رضى الله عنهما : سمعت الرسول عليه السلام يقول : **« من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه »** أى من آذى عبده بالضرب فقد أجرم ، ولا يمحو عنه عقاب تلك الجريمة الا أن يعتق هذا العبد ويعيد اليه حريته . وكثيرا ما اوصى نبى الاسلام بالعفو عن الارقاء ، جاءه عليه

السلام رجل ، فقال يا رسول الله : كم اعفو عن الخادم ؟ فصمت الرسول عليه السلام ثم قال : اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة » ، وليس المقصود من السبعين العدد المعروف ، فحسب ، وانما هو عدد يقصد به الكثرة فى اللسان العربى .

لم يقتصر الاسلام على تضييق دائرة الاسترقاق ، والوصاة باحسان معاملة الارقاء ، بل اوجب تحريرهم وتخليصهم من رقهم تكفيرا لذنوب كثيرة . ومعنى هذا ان الانسان قد يرتكب جرما ، أو يقترف اثما ، فلا يخفف عنه العقوبة الا أن يحرر عبدا ويعتقه خالصا لوجه الله. يقول الله تعالى فى كفارة اليمين التى حنث فيها حالفها ولم يبر بها : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم ، او كسوتهم أو تحرير رقبة » . ويقول فى كفارة القتل : « وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » . فهذه ذنوب موبقة وجرائم مردية مهلكة لا يسترها ويكفرها الا فك الرقاب ، وتحرير الارقاء .

ومما شرعه الاسلام ليسهل على العبد أن يتخلص من رقه نظام المكاتبة ، وهو أن يتفق العبد مع سيده على أن يعتقه مقابل من المال ، يدفعه العبد للسيد ، وفى نظير ذلك ينفرد العبد عن سيده ، ويستقل بشئونه مؤقتا ، حتى يستطيع الحصول على هذا المال ويدفعه لسيده ثمنا لحريته وفدى لرقبته ، وقد توسع فقهاء المسلمين فى هذا النظام ، وتسامحوا حتى اجازوا أن يؤدى هذا المال على أقساط فى أزمنة معينة ، قال الله تعالى : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم ، فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » . وهكذا لا يكتفى الاسلام بسن هذا النظام لييسر للعبيد شراء حريتهم ، ويتركهم يحصلون المال بكدهم ، بل يلزمنا أن نساعدهم على ذلك ، وان نعطيهم من أموالنا حيث يقول الله جل ثناؤه « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم . » بل جعل لهذا التحرير نصيبا معلوما من اموال الدولة التى تجبيها من الزكاة ، وألزم الحكومة أن تنفقه فى هذا الغرض ، قال الله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب »

وبعد هذا كله يحث الاسلام على تحرير العبيد ، ويغرى السادة بتخليصهم أيما أغراء ، فيعد عتق الرقبة من أعظم الطاعات التى يتقرب بها الى الله سبحانه ، ويجعل ثواب العتق الدرجات العالية فى جنة عرضها السموات والارض ، جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، دلنى على عمل يقربنى من الجنة ، ويبعدنى من النار ، فقال عليه السلام : « اعتق النسمه ، وفك الرقبة » . قال يا رسول الله أو ليسا واحدا ؟ قال : لا . عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها .

والقرآن الكريم يجعل تحرير الرقيق تخطيا للعقبات ، وخلاصا من الاهوال ، ونجاة من الشدائد يوم القيامة ، حيث يقول الله تعالى فى تعداد نعمه على الانسان ، ومطالبته بشكر هذه النعم : « ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين ، فلا اقتحم العقبة ، وما ادراك ما العقبة فك رقبة » ومن أجل ذلك كان سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه يشترى الارقاء ، ويحررهم ابتغاء الزلفى عند الله ، وطمعا فى مرضاته ، وممن اشتراهم وأعتقهم بلال مؤذن الرسول ، وجماعة غيره .

ومما ينال به المسلم الثواب المضاعف أن تكون له جارية فيتعهدها ويرعاها ، ويعلمها ويؤدبها ، ثم بعد ذلك يعتقها ويتزوجها .

وهكذا لا يرضى الاسلام حتى تتساوى السادة ومواليهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كانت له جارية فعالها ، فاحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها كان له اجران » .

وكان أسامة بن زيد مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول الكريم يحبه كثيرا ، ويقعده وهو صغير مع الحسن ابن على على رجليه ، ويلاعبهما ويقبلهما ، ويدعو لهما ، فلما كبر أسامة ورأى الرسول حسن استعداده وشجاعته وغناءه فى الحرب ، ولاه قيادة الجيش الذى أراد بعثه فى السنة الحادية عشرة للهجرة ، كى يؤمن حدود الجزيرة العربية من جهة فلسطين وكان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما جنديين فى هذا الجيش تحت امرة أسامة . وهكذا قدر الاسلام الحرية قدرها ، وحرص على أن يسبغ ثيابها على الناس جميعا ، وان يعيدها بشتى الوسائل الى من جار عليه الزمان ففقدها ، ومن أجل ذلك أعلن على الرق حربا هادئة ، غير انها كانت له مفنية ماحقة ، لو نفذ المسلمون تعاليم دينهم ، وسلكوا طريق نبيهم ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

الإسلام
والتضامن الاجتماعي في الأسرة

الأستاذ جاد الحق علي

ظهر الاسلام فى أمة العرب وهى مفككة الأوصال ، منغمسة فى الحروب القبلية المدمرة ، تعبد الأحجار وتتخذها الهة ، فوحد عقيدتها ، وجمعها تحت رايته ، تهتدى بقرآنه وتستنير بسنة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما أن استقرت عقيدة الأمة على التوحيد حتى اتجه الاسلام فى تقديمه لأمته الى ارساء دعائمها وغرس المحبة والألفة بين أفرادها واشاعة السبل الداعية لقوتها ، وكان لابد أن يعنى فى تشريعه بالأسرة ، باعتبارها اللبنة التى يتكون منها المجتمع الانسانى فان هى صلحت صلح جميعه وان ساءت حالها واختلت الموازين فيها انهار هذا المجتمع ولذلك أصل القواعد والمبادىء الانسانية التى يرتكز عليها نظام الاسرة حماية لها من التصدع وسلك فى هذا طريق الترغيب تارة والالزام تارة أخرى . والأسرة فى أصل لغة العرب ـ كما جاء فى اللسان لابن منظور ـ هى الدرع الحصينة وهذا رمز للقوة ، وكذلك الأسر فى الأصل بمعنى الشد والربط وسمى الحبل أو القيد بالأسار ، ولكل هذه المعانى الدالة على القوى والتجمع سميت عشيرة الرجل والأدنون من اقاربه بالأسرة .

ولقد نمى الاسلام العلاقات بين أفراد الاسرة وأرسى جذورها على عمد راسخة روحيا وماديا ، وجعلها متضامنة فى البأساء والضراء متعاونة فى المسرات يؤمن افرادها بمسئوليتهم قبل بعضهم ايمانا بشعورهم بان كل واحد منهم مسئول عن الآخر مسئوليته عن نفسه « وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله .. »

وهذا المعنى يسميه الاجتماع اليوم بالتضامن الاجتماعى وجعله الباحثون أول عناصر الحياة الطيبة للمجتمعات يتوقف عليه النجاح وبه تعيد عزيزة كريمة قائمة بواجباتها

ولهذا التضامن عنصران : أدبى ومادى :

أما العنصر الأدبى فيتمثل فى التعاطف والتراحم وفى الدعوة الى الخير والفضائل بصدق واخلاص ، كزيارة المرضى والتخفيف من آلامهم ، فتصبح الأسرة وكأنها جسم واحد ينشرح لمسرات أعضائه ويتكتل لمواجهة المصاعب وبأساء الحياة فى قوة وايمان وصبر ، وينأى أعضاؤه عن الأنانية البغيضة والنفعية الماحقة المفسدة والغرور بالنفس المؤسس على سوء الفكر والتدبير .

أما العنصر المادى فأساسه معونة الموسر من أفراد الأسرة للمعوز منهم واغاثته والمعونة كذلك فى المصالح العامة لها ، اذ لا مرية فى أن مقومات الحياة الانسانية سواء فى مظهرها العادى أو فى درجات الكمال منها ترتكز على المال فهو ـ كما قيل ـ عصب الحياة ، بل أن القرآن الكريم وصف الأموال بأنها زينة الحياة الدنيا وجعلها مثيلة للابناء ولا غرو فى ذلك فانها قوام المعاش والمصالح الخاصة والعامة ، واذا كان الاسلام قد دعا الموسر الى معونة المعسر ، فانه قبل هذا قد حث على التكسب وألزم به فور الفراغ من العبادة فهذا قول الله جل شانه « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » ولم يحتقر الاسلام عملا ما دام مشروعا ونهى عن الاسراف والتقتير ودعا الى الوسط بينهما وذلك قول الله العلى الأكبر « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » وحارب التسول لأنه مذل للنفس مضيع للكرامة ، اذ اليد العليا خير من اليد السفلى كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

ولقد نبه الاسلام الى ان المال مال الله جعل وسيلة لجلب المصالح وتقويم الحياة ووجه الى انفاقه فى الطرق المشروعة الخاصة والعامة وفى هذا يقول الله « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » « وآتوهم من مال الله الذى اتاكم » « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » وأرشد الاسلام فى دعوته هذه الى ضرورة البدء فى الانفاق بالاقارب ، وذلك حين بين وجوه البر فى قوله تعالى « وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة » « وآت ذا القربى حقه » « وبالوالدين احسانا وبذى القربى »

هذه نصوص من القرآن الكريم دعت لحسن الصلات والتضامن بين ذوى القربى والتواد والتراحم فيما بينهم تحقيقا لمعنى الأسرة ، والاسلام بهذه الدعوة يعتبر ـ بحق ـ دينا اجتماعيا يهدف لتنظيم امته وتقوية صفوفها ، بادئا باللبنة الأولى فى الأمة وهى الأسرة وليس

كغيره من الديانات السابقة مجرد دعوة للصلة بين الانسان وربه .

ولقد نظم الاسلام تكافل الأسرة ماديا ووضع الأصول والقواعد لالزام الموسر من أفرادها بانمائه المترب وشرح فقهاء شريعته تلك الأصول واستنبطوا شروط تنفيذها .

فقالوا ان القرابة ، فى الأصل نوعان :

احدهما قرابة الولادة أو الأصول والفروع .

والنوع الاخر قرابة غير الولادة وهذه نوعان أيضا :

احدهما قرابة محرمة للتزوج كالأخوى والعمومة والخئولة

وقرابة غير محرمة له كقرابة أولاد الأعمام وأولاد الأخوال والخالات والعمات

اما نفقة الأصول كالأب والأم والأجداد والجدات فان الولد الموسر ذكرا كان أو انثى يجبر على نفقة أهله . متى كان محتاجا ، وأصل هذا قول الله فى وصاياه « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا .. فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما .. » والنهى فى الآية عن التأفيف لمعنى الأذى ، وهذا الأذى متحقق فى منع النفقة عند حاجة الوالدين اليها ، ولهذا تجب نفقتهما على ولدهما عند فقرهما وخلوهما من التكسب وان قدرا عليه ، وهذا الرسول صلوات الله عليه يقول لسائله « انت ومالك لأبيك » واعتبر فى حديث اخر الولد كسبا لابيه .

والاسلام لا يشتط فى هذا فهو يلزم الولد بهذه النفقة متى كان موسرا يسارا فائضا فان كان كسوبا وليس بذى يسار طائل أوجب على الولد ضم والديه اليه فى معيشته ثم أوجب نفقة الولد الصغير الفقير على أبيه وكذلك الانثى الكبيرة الفقيرة التى لم تجب نفقتها على زوج وكذلك الابن الكبير المريض بما يقعده عن التكسب او من قام به مانع اخر كطالب العلم والأصل فى هذا قول المولى جل علاه « فان ارضعن لكم فآتوهن أجورهن . » والنفقة بعد الفطام بمنزلة المؤنة للرضاع ولان الولد جزء من الأب فتكون نفقته عليه كنفقة نفسه ، وكما يسرى الحكم على الأصول وان علوا يسرى على الفروع وان نزلوا لأنهم أوراق تلك الشجرة يتغذون من جذعها ، كما يتنسم الجذع الحياة من غصونه المورقة .

تلك قرابة الولاد كما عبر عنها الفقهاء ، اما قرابة غير الولاد فقد اشترط الفقهاء فى وجوب النفقة فيما بينهم لمتربهم على موسرهم المحرمية والارث وألزموا الموسر بالانفاق على كل ذى محرم منه الصغار والنساء وأهل الامانة أى الامراض المقعدة من الرجال متى كانوا ذوى حاجة ومتربة والأصل فى هذا قول الله « وعلى الوارث مثل ذلك » وهذه نظرة فاحصة من فقهاء الحنفية حين أخذوا من هذا النص وجوب النفقة بين ذوى الارحام المتوارثين ولم يقفوا عند وجوبها فى قرابة الولاد فقط كما قال غيرهم من الفقهاء ، اذ لا ينبغى ان يقف الغوث محصورا فى سلسلة الأصول والفروع دون سائر القرابة الأدنون ، وبهذا نظم الاسلام الصلة بين الموسر والمعسر فى الأسرة الواحدة ودعا الى الانفاق والبذل ووعد المنفقين بمضاعفة الثواب فى الأخرى ونماء أموالهم فى الدنيا وحسبنا أن نقرأ قول الله تعالى فى سورة البقرة « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » ويعلمنا الله ان يكون الانفاق شعورا بالواجب وتقديرا للمسئولية ابتغاء مرضاته وسعيا لاصلاح المجتمع وبرا بالفقراء والمساكين من ذوى القربى خاصة والمواطنين عامة ويحثنا على البعد عن المن والأذى فيقول « الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » تلك شرعة الاسلام فى التضامن الاجتماعى فى الأسرة الواحدة ومكانة الانفاق فى سبيل الله ، وذلك وعد الصدق لمن يجود بماله فى تفريج كربة أو احياء نفس ، فهذا الدين القيم أقام تكاليفه على تواصل أهله وتوادهم وتراحمهم حتى يكونوا صفا واحدا فى عزة وكرامة .

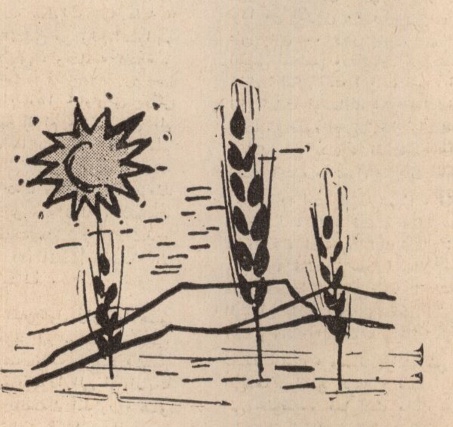

قصة التعارف بين الإمامين مالك والشافعي

الأستاذ حسن الشيخة

فى القصص نوع من الاسترواح ، وقد رويت هذه القصة الصادقة لان بها حقائق تاريخية تقفنا على الكثير مما كان بين الامامين مالك والشافعى ، وكيف اهتدى الشافعى الى شيخه الاول مالك ، وكيف آمن بغزارة علمه ، فاتخذه شيخا له ومعلما ، وكيف عرف مالك قوة الذكاء فى الشافعى ، فاثنى عليه بما هو أهله ، وجعله اول مريديه .

للامام الشافعى رحلات كثيرة فى طلب العلم ، منها هذه الرحلة التى لقى فيها الامام مالك بالمدينة ،ومنها رحلته الى العراق التى لقى فيها الامامين ابى يوسف ومحمد صاحبى الامام أبى حنيفة ، ولتوحيد الاتجاه فى القصص ـ اقتصر فى هذه الكلمة على قصته مع الامام مالك ، فهى فاتحة عهده فى طلب العلم ، والاساس **الاول الذى بنى عظمته الفقهية عليه .**

قبل أن أروى القصة بتصرفات أرى أن أترجم الامامين بأوجز الايجاز .

الامام مالك الذى وصف بانه امام دار الهجرة (يثرب) ـ ولد عام ٩٣ هـ ، وتوفى عام ١٧٩ ، ودفن بالبقيع ، وكانت حياته مقسمة بين البيت والمسجد ، ففى بيته يتلو القرآن عاكفا عليه وعلى تفسيره ، وفى المسجد يجلس لحديث رسول الله صلوات الله عليه ، ويغتسل لذلك ويتبخر ، ويمنع الناس من رفع أصواتهم تأدبا وتكريما لدرس الحديث النبوى ، ومناقبه كثيرة .

والامام الشافعى ولد بغزة عام ١٥٠ ، وتوفى بمصر عام ٢٠٤ ، بعد أن أقام بها أربعة أعوام ، وكان فى قل من العيش ، ولذلك كان يكتب ما يستفيده من العلم على العظام ، وعلى يديه ، وقد لقى الامام مالك بالمدينة وسمع منه « الموطأ » ، فاعجب به ، وكانت سنه يومئذ أربعة عشر عاما ، ومن كلامه المأثور عنه قوله : صحبت الصوفية عشر سنين ، ما استفدت منهم الا هذين الحرفين ـ (١) الوقت سيف ـ (٢) أفضل العصمة الا تجد ! ، ينتهى نسبه الى عبد مناف .

أما خلاصة قصته مع مالك : فكان أول راو لها هو الشيخ العالم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الاردبيلى بالجامع العتيق (جامع عمرو) سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وقد تسلسلت الرواية صعودا الى ان انتهت برواية تلميذ من تلاميذ الشافعى بالمسجد المذكور ، هو الربيع بن سليمان ، الذى سمع القصة مشافهة من شيخة ، ومن أصدق حديثا من كبار الائمة اذا قصوا قصص تاريخهم ؟ قال الشافعى .

رحلت من مكة .. لانيات بعارضى .. وفى الطريق رأيت ركبا .. فطلب شيخ منهم أن يأكل الشافعى معهم فاكل ، ويبدو أنه كان جائعا ، حيث ختم أكله مع هذا الركب بقوله « وحمدت الله واثنيت عليه » ، وقد يسأله الشيخ الذى دعاه للطعام أمكى أنت ؟ فقال مكى، أقرشى انت ؟ فقال قرشى ، ثم سأل الشافعى الشيخ .ماالذى دلك على اننى مكى قرشى ؟ قال الشيخ : أما مكى فبالزى ، وأما قرشى فبالأكل معنا ، لان من أحب أن يأكل طعام الناس أحب أن يأكلوا طعامه ، وذلك فى قريش خاصة ، ويسأله الشافعى عن بلدته فيعرف أنه يثربى، ولما كانت قبلته العلم من صغره . فى أية بلدة حل بها. فقد سأل الشيخ عن العالم بالمدينة ، والمتكلم والمفتى ، فاخبره الشيخ أنه سيد بنى أصبح ، مالك بن انس (وذو أصبح هو والد الامام مالك ، وقد نسبه اليه) فقال الشافعى ! واشوقاه الى مالك ، فأخذ القوم فى السير وانا معهم ، وختمت من مكة الى المدينة ست عشرة ختمة .. ودخلت المدينة فى اليوم الثامن ، فصليت فى مسجد رسول الله ـ صلوات الله عليه .. ورأيت مالك بن أنس وهو يملى الحديث ، فأخذت عودا من الارض .. وكلما أملى مالكا شيئا أكتبه بريقى على يدى .. وهو ينظر الى من حيث لا اعلم ، حتى انقضى المجلس ، فأشار الى فدنوت منه ، فنظر الى .. وقال : أمكى أنت ؟ قلت نعم ، أقرشى انت ، قلت قرشى، قال كملت أوصافك لكن فيك قلة أدب ، قلت ومالذى رأيت من سوء أدبى ؟ قال رأيتك وانا أملى الحديث تلعب بريقك على يدك ، فقلت له عدمت البياض (الورق) فكنت أكتب ما تقول على يدى بريقى ، فجذب يدى اليه وقال : ما أرى عليها شيئا ، فقلت : ان الريق لا يثبت على اليد ، ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست، وحفظته ، فتعجب مالك وقال : اعد على ولو حديثا واحدا ، فقلت : حدثنا مالك عن نافع .. حتى اعدت عليه خمسة وعشرين حديثا ، حدث بها من حين جلس الى أن انتهى .. وسقط القرص (غربت الشمس) فصلى مالك المغرب ، واقبل على عبده ، وقال خذ بيد سيدك اليك ، وسألنى النهوض معه ، فقمت غير ممتنع الى ما دعا من كرمه ، فلما أتيت الدار ادخلنى الغلام الى خلوة .. فما لبث مالك حتى أقبل هو والغلام حاملا طبقا .. فكشف الامام عن الطبق ، وكان به

صفحتان ، فى أحداهما لبن ، وفى الاخرى تمر .. فأتيت أنا وهو على جميع الطعام ، وفطن مالك الى اننا لم نأخذ من الطعام الكفاية ، فقال لى : ياأبا عبد الله ، هذا جهد من مقل الى فقير معدم ، فقلت : لا عذر على من أحسن ، انما العذر على من أساء ! واقبل على يسألنى عن أهل مكة ، حتى دنت العشاء الاخيرة فصلينا .. ونمت ليلتى .. وتجهزت للصلاة ، وصليت معه الفجر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الى أن طلعت الشمس على رءوس الجبال ، فجلس الامام فى مجلسه ، وناولنى الموطأ ، أمليه وأقرأه على الناس وهم يكتبونه ، فأتيت على حفظه من أوله الى آخره ، وأقمت ضيف مالك ثمانية شهور ، وما علم احد من الانس .. أينا الضيف ، وأينا المضيف ، ثم قدم المصريون على مالك للزيارة بعد الحج ، ولسماع الموطأ ، فانابنى عنه ، فأمليت عليهم حفظا ، منهم عبد الله بن عبد الحكم ، وأشهب ، وابن القاسم ، والليث بن سعد ، ثم قدم بعد ذلك أهل العراق للزيارة أيضا .

والى هنا انتهى الطور الاول لمقابلة مالك والشافعى، وما كان بينهما مما عرف فيما أسلفت ، وهناك طور آخر فى اللقاء ، جاء بعد أن رحل الشافعى رحلته الى العراق للقاء أبى يوسف ومحمد صاحبى أبى حنيفة ، وهذه الرحلة العراقية لها اسباب ونتائج ، وقد قلت سابقا اننى لا أتعرض لها لتوحيد الاتجاه فى هذا القصص ، ولانها رحلة متشعبة المسالك ، لقى فيها الشافعى بعد الامامين صاحبى ابى حنيفة - الخليفة هرون الرشيد ، وكان بينه وبين الشافعى الشىءالكثير من الطيبات .

رجع الشافعى من هذه الرحلة العراقية بعد أن حسنت حياته المالية بعد الفقر - الى الحجاز ، فوصل (يثرب) ، واذ به يرى الامام مالكا داخلا المسجدالنبوى وقد فاح عطره ، وحوله خلق كثيرون ، ويحمل ذيول ملبسه منهم أربعة ، وجلس على الكرسى المعد له ،والقى مسألة فى جراح العمد ، (وهو باب من ابواب علم الفقه) ، ولما تأمل الشافعى عرفه سائل : هل أنت الشافعى ؟ فقال نعم ، فضمه مالك الى صدره ، ونزل من كرسيه وقال له : أتمم هذا الباب الذى نحن فيه ، فالقى على الناس أربعمائة مسألة تدور كلها حول باب جراح العمد ، وبعد ذلك وصلا الى منزل مالك ، وقد قال له مالك . هذا منزلك يا شافعى وان كان منسوبا الى ، وقد رأى الشافعى ان المنزل قد تغير من بناء قديم الى جديد فبكى ، فقال مالك لم تبكى ؟ هل خفت يا أبا عبد الله أن قد بعت الآخرة بالدنيا ، فقال الشافعى والله خفت ذلك !؟ فأجابه : طب نفسا وقر عينا ، هذه هدايا مصر وخراسان ، ومثلها يجيئنى من أقاصى الدنيا! وكان النبى صلوات الله عليه يقبل الهدية ويرد الصدقة وفى صناديقى خمسة آلاف دينار اخرج زكاتها ، ولك منى نصفها يا أبا عبد الله .. وما بت الا وجميع ما وعدنى به تحت يدى .. ثم رأيت على باب منزله جيادا من خراسان ، وبغالا من مصر ، فقلت له ما رأيت كراعا أحسن منها ، فقال هى هدية منى اليك ياأباعبدالله فقلت أبق لك منها دابة ، فقال مالك انى أستحى من الله أن أطأ قرية فيها نبيه وصفيه بحافر دابة ، وهنا أيقن الشافعى أن ورع مالك باق على حاله كما عرفه ، ثم ارتحل الشافعى الى مكة يسوق أمامه خير الله ونعمه التى أهداها مالك اليه ، وكان هذا آخر العهود بلقائهما فقد مات مالك عام ١٧٩ كما سبق ، ورحل الشافعى الى مصر عام ١٩٩ ، وصنف بها كتبه الجديدة ، وقد روى عنه مريده الذى روى عنه قصة رحلاته كلها أنه رأى على باب دار الشافعى فى مصر سبعمائة راحلة ، كل أصحابها يطلبون سماع كتبه فى مذهبه الجديد الذى الف فيه هذه الكتب .

واختم هذه الكلمة ببعض ما أثر عنه من قول : أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب فى مودة من لا ينفعه ، وقبل مدح من لا يعرفه .

وبعد فهذه قصة التعارف بين امامين كبيرين ، كتبتها بايجاز وخير الكلام ما قل ودل ولم يمل ، وقد حسبت أن بها طرافة ، ولها دلالات ، منها انقطاع ائمة المسلمين الأولين الى العلم طول حياتهم ، ومنها اجتهادهم الذى نوع مذاهبهم فصارت متعددة فى فروعها ، ومنها الوقوف على مقدار الذكاء الذى ميزهم عن غيرهم فكانوا أهلا للاجتهاد حقا ، ومنها تقبلهم للفيض العلمى الذى أفيض عليهم فزرعوا به الزرع الذى جنينا من ثمره الفقه الاسلامى الباقى على الدهر ومنها نعرف أخلاقهم السمحة الكريمة التى هانت عليهم بها الدنيا فكانوا قدوة المسلمين

المنافقون

حل النفاق لأهله وعليك فالتمس الطريقا
واربأ بنفسك أن ترى الا عدوا أو صديقا

الاستاذ احمد محمد بريرى

يريدك أن تترك النفاق لذويه أو أهله تلتوى بهم السبل ، وتتفرق كيف شاءوا . فذلك شأنهم وهم له ألفاء ، وعليك أن تلتمس طريقك واضحة غير ذات عوج ، فان من حق نفسك عليك أن تقيمها على النهج السوى مستقيمة معه فلا يراك الناس الا عدوا معلما أو صديقا معلنا صادقا .

وصاحبك هذا الذى ينصح لك أن تكرم انسانيتك التى كرسها الله سبحانه وتعالى وفضلها تفضيلا على كثير ممن خلق ، عاش فى النصف الثانى من القرن الاول لهجرته - صلى الله عليه وسلم - وها أنت ذا ترى الوصف الذى يريدك أن تتجنبه قد أصبح عاما شاملا لشئون الحياة كلها سواء الدينى منها والدنيوى أفليس بينا أن النفاق انما هو أن تظهر غير ما تضمر فى أمور الصداقة والعداوة وغيرهما مما تتلاقى فيه مع الناس من ضروب العيش ، فترى بعضهم لا يلتبس عليك فهمه فهو لا يدارى ولا يوارى فهو القوى الأمين وبعضهم يصانع ويداهن فهو الضعيف المهين تأبى له نفسه الخوارة الا أن يسترها فيزدوج ظاهره غير باطنه.

ان للفظ النفاق نفسه دلالة عامة مهما تدربه وتقلبه على مختلف وجوهه وتعالجه بحروف الزيادة ، فهى سمته غير المفارقة وانما أعنى **((الخفاء))** أو **((الكتمان))** **أو النفاد أو ((الاستنفاد))** وهى كما ترى معان متقاربة منتسبة الى أسرة واحدة .

نفقت السلعة فى السوق اذا عرضتها فتواردها الطلب فكثر فاستنفدها فنفدت ، أو نفيت .

وأنت تنفق الدراهم أو القروش فتنفدها .

والرجل ينفق أو الدابة تنفق أى تنفد حياته أو حياتها ومنه ((**النفق**)) أى السرب فى الارض يشتق الى موضع آخر فهو خفى لا تراه الا أن تتأدى اليه .. وهكذا .

در مع اللفظ حيث شئت فلن يعدم دلالته العامة التى اليها مرجع كل الدلائل الخاصة المشتقة منها .

ولقد بينا فى حديث سلف أن الدلالة الدينية الخاصة بكلمة ((**نفاق**)) مما استحدثه الاسلام أو لغة القرآن والحديث الشريف فان العرب فى جاهليتها لم تكن استعملت اللفظ لتدل على ذلك المعنى ، وانما قالت : **نافق اليربوع أو الضب** ، تريد : **سلك النافقاء أو خرج منها فما النافقاء هذه وكيف يسلكها ولماذا ؟**

ان اليربوع لحيوان صغير ضعيف لا حول له ولا قوة يمتنع بها على الاعراب الذين يصطادونه أو على حد تعبيرهم يحترشونه : أى يستخرجونه من بيته ليذبحوه ويأكلوه . ولقد علمته غريزة الحياة وتنازع البقاء أن يحتال لما دام لا يستطيع المواجهة أو المجابهة والدفاع عن النفس بالظفر والناب .

فهو يحتفر له جحرين أو يصنع بيتين احدهما ظاهر اسمه ((**القاصعاء**)) . والثانى مكتوم خفى اسمه ((**النافقاء**)) فاذا هوجم فى الاول عمد الى الثانى فدلف اليه فخرج منه فهرب .

أو كما يقول صاحب ((**القاموس المحيط**)) : النافقاء والنفقة كهمزة : احدى حجرتى اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا أتى من جهة القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق .

ويزيدك صاحب اللسان ايضاحا فيقول :

((سمى المنافق منافقا للنفق وهو السرب فى الارض وقيل انما سمى منافقا لانه نافق كاليربوع ، وهو دخوله نافقاءه . يقال : قد نفق به ونافق وله جحر آخر يقا ل له القاصعاء ، فهو يدخل فى النافقاء ويخرج من القاصعاء أو يدخل فى القاصعاء ويخرج من النافقاء ، فيقال هكذا يفعل المنافق يدخل فى الاسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذى دخل فيه .. الى أن يقول : وقد تكرر فى الحديث ذكر النفاق وما تعرف منه اسما وفعلا وهو اسم اسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذى يستر كفره ويظهر ايمانه وان كان أصله فى اللغة معروفا ، يقال : نافق ينافق منافقة ونفاقا وهو مأخوذ من النافقاء لا من النفق وهو السرب الذى يستتر فيه لستره كفره .

وفى حديث حنظلة : نافق حنظلة : أراد انه اذا كان عند النبى - صلى الله عليه وسلم - أخلص وزهد فى الدنيا واذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى ان يسامح به نفسه .

وفى الحديث : أكثر منافقى هذه الامة قراؤها : أراد بالنفاق ههنا الرياء لأن كليهما اظهار غير ما فى الباطن » .

يريد صاحب اللسان أن يفرق بين الرياء من ناحية وبين النفاق من الناحية الاخرى . فالمرائى هو المؤمن او المسلم يحب أن يظهر للناس على أنه تقى نقى فى حين انه لا يخشى اللوم ولا يتحرز ، وانما هو التظاهر أو سنة « الفريزيين » من بنى اسرائيل .

فأما المنافق فليس من الايمان ولا الاسلام فى شىء . فالخلاف بين الطائفتين منصب على أصل العقيدة الدينية بيد أنها تعرفة اصطلاحية جاءت متأخرة بعد أن تنزل فى محكم التنزيل : « **يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين** » .

فأنت ترى هذا الذى ينفق ماله مرائيا غير مؤمن بالله ولا باليوم الآخر لا يختلف فى شىء عن أخيه الذى يسمى منافقا .

وواضح أن القراء اذا وصفهم - صلى الله عليه وسلم - بأنهم منافقون فهو انما يريد هذا المعنى الذى أشار اليه صاحب اللسان لا المعنى الآخر الذى تضمنته الآية الكريمة .

وطائفة أخرى من الناس الطيبين لا يجوز أن نخلطها بالمنافقين أعنى أصحاب التقية من المسلمين المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .

فلقد أنذر النبى - صلى الله عليه وسلم - عشيرته الاقربين بل صدع بما أمر أن يصدع به معرضا عن المشركين ، وكان بمكة والظواهر والبطاح جماعة من الرقيق والفقراء والضعفاء ممن لا يعتصمون بعصبية آمنوا بالعقيدة والنظام الجديدين على خلاف سادتهم وكبرائهم الذين ضلوا وأضلوا بل كان من تلك الجماعة كثيرون وكثيرات ينتمون الى قريش والعصبيات الكبرى بيد أن ظروفهم الخاصة تسمهم بميسم الضعف كزوج اخت عمر بن الخطاب الذى كان هو وزوجته من المؤمنين قبل ايمان عمر - رضى الله عنه - وماكانا ليستطيعا الجهر بهذا الايمان .

كانت تلك الفئة من المسلمين مطمئنة قلوبها بالايمان فى السر .. كانت تخشى الضرب المبرح ومختلف صنوف التعذيب والبلاء المبين أو بعبارة أخرى كانت تتقى « الكبار » من المشركين فتتظاهر بأنها على دينها ونظامها القديمين . فلقد وجدوا آباءهم على أمة وهم على آثارهم مقتدون .

فكذلك ينشأ ما سمى فيما بعد « التقية » أى اتقاء الضرر بأن يظهر بغير ما يضمر . ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، فيقول فى محكم التنزيل : « **الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان** » مستثنيا أولئك المكرهين أن يكونوا من جملة الكافرين .

ولقد كنت تجد من بينهم نفوسا قوية أبى أصحابها الا أن يجهروا بالثورة غير مبالين وليكن ما شاء الله أن يكون ، وهكذا فعل ياسر وزوجه سمية .. فصبرا للبلاء حتى أتى عليهما فاستشهدا وحسبهما أن الرسول الصادق الامين - صلى الله عليه وسلم - حدد لهما ميعادا فى الجنة ، مع الانبياء والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

ولكن البطولة وأعمالها تطوع واختيار .. واذا استشهدت قلة من المستضعفين الاولين فلقد بقيت كثرة كانت فيما بعد من كبار المسلمين الذين شهدوا زوال العهد القديم وجبروته وطغيانه وقيام العهد الجديد فى عزه وجلاله وعدالته .

لقد ضرب الدهر من ضرباته فقوى الضعفاء وعز الاذلاء ولم يبق لذوى الكبرياء من القدماء الا أن يتستروا فى ثياب النفاق .

ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الارض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » .

وأى تمكن أمكن من أن ترى عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - الذليل الحقير بمكة ، يعلو صدر سيده أبى الحكم . وبلالا - رضى الله عنه - « الغراب الاسود » يتحكم فى مصير سيده القديم - حقيقة لا مجازا - أمية بن خلف وابن سيده « على » .

ان ربك لبالمرصاد ، وهو لا يظلم الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

والعاقبة للمتقين .

الاسلام والفن

هل أثر الاسلام فى الاتجاه الفنى عند المسلمين .

الدكتور جمال محرز

عرفت البشرية فى تاريخها الطويل صنوفا من الحضارات وألوانا من الفنون تباينت فيما بينها باختلاف العصور وكان لكل من هذه الفنون طابع خاص يميزه وأسلوب فى التعبير يدل عليه :

ومن هنا أطلق على مختلف الفنون التى ظهرت من قديم الزمان الى وقتنا هذا أسماء مختلفة تدل على اتجاهاتنا الفنية وأسلوبها فى الآراء .

وبعض هذه الفنون لم يقدر له أن يتخطى حدود المنطقة التى نشأ فيها فظل فنا محليا ، وبعضها الآخر استطاع أن يتعدى هذه الحدود وينتشر فى ساحات واسعة وفى بقاع أخرى فاكتسب صفة العالمية ومن هذه الفنون الأخيرة الفن الاسلامى .

ويعد الفن الاسلامى من أوسع الفنون انتشارا وأطولها عمرا اذ شمل مساحة شاسعة من أرض العالم القديم امتدت من حدود الصين شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ومن جبال الألب شمالا الى حدود السودان الجنوبية وهو لم يقتصر على هذه البقاع فقط التى كانت تتكون منها أملاك الدولة الاسلامية بل امتد أثره الى أماكن أخرى من العالم القديم كانت تتاخم وتجاور هذه الأملاك . وكان أول ظهور للفن الاسلامى فى القرن السابع الميلادى واستمر ينمو ويزدهر الى أن أصابه الاضمحلال فى القرن الثامن عشر الميلادى عندما طغت عليه الأساليب الغربية .

وكان للفن الاسلامى مثله الأعلى فى التعبير فى الآراء مثله فى ذلك مثل كل الفنون ومن أبرز صفات الفن الاسلامى التهذيب أو التحوير وهو ما يقصد به البعد عن صفة تمثيل الطبيعة وبعبارة أخرى التجديد أى أن الوحدات الزخرفية لم تكن صورة صادقة لما هى عليه فى الطبيعة بل أصابها تحوير وتبديل أفقدها بعض صفاتها وخصائصها فغدت غير طبيعية ولكن يجب علينا أن نقرر أن الفن الاسلامى أنتج لنا فى بعض الأوقات

رسوما طبيعية لاتقل عما أنتجه الفنانون الغربيون وكانوا صادقين فى تمثيل هذه الوحدات ٠

وقد دأب بعض من أساتذة الفنون والآثار الاسلامية على أن ينسب الى الدين الاسلامى وجود هذا الاتجاه الفنى الاسلامى ويرجعون هذا كله الى موقف الاسلام من التصوير وما كان له من أثر فى انتاج الفنانين المسلمين ٠

أما موقف الاسلام من التصوير فقد كثر فيه الكلام وطال وتشعبت الآراء وتضاربت الأقوال ولسنا فى حاجة هنا الى الخوض من جديد فى هذا الموضوع وحسبنا أن نقرر أن القرآن الكريم لم يحرم التصوير اذ لم يرد فيه نص صريح على ذلك اذ أن الأحاديث النبوية اختلفت فيما بينها وأن بعضا منها أباح رسم مالا روح له وبعضها الآخر سمح بالرسم على أن يكون فى أشياء ممتهنة ولهذا نرى أن الاسلام لم يحرم التصوير وأن الذى كان هو كراهية للتصوير فى بداية العهد بالاسلام صونا للناس وحفظا لهم ووقاية مما قد يقربهم ويعود بهم الى عبادة الأوثان ٠

وقد رأى البعض أن موقف الاسلام من التصوير كان له أثره فى الفن الاسلامى فى عدة مظاهر أهمها ما سبق الاشارة اليه ونعنى التهذيب وعدم التجسيم ٠

والواقع وحقيقة الأمر أن الاسلام برىء من هذا الاتهام ولو تتبعنا الانتاج الفنى لأهم الفنون التى كانت سائدة فى البلاد التى خضعت للاسلام وأعنى الفن الساسانى والبيزنطى فى القرون السابقة للاسلام لاتضحت لنا الحقيقة وثبت لنا بطلان رأى هذه الطائفة من علماء الآثار والفنون الاسلامية

فلو قارنا مثلا رسوم الحيوان فى الفن الايرانى القديم فى عصوره المختلفة قبل ظهور الاسلام لوجدنا أن الميل نحو التهذيب والتبسيط قد ظهر فى رسوم هذه الحيوانات سواء مانقش منها على الصخر أو عمل فى الأوانى المعدنية ٠

ويتضح هذا الميل كلما قرب العهد بنا من العصر الاسلامى ويظهر ذلك فى رسم العضلات بصفة خاصة فبعد أن كانت فى العصور القديمة قوية بارزة نراها تأخذ بمضى الزمن فى الضعف والارتخاء وتختفى التفاصيل شيئا فشيئا الى أن تصبح مجرد خطوط تدل عليها وكذلك الشأن فى رسم أجزاء الحيوان ومفاصله كما يبدو هذا الاتجاه أيضا فى رسوم الأشخاص وتعبيراتهم ٠

فهنا فى النهضة الايرانية نشاهد هذا الميل الفنى نحو التبسيط والتحوير وأنتقل منها الى الغرب حيث نشاهد آثاره فى منتجات الفن البيزنطى ونلاحظ ازدياد هذا الميل وخصوصا كلما قرب بنا العهد من العصر الاسلامى مسئولية وجود هذا الاتجاه الفنى غير أن المسلمين مسئولون من جهة أخرى عن نشره فى اتجاه امبراطوريتهم ٠

ويرجع ذلك الى عدة عوامل أولها أن العرب الفاتحين اعتمدوا على الفنانين من أهل البلاد المفتوحة فى انتاج ماهم فى حاجة الى اقتنائه من أدوات وأثاث وما يريدون تشييده من عمائر وعما كان العرب قد جاءوا الى هذه البلاد وأيديهم خاوية الوفاض من التقاليد الفنية التى تسمح بأحداث تغيير جوهرى فى فنون هذه البلاد فقد استمر فنانوها فى اتباع أساليبهم التى كانوا يمارسونها قبل الاسلام ومن هنا جاء استمرار مذهب التبسيط

أما ثانى هذه العوامل فهو مادأب عليه الخلفاء من استدعاء الفنانين من مختلف البلدان للاشتراك فى تشييد العمائر فى عواصمهم وتأثيثها وهذا أمر من شأنه أن يساعد على نشر الأساليب الفنية وانتقالها من مكان الى آخر ٠ فضلاعن سهولة تنقل الفنانين أنفسهم ومنتجاتهم من قطر الى آخر لخضوع هذه البلدان جميعا بحكومة واحدة مركزية تقيم تقيم فى عاصمة الامبراطورية ٠

وثمة مسألة أخرى تتعلق بهذا الموضوع وهى استمرار اتباع هذا المذهب فى الفن الاسلامى فى حين استطاعت البلدان التى كانت تسير فى فلك الفن البيزنطى أن تتخلص منه ابتداء من عصر النهضة وفقا للمبادىء التى سادت فى هذا العصر والسبب

فى هذا راجع الى أسلوب تعليم الفنانين المسلمين .

فالواقع أن الأمر قد لا يختلف كثيرا عما هو متبع الآن فى تعليم الأطفال الحرف التقليدية عندنا وهو أسلوب من شأنه أن يقتل الموهبة عند الطفل اذ الشاب الناشىء ولنضرب لذلك مثلا بالأسلوب الذى كان متبعا فى تعليم المصورين فأولى الخطوات هى تعلم عملية تحضير الألوان وتجهيزها وبعد ذلك ينتقل الى الرسم تبتدأ بالخطوط فالأشكال البسيطة فالاشجار ثم بالاشخاص وكان لاينتقل من مرحلة الى أخرى الا بعد أن يتقن الأولى اتقانا تاما ويستطيع رسمها من الذاكرة وفى آخر الأمر يتعلم رسم موضوعات مكونة فعلا فهذا أسلوب من شأنه كما قلت يقتل الموهبة ويقلل من فرص الابتكار والابداع عند الفنان الناشىء ولهذا السبب نجد أن أكابر المصورين المسلمين كان ابداعهم فى فرج الألوان وتنوع حركات بعض الأشخاص بل ان بعضهم وهم فى أوج كبره أنتج رسوما نقلها عن أساتذته كما نقلها فى نشأته .

وما كان متبعا فى التصوير كان متبعا ولاشك فى باقى الميادين الفنية ولذلك نجد الاستمرار لهذا المذهب اللهم الا فى فترات معينة من تاريخ الفن الاسلامى وفى بعض البلدان حيث استطاع الفنانون المسلمون انتاج رسوم صادقة التمثيل للطبيعة وبعض رسوم مجسمة وبخاصة فى الفن الهندى المغولى ولم يحدث ذلك الا بعد الاتصال بالغرب والتأثر بالفن الغربى وهذا يدلنا على أن الدين الاسلامى لم يكن له شأن بوجود هذا المذهب الفنى وأعنى التهذيب والتبسيط ولا باستمراره .

وأخيرا يجب علينا أن ننظر الى الفن الاسلامى كحركة فنية لها طابعها الخاص ظهرت فى وقت معين نتيجة للتطور الفنى مثله فى ذلك مثل تلك التى ظهرت فى عالم تاريخ الفنون .

صرخة من إخاء

الشاعر عبد الله شمس الدين

القيدُ والتدميرُ والأخطارُ ... ماذا جنيتم أيها الأحرارَ !!

درءُ المذلّةِ عن حماكُم . هل غدا ... جُرْمًا : وهَلْ هذا التحرر عارٌ !!

عَجَبًا تنادَوْا بالحقوق : وهذه ... أطماعهم : والصارمُ البتّارُ

والشوك والحرمان والأكدارُ ... والبطش والطغيان والأغيارُ

فى كلِّ يوم قصّةٌ لمكافح ... ترتاع من أهوالها الأقطارُ

دَمُهُ على يده يسيل . وقلبُه ... بَحْرٌ بأمواج الأسى زخّارُ

يسعى إلى غاياته متوثّبًا ... وعليه من أثر الصراع غُبار

لا يمنع القيدُ الثقيل ركابَهُ ... مِنْ أن يسير وعزمُه جبّارُ

وهناك من خلف القلاع جحافلٌ ... للشرِّ يدفعها هوًى وسُعارُ

تسعى وراء نضال كلِّ تحرر ... والكيدُ ملءُ إهابها موّارُ

أأخى . وأنتَ أخٌ لكلِّ مناضِل ... شرفت بذكر كفاحه الأسفار

ألقيْتَ فى الجُلَّى عصاك . فهاتها ... فهنا شفاهٌ شوقهن مُثارُ

لَكَ فى الكنانة اخوةٌ توّاقةٌ ... لك فى « الجنوب » وقد دعاها الثارُ

ما قد نهضت له دعانا وحْدَةً ... فاصمد فخلْفَكَ إخوةٌ ثُوّارُ

أأخى . وأنْت أخٌ لكل مكافح ... يجثو بصدرِ بلاده استعمارُ

هذا هتافُ مشاعرٍ من شاعرٍ ... فى قلبه مما قذفْتَ أُوارُ

من شاعر لم تلقَهُ يومًا . وإنْ ... جمعَتْكُما والأوطانُ الأفكارُ

فأقِمْ على ما قد بدأت من العُلا ... فلها يعيش ويُولَدُ الأحرارُ

انسانية وعدالة من التاريخ الاسلامى

الاستاذ عبد المقصود حبيب

الانسانية فى التعامل هى أن ينظر المرء الى اخيه المرء على انه انسان مثله متساو معه فى الحقوق ومتساو معه فى أحقيته بالحياة الكريمة مهما اختلفت الدرجات أو المناصب أو العقائد .

والعدل فى التعامل أن الانسان ينظر الى الأمور بالحق و لايحيد عن هذا الحق لمنفعة أو قرابة أو أى سبب من الأسباب ، والانسانية والعدالة هدفا من أهداف الدين الاسلامى الحنيف وما أرق انسانية محمد - عليه الصلاة والسلام - وما أعدله فى الحق حتى على نفسه .

وجاء من بعده الخلفاء .. كانوا رمزا للانسانية وسيفا للعدالة حتى ولو كان على رقابهم لايحيد عن ذلك قرابة ولانسب ولا مصاهرة ولا جاه .

كانوا حريصين أشد الحرص وكل الحرص على كرامة الانسان وحريته وحقوقه لايغير من هذه النظرة جنس ولا لون ولا عقيدة

مثلا .. كان يسير عمر بن الخطاب يوما متفقدا أحوال الرعية فرأى رجلا عليه علامات الشيخوخة المعجزة .. رآه يسأل الناس فضلا من رزقهم فاقترب منه عمر وقال له :

- ماذا دعاك الى ماأرى من سؤالك الناس احسانا ؟

فقال الرجل :

- أنى يهودى من أهل الكتاب .. ألجأتنى الحاجة الملحة فى شيخوختى ترى ماذا فعل عمر

نظر الى الرجل أولا على أنه من رعيته وجبت عليه رعايته

نظر اليه ثانيا على أنه انسان له حق العيش وعرضت حاجته على الحاكم .. بل رآها رؤيا العين .

واختفت كل الاعتبارات الأخرى أمام الانسانية التى ملأت شغاف عمر من شدة ايمانه بالله وعمق تعرفه للاسلام واقتدائه القدوة الحسنه بالرسول الكريم .

اختفى كل شىء أمام تلك الانسانية الفاضلة وأخذ عمر الرجل من يده وأفاء عليه ما يقيم عيشه من بيت المال .

ماأعظمها انسانية ندعو الله أن يبثها فى قلوب الناس فينظر كل الى أخيه نظرة الانسان الى الانسان .. لا دين ولا لون ولا جاه .. فقد خلق الله الناس جميعا من نفس واحدة .

وفى عهد عمر أيضا تسابق عبد الله بن عرو بن العاص على ظهر خيل هو وشاب قبطى من مصر وقد كان « عمرو » حاكما لمصر ونال الشاب القبطى السبق فى تلك المنافسة ولم يقبل ذلك عبد الله « فهو ابن حاكم البلاد » وضرب القبطى بالسوط معتزا بأصله ومتفاخرا بحكم أبيه قائلا وهو يهوى بالسوط على الرجل :

- خذها وأنا ابن الأكرمين .

أخذ الشاب القبطى ضرب السوط من «ابن الأكرمين » وشد رحاله الى ساحة العدل الواسعة التى لاتفرق فى عدلها بين الناس الى المدينة ليرفع مظلمته الى القاضى العادل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ترى ماذا فعل عمر ؟

استدعى واليه على مصر مع ابنه المشكو فى حقه .. ومثل الجميع أمامه فى المدينة وثبتت صحة الشكوى وذنب « عبد الله بن عمرو بن العاص فى ذلك .. وأصدر أمير المؤمنين الحكم قائلا للشاب القبطى :

- اضرب ابن الأكرمين .

واقتص الشاب لنفسه تنفيذا لحكم العدالة من ابن الأكرمين بضربه على ملأ من الشاهدين . .

أصدر عمر ذلك الحكم بالرغم من أن أحد طرفى القضية ابن واليه .. ولكن رآه مذنبا ولم ير فى القضية غير ذلك .

لم ير نسبه ولا جاهه ..

ولم ير اختلاف دين كل من الطرفين وأن أحدهما من دين الدولة والثانى من دين الأقلية .

لم ير أن عمرو بن العاص صحابى جليل وقائد من أبرز قواد المسلمين ..

ولم يرى أنه فرش الطريق بسيفه أمام الاسلام الحنيف ، نعم .. لم ير الا العدل .. والعدل فقط ولابد أن يسود حتى يطمئن كل ذى حق الى مناله وحتى لايكون تسلط ولا خوف وحتى لايكون ظلم واستعداء وحتى لايكون حقد فئات على فئات فتبذر بذور الشقاق بين أفراد أمة واحدة .

ولم تكن تلك الانسانة وتلك العدالة فى أجلى معانيهما ومثالية تطبيقهما الا من أسس الأمة القوية التى يقف أهلها جميعا وبلا استثناء فى صفها ومقاومة عدوها .

وفقنا الله الى هذه الانسانية وهذه العدالة .. حتى يرى الناس جميعا أنهم واحد أمام جميع الظروف والمناسبات .

فنعم هذه المثل من قدوة للراعى وللرعية .

ونعم هذه المثل من قدوة للمواطن والحاكم

هدى الله الجميع .

الإسلام
دين الفطرة

إعداد : الأستاذ عبد العظيم ملوك

- "فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم".

قرآن كريم

- "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

حديث شريف

- "ما من نفس منفوسة - أيا كان نوعها - إلا والإسلام منزل من أجلها".

- "مبادئ الإسلام الكلية هي مبادئ الإنسان في كل زمان".

جاء الاسلام بمبادئه السامية وشرائعه السمحة ليخرج الناس من الظلمات الى النـور ، ويهديهم الى الصراط المستقيم ، فصحح العقائد وقوم الأخـلاق ، وأصلح العادات ونظم أصول الحكم ، ورسم الخطة لبناء المجتمع السليم الذى تتكافأ فيه الفرص وتتعاون الجهـود لخير المجتمع فامتد سلطانه فى الشرق والغرب بمبادئه القويمه ومثله العظيمه ورحمته الشامله وانسـانيته الراقية ، وتسـامحه السامى ، وعدله العالى ، هذه المبادىء هى التى جعلت بنى الانسان فى الارض يهرعون اليه بقلب مفتوح ، وصدر منشرح يتلقفونه من دعاته الذين انتشروا فى كل مكان يحملون هدايته الى العالم أجمع

والرسالة المحمدية هى خاتمة الرسالات الالهية فكانت للناس كافة اما الرسالات السابقه فكانت خاصة فكـان كل رسول يرسل الى قومه وحدهم ... ومعجزة الرسالة المحمدية ودعامة شريعتها القرآن الكريم وهو فى الانسانية دعوة خالدة الى سبيل الحق والخير «وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهـم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم»

وقد كان القرآن ولا يزال الأصل الأول فى التشريـع الاسلامى ثم كانت السنة وهى لبيانه والكشف عنه فرعا تابعا له وأصلا ثانيا فى التشريع ، وينبنى على هـذين الأصلين الاجماع والقياس

ومن هنا نرى ان كل مصادر التشريع الاسـلامى السمحه تهدف الى غرض واحد وهو اصلاح البشريـة جمعاء وقد ثبت أنها أصلحت من حالها زمن نزولها وبعده وما دامت البشريه لم تتغير

وفى طبيعة كل انسان شعور فطرى بان للكون موجدا منظما مهيمنا عليه لا يدركه الحس ، وهذا هو السبب فى تخبط البشر قبل الرسالات السماوية واختلافهم فى تصور الموجد العظيم ، فعبدوا مظاهر شتى مما ينفعهم ، رجاء نفعهم ، واتقاء ضررهم ، فبعضهم عبد الشمس ، وبعضهم عبد البحر ، وبعضهم عبد النهر ، وبعضهم عبد الشجر .. الخ ونسب بعضهم الى كل قوة من قوى الطبيعـة ومظهر من مظاهرها الها فكان للزرع اله ، وللمطر اله .. الخ لأنهم أحسوا احساسا باطنيا أن الكون لا يمكن أن يوجد نفسه ، ولا أن ينظم نفسه ، فذهبوا كما ذهب الرجل الاعرابى فى قوله : البعره تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج الا يدل هذا على اللطيف الخبير ؟ .

جاء الاسلام متفقا مع هذه الفطرة السليمة ، فدلل على وجود الله تعالى وعلى قدرته بما يراه الخلـق فى الكون كله ، ونبه العقول الى النظر فى ملكوت السماوات والأرض والتفكير السليم فى خالقها والمسيطر عليها .

وفى الوقت نفسه سما الاسلام بتصور الله تعالى عن مشابهته لخلقه فى ذاته وصفاته ، لأنه ليس كمثله شىء ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفـوا أحد ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير فسما بهذا عما أدخله اليهود والنصارى فى عقائدهم من التشبيه والتثليث ونسبة ابن الى الله ، وتصور الله فى صورة آدمى يمشى ويبكى على القبور ويفعل ما يفعله البشر ، وسما عما نسبه غيرهم الى الله من أن يحل فى بعض مخلوقاته .

ومعنى أن هذا أن الاسلام يتفق مع الفطرة السليمة فى الايمان بالله وتنزيهه عن مشابهة مخلوقاته ، وتقديسه عن الحلول فى شىء من الأشياء ، واختصاصه بالعبادة .

بعث الله محمدا — عليه الصلاة والسلام — بدين يتفق مع الفطرة السليمة فيما يدعو اليه ويأمر به ، وفيما ينهى عنه ويحذر منه ، وملائم لكل زمان ومكان ومحقق لخير البشرية كلها فى حدود الصالح العام ، والخلق الكريم والفطرة الصحيحة .

وقام التشريع الاسلامى على دعائم من القران والسنة والاجتهاد والقياس والقصد فى التكليف وعدم الاعنات وسـد الذرائع المؤدية الى المحظورات وتقـدير العقل وتقديم ما يقضى به على ما يقضى به ظاهر النقـل اذا تعارضا واباحة الاستمتاع بخيرات الارض ، والعمـل للدنيا والآخرة معا ، والحرية والاخاء والمسـاواة الخ وحرم الخمر والميسر والزنا والقتل والغش والـكذب والنفاق والغيبة والنميمة والسرقة وشهادة الزور الخ اى أنه أمر بما تتطلبه الفطر السليمة وترتضيه ، ونهى عما تنفر منه وتاباه ، وقامت شريعته على اسس عز على العقول المنكرة الاهتداء الى مثلها ، وكانت تشتاق الى أن تهتدى فى الزمن الطويل الذى كان قبل الاسلام .

واختتم الدكتور احمـــد الحوفى قوله فى معنى أن الاسلام دين الفطرة من هذا كله نعرف أن الاسلام دين الفطرة بحق ، فى العقيدة والعبادات والمعاملات .

واما الاستاذ عبد الغنى عوض الراجحى فيقول :

الفطرة فى الأصل اللغوى ماخوذة من الانفطار بمعنى الانشقاق قال تعالى فى وصف يوم القيامة « اذا السماء انشقت » وقال سبحانه فى سورة المزمل « الســماء منفطر به » أى منشقة . لكن لما كان هذا الشق قد يكون بقصد التهيئة والاعداد للتسوية والتخليـق والايجاد استعمل هذا اللفظ مرة أخرى بمعنى الخلق كما قال تعالى « الحمد لله فاطر السموات والارض » « أفى الله شك فاطر السموات والأرض »

فالفطرة اذن معناها الخلقة ، وشىء فطرى اى خلقى غريزى طبيعى والمراد بالخلقة . الخلقة الآدمية خاصة . وليس المراد بها ما هو جسم وبدن فقط ولكن مع الهيئة المعنوية . والكيفيات النفسية والمدارك الروحية التى هى من خصائص الروح الانسانى الذى نفخه الله فى الانسان من روحه ، وميزه به عن سائر الحيـوانات الأخرى . وجعله به أهلا لقبول كمالات لا تقف عند حد .

خلق الله الانسان مركبا من عنصرين مادى ترابى هو بدنه . وروحانى علوى هو روحه التى هو بها انسان . أشار الله سبحانه الى هـذين العنصرين فى تركيب الانسان وتخليقه يوم قال للملائكة « انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيـــه من روحى فقعوا له ساجدين »

كما تكفل الله بغذاء العنصر الاول وتوفير ما به بقاؤه وكيانه بما خلق له فى الكون من مطعوم ومشروب وسائر الأرزاق المادية تكفل كذلك سبحانه بغذاء العنصر الثانى الروحانى وانزال ما به صلاحه وانتعاشه وغذاؤه الذى به يحيا ورزقه الذى به ينتعش هو ما امده الله به من رسالات وديانات ومعارف وثقافات .

فاذا كان للفطرة الانسانية والروح الآدمية أن تسعد وتبتهج بما تصبو اليه من كمالات وتتطلع اليه جبلة وطبعا من سمو ورفعة وسعادة تحس بها فى دنياها وآخرتها فى عاجلها وآجلها فى عالمها الصغير وعالمها الكبير فى محيطها الضيق ومحيطها الواسع فلا يسعفها بذلك ولا يواتيها الا دين الاسلام . دين الفطرة . ما كان الاسلام فى عقائده وشرائعه واحكامه ومعـاملاته ووصاياه وآدابه وقرآنه وسنته . ما كان كله من الفـه الى يائه الا استجابة لتطلعات الفطرة الانسانية السليمة ، وامدادا لها بما نحن اليه وتتشوق واسعافا لها بما يسعدها ويجعلها فى ابهج كمالاتها وأبهى لذائذها ونشوتها .

ومن هنا كان الاسلام دينا عاما خالدا صالحا لكل زمان ومكان وكل ولد آدم ما من نفس منفوسة أيا كان نوعها الا وهو منزل من أجلها مجهز للالتقاء بها والتفاعل معها تعزبه ويعزبها وتعض عليه بالنواجذ لو ظفرت به على حقيقته ودعيت اليه على أصالته . متى كان الالتقاء بينهما التقاء سليما صحيحا فلا انفكاك لعروة هذا الالتقاء ولا بالموت ولما قال هرقل لأبى سفيان عن اتباع محمد – صلى الله عليه وسلم – هل يرتد احد منهم سخطة لدينه ؟ قال ابو سفيان كلا فقال هرقل وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب وكان أصحابه – صلى الله عليه وسلم – يعذبون فى دينهم بما لا يمكن وصفه أو تصوره من ألوان العذاب فما يزدادون الا تمسكا بما هداهم الله اليه من دين الفطرة .

لا يخطر ببال الانسانية شىءمما يعود عليها بالخير والفائدة الا وجدته فى دين الاسلام الخير والعدل الحق. الفضيلة . السعادة . الحكمة النظرية والعملية حرية الضمير . حرية الفكر . حرية النفس لا عبودية الا لله الواحد الأحد . بساطة العقيدة وسذاجتها ويسر التكاليف وسهولتها «وما جعل عليكم فى الدين من حرج» لا يكلف الله نفسا الا وسعها » البراءة والبساطة وعدم التعقيد والتكلف الرسول الذى أرسل به يقول « وما أنا من المتكلفين » احترام للدماء والأموال والأعراض . احترام للواجبات الشخصية تهذيب للنفس بالمعرفة والعلموتاديب لها بمكارم الأخلاق وتطهير لها ولعقيدتها من ادران الأوهام والخرافات .

الاعتدال والوسطية فى ممارسة فن الحياة مع الجد والعمل والنشاط فى جميع ميادين العلم والعمران .

قرآن يتلى هو دستور لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه محفوظ بعناية من أنزله فيه نبأ ما قبلنا وحكم ما بيننا وخبر ما بعدنا ما ترك طرفى نزاع الا صالح بينهما واحل الوفاق محل الشقاق بين الدين والدنيا . بين العلم والدين . بين المادية والروحية . ، بين الطبيعة وما وراء الطبيعة ، بين الروح والجسم بين الدنيا والآخرة بين الغنى والفقير ... الخ يكفى الاسلام فخرا وموافقته للفطرة أن اتخذ من النفس البشرية والكيان البشرى كله بفطرته وغرائزه وخصائصه موضوعه الذى يعالجه معالجة شاملة من جميع أطرافه ..

* * *

اذن حق علينا أن نتساءل عن

* حالة العالم قبل الدعوة الاسلامية .
* حالة العرب قبل الدعوة الاسلامية .
* المبادىء التى دعا اليها محمد – صلوات الله عليه
* ما مدى صلاحية هذه المبادىء لكى تكون دستورا للحياة فى كل مكان وزمان .
* كيف انتشر الاسلام والرد على افتراءات المستشرقين .
* ما هى وسائل نشر الدعوة الاسلامية وما هىشروط الداعى الى الاسلام .

* * *

يقول الدكتور احمد الحوفى عن حالة العالم قبل الاسلام :

* حالة العالم قبل الاسلام

اقتضت رحمة الله تعالىبعباده أن يبعث اليهم الرسل على فترات ، ليهدوهم الى عبادته ، ويرشدوهم الى الحق والخير ، ويشفوا ما بهم من أمراض العقول والنفوس.

وكان العالم قبل البعثة المحمدية قد تردى فى هوة سحيقة من الجهالة والضلالة وفساد العقائد ، واضطراب النظم الاجتماعية ، وانحلال الروابط التى تصل الأفراد بالأفراد والجماعات بالجماعات .

ولنضرب على ذلك أمثلة موجزة لبعض الأمم .

– ١ –

نعلم من تاريخ العرب أنهم كانوا على اديان شتى ، منها المسيحية المحرفة ، واليهودية المتبدلة ، والوثنية . وكان الوثنيون يعبدون أسلافهم فيما يعبدون ، ويزعمون أن الأصنام التى نصبوها بالكعبة تماثيل لبعض الصالحين من السالفين ، فلما ماتوا حزن عليهم أهلوهم ، ونحتوا تلك الأصنام تماثيل لهم ، وعبدوها اعززا لذكراهم وبدافع من حبهم اياهم ، وليتخذوها وسيلة الى التقرب والزلفى الى الله سبحانه .

وكان فيهم من اعتقدوا بحلول قوى الطبيعة – التى عبدوها من قبل – فى بعض الأشجار والينابيع والكهوف والحجارة العراض ، وكان فيهم عباد الشمس والقمر والنجوم وعبدة النار والجن والملائكة والخيل والابل . وهم جميعا – ما عدا الدهريين والمجوس – مع تعدد آلهتهم يقرون بالخالق سبحانه وتعالى ، ويدينون بانه خالق الكون والمحيى والمميت . قال تعالى : « ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » وقال تعالى : « ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله » وقال سبحانه : « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله » . ولكنهم جعلوا الأصنام وغيرها وسائط ووسائل كماحكى القرآن الكريم : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » .

على أنهم كانوا يحيون حياة قبلية ، قائمة على التعصب والعدوان والغارة ، ومن شان نظام كهذا أنيقطع الأواصر ، ويزلزل السكينة ، ويعوق عن التقدم ، ويقضى على الناس ، ولهذا امتن الله عليهم بالاسلام لأنه نجاهم من الفناء ، قال تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » .

هذا الى العادات السيئة التى كانت منتشرة بينهم بتاثير البيئة وطول الزمن على الرسالة السابقة وبتاثير اليهود ، مثل الربا والخمر والميسر والزنا ، وبعض قبائلهم كانوا يئدون البنات مخافة الفقر وأنفة من السبى فى الحرب .

وليس أدل على سوء هذه الحالة من أن بعض عقلائهم سخطوها ، والتمسوا ما يخففها أو يلطفها ، يدل على ذلك ظهور جماعة سموا بالحنفاء طلبوا الحقيقة الدينية ، وهاجروا البلاد فى التماسها ، وأن بعض العرب حرم الخمر على نفسه ، وأن بعض أشرافهم تعاهدوا علىدفع الظلم وانصاف المظلومين فى حلف الفضول الذى تعاقدوا فيه على انصاف المظلوم ، وقد شهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم – هذا الحلف قبل البعثة .

– ٢ –

اما اليهودية سواء أكانت بالحجاز أم باليمن أمبالشام أم فى أى اقليم آخر ، فانها كانت تغاير الدين الذى جاء به موسى عليه السلام مغايرة جوهرية ، لأن اليهود لم يكتفوا بأن بدلوا كلام الله وغيروا شريعة موسى، بل خلطوا بالشريعة عقائدهم القديمة ، فشبهوا الله بالانسان فى حركاته وأعماله ، وزعموا أنه ياكل ويشرب ويمشى فى الجنة ، وأنه دفن موسى بيديه ، وأنه يغار من آلهة الامم الأخرى ، ولا يريد من شعب اسرائيل أن يلتفت اليها ، لأنه يريد أن يستأثر لنفسه بشعب اسرائيل ، وأن يختص به شعب اسرائيل ، وزعموا أنه يصارع عباده ويصارعونه،

وانه غليظ قاس متعطش الى الدماء ، ومكثوا مدة من الدهر يسوون بينه وبين عزرائيل شيطان الصحراء ، فيتقربون الى كل منهما بذبيحة .

وكان النبى أرميا يقول لهم بلسان الرب الههم : ان اباءكم قد تركونى ، وذهبوا وراء آلهة أخرى ، وعبدوها وسجدوا لها ، واياى تركوا ، وشريعتى لم يحفظوا »

ومعنى هذا أنهم لم ينكروا الآلهة الكثيرة الأخرى غير الههم الذى يعبدونه حينا ويتركونه حينا . واذا تركوا الههم (يهوه) تارة ثم رجعوا الى عبادته فانما يرجعون اليه لاعتقادهم أنه أقدر على النكاية بهم ، وأن الآلهة الأخرى عجزت عن حمايتهم من سخطه وانتقامه .

ومن هذا يتبين أن اليهودية صارت بعيدة عن التوحيد غاية البعد ، وصارت عقيدة خاصة لأناس يزعمون أنهم مختارون وحدهم بعبادة اله خاص بهم ، فلا مجال فيها لدين انسانى عام .

على أنهم اتخذوا علماءهم من رجال الدين سادة لهم ، يطيعونهم فى معاصى الله ، فيستحلون ما أحلوه لهم مما حرم الله عليهم ، ويحرمون ما حرموه عليهم مما احله الله لهم .

واغرق بعضهم فى الضلال ، فادعوا أن عزيرا — عالم نقى من اليهود — ابن الله ، قال تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » .

وكان منهم أميون لا يكتبون ولا يقرأون ، ولا يعرفون التوراة الا أوهاما وأباطيل وأكاذيب، ويدعون أن مايرددونه ويقولونه من التوراة : واتبعوا أحبارهم فى باطلهم .

وكا علماؤهم قد حرفوا التوراة ، وزادوا عليها ونقصوا منها ، وخالفوا ما أنزل على موسى، وزيفوه على قومهم. ومن هذا التزييف أنهم محوا ما فى التوراة من التبشير بمحمد ، لأنهم يريدون الابقاء على مناصبهم الدينية وعلى منافعهم المادية ، قال تعالى : «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

— ٣ —

فاذا ما انتقلنا الى النظر فى المسيحية وجدناها قد تبدلت كما تبدلت اليهودية ، لأن يوحنا كتب انجيله فى أواخر القرن الأول الميلادى ، وبعد ذلك كتب بولس رسائله ، متأثرا بالفلسفة اليونانية والاسكندرانية ، ولهذا تأثر بنظرية الحلول فقال ان المسيح جالس على يمين الله .

ثم انه بلغ من ضلال المسيحيين وزيغهم عن التوحيد أنهم زعموا أن المسيح ابن الله أرسله ليفتدى به البشر من جريمتهم كفارة عن خطيئة آدم وحواء ، لأنهما أكلا من الشجرة المحرمة فعصيا الله .

ولهم فى ذلك ضروب من الأباطيل ، فكل من المسيح والله والروح القدس واحد من ثلاثة أقانيم ، وهم مختلفون فى حقيقة المسيح اختلافهم فى حقيقة الأقانيم نفسها ، هل الابن مساو للاب ؟ وهل الابن ذو طبيعة الهية واحدة أو ذو طبيعة بشرية واحدة أو ذو طبيعتين الهية وبشرية ، وهل هو انسان مختار ممتاز أو اله ؟ وهل الروح القدس صادر من الأب وحده أو من الأب والابن معا ؟

والسيدة مريم الهة معبودة عند بعضهم تقرب لها الاقراص التى يسمونها كليرس . وهم فى كثير من مزاعمهم يشبهون البراهمة فى زعمهم أن (برهما) ثالث ثلاثة ، وانه الموجود الخالق ، وأن (كريشنا) ابنه من العذراء (ديفاكى) التى اختارها والدة لابنه بسبب طهرها وعفتها ، وأن كريشنا هو المخلص والفادى ، ويشابهون الرومان القدماء الذين كانوا يعتقدون أن الاله جوبتر أنجب (بريسوس) من العذراء (داناى) وأنجب (هرقل) من العذراء (الكمين) . ويشبهون المصريين القدماء فى زعمهم أن الاله (أوزوريس) أنسل (حورس) من (ايزيس) . وهذا معنى قوله تعالى فى الآية التى سبقت : « ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » .

وقد ارتكب أحبارهم ما ارتكبه أحبار اليهود من قبل، اذ حرفوا الانجيل ، وغيروا فيه ، وحذفوا منه ما يبشر بنبوة محمد ، محافظة على منافعهم العاجلة ، ومراكزهم الدينية . قال تعالى : « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .

وقال تعالى : « واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ، ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شىء شهيد » .

— ٤ —

اما المجوسية فى فارس وفى بعض أجزاء من جزيرة العرب فقد كانت قائمة على الزرادشتية ، وهى ديانة ثنوية ، مبنية على أن للكون الهين اله النور والخير ويسمى (أهورامازدا) واله الظلام والشر ويسمى (أهريمان) ، ولكل منهما قوى تعاونه عددها سبع ، وبين هؤلاء جميعا صراع دائم وحروب لا تنقطع ، لأن كلا من القوتين يبتغى السيطرة على الانسان . ودعا زرادشت الى تقديس النار والشمس لأنهما رمزان عظيمان لأهورامازدا . ثم انحرف الناس بعد زرادشت فعبدوا النار وعدوها من آلهتهم ، وجعلوها ابنا للاله الأعظم اله النور والضياء ، وجعلوا يقدمون للنار وللشمس قرابين من الأزهار والخبز والفاكهة والحيوان واحيانا من البشر.

ثم ظهر (مانى) بايران سنة ٣٤٢م وادعى النبوة ، وصدقه خلق كثير ، وأسس مذهبه على الهى النور والظلمة ، ولم ينكر نبوة بوذا وزرادشت والمسيح ، ولكنه أنكر نبوة موسى ، وزعم أن آدم من خلق الشيطان لا من خلق الله ، وكان دينه مزيجا من المجوسية والنصرانية وآرائه الخاصة ، ودعا الى التوانى فى الأعمال والخمول والكسل وترك الزواج والتناسل وايثار العزلة والرهبنة حتى يفنى العالم ، ويعود النور الى موطنه الأصلى .

وبعد ذلك — وقبل الاسلام — ظهر (مزدك) فى أوائل القرن السادس الميلاد ، فوافق زرادشت فى بعض ما دعا اليه ، وزاد ونقص ، لكنه دعا الى الشيوعية فى النساء والأموال ، بدعوى أن الأموال والنساء سبب التباغض والتنافس والتقاتل ، وتبعه كثير من السفلة والطغام ، وتبعه الملك (قباذ) نفسه ، فاشتدت البلايا على البلاد، وصار الرجل لا يعرف ولده ، والولد لا يعرف أباه . ثم قضى عليه وعلى اتباعه أنو شروان سنة ٥٣١م ، ولكن الطائفة لم تنقرض كلها .

- ٥ -

وكذلك الحال فى البوذية والكونفوشيوسية والبرهمية فلا داعى لتفصيل بعد هذا التفصيل .

وحسبنا أن البرهمية مملوءة باسماء الارباب والشياطين والملائكة والأرواح ، وانها قائمة على عقيدة التثليث المؤلف من برهما وكريشنا وسيفا ، والهتهما بادية مشخصة . فلما دانت بالتوحيد أطلقت على الله أسماء تناسب أفعاله الثلاثة ، فسمته برهما باعتباره الموجد الخالق ، وسمته كريشنا باعتباره الحفيظ الحامى ، وسمته سيفا باعتباره المميت .

- ٦ -

وفى الوقت نفسه كان العالم مقسما الى طبقات تتناحر كبارها وتتباغض ، ويحقد صغارها على كبارها ، لانهم يستأثرون بالثراء والحكم والجاه وخيرات الله ، وأما الصغار فيعيشون معيشة ذليلة مهضومة الحقوق الأساسية التى يجب أن ينالها كل فرد من البشر ، ولم يسلم من هذه الطبقية الجائرة بعض السلامة الا العرب.

- ٧ -

واذا فقد كان الناس يخبطون فى دياجير من العقائد ، ويتبعون أباطيل من الشرائع ، ويهيمون فى أضاليل من العبادات ، ويجرون على نظم وأوضاع فاسدة فى كل ناحية من نواحى الحياة .

وكانت العقول قد هوت الى درك لا يليق بالادميين الذين منحهم الله العقول المفكرة والبصائر الهادية .

ولهذا اقتضت رحمة الله بعباده أن يبعث اليهم محمدا - عليه الصلاة والسلام - برسالة الاسلام ، ليهدى العالم الى توحيد الله وعبادته وحده ، ويسن لهم الشريعة التى تكفل الخير والحق ، وترد الى الانسان كرامته وقيمته ، وتسمو بالناس فى علاقاتهم وفى أعمالهم ونظمهم وكل شأن من شئونهم .

وبهذا كان الاسلام خاتم الأديان ، وكان نبى الاسلام خاتم المرسلين .

* * *

اما عن حالة العرب قبل الاسلام فيحدثنا فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق فيقول :

حالة العرب قبل الاسلام

كان العرب من عدنان وقحطان قبل ظهور عمرو بن لحى فيهم على البصيرة من أمرهم يتقيدون بشريعة خليل الرحمن ابراهيم فلما ظهر فيهم عمرو بن لحى الخزاعى افترقت كلمتهم حين شرع لهم من الدين ما لم ياذن به الله فتفرقوا الى أصناف فمنهم عبدة الأصنام الذين أنكروا الرسل وعبدوا الاصنام وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقدموا القرابين ومنهم فرقة اعتقدت أن على كل صنم شيطانا موكلا بأمر الله فمن عبد الصنم حق عبادته قضى حوائجه بأمر الله وفرقة قالت الملائكة بنات الله ومنزلة من عند الله فاتخذوا أصنامهم على هيئة الملائكة ليقربوهم الى الله ومنهم عباد الشمس الذين اتخذوا صنما بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص فدبنوه باسمه وفرقة اتخذت القمر صنما على شكل ثور وبيد الصنم جوهرة يعبدونه ويسجدون له وفرقة دهريون عطلوا المصنوعات عن صانعها وفرقة صابئة اعتقدوا فى الانواء فلا يسكن الواحد منهم ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الأنواء وفرقة منهم زنادقة أخذوا الزندقة من الحيرة وفرقة قالوا الصانع اثنان ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان ولن يزالا وصنف عبدوا الجن وآخرون عبدوا النار وقد كانت عبادة النار فى الأرض من عهد قابيل وجماعة عباد الشمس ومنهم بلقيس صاحبة القصة مع سليمان - عليه السلام - وصنف منهم على دين اليهود وآخرون على دين النصارى وفرقة كانت تتشاءم بالغراب ونحوه من الطيور وسائر الحيوان حتى ضرب به المثل فقالوا أشأم من غراب البين ومن مذاهبهم قولهم فى الدعاء لأشعث الأعين القراد يضربونه مثلا فى الشدة والصبر على المشقة ومن مذاهبهم أن النساء منهم كن اذا غاب عنهن من يحببنه أخذن ترابا من موضع قدمه وموضع رجله وكانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه ومن مذاهبهم جز النواصى فقد كانت العرب اذا أنعموا على الرجل الشريف بعد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه فتكون الناصية عند الرجل يفخر بها ومن مذاهبهم ما أحدثه عمرو بن لحى الخزاعى من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ومن مذاهبهم واد البنات وهو دفنها حية وكان الواد مستعملا فى قبائل العرب قاطبة وكانت مذاهبهم مختلفة فى الواد وقتل الأولاد ومن مذاهبهم الميسر والقمار وكان فاشيا فيهم والاستقسام بالأزلام فاذا أرادوا سفرا أو تجارة أو كفاحا أو اختلفوا فى نسب أو أمر قتيل جاءوا الى هبل وهو اعظم صنم لقريش بمكة وكان فى الكعبة ومعهم مائة درهم فاعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم وكانت أزلامهم سبعة قداح محفوظة عند سادن الكعبة وخادمها كتب على واحد منها أمرنى ربى وعلى واحد نهانى ربى وواحد غفل ليس عليه شىء ومن مذاهبهم الغارات والحروب لأقل الاسباب وفيها الخراب والدمار ومن مذاهبهم أن المراة كانت بينهم كالسلعة تباع وتشترى وفى ذلك اهدار لآدميتها وامتهان لكرامتها ومن مذاهبهم القيافة والصيافة والقيافة على قسمين قيافة الأثر ويقال لها العيافة وقيافة البشر فالعيافة علم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر فى المقابلة للاثر وأما قيافة البشر فهى الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب .

ثم تحدث فضيلة الشيخ عبد اللطيف الشعبى ردا على أسئلتنا :

- ما هى وسائل نشر الدعوة الاسلامية ؟

- فى الدين الاسلامى قوة ذاتية نابعة من تعاليمه الحقة ، ومن خصائص هذا الدين القوى أنه لا يحتاج فى الدعوة اليه الى قوة تفرضه على الناس فرضا الزاميا ، أو يحتاج الى مخادعة وتغرير بالبسطاء فى جذبهم اليه ، وانما يكفى فى الدعوة اليه شرح تعاليمه ، وايضاح مقاصده ، ليتبين للناس ما جاء به الاسلام من الخير لهم فى الدنيا وفى الآخرة .

وكثيرا ما يتاح لاناس من ذوى الافهام أن ينظروا فى القرآن أو فى شىء من سنة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فيتضح لهم أن هذا الدين برىء من التعقيد، وخالص من التكلف ، ومطابق لروح الحياة ، ومتجاوب مع الفطرة فيقتنع به أولئك الباحثون ، ويعتنقونه عن طيب خاطر ، ودون تاثير عليهم باية وسيلة غير هداية الدين من تلقاء نفسه ... ولذلك يعرف الاسلام بانه دين الفطرة ، لانه يتجاوب مع الطبيعة البشرية ، ويستجيب له العقل الواعى ، فى غير تعثر .. ولو ترك الانسان ونفسه منذ نشأته ، وتجرد عن التقليد ، وسوء التوجيه لوجد نفسه فى اتجاه الفطرة الى ناحية التدين بالاسلام « فطرة الله التى فطر الناس عليها ... ذلك الدين القيم » ولكن الناس أو بعض الناس يفسدون هذه الفطرة فى الناشئين منهم ، ويلقنونهم توجيهات غير صالحة ، ويعرضونهم للتقاليد الباطلة ، فيصبح الناشىء ماخوذا بالعصبية ، ومتمشيا مع الباطل ، ومجافيا للدعوة الحقة التى ينادى بها الاسلام جميع الناس ، وهذا ما يشير اليه قول الرسول محمد - صلى الله عليه

وسلم – « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » يعنى يلقنونه دينهم الذى هم عليه من اليهودية أو سواها

٢ – وأنت ترى القرآن لا يترك الانسان لمجرد فطرته فى فهم الدين ، اذلا يتاح لكل امرىء ، ولا لاكثر الناس أن يتلفتوا الى الجانب الروحى ، أو يدركوا منه نصيبايكفى فى تحقق الايمان ولو فى أبسط حدوده

ولهذا كان من رعاية الله لعباده أن يسر لنا طريق الدعوة الى الاسلام فان هذه الدعوة هى وظيفة الأنبياء ، ومن يحمل عنهم تلك الامانة من أهل العلم ووسائل الدعوة متنوعة ، ويمكن الالمام بها اجمالا .

أولها – خطاب القرآن للناس أن يعتمدوا على عقولهم فى تدبر آيات القرآن ، وفهمها فى تثبت ، ووعى لما جاءت من هدى وتشريع ، وتنظيم لشئون الحياة عامة وكذلك توجيه القرآن لنا أن ننظر فى ملكوت السموات والارض وما نشهد من آيات مختلفات فى هذا الملكوت : من ليل ونهار ، وضوء وظلام ، ونجوم وأفلاك ، وما على الأرض من بحر وجبال ، وزروع وثمار ، وما فى المجال الانسانى من ألوان ، ولغات ، وحظوظ متباينة فى الارزاق وفى الجاه ، وفى المواهب والمزايا وفى غير هذا من مظاهر قدرة الله فى ابداعه لهذا الوجود .

هذه توجيهات القرآن فى دعوة للعقول أن تنشط فى مجال الاهتداء بآيات الله ومتابعتها من طريق الوعى : لا من طريق التقليد الممقوت .

فان القرآن يعتمد على العقول الواعية المطلقة من قيود العصبية والتقليد الأعمى وان العقل الواعى لا يجافى الدين بل يتلاقى معه فى نطاق الصواب ، ولا يناقضه فى الوصول الى الحق ، فان الحق واحد ، ولا يتعدد فى ذاته ، وحينما يتعثر العقل فى ادراك ما يدعو اليه الدين يكون العقل بحاجة الى التريث والوقوف الى جانب الدين حتى يهتدى ، فان للعقل حدودا لاتتسع لكل شىء وربما أدرك الانسان فى غده أصوب مما أدركه فى يومه . وهنا منزلة المتسرعين فى جدلهم : حينما يغيب عنهم وجه الصواب فى شىء من جانب العقيدة أو التشريع ، فيأخذهم الغرور ويتهمون الدين ، ولا يذكرون أن عقولهم قاصرة ، وأنهم بحاجة الى توجيه من أهل العلم ، وثانيا – من وسائل الدعوة – أن الله جعلها أمانة الانبياء وجعلها موروثة عنهم لأهل العلم ، فهى رسالة محدودة لا تنتهى بزمن ، ولا تقف على نوع خاص من الأساليب وهى بالتدريس ، وبالخطابة وبالكتابة ، وبالجدل الحسن مع من يجنح الى الجدل .

وكانت هذه الأساليب مأخوذا بها على عهد الرسول وأصحابه ، ومن قاموا بعدهم بالتبليغ والارشاد .

وما كانت دعوة الاسلام فى تاريخها المحدود بالاعتماد على السلاح كما يرجف المرجفون من الخصوم ، بل كانت القوة لدفع العدوان ومقاومة التعرض وكبح العناد الذى تمادى فيه المبطلون .

والحق أن كل دعوة اصلاحية تحتاج الى وسائل القوة تؤازرها ، وتحميها من خصومها ، فان نفوس الناس ليست سواء فى الهدوء ، ولا سواء فى احترام الحق « ومن يذد عن عرضه بسنانه يهدم » ..

على أن وسائل الدعوة الى الاسلام لا تستبيح القوة الا بقدر الضرورة والمصلحة ، ولا تكون فى غشم جاهلى ، بل فى نظم وأوضاع لا تبعد بها عن الجانب الانسانى ، ولا تتهاوى فى الفتك والجبروت ، وامتهان الآدمية.. وعندما يجنح الخصم المعادى للاسلام الى السلم وجب أن يستجيب المسلمون الى السلام « وان جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله » ولكنه لا يكون استسلاما عن مذلة، بل مسالمة فى عزة ونجاح

وثالثا – من وسائل الدعوة – الاجتماعات بين المسلمين لتنظيم شانهم وتقوية الوحدة بينهم ، فتكون صولتهم قوية ، ودعوتهم عند الغير مرهوبة .

ولقد سبق الاسلام من عهد ابراهيم عليه السلام فشرع الحج كمؤتمر حولى ، يجتمع فيه الناس من أنحاء الدنيا لتلك الغايات الاجتماعية المجدية .

واذا كنا نعتمد اليوم فى حل المشكلات على عقد المؤتمرات هنا وهناك وأصبح الناس فى حياتنا المعاصرة ينشطون الى المؤتمرات فى جوانب الدنيا ويرونها وسيلة انسانية رحيمة ، فقد سبق الاسلام الى تشريع ذلك قديما .

ولكن المسلمين مع تمسكهم بهذه الفريضة تغاضوا عن الأهداف الأصلية وأصبحوا يظنونها مجرد شعيرة دينية للتعبد فقط .

ومن الخير أن تتسع هذه الوسيلة بين الدعاة الى الدين لاستيفاء وجوه الاصلاح وتنشيط الدعوة فى مسالكها المجدية الهادئة

س – ما هى شروط الداعى الى الاسلام ؟

ج – ان الدعوة الى الدين بحاجة الى خصوصيات فى الداعى .

منها – أن يكون فاهما لرسالته ، وهاضما لتعاليم الدين ، وعارفا بروح عصره وأحوال بيئته ، فان الداعى انما يقوم بالاصلاح فى أوسع حدوده فاذا تضاءلت معرفته بذلك كله كان عاجزا ، والعاجز عن الشىء لا يحققه أو كما يقال : فاقد الشىء لا يعطيه .

وأن يكن سلاح الدعوة علما ودراية وقدوة ، فمبناها على المسلك الشخصى الواعى ، فان للقدوة به أثرها الأول فى نجاحه وهذا ما هتف به القرآن فى قول الله تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

وأوضح مظهر لمسلك الداعى الى الدين هو أخلاقه ، فان الأخلاق هى ميزان الشخص عند الناس ، ومن طريق الأخلاق يعرفه الناس ويقبلون عليه أو يحجمون عنه .

ونحن نحس من انفسنا أننا نتعشق الشخص لحسن اخلاقه ، ولين جانبه وبروز شخصيته ، وأننا بعد ذلك نقتفى أثره ، ونحاكى عمله ونطمئن الى الاقتداء به وهذه المحامد كانت من مزايا الانبياء ، وخاصة محمد بن عبدالله – صلى الله عليه وسلم – وقد أشار الله بذلك فى رسوله فى قوله « وانك لعلى خلق عظيم » وقوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ولا يفوتنا أن نطلب فى الداعى حسن سمته ، وجميل هندامه ، فان للمظهر الشخصى جاذبية وتأثيرا ولذلك كان مستحسنا فى ائمة الصلاة أن يكون مظهرهم أقرب الى الكمال بالقدر المستطاع وكان من سنن النبوة التطيب بالطيب ، والتجمل بالملبس الحسن حتى قال الله فى هذا « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

وكان من تعاليم النبوة « .. وحسن السمت.والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة » وعلى الاجمال فقد جمع الله كل مايحتاجه الداعى فى قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » ففى هذه الجمل الثلاث تفصيلات شتى لما ينبغى أن يكون عليه دعاة الاسلام على أن الدعوة الاسلامية تعتبر رسالة كل مسلم فى حدود طاقته وقدرته نحو غيره بقدر ما يعلمه من خير فيدعو اليه ، أو من شر فيحذر منه غيره ، مهما يكن علمه بذلك قليلا .

فان مبدأ التناصح من جانب المسلمين أمانة فى ذمة كل واحد منهم ، وهو مبدأ التكافل فى الاخاء أو مبدأ التعاون

على البر والتقوى ، أو هو رسالة شخصية تناط بكل فرد منا نحو غيره ، بقدر ما يتاح له حيث جعل الله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شعار المسلمين ووصفهم به دون غيرهم فى قوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ».

فاذا كان للدعوة العامة رجال متخصصون فيهـا ويتفرغون لها فهى عالقة بذمة كل فرد نحو غيره من أهله أو غير أهله فى حدود قدرته ومعرفته كما تحدث الرسول فى قوله « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وقوله المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يسلمه وفى قوله – صلى الله عليه وسلم – « الدين النصيحة .. لله ، ولرسوله – يعنى بالاخلاص فى تبليغ حكم الله ورسوله – ولأئمة المسلمين ، وعامتهم ، يعنى فى بذل النصح للخاص والعام من المسلمين .

ومن ذلك يتضح أن الدعوة الدينية رسالة كل مسلم ، وأننا متكافلون فيها كأخوة فى الدين جميعا ولسـنا متخاذلين كاليهود الذين لعنهم الله لأنهم كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه .

س – ما هى المبادىء التى دعا اليها محمد – صلى الله عليه وسلم – وهل تصلح دستورا للحياة دائما ، ولماذا ؟

ج – الجواب عن هذا السؤال يتناول كل ما جاء فى شريعة الاسلام من عقائد ، وعبادات ، وأحكام أخرى ، ومن أخلاق تتعلق بالفرد ، وبالمجتمع .

وموجز القول فى هذا أن محمدا فى رسالته دعا الى تجريد العقيدة من الشرك بالله وتمحيصها لتوحيده ، وللايمان بما جاء من عنده على لسان رسله ، دون تفريق فى الايمان بين رسول ورسول ودعا الى المساواة بين الناس فى الحقوق ، والتعامل ، والعدل بينهم ولو تفرق دينهم وربما الى التراحم ، والتعاون على الخير ، والى نبذ العصبيات للقبيلة ، أو للطائفة المذهبية ودعا الى التكافل الانسانى فى كل جانب يعود نفعه على النـاس بالقدر المستطاع لأن الناس جميعا من أصل واحد فلتكن رعاية هذا الاخاء فى حساب الجميع .

وحينما نقف أمام الديانات فقد حتم الايمان الحق أن نستجيب لدعوة محمد فانه يشهد لمن سبقه جميعـا بالصدق فيما بلغوا عن ربهم ثم هو خاتمهم ، وجاء بتشريع فضفاض يتسع لتطورات الحياة ، ولتدرج الحضارة فى مستقبل الدنيا الى نهايتها .

وكان طبيعيا أن تكون شريعته رحيبة لكل ما تحتاجه الانسانية بعد ضرورة أن شريعة الاسلام هى الشريعة الخاتمة ، فلا رسول بعد رسولها ولا تشريع يأتى مخالفا لها وقد جاءت بالكمال الذى لم تتهيأ له الشرائع السابقة اذ كانت شرائع محدودة بحدود أزمنتها ، وملائمة للمستوى العقلى فى الأطوار الأولى من الحياة الدنيا ومن الطبيعى أن تكون للرسالات وللشرائع نهاية وقد كانت النهـاية برسالة محمد وشريعته وليس من الحزم ، ولا من الرشد العقلى أن يتحيز الناس الى ديانات سابقة كانت موقوته بأزمنتها ، ثم هى لا تجارى الحياة فى تطورها ، ولايهضمها العقل الباحث بعد وليس فى الوقوف عندها الا مجاراة العصبية ، والعناد بالمخالفة الصريحة لما هو المعقول وما على الناس الا أن يريحوا أنفسهم من اللجاج وأن يرجعوا الى كتاب الله وسنة محمد فيما يختلفون فيه من أمور دينية وسيتضح لهم الحق من شريعة الله .

وأما جانب الدنيا فمنه ما يعرف شأنه فى تشريع الله، ومنه ماهو ثمرة العلم ونتاج العقل فى مجال البحث ، وقد أطلق الله للناس أن ينشطوا فى مجال العلم كله والى غير نهاية فيه مع احتفاظهم بتوجيهات الدين ، وعدم تحررهم بنشـوة العلم وتريثهم فيما يتعثر فيـه العقل

وهكذا تسـير الدنيا فى ضوء العـلم ، وفى هدى الاسلام لتلتئم الدنيـا مع الآخرة فى أصح الأوضاع

أما الكتور أحمد شلبى فقال عن الداعى الى الاسلام وشروطه :

– تسألنى عن الداعى الى الاسـلام وشروطه ، فانى سأشرح لك تجربتى ، فلعل ذلك أفضـل من أن تتخذه موضوعا نظريا . فلقد كانت عنـدى نظرية ، ولكن الواقـع لم يقتنع بها ، أو أنها لم تملأ الفـراغ عندما وضعت موضع التطبيق ، فاضفت اليها وحذفت منها حسبما شاءت الظروف .

وأول ما يحتاجه الداعى هو غزارة العلم وشـمول المعرفة وسرعة البديهة ، وطلاقة اللسان وحسن المظهر والمنظر .

وهذه كما ترى مجموعة ضخمة من الصفات أوردناها سريعا ويمكن أن نقف معها وقفة نبين خطرها ، فأنـا مثلا عضو بهيئة التدريس بجامعة القاهرة ، ماذاتكلفنى هذه الوظيفة الخطيرة لأؤديها بنجاح ؟ تكلفنى أن أعد محاضرتى اعدادا دقيقا ، وألقيها بوضـوح ونظام ، فموضوع المحاضرة معد محدود ، وقد تجرى مناقشة عقب المحاضرة ولكن فى نطاقها ، فاذا تعدت المناقشـة موضوع المحاضرة يمكن أن أقول للسائل ان هذا خارج الموضوع ، ولا حرج فى ذلك بل هذا ما يحدث فعلا . أما فى الداعى فالامر على العكس ، لانه ليس له موضوع محدد ولابد أن يكون مستعدا دائما لتلقى أى سـؤال فى أى اتجاه .

وفى الجامعة يمكننى ان اقول لسائلى : اجل سؤالك الى لقاء آخر حتى أراجع الموضوع ، واذا قلت ذلك حسبت محمدة لى ، ولكن ذلك لا يقبل من الداعى . ومن أجل هذا كانت غزارة العلم وشمول المعرفةوسرعة البديهة من ألزم ما يطلب من الداعى .

وأما طلاقة اللسان وسحر البيان فمن أهم الضروريات للداعى لان عمله كثيرا ما يرتبط بالجماهيـر حيث تسيطر الناحية العاطفية على التوجيه ، واذا كان حسن المنظر ضروريا للمدرس على العموم فهو ألزم للداعى ليجذب له الناس ويشد عيونهم اليه .

وبالاضافة الى هذه الشروط العامة هنـاك شروط خاصة ، تراعى طبقا للظروف ، فلون البشرة مثلا شىء مهم جدا ، فالداعى فى الغرب ينبغى أن يكون أبيـض البشرة ، بل أميل الى الشقرة ان أمكن ، والداعى بافريقية ينبغى أن يكون أميل الى السمرة ، ولو أرسلنا الى أمريكا داعية من الصعيد أو أرسلنا الى افريقية فتى أشقر لكانت النتيجة غير سارة غالبا ، وسيلاقى الداعى الاسمر فى أمريكا ما يلاقيه الملونون من عناء ، وسيعتبر الداعى الأشقر بافريقية واحدا من المستعمرين البيض

وعلى الداعى أن يعرف الى درجة الاجادة عـلم « مقارنة الاديان » وأن يجيـد بوجه خاص دراسـة الاديان التى تتصارع فى المنطقة التى سيـعمل بها . والمسيحية على وجه الخصوص تعتبر قاسما مشتركافى كل البلاد ، فهى تحاول أن تنتشر فى آسيا ، وتحاول أن تنتشر فى افريقية ، وللمسيحية دعاة فى منتهى الدهـاء فهم يخلطون بتقاليدها بعض تقاليد البلاد ومعتقـدات السكان ، حتى تبدو المسيحية سهلة قريبة من افكارهم ودعاة المسيحية درسوا الاسلام وأدركوا أنه المنـافس الوحيد لهم فى صراعهم لنشر المسيحية ، ولذلك أجادوا دراسة النقاط التى يعدونها وسيلة للطعن فى ديننـا الحنيف ، كتعدد الزوجات وكالطلاق والرق ..

وهم يربطون بين الاسلام وحاضر المسلمين ، وبخاصة منذ عشرين عاما يوم كان ينتشر الجهل والفقـر فى

العالم الاسلامى ، فهم يذيعون أن ذلك الجهل والفقر من آثار الاسلام لانه يقول بالقضاء والقدر ، وبعبادة الاولياء ، وهكذا دواليك .. فعلى الداعى أن يجيد تفنيد هذه الخرافات ، ولا يقف مدافعا فقط بل يعرف مسيحية بولس وكيف انها تختلف عن المسيحية التى نادى بها عيسى عليه السلام ، ويجب أن يعرف الاصول الحقيقية لقصة الفداء والتثليث وغيرها من مشكلات المسيحية .

ولابد للداعى - بجانب المسيحية - أن يعرف أديان البلاد التى سيعمل بها ، كالبوذية فى تايلان وبورما واندونيسيا ، وكالكنفوشية فى الصين ، وكالهندوسية والجيشية فى الهند ، وكالمتقدات الكثيرة بافريقية .

وديننا الحنيف دين دنيا ودين آخرة ، فعلى الداعى أن يقدم جوانب الدين كلها للناس ، وأن يدرس لهم فلسفة العبادات فى الاسلام حتى لا يعتبروها تكليفا غير مفهوم ، وعلى الداعى أن يبرزالوان المعاملةوالاخلاق التى حث عليها القرآن الكريم وأوصى بها الرسول الامين .

وأخيرا فى هذه العجالة نؤكد أن السلوك الشخصى للداعى كبير الاثر . فلابد أن يحيط نفسه بهالة من الخلق الحسن أو قل باخلاق الاسلام التى يدعو الناس لاعتناقها ، ليكون بذلك قدوة فى سلوكه ، وليس معنى هذا أن يتزمت ، وأن يعيش معتكفا مصليا ، لا بل لابد أن يندمج مع الناس ويعيش حياتهم ، مبتسما سعيدا مع المحافظة على روح الاسلام والتغنى بمحامده ، ولعل من أهم الصفات التى تعين الداعى صفة الكرم فطالما قدمنا الاسلام مع وليمة متوسطة أو كبيرة نقيمها ، ومع تبرع فى ظروف خاصة نقدمه ، ومن أجل هذا كان من واجب الدولة أن تسهم فى هذا النشاط ، ولكن الحق يقال ان الدولة كثيرا ما تعطى لهذا الفرض ، ولكن بعض الدعاة يعدون هذا من حقوقهم الخاصة فلا ينفقونه فى هذا السبيل ، فانا أنادى بأن يكون هناك مرتب خاص للداعى ، ومبلغ بجواره للدعوة وتكاليفها .

هذه لمحة موجزة عامة عن شروط الداعى نرجو أن يكون فيها بعد الغناء .

واجابنى الدكتور حفنى شرف عن :

ما هى المبادىء التى دعا اليها محمد صلى الله عليه وسلم ؟..

فاجاب :

يحسن قبل الاجابة على هذا السؤال أن نعرف حال الامة العربية خاصة وحال العالم عامة قبل الرسالة المحمدية ونزول القرآن وقبل البعثة المحمدية قبائل متفرقة تنحاز كل قبيلة فى ناحية دون الاخرى ، وكان أمر تلك القبائل قائما على الاستبداد والتخلق بالعادات المتأصلة فى نفوسهم - وكان منها الحسن والسيىء - بباعث العقائد والعادات الموروثة التى كان من شر نتائجها الشرك بشتى ألوانه الظاهرة والخفية ، وكانت الامة العربية تقاسى من جراء ذلك أشد صنوف المحن أفرادا وجماعات من الوجهتين النفسية والاجتماعية

وكان بجانب هذا وذاك القياصرة والاكاسرة الذين يحكمون رعاياهم بالقهر والغلبة ، ويسومونهم الذل والهوان ، زعما منهم أنهم قد أعطوا السلطة الالهيةالتى يجب الخضوع لها .

فكانت الامة العربية - والحالة تلك - فى مسيس الحاجة الى ثورة عالمية ، وهزة اصلاح كلية ، وحكومة رشيدة قويمة لها شعورها الموحد الذى يسوى بين البشرية ، ويخلصها مما كانت فيه من حكم قاس ، وفاقة ساحقة ، كما كانت بحاجة الى قانون يصلح المجتمع وعقيدة يلتفون حولها .

فارسل الله الى هذه الامة محمدا - صلى الله عليه وسلم - للناس بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فدعا الى ما أمر به القرآن وجاء به « وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى . »

دعا الى ارشاد الناس على اختلاف طبقاتهم الى مافيه سعادتهم وحسن مآبهم ، دعا الى القضاء على الوثنية وتخليص العقل البشرى من الاوهام واعطاء الانسان حريته كاملة غير منقوصة وابعاده عن تأثير الوسطاء والشفعاء ، وتقرير أن العامل ينال الجزاء ان خيرا فخير ، وان شرا فشر « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » . « وأن ليس للانسان الا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الاوفى . وأن الى ربك المنتهى » .

فكان قانونهم المساواة . ودستورهم القرآن . وعقيدتهم الاسلام . وهدفهم السلام لتخليص الانسان من براثن الشرور والاحقاد وتحريره من هوة الظلم والاستعباد .

أما الدكتور محمد وصفى فقد أجابنى عن :

« كيف انتشر الاسلام ؟ » بقوله :

انه لمن السهل على كل انسان أن يعرف كيف انتشر الاسلام ، بل وأن يعلل قوة انتشاره وثباته حتىاليوم. اذا كان ملما بتاريخ البعثة المحمدية ، ودرس رسالة خاتم النبيين ، وأدرك ما فيها من المبادىء الانسانية السامية ، وما حوته من التعاليم التى تهدف الى سعادة الجنس البشرى ، والسمو به الى أعلى مراتب الكمال، وحسبك ما جاء به من الدعوة الى التوحيد الخالص ، ونبذ عبادة التماثيل والاصنام ، والكواكب وسائر أجرام السماء كالشمس والشعرى اليمانية ، وغيرها من الاجسام الفانية، وحسبك كذلك ما دعااليه منالكمالات النفسية والاخلاقية ، ما حواه تشريعه من نظم اجتماعية وسياسية وحربية واقتصادية ، عملية غير خيالية ، كانت السبب فى قيام الدولة الاسلامية التى سادت العالم فى وقت كانت فيه أوربا ، والبلاد التى لم تكن رسالة دين الفطرة قد وصلتها بعد ، تتخبط فى دياجير الجهالة والفوضى ، والاحكام الدكتاتورية الاستبدادية ، وتقع تحت أسر العادات والتقاليد التى لا تمت الى الانسانية الكريمة بصلة من الصلات .

وان التاريخ ليحدثنا كيف اعتنق الاسلام فى مستهل البعثة المحمدية رجال آمنوا بعدالته ، وسماحته ، ولم يحولهم عنه ما لاقوا من تنكيل وتعذيب وظلم حتى هاجر من هاجر منهم الى الحبشة ، فرارا بدينهم ، ولقد رأينا كيف آمن من قبائل العرب من كان يلقاهمرسول الله - صلى اللى عليه وسلم - فى المواسم ، وكيف انتشر الاسلام فى يثرب بدعوة من بايع النبى من الخزرج والاوس فى العقبتين الاولى والآخرة ، حتى لم يخل بيت من بيوتها ممن اعتنق الاسلام ، حتى اذا ما اضطر الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - الى الهجرة وجد كل ترحيب بهذا الدين الذى حمل بين طياته العدالة الاجتماعية ، والاخوة والمحبة والخير لمتبعيه .

لم يدخل دين محمد أحد مضطرا أو تحت تأثيرضغط ما ، لان دين محمد ينص على انه : « لااكراه فى الدين» (٢ : ٢٥٦) وما اضطر الرسول الكريم - صلى اللهعليه وسلم - الى اعلان الحرب على قريش الا لعدم وجود الحرية الدينية فى عقيدتها ، ولم تكتف باخراجه منمكة

واضطهاد المؤمنين برسالته حتى اضطروا الى الهجرة من ديارهم ، ولهذا أذن الله للمؤمنين بالقتال دفاعا عن انفسهم وعن دولتهم وقال : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » (٢٢: ٣٩،٤٠) .

لقد فعلت قريش مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه من أهل مكة ما فعلت اليهود مع أهل فلسطين ولا شك أن الاسلام دين كرامة وعزة ، لا دين ضعف واستسلام وجبن وحسبك فى ذلك قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » (٦٠: ٨،٩) .

ويشهد التاريخ ان قريشا هى التى قصدت المدينة لتبيد المسلمين حيث حدثت موقعة أحد سنة ثلاث من الهجرة ، وانه فى السنة الخامسة حزبت اليهود على المسلمين الاحزاب من قريش وغيرها ، فخرجوا قاصدين المدينة للقضاء على الدولة الاسلامية ، فكانت غزوة الخندق ، وما قاتل المسلمون الا دفاعا عن كيانهم ودولتهم وحريتهم عملا بقوله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، ان الله لايحب المعتدين .» (٢: ١٩٠) .

ولهذا لم يرسل الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ جيشه لمقاتلة من لم يعتد عليه من ملوك مختلف الدول ، ورؤسا ئهم كنجاشى الحبشة وهرقل Heradius قيصر الروم ، وكسرى الفرس ، والمقوقس عظيم القبط بمصر ، وملك غسان ، وصاحب اليمامة ، وصاحب البحرين وغيرهم .. بل أرسل اليهم بكتبه ورسله يدعوهم الى الاسلام وعبادة الله وحده لاشريك له .

وكانت وفود مختلف قبائل العرب تفد على رسول الله فى المدينة تعلن اسلام قبائلها طائعة مختارة مقتنعة بذلك الدين الذى رآه محققا لسعادتها كوفود مزينة وعبس وفزارة وثعلبة ومحارب وسعد بن بكر وغيرهم ، وقد عد ابن سعد فى الطبقات الكبرى اثنين وسبعين وفدا اقبلوا على رسول الله فى المدينة ، غير مضطرين ، واثقين فى عدالة الاسلام ، ودعوته الى السلام والمحبة والخير .

ونضرب فى هذا المقام مثلا لسماحة الاسلام وعدم تعصب المسلمين أن نصارى نجران حين وفدوا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقرهم على دينهم ، وقبل منهم الجزية وكتب لهم ان لنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد على أنفسهم وملتهم وارضهم واموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم ، لا يغير أسقف عن سقيفاه ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا واقف عن وقفانيته .

ونحن لا نستغرب دخول المسلمين فى بلاد عاث فيها الروم والفرس فسادا طوال الحروب التى نشبت بينهما فى زمن الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجانب ما احدثاه من الفرقة بين العرب واقتسامهما لبلادهم بما أنشآ فيها من دويلات وحكومات متعادية كالغسانيين التابعين للروم والمناذرة التابعين للفرس ، ولا يجهلن أحد ما كانت عليه وحشية الحكم الفارسى واستبداده ، وفساد الحكم البيزنطى الذى كان يفرض الضرائب الباهظة المتعددة ، ويحرم سكان البلاد التى تحت سلطانه من الوظائف الحكومية ، هذا بجانب الفوضى الاخلاقية والعداوات والتعصبات المذهبية التى أشعل نارها ذلك الحكم الاخير .

لقد قضى الاسلام على كل ألوان الظلم والاستبداد فى جميع المناطق التى انتزعها من الامبراطوريتين الفارسية والرومانية ودخل الناس أفواجا فى دين الله ، ولم يستطع أحد من المؤرخين المتعصبين ضد الاسلام أن يدعى أن المسلمين أرغموا أحدا على الدخول فى دينهم ، ولم يعرف عن المسلمين انهم اضطهدوا أحدا بسبب اعتناقه دينا غير دينهم ، ذلك الدين الذى ضرب المثل الاعلى فى العدالة ، والذى أمر أتباعه أن يعدلوا حتى مع من هم على غير دينهم ، قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون » (٥: ٨) .

ولا ضير علينا أن نذكر هنا قول ويلز مؤلف كتاب « موجز تاريخ العالم » فبعد ما ذكر الانحلال الذى أصاب العالم عند مستهل القرن السابع الميلادى قال: ثم ما لبث نجم البدر أن سطع بباهر الضياء فى مدة قرن واحد وجيز حافل بالابهة والفخامة ، مدوا أثناءه حكمهم ولغتهم من بلاد الاندلس حتى حدود الصين ، ومنحوا العالم ثقافة جديدة ، وأقاموا عقيدة لا تزال الى اليوم من أعظم القوى الحيوية فى العالم .

ان الفرس أنفسهم قد رحبوا بدخول الاسلام فى بلادهم ، تخلصا من الحكم الاستبدادى الذى كانوا يقعون فى قبضته ، ورغبة منهم كذلك فى معافاتهم من الخدمة العسكرية ، ولان الاسلام يبيح لغير المسلمين أن يعتنقوا ما شاءوا من الاديان سواء كانوا يهودا أو مسيحيين أو زرداشتيين ، ولما يحمل هذا الدين من البساطة ومبادىء الحرية والمساواة ، ولقد كان أسرع الناس الى اعتناق الاسلام الطبقة العاملة من الزراع والصناع وأصحاب الحرف المختلفة لماكانوا يلاقونه من استبداد الحكام والارستقراطيين والكهان ، والتفرقة الطبقية ، ولما جاء به الاسلام من تعاليم تحقق لهم آمالهم وتوفر لهم السعادة فى حياتهم . ولتحميهم من أى جور أو ظلم أو عدوان .

ثم سألته :

« ما هى المبادىء التى دعا اليها محمد ، هل تصلح لكل زمان ومكان ؟ »

فاجاب :

ولا شك ان الاسباب التى حببت الاسلام الى قلوب معتنقيه منذ نشأته ، وطوال حياته عبر التاريخ الاسلامى الانسانى حتى اليوم ، لم تتغير ولم تتبدل ، ولا نجد دينا من الاديان التى يعتنقها الناس أو نظاما وضعيا سنته عقول البشر منذ نشأ الاسلام حتى الآن ، فيه ذلك الشمول الذى طرق دين الفطرة فى كل ما يختص بحياة البشر من النواحى الخلقية والنفسية والاجتماعية والسياسية والحربية والاقتصادية ، فقد دعا الاسلام الى العلم وفرضه على كل مسلم ومسلمة، وأعطى الانسان حرية شخصية ما كان ليحلم بها فى كثير من العهود ، ورفع المرأة الى المستوى اللائق بها،وأعطاها من الحقوق ما لم تزل محرومة منه فى كثير من البلاد التى تدعى لنفسها المدنية فى القرن العشرين ، وقدس الاسرة ووضع لها القوانين التى تحفظ لها كرامتها ، وقضى على الفوضى

الجنسية التى تقرها بعض الدول الكبيرة فى هذا الزمن وسن نظام الشورى والحرية السياسية للافراد ، واشترط فى الحاكم العدل والحكمة وعدم الاستبداد بالرأى ، وشرع تشريعا اقتصاديا عظيما يحقق سعادة الطبقات العاملة الكادحة ، ويوفر الحياة الكريمة لجميع أفراد المجتمع ، ودعا الى الالفة والمحبة والاخاء وغير ذلك من التعاليم السامية التى طبقت تطبيقا علميا فى زمن الرسول الكريم وفى جميع العهود التى بلغت فيها الدولة الاسلامية ذروة المجد ، وكان فيها المسلمون مثلا أعلى للانسانية الفاضلة ، ونبراسا يهتدى به سائر البشر، فالدين الاسلامى بذلك صالح للتطبيق فى كل زمان وفى أية بيئة من البيئات وفى أى مجتمع من المجتمعات

« اذن ما هى افتراءات المستشرقين على الاسلام والرد عليهم ؟ »

فاجابنى قائلا :

يلذ لمرتزقة المستشرقين ، دون غيرهم من المنصفين ، أن يكذبوا على التاريخ وعلى الواقع ، فيزعمون أن الاسلام قد انتشر فى العالم بقوة السيف ، ولقد بينا فى صدر هذا المقال ما يثبت منه بطلان هذه الفرية من الناحيتين التاريخية والعملية .

ويزعم بعضهم أن المسلمين متأخرون ، وأن سبب تأخرهم هو دينهم الذى يعتنقونه ، وفاتهم ان الاسلام هو الذى أعطى المسلمين القوة ، التى مكنتهم من القضاء على الحروب الصليبية التى شنتها عليهم دول أوربا مجتمعة فى القرون الوسطى ، وان الاسلام هو الذى مكن المسلمين فى العصر الحديث من الانتصار على الاستعمار الذى نسج المستعمرون خيطه فى زمن سابق محدود لا يعد شيئا فى تاريخ الامم ، منتهزين حقبة من الوقت انحرف فيها بعض قادة المسلمين أنفسهم عن الاسلام . وفاتهم انهم بالرغم من ذلك ، ظل المسلمون يحاربون الطغيان والاستعمار ، من غير توقف ، حتى انتصروا عليهما جميعا ، وحملت الجمهورية العربية لواء الحرية وطردت المستعمر ، وقضت على رواسب الاستعمار ، ونهضت نهضة علمية واجتماعية وسياسية واقتصادية تحسدها عليه دول تدعى لنفسها التمدن الذى تجرد من القيم الدينية والاخلاق .

وها هو ذا مؤتمر القمة يقض على المستعمرين مضاجعهم ويصيبهم بهستريا الفزع من اتحاد المسلمين . ومن المبادىء الاسلامية التى تدعو الى العدالة الاجتماعية وتقاوم الظلم والانحراف ، وها هى ذى المبادىء الاستعمارية تناصر اليهود والمعتدين الذين طردوا المسلمين من بلادهم ، فرقا من قوة الاسلام التى ينسب اليها المستشرقون الضعف ، مع أن اليهود هم ألد أعداء المسيحية وسائر المجتمع الانسانى على وجه عام .

ويعيب المرتزقة من المستشرقين نظريته فى اباحة الطلاق ، ويرمون بانه أباح تعدد الزوجات مع ان الاسلام حدد هذا التعدد ، وأباحه وأباح الطلاق فى ظروف معينة ولا نريد أن نكتب فى فطرية هذا النظام ، وانما نكتفى بالقول بان جهلة المستشرقين يتناقضون مع انفسهم ، ولا يعلمون انهم انما يطعنون فى جميع الاديان التى جاءت بها الرسل جميعا بما فى ذلك شريعة المسيح نفسه ، لقد ذكرت كتبهم أن رسول الله سليمان جد عيسى بن مريم كان له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى « الملوك الاول ١١ : ٣ » وان الاناجيل الاربعة صرحت بان المسيح لم يات لينقض ناموس موسى وانها لم تحرم تعدد الزوجات ، بل وان نظام التعدد فى المسيحية ظل معمولا به طوال العصور الوسطى فى أوربا ، ولم تفكر الكنيسة فى الغائه ، بل وظل معمولا به حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادى ، ونضرب مثلا لذلك لوثر الذى أباح لفيليب أمير هيس أن يجمع بين زوجتين .

وقد كان الطلاق مباحا فى شريعة موسى ، وقد كان مباحا عند النصارى منذ عهد المسيح حتى نحو منتصف القرن السادس عشر الميلادى ، وان المسيحية نفسها لم تحرمه، انما جاء مجمع ترنت بعد منتصف القرن السادس عشر فحرمه ، ولا يعد قرار هذا المجمع حجة على المسيحية ، هذا مع العلم أن كثيرا من الدول المسيحية تبيح الطلاق حتى اليوم لاتفه الاسباب .

هذه هى ابرز الافتراءات التى يتمشدق بها المرتزقة من المستشرقين ضد الاسلام ، وهى كما رأينا ظاهرة البطلان ، ولقد صدق الله حين أخبر عن أمثال هؤلاء بقوله : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ، فاولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة » . (٢١٧:٢) « ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين » (١٨:٨)

وفى ختام جولتنا الصحفية التقينا بفضيلة الشيخ منصور رجب فسألناه :

« هل تصلح مبادىء الشريعة الاسلامية لكل زمان ومكان ؟ وما السبب ؟.. »

فاجاب بقوله :

ــ ان الاسلام قد أتى بمبادىء كلية ليس من شك فى أنها صالحة لكل زمان ومكان ، فأمر بالمحافظة على النفس ، وبذلك حرم القتل ، وأمر بالمحافظة على العقل ولذلك حرم شرب الخمر ، وأمر بالمحافظة على الاولاد بتنشئتهم تنشئة حسنة وعدم توريثهم شيئا يجلب اليهم عارا فأمر بتخير الزوجة الصالحة واختيار الاسماء الحسنة الى آخر ما أتى به الاسلام من كليات.

وهذه الكليات هى الصالحة لكل زمان ومكان ، أما الجزئيات فهى التى تخضع لتطور الزمان ، فمثلا أمر الاسلام بالشورى أما كيف تكون صورة هذه الشورى فذلك هو الذى يخضع لتطور الزمان وأما السبب فى أنها صالحة لكل زمان ومكان فبديهى لانها من لدن حكيم عليم ومن أدرى بمصلحة العباد من خالقهم ؟ ومن يعترض فليقرأ :

اذا اعترض العقل على ربه
فانما العقل هو الجهل
يعترض العقل على صانع
من بعض مصنوعاته العقل
ان بان فضل العقل فى صنعه
فصانع العقل له الفضل

وبعد .. فان النظرة الفاحصة المنصفة الى هذا الدين القويم تجعلنا نؤمن ايمانا راسخا بانه دين الفطرة السليمة الذى يلائم طبائع البشر ويتمشى مع مصالحهم وحاجاتهم فى كل زمان ومكان وليس ادل على ذلك من قول الله سبحانه وتعالى : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لكلمات الله » فليتدبر أولو العقول وأصحاب الفطن تلك الآيات البينات وهذه البراهين الناصعة والمبادىء السامية التى تأخذ بالالباب وتخر لها الجباه ساجدة لحكمة العلى القدير .

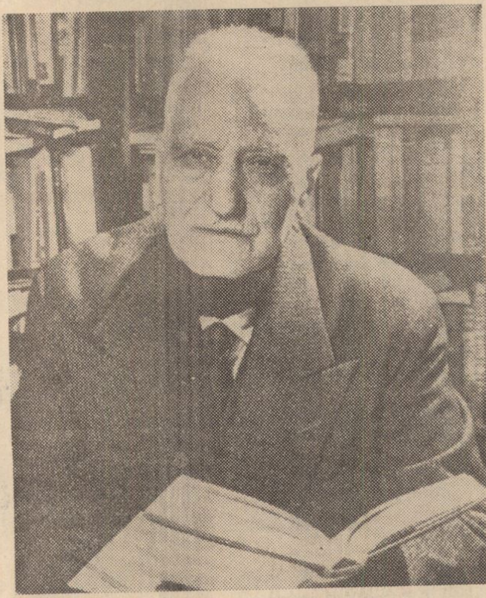

فى سجل الخالدين

روع العالم باختطاف الموت علما شامخا من أعلامه ، فاهتزت لهول المفاجأة نفوس ، وانفطرت قلوب ، وجرت دموع واضطربت عقول ، وهزت ألسن بأقوال تعنى شيئا ، وأقوال لا تعنى شيئا الا أنها تعبير عن عمق الصدمة وأثر المفاجأة .

نعم ((مات العقاد ! جسما))

لكن أسرة ((منبر الاسلام)) تراه حيا ، وسيظل حيا ما دام على الأرض عين تنظر ، وعقل يفكر . وقلب ينبض ويشعر .

نعم توقف ارتفاع الجبل .

لكنه ما تحطم ولا تصدع ، كما سبق الى لسان كثير من الثكلى والمحزونين .

لقد كان قوة منطلقة الى أعلى ..

وكل ما هنالك أن انطلاقتها توقفت .. وتوقفها لن يكون دائما ، وانما هو توقف الى حين ، ثم تعود الانطلاقة تشق طريقها متمثلة فيما ينيف على ثمانين كتابا ، وتلاميذ لا يحصون عدا .

ثمانون كتابا كل منها تراث بمفرده .

وتلاميذ كل منهم أستاذ بطاقته .

فان نفتقد العقاد جسما ـ وهذه سنة الحياة ـ فلن نفتقده فكرا وأدبا وعلما ، الا بقدر ما يراود المتعلم من استزادة فى العلم والمعرفة .

وأسرة ((منبر الاسلام)) لا يسعها ـ أمام التسليم بحتمية الموت للأجسام ـ الا أن تضرع الى الله أن يتغمد الفقيد برحمته ، متسلية بأمل ترجوه فيمن خلف وفيما خلف العقاد من تلاميذ وتراث .

القاهر والظافر

للشاعر على الجندى

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
« قرآن كريم »

قَهرْنَا الأعادىَ بالقاهرِ ... وسُمْناهم خطة الخاسرِ
وأظفرنا اللهُ – سبحانه – ... بأخصامنا اللد بالظافر
فراح «ابنُ غُرْيونَ» من خوفه ... ضريرَ البصيرة ، والناظر
قريحَ الجوانح يَبْكى شَجاه ... ويشكو جَواه إلى « ماير »
ويَلْطِم خَدَيْه لَطْمَ الثكول ... ويصرُخ كالحائر البائر
ويستنجد «العم سامَ» الذى ... له كالولىِّ على القاصر
لِينقذها دولةً فجَّةً ... أحاطت بها قَبْضَةُ الهاصر
وكيف تعيش ؟ وأنّى لها ... على مِرْجَل بالقِلَى فائر
وما شاده الجَوْرُ لا بُدَّ أنْ ... يَخِر على هامة الجائر
هما بَسْمَةٌ فى سلام الزمان ... ونُورٌ لدى نَفْعِه العاكر
هما عِزةٌ ، وهما عُدَّةٌ ... وبَعْثٌ لسُؤْدُدِنَا الغابر
وكلُّ ضعيف على أرضه ... يَصير بها هُزْأَةَ الساخر
سماءُ الحِمَى بهما قَلْعَةٌ ... تَطول ذُراها على العابر
وأرضُ العروبة حِرْزٌ حريز ... عزيزٌ على الشانِئِ الواغر
فقلْ للمغير على حَوْضِنا ... : إليك عن الأسد الخادر
تُمَنّيكَ نفسُك فوزَ القوىّ ... ولستَ على الفوز بالقادر
سَترْجَم بالشهب الراصدات ... وتُصْهر باللهب الساعر

فهل كان فى الظنِّ أنّا نَطير   بأُفْقٍ مَنيعٍ على الطائر
وأنّا نَدومُ بينَ الأَثير   بكلِّ عُقابٍ لنا كاسر
لَشتّانَ ما بينَ ماضٍ أَحَمِّ الـ   ـحَواشِى ، وحاضرنا الزاهر
وفى غدِنا الباهرِ المُسْتنير   نَحُلُّ على «القمر» الباهر
ونغزو «المجرّةَ» مُسْتأسدين   ونَحْمِى حِمَى نهرها الهادر
ونَركُزُ أَعلامَنا فى السماء   على العامر الخِصْب والغامر
ونبنِى بها دولةً للعلوم   وللفنِّ والأدب الناضر
ويَحْيَا الرَّعايا بها إخوةً   بغير عَذولٍ ، ولا عاذر
بغير حسود ، ولا حاقد   بغير خئون ، ولا غادر
بلا «نَمِرٍ» فوقَها كاشر   ولا «ثعْلُبان» بها ماكر
فطِيروا إلى جَنّةٍ أُزْلِفَتْ   لكلِّ أخِى دأَبٍ صابر
على مثلِها شيخكم «آدم»   بكى بدموع الحيَا الماطر
فقد سَيّر «الغرْبُ» ذُؤبانَه   إليها مُغيرًا بلا زاجر
ليبذُر فيها بُذور الخلاف   ويَصْبُغها بالدم المائر
ويتركَها بُؤرَةً للفساد   وللبغى ، والقهرِ السافر
كما عاثَ الأرضَ مِنْ قبلها   وصَيّرها مَسْلخَ الجازر
لها اللهُ من كلِّ داهٍ أثيم   ومِنْ كلِّ مُسْتعمِرٍ فاجر
فهيّا أَغِذُّوا السُّرَى والمسير   وَرَاءَ خطا «الأَسْمر الثائر»
هُوَ الرائدُ «النّاصرُ» المرتَجَى   رعاه لنا اللهُ من ناصر
جَعَلْنا به المعْتدين الطغاة   أحاديثَ تُلْعَن فى السامر
و «لَيْثُهمْ» بعدَ طول الزئير   غدَا نابحًا ليسَ بالزائر
قطعْنا له ذيلَه فانثنى   ككلبٍ ضعيفِ القوَى خائر
وعمّا قريب يذوق المنون   ويُقْبَر فى حفرة القابر

من وصايا الرسول

الغضب

الأستاذ محمد محمد الشرقاوى

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا يدعى : جارية بن قدامة قال للنبى – صلى الله عليه وسلم – أوصنى .. فقال : « لا تغضب » فردد مرارا فقال : « لا تغضب »

فى طبيعة الانسان تكمن مجموعة من الغرائز والانفعالات لا يمكن قمعها .. ولا التحكم فى دفعها .. ومنها الغضب .. الذى هو فى حقيقته : غليان دم القلب بنار الثورة لارادة الانتقام – كما ذكره القسطلانى – .. وإذن .. فالمقصود الاهم .. هنا .. ليس مقاومة أصل الخلقة ، ولا مدافعه طبائع الفطرة .. وانما الهدف المنشود . الانتهاء عن مقدمات الغضب ، ومعقباته .. قال الخطابى : **« .. أى اجتنب أسباب الغضب ، ولا تتعرض لما يجلبه » .. وقال ابن حبان : « أى لا تعمل بعد الغضب شيئا مما نهيت عنه ..**

وقد تعرض صاحب « قوت الاحياء » لفلسفة الغضب على نحو طريف .. ومما ذكره : « ان الله تعالى جعلُ الغضب غريزة فى الانسان .. فمهما توزع أو صد عن غرض ما .. اشتعلت نار الغضب ، وثارت .. حتى يحمر وجهه ويحتدم ، وتتقدح العينان من الدم .. لان البشرة تحكى لون ماوراءها ، وهذا اذا كان الغضب على من هو دونه .. واستشعر القدرة عليه ، أما اذا كان على من هو فوقه .. تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد .. الى جوف القلب .. فيصفر اللون حزنا ، وان كان الغضب على الكفء والنظم .. تردد بين الانقباض والانبساط فيحمل تارة ، ويصفر تارة أخرى .. وبالقدر الذى يتغير الباطن نتيجة للغضب .. يتغير الظاهر أيضا .. فيمتقع اللون ، وترتعد الاطراف ، وتتزلزل الاعصاب ، وتنتفخ أوداج الرقبة ، ويرمى الفم بالزبد ، وتتزاحم الانفاس وتتقطع ، ويبح الصوت حتى لا يكاد يبين .. وتخرج الافعال على غير ترتيب وتناسق .. حتى لو تراءى الغضبان نفسه فى مرآة لسكن غضبه حياء من قبح صورته ، واستحالة خلقته .. وعلى هذه الوتيرة تتغير معايير الاخلاق ، ومقاييس الفضائل تبعا لتغير الاعضاء الباطنة والظاهرة ، وآية ذلك مايبدو على مظهره من تهيؤ للشر ، واستعداد للمساءة والمقاتلة .. وذلك بطبيعة الحال ينم عن كامن الحقد والحسد ، وفساد النية ، وسوء الطوية ، وما يتبع ذلك من هجر المسلم ، ومصارمته ، والاعراض عنه ، والسخرية به ، ومنع الحقوق الثابتة له .. مع ما ينطق به اللسان من شتم وفحش يستحيى منه العاقل ، وينكره الفاضل ، ويندم عليه القائل .. ثم ما يستتبع كل هذا فى الافعال من ضراب وطعان ، ومنازلة وقتال .. حتى لو فات منه ذلك أو بعضه .. فقد يرجع المغضوب على نفسه بالانتقام .. فيمزق ثوبه .. أو يلطم خده .. بل ربما سقط صريعا .. أو مغمى عليه .. وربما كسر الاوانى .. أو اعتدى على من ليس له شأن ..

وشفاء كل علة بضدها .. وبالاعتدال تتم المصالح .. فبادر بقمع أسباب الغضب ، ودوافع الثورة .. وذلك بكسر حدة الكبر ، والفخر .. والاستهتار ، والمزح ، والتعيير ، والمجادلة ، والغدر ، والحرص على فضول المال .. أو الجاه .. فاذا غضبت فتثبت .. ثم تفكر فى فضل كظم الغيظ وما أعده الله للكاظمين من جنة عرضها السموات والارض .. وآثر العفو على المقاتلة بالمثل . واطع الله تعالى فيمن أساء اليك ، وأنله فضلك .. لتظفر منه بحبك .. وأرغم الشيطان بالمبالغة فى الاحسان .. فانه متى علم الشيطان منك انه كلما وسوس اليك بجفاء .. بادرت الى الوفاء .. صار أكثر كيده أنه لا يأتيك .. كى يمنعك مخالفته ».

ولقد طالما حذر الاطباء والمشتغلون بالصحة العامة .. من آثار الغضب الوخيمة ، وعواقبه الضارة بصحة صاحبه ، **وقد ذكر الدكتور حامد الفوابى « أن الغضب يسبب زيادة فى ضغط الدم ، ويوقف حركة القناة الهضمية والمثانة ، ويسبب افراز العرق ، ويوسع حدقة العين ، لانه يؤثر فى افرازات غدد الجسم .. ولا سيما الغدة فوق الكلى التى تفرز فى هذه الحال « هرمون الادزنانين » .. وهو عصير يتصبب فى الجسم فى أوقات**

الانفعالات .. فيسرع بضربات القلب ، ويرفع ضغط الدم ، ويتبع ذلك كثير من المضاعفات ، وقد أصبح من وسائل العلاج الحديث لارتفاع ضغط الدم معالجة حالة المريض النفسية ، والعمل على تخفيف أسباب انفعالاته وعصبيته .. »

ولقد سلك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في علاج الغضب مسلكا حكيما ، وحدد أساليب للحد من انهيار الغضبان ، والكفكفة من غلوائه في الثورة والاندفاع ، وكان يحذر من مغبة الغضب على العقيدة نفسها وذلك في قوله :

« الغضب يفسد الايمان كمايفسد الصبر العسل »

بل كان كثيرا ما يعبر عن الغضب بالشيطان .. نظرا لما له من الخطورة في حياة الافراد والجماعات فكانت عائشة رضى الله عنها اذا غضبت قال لها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **« مالك يا عائشة .. جاءك شيطانك؟ .. فكانت تقول له : « ومالك شيطان ؟ » فيقول لها : « بلى » ولكني دعوت الله ، فاعانني عليه.. فلا يامرني الا بالخير .. »**

ويمكن تلخيص وصايا الرسول في شأن الغضب فيما يأتي :

أولا : أن يحدث الغضبان نفسه بثواب الصابرين ، وأجر الكاظمين .. متمثلا قوله تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عن ربه جل وعلا : « يابن آدم اذكرني حين تغضب .. اذكرك حين أغضبت . فلا أمحقك فيما امحق » .

ثانيا : يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومن هذا الشر النازل ، والخطر الداهم ، وقد علمنا الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك فيما رواه البخاري أن رجلين استبا عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والناس عنده جلوس ، وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال النبي : **« انى لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد .. لو قال : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. »**

كما كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأخذ بأنف عائشة اذا غضبت ويقول لها : **« يا عويش .. قولى اللهم رب النبي محمد .. أغفر لى ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن » .**

ثالثا : تغيير الاوضاع الجسمية التي تصاحب الغضبان حال غضبه واتخاذ هيئات أخرى .. ليصحب هذا التغيير تحول في النفس والاعصاب ، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم ـ : **« ان الغضب جمرة توقد في القلب .. ألم تروا الى انتفاخ أوداجه واحمرار عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا .. فان كان قائما فليجلس ،وان كان جالسا فلينم ، فان لم يزل .. فليتوضأ بالماء البارد .. أو يغتسل .. فان النار لايطفئها الا الماء » .**

رابعا : الكف عن الكلام نهائيا حال التوتر والحدة ، والاندفاع والثورة .. لان الاخطاء محسوبة عليه دينا ودنيا ، ولن يعفيه منها استبداد الثورة به ، أو الحاح الغضب عليه .. **حتى أن كثيرا من الفقهاء اعتبروا طلاق الغضبان ويمينه ونذره وسائر عقوده الكلامية نافذة المفعول ابان غضبه .**

وما أحسن قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

« اذا غضب أحدكم فليسكت » .. وفي رواية « فليجلس ولا يعد به الغضب »

ومن أروع ماروى في هذا الباب داعيا الى التعقل والحكمة ومطاولة حبال الصبر ، ووضع الاعصاب ـ كما يقولون ـ في ثلاجة خشية اتساع الرقعة على الراقع .. الحديث الذى يحكى قصة رجل وقع في أبي بكر ـ رضى الله عنه ـ فآذاه .. فصبر .. ثم وقع الثانية .. فصبر .. ثم وقع الثالثة فانتصر لنفسه . فقال عليه الصلاة والسلام : **« لقد نزل ملك من السماء يكذب الرجل فيما يقول فيك حين صبرت .. فلما انتصرت .. انصرف الملك ، وقعد الشيطان ، وما كنت لاجلس في مقام يقعد فيه الشيطان »**

والحكمة في تغيير أوضاع الغضبان الجسمية التي أوصى بها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ هي اتاحة الفرصة لسيادة العقل والصواب ، ونشر السلام ، ومكافحة الفتنة قبل استفحالها ، واستئصال جرثومة الفساد قبل تضخمها ، ذلك لان القائم أقدر على الانتقام من القاعد ، والقاعد أقدر عليه من النائم .. فانتقال الغضبان من حال أشد الى حال أخف .. فيه تلطيف لحده الثورة ، وتبديد لغاشية الغضب .. وقد روى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ **« لم يغضب لنفسه قط .. الا أن تنتهك حرمات الله » .**

وحكى أنس رضى الله عنه فقال : **« خدمت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنوات .. فما قال لشيء فعلته لم فعلته ، ولا لشيء تركته لم تركته » .**

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول لاصحابه : **« خيركم بطيء الغضب سريع الفيء .. وشركم سريع الغضب بطيء الفيء »**

ومما قاله القسطلاني في هذا الصدد : « على الغاضب أن يستحضر ألا فاعل الا الله .. وكل فاعل غيره .. فهو آلة له .. فمن توجه اليه مكروه من غيره .. واستحضر ان لو شاء الله .. لم يمكن ذلك الغير منه .. اندفع غضبه .. لانه لو غضب والحالة هذه .. كان غضبه على ربه .. وهو خلاف العبودية ، ولعل هذا هو السر في أمر الذى غضب بالاستعاذة ، لانه اذا توجه الى ربه حينئذ بالاستعاذة .. أمكنه استحضار ما ذكر »

على أن الغضب أحيانا يكون من مستلزمات الرجولة الصادقة ، والدين الحق ، والشرف الرفيع .. وذلك اذا ما تعرضت الاوطان للخطر ، وطمع فيها الطامعون ، وكاد لها الكائدون .. او اذا ماسولت للظالمين .. او العابثين أنفسهم التعدى على الاعراض أو الانفس أو الاموال .. أو الاديان .. ففى مثل هذه المواقف يكون الغضب عبادة من أجل العبادات ، وقربة على رأس القربات .. حتى ولو دفع الانسان نفسه ثمنا لذلك الواجب المقدس وفي هذا يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **« من قتل دون عرضه فهو شهيد ، ومن قتل دون نفسه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد»** وعليه يحمل قول الشافعي رضى الله عنه : **« من استغضب فلم يغضب فهو حمار »**

وخير ما نختم به هذا البحث ما رواه البخاري : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يصطرعون .. فقال : **« ما هذا ؟ .. قالوا : فلان ما يصارع أحدا الا صرعه . قال : أفلا أدلكم على من هو اشد منه .. رجل كلمه رجل فكظم غيظه .. فغلبه ، وغلب شيطانه ، وغلب شيطان صاحبه » .**

من معارك العروبة الخالدة

معركة حطين

الاستاذ محمد عبد المنعم العشماوى

فى ٢٥ من ربيع الثانى سنة ٥٨٣ هجرية جرت معركة حطين بين الناصر صلاح الدين وبين الصيلبيين وكانت تلك المعركة بداية النهاية بالنسبة للاستعمار الصليبى فى الشرق العربى واليوم وقد مرت ثمانية قرون هجرية على تلك المعركة الخالدة رأينا أن نستذكر تلك المناسبة المجيدة فى تاريخنا القومى فى الكلمة التالية :

على نهر دجلة ما بين بغداد والموصل ، تقع بلدة صغيرة تسمى تكريت ، اشتهرت بقلعتها التى تحرس الطريق بين قلب الجزيرة وبلاد الكرد . وكان يقوم بأمر بغداد والمقاطعات المجاورة فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى مملوك يدعى بهروز من قبل السلطان ملكشاه السلجوقى الوزير الاول للخليفة العباسى .

وجاء دور بهرور هذا فولى من باطنة امارة «تكريت» وجلا كرديا اشتهر بالفروسية يدعى نجم الدين أيوب .

وحدث جفاء بين بهروز وبين نجم الدين ايوب لانحياز نجم الدين الى جانب عماد الدين زنكى اتابك الموصل فغضب بهروز وطرد نجم الدين من خدمته وأمره بمغادرة تكريت وفى ليلة الرحيل وكانت احدى ليالى عام ٥٣٢ هـ (١٣٧ م) ولد له ولد فتشاءم الوالد ولكن أحد اتباعه قال له « **اشفق عليه وعلى نفسك فلعل فيه الخير وأنت لا تعلم** » وأسمى هذا الولد يوسف وهو الذى عرف فيما بعد باسم صلاح الدين ـ وعلم عماد الدين زنكى بما حدث لنجم الدين فاستدعاه ليستفيد من خبرته واخلاصه . ومنذ ذلك التاريخ ارتبطت حياة نجم الدين ومستقبله بشخصية عظيمة هى شخصية عماد الدين ، الذى رحب بمقدم أسرته اليه فى الموصل وأكرم وفادتها وقدر مواهب رجالها ، فأسند حكم بعلبك الى نجم الدين وقلد اخا له أصغر منه هو أسد الدين شيركوه قيادة الجيش .

نشا يوسف فى بلاط زنكى بالموصل وقضى طفولته فى ظل والده أيوب فى بعلبك وأخذ عنه براعته فى السياسة وشجاعته فى الحروب فشب يوسف متشبعا بالدهاء السياسى والروح الحربية وتعلم علوم عصره وتثقف بثقافة أهل زمانه ، فحفظ القرآن ودرس الفقه والحديث وتوالت الاحداث بعدئذ فتوفى زنكى وشغل أبناؤه بتقسيم هذا الارث العظيم حتى طمع والى دمشق فى بعلبك وشدد الحصار عليها فلم يستطع أيوب الدفاع عنها ورأى من الحكمة أن يحقن دماء العرب فصالح والى دمشق ودخل فى خدمته أما شيركوه فقد اتصل بالسلطان نور الدين بن زنكى أمير حلب بعد أن استقام له الملك بعد أبيه وأصبح من كبار قواده .

وهكذا فرقت الظروف السياسية بين الأخوين غير أنهما اجتمعا من جديد عندما شرع نور الدين فى تكتيل

الامارات العربية تحت راية واحدة قبل خوض معركة حاسمة ضد الصليبيين ورأى أن يبدأ بضم دمشق فسير اليها شيركوه الذى وجد أخاه أيوب على رأس جندها.

وحقنا لدماء العرب تكاتب الاخوان واتفقا على أن يدخل شيركوه دمشق صلحا وبذلك دخلت جند دمشق فى سلطان نور الدين الذى عين شيركوه أميرا للجيوش ونصب أيوب حاكما للمدينة وأصبح نور الدين سلطانا على شمالى العراق وعلى بلاد الشام، عدا السواحل. **كان الشرق الاسلامى يومئذ موزعا بين خلافتين عظيمتين**

الأولى الخلافة العباسية فى بغداد والثانية خلافة الفاطميين فى القاهرة وبينهما عنصر دخيل هو عنصر الافرنج الذين أتوا الى الشرق بحجة المحافظة على البيت المقدس.

فكر نور الدين فى هذا الموقف السياسى الدقيق فوجد أن فى استطاعته أن يسقط الخلافة العباسية من حسابه **فقد شاخت ولم تعد قادرة على النهوض بعمل ينفع الاسلام والعروبة واذن فقد** أصبح الأمر محصورا بين هذه القوى الثلاث: **قوته هو بالشام، وقوة الافرنج بالقدس، وقوة الفاطميين الشيعيين بمصر.** ثم نظر نور الدين فى هذا الموقف السياسى الدقيق. فاذا مصر كذلك من الضعف بحيث لا تقدر هى الأخرى على الثبات فى ميدان النزاع حول هذه القضية الكبرى .. **وهى بقاء الفرنج فى أرض اسلامية.**

اذن كان لابد من جلاء الصليبيين عن أرض المسلمين فمصر يجب أن تكون الدرع الواقى من الافرنج وأن تلعب دورا هاما فى هذه المرحلة. ولكن الحوادث بمصر تجرى بسرعة تدعو الى التدخل والى الانقاذ اذ أن الصليبيين بدأوا يغيرون من جهة بلبيس واذا هم يوقعون فى قلوب المصريين فى هذه المرة أشد ما مر بهم فى تاريخهم من الجزع والاضطراب واذا وزير المصريين (شاور) قد يضرم النار فى الفسطاط لتكون حائلا بينه وبين الفرنج القادمين عليه كل ذلك كان سببا للتدخل فأخذت حملة نور الدين بقيادة (شيركوه) أهميتها وكان صلاح الدين فى مبدأ أمره مترددا لا يريد الذهاب ولا يدرى ماذا يخبئه له القدر.

وبينما الفتى غارق فى أفكاره وأوهامه اذ به يسمع من يقول: **((غدا تأخذ سيفك وتلبس درعك وتتبع عمك))** وبهذه الكلمات العذبة المرة باغت نجم الدين ابنه .. صلاح الدين وما كاد الجيشان يلتحمان حتى ارتد الصليبيون ونجت البلاد من أخطارهم .. وأخذ الحظ يبتسم لصلاح الدين اذ بعد أن انتهت حملات نور الدين على مصر بانتصاره على الصيبليين فيها وبمقتل شاور وزيرها **اعتلى أسد الدين شيركوه** كرسى الوزارة ولكنه توفى بعد قليل **فأصبح صلاح الدين وزيرا وهو فى الثلاثين من عمره** ومنذ ذلك التاريخ أخذ يوطد مركزه فى مصر ويعمل على تأسيس دولة تحل محل الدولة الفاطمية وبوفاة العاضد تم لصلاح الدين ما أراد وتدخلت الاقدار لاخلاء المسرح السياسى من جميع أبطاله وتركت صلاح الدين وحده اذ لم يكد يمضى على وفاة الخليفة العاضد عامان حتى توفى نور الدين وظن الافرنج أن وفاته فرصة ستمكنهم من توجيه ضربة قاتلة للكفاية فهاجموا الاسكندرية فى شهر يوليو سنة ١١٧٤ ولكنهم هزموا وفشلت حملتهم.

وبوفاة نور الدين خلفه ابنه الملك الصالح الذى كان صبيا فى الحادية عشرة من عمره فاستخف بحكمه أمراء **المقاطعات وأصبح العوبة فى يد وزرائه الذين أوغروا** صدره على صلاح الدين فقامت الحرب وكان لزاما على صلاح الدين أن يشنها خوفا من ضياع وحدة المسلمين وضياع مجهودات عماد الدين زنكى وابنه نور الدين وانتهت الحرب **بهزيمة الملك الصالح واستيلاء صلاح الدين على دمشق وتوحيد مصر والشام** ثم استولى صلاح الدين على حلب والموصل بعد وفاة الملك الصالح وبذلك أصبحت أملاك الصليبيين محصورة بين قوات اسلامية موحدة ومتحدة مع الشمال والجنوب والشرق.

وقامت بين صلاح الدين وبين الصليبيين بعدئذ مناوشات انتهت بعقد هدنة بينه وبينهم ولكن فى عام ١١٨٦ انتهك الصليبيون تلك الهدنة فقد حدث أن مرت قافلة من قوافل المسلمين بالقرب من الكرك مطمئنة وواثقة من العهد الذى بين ريجنالد صاحبها وبين صلاح الدين، فلم يلبث هذا الغادر أن انقض عليها وسلب ما كانت تحمله من أموال وفيرة لصلاح الدين وقتل وأسر من أفرادها عددا كبيرا وكانت فرصة فريدة انتهزها لاطفاء نار غضبه وارواء لظمئه من دماء المسلمين العرب ولما واجه الاسرى قال لهم: « كنتم تعتقدون فى محمد فادعوه الآن يفك أسركم ويخلصكم من شر ما وقعتم فيه » وما درى صاحب الكرك بفعله الآثم وقوله الشائن أنه قد جلب الويل على نفسه وأهله وقومه.

فلما بلغ ذلك صلاح الدين غضب ونذر أن يقتل ريجنالد بيده لو ظفر به.

وكانت تلك الحادثة هى الشرارة التى أشعلت نار الحرب من جديد ذلك أن صلاح الدين لم يجعل صاحب الكرك همه الوحيد بل أخذ يعد العدة ليوقع النكال بالصليبيين قاطبة مصمما على تطهير البلاد من رجسهم.

وشرع صلاح الدين يجمع جيوشه فأتته من أطراف الدولة العربية الاسلامية التى كان له فضل تكوينها ولما استكمل استعداده سار بجيش لجب الى الكرك **للانتقام من ريجنالد** وأرسل جيشا آخر **الى عكا ليشغل من بها من الصليبيين عن مساعدة صاحب الكرك فلما** هاجم الكرك فر صاحبها الى بيت المقدس ورأى صلاح الدين أن يتبع ذلك النصر بهجوم ساحق وفى يوم الخميس ١٦ من ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هجرية استعرض صلاح الدين قواته وتريث حتى صلى الجمعة وفيها ابتهل المسلمون الى الله أن ينصرهم ثم سار بعدئذ على رأس جيش كبير صوب طبرية وعبر نهر الاردن وعسكر غربها عندما علم أن جموع الصليبيين قد احتشدت غرب جبل طبرية دون أن يقوموا بأى جهد حربى ضده.

أراد صلاح الدين أن يحرضهم على الهجوم فهاجم طبرية حتى يخرج الصليبيون من أماكنهم فيلقاهم فى ميدان مفتوح ولما استولى على طبرية وكان أميرها غائبا استغاثت زوجته بالصليبيين وانقسم هؤلاء على أنفسهم وظلوا فى نقاش ليلة كاملة وأخيرا استقر الرأى على الهجوم على المسلمين فى اليوم التالى.

وكانت عيون صلاح الدين ترقب كل ما يجرى فلما علم بما اعتزمه الصيلبيون خرب ما فى طريقهم من صهاريج للمياه ثم انسحب بجيوشه الى مواطن المياه وحال دون وصول الاعداء اليها فلما تقدم الصليبيون - وكان الوقت قيظ الصيف شعر جنودهم بالعطش فلم يجدوا ماء فيما حولهم أو بين صفوفهم من صهاريج ولما حاولوا الوصول الى موارد المياه وقفت جيوش المسلمين دون ذلك ولم يستطيعوا التقهقر خشية شماتة المسلمين فشرعوا يحاربون وقد أجهدهم العطش والحر وفى اليوم التالى قاتلوا قتال المستميت لبلوغ الماء ولكن صلاح الدين أدرك

قصدهم فأخذ يقاتلهم من نواح معينة حتى حصرهم حصارا تاما ولم يفلت من الحصار الا جماعة رأى ابن أخى صلاح الدين أن يتظاهر أمامهم بالهزيمة حتى انفصلوا عن اخوانهم فلما خرجوا من دوائر الحصار وجدوا أنفسهم خارجها ولذلك آثروا ترك الميدان وبذلك ضعفت صفوف الصليبيين وبدت بوادر هزيمتهم غير أنهم احتلوا تلا عند حطين أرادوا أن ينصبوا خيامهم هناك فلم يمكنهم المسلمون من ذلك وكل ما قاموا به هو نصب خيمة ملك بيت المقدس ». وحول تلك الخيمة دارت المعركة الفاصلة. **فقد هجم المسلمون على الصليبيين واستبسلوا فى الهجوم رغم المقاومة الشديدة وما لبثت خيمة الملك أن تداعت أركانها فانقض عليها المسلمون وأخذوا ما كان فيها وأتوا بالعجائب من صنوف الشجاعة والاقدام ».**

وكانت خشبة الصليب المقدس بين الغنائم .

وعرفت تلك المعركة باسم حطين وسجل يوم ٢٦ من ربيع الآخر سنة ٥٧٣ هجرية (« ٤ يوليو ١١٨٧م ») انتصارا ساحقا للعرب على الصليبيين أسر فيه ملك بيت المقدس وريجنالد صاحب الكرك وأخو الملك وعدد كبير من وجوه الصليبيين وذوى الرأى فيهم ، الأمر الذى لم يشهدوا له مثيلا منذ وطئت أقدامهم تلك الديار .

واقيمت لصلاح الدين خيمة اجتمع فيها بذوى الرأى من اتباعه وسجد الجميع لله شكرا ثم أمر صلاح الدين بالأسرى فأحضر له ملك بيت المقدس وصاحب الكرك فأجلسهما داخل خيمته .

وقد أخذ العطش من عاهل الصليبيين كل مأخذ فطلب ماء فأحضر له ماء مثلج فشربه الملك الا قليلا وناوله لصاحب الكرك فقال صلاح الدين : **« ان هذا لم يشرب الماء باذنى »** يريد انه لم يعطه الماء بنفسه ليكون آمنا من عقابه .

وتغالى صلاح الدين فى اكرام الملك بينما انحى باللوم الشديد على صاحب الكرك على سوء صنعه مع قافلة المسلمين وتطاوله على مقام النبوة وأردف ذلك بقوله « ها انا انتصر لمحمد » ثم عرض عليه الاسلام ولكن الرجل أبى فسل صلاح الدين سيفه وضربه ضربة قضت عليه وعند ذلك اشتد رعب الملك فطيب صلاح الدين خاطره وقال « لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك وأما هذا فقد تجاوز حده فحدث له ما ترى » .

ولهجت ألسن الشعراء والكتاب بهذا النصر المبين فقال ابو الحسن على بن الساعاتى من قصيدة :

جلت عزماتك الفتح المبينا
فقد قرت عيون المؤمنينا

لقد جروت عزما ناصريا
يحدث عن سناه طورسينا

لكنت كيوسف الصديق حقا
له هوت الكواكب ساجدينا

وقال آخر :

يا وقعت التل ما أبقيت من عجب
جحافل لم يفت من جمعها بشر

حطوا بحطين ملكا كافيا عجبا
فى ساعة زال ذاك الملك والقدر

اهدى اليهم صلاح الدين مفترسا
وهو الغضنفر أعدى ظفره الظفر

ازاءه زعماء الساحلين معا
مصفدين بحبل القهر قد أسروا

ولم يكد يشيع من صلاح الدين انه هزم جموع الصليبيين فى « حطين » وانه فى الطريق الى بيت المقدس .. واذا برسالة ترد اليه من سيدة مسيحية - وهى زوج صاحب طبرية - عرفت من أبناء حطين ما جعلها تؤمن بأنها واقعة فى أسر صلاح الدين ما لم تطلب اليه هو أن يؤمنها فلما قرأ السلطان رسالتها بعث اليها من يطمئنها . فخرجت السيدة من قلعتها وأبلغها الرسول مأمنها معززة مكرمة .

ثم تابع صلاح الدين زحفه واستولى على عكا ونابلس ويافا وبيروت وغيرها وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمامه نحو المدينة المقدسة .

وفى أكتوبر سنة ١١٨٧ تقدم نحو بيت المقدس واستولى عليها ولم يبق للصليبيين من امارتهم وممتلكاتهم سوى صور .

ولما ذاع خبر تلك الهزائم تحركت حملة صليبية جديدة اشتركت فيها ألمانيا وفرنسا وانجلترا وقد منيت تلك الحملة بالهزيمة من البداية فقد غرق امبراطور ألمانيا فى نهر بآسيا الصغرى وتفرق أتباعه ولما مات ابنه بعده بقليل تبدد الباقون وأما ملك فرنسا فقد اختلف مع رتشارد ملك انجلترا وتركه وحيدا أمام صلاح الدين وقد أبدى رتشارد من الشجاعة والاقدام والفروسية ما جعله جديرا بلقب « قلب الاسد » وبعد بضعة معارك بدأت مفاوضات الصلح بينه وبين صلاح الدين واتفقا على صلح الرملة ١١٩٢ وبمقتضاه سمح للمسيحيين بالحج والزيارة لبيت المقدس كما ترك صلاح الدين للصليبيين منطقة ساحلية من صور الى يافا ورد لهم ما استولى عليه المسلمون من مخلفات دينية مسيحية .

وبعد عامين أخذته الحمى واشتد به المرض حتى اذا كان فجر السابع والعشرين من صفر عام ٥٨٩ هجرية « ٤ مارس سنة ١١٩٣ ميلادية » لقى ربه راضيا مرضيا بين أهله وولده بعد أن كون دولة عربية مترامية الأطراف .

وبعد فهذه لمحة سريعة خاطفة من حياة البطل صلاح الدين الأيوبى وجهاده فى سبيل رفع لواء العروبة عاليا نوردها على سبيل الذكرى ، وما أحوجنا الى الذكرى فى أيامنا الحالية التى تفيض بالأمجاد لنستلهم المزيد من العزم والقوة حتى نصل ببلادنا العزيزة الى ما نرجوه من مجد وسؤدد .

القرعة في الإسلام

الأستاذ أحمد فتحي بهنسي

القرعة بين الطرفين سنة عند جمهور الفقهاء فى المستوين فى الحجة ليعدل بينهم وتطمئن قلوبهم وترتفع المظنة عمن يتولى القسمة بينهم فانها مزيلة للتهمة وهى تفويض الى الله تعالى ليعين بقضائه وقدره ما ليس لنا سبيل الى تعيينه .

وهى مشروعة بالقرآن والسنة .

القرآن :

قال الله تعالى : « ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم اذ يختصمون »

قال قتادة : كانت مريم ابنة امامهم وسيدهم فتشاح عليها بنو اسرائيل ، فاقترعوا عليها بسهامهم : أيهم يكفلها ، فقرع زكريا ، وكان زوج أختها ، فضمها اليه .

وقال ابن عباس : لما وضعت مريم فى المسجد اقترع عليها أهل المصلى ، وهم يكتبون الوحى ، فاقترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها .

وقال تعالى : « وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين » أى أقرع أهل السفينة ، فوقعت القرعة عليه فألقى فى الماء .

الحديث :

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الاول ، ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا » .

والنداء : الأذان . والصف الاول : فى الصلاة

وفى الصحيحين أيضا عن عائشة : أن النبى صلى الله عليه وسلم : كان اذا اراد سفرا أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه .

وفى صحيح مسلم عن عمران بن حصين : ان رجلا أعتق ستة مملوكين له عند موته ، لم يكن له مال غيرهم ، فدعاهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فجزأهم أثلاثا ، ثم أقرع بينهم : فاعتق اثنين وأرق أربعة ، وقال له قولا شديدا « لان عمل الرجل اعتبر وصية فلا تنفذ الا فى الثلث وهو القدر الذى يجوز له فيه العتق فى مرض الموت » .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة : ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عرض على قوم اليمين ، فسارعوا اليه ، فأمر أن يسهم بينهم فى اليمين : أيهم يحلف .

وفى سنن أبى داود عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : اذا أكره اثنان على اليمين ، أو استحباها ، فليستهما عليها .

وفى الصحيحين عن عبدالله بن رافع مولى أم سلمة عن أم سلمة قالت : « أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجلان يختصمان فى مواريث لهما ، لم تكن لهما بينة الا دعواهما ، فقال : انما أنا بشر ، وانكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض ، فاقضى له على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه بشىء فلا يأخذ منه شيئا ، فانما أقطع له قطعة من النار . ورواه أبو داود فى السنن وفيه : فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما : حقى لك ، فقال لهما النبى – صلى الله عليه وسلم : أما اذ فعلتما ما فعلتما فاقتسما ، وتوخيا الحق ، ثم استهما ، ثم تحالا »

ومع كل هذا الوضوح فى النصوص قال بعض الفقهاء « أبو حنيفة وأصحابه » ان القرعة قمار وميسر وقد حرمه الله وأنها تشبه الازلام ولا معنى لها ، واحتج أبو حنيفة قائلا : ان القرعة فى شأن زكريا وأزواج النبى – صلى الله عليه وسلم – كانت مما لو تراضوا عليه دون

قرعة جاز . قال ابن العربى : « وهذا ضعيف ، لأن القرعة انما فائدتها استخراج الحكم الخفى عند التشاح « تشاح الخصمان : أراد كل أن يكون هو الغالب » فأما ما يخرجه التراضى فيه فباب آخر ، ولا يصح لاحد أن يقول : ان القرعة تجرى مع موضع التراضى ، فانها لا تكون أبدا مع التراضى » وانما تكون فيما يتشاح الناس فيه ويضن به .

متى تتم القرعة :

روى أبو هريرة : « أن رجلين تداعيا عينا لم يكن لواحد منهما بينة ، فامرهما النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يستهما على اليمين ، احبا أم كرها » رواه أبو داود ، ولانهما تساويا فى الدعوى ولا بينة لواحد منهما ، ولا يد ، والقرعة تميز عند التساوى .

وأما ان كانت لاحدهما بينة : فانه يحكم له بغير خلاف ، وان كانت لكل واحد منهما بينة : فهناك روايتان :

الاولى : تسقط البينتان ، ويقرع بينهما كما لو لم تكن بينة . وهو قول اسحق ورواية عن مالك ، وقديم قولي الشافعي ، وذلك لما روى ابن المسيب : أن رجلين اختصما الى رسول الله - صلي الله عليه وسلم - فى امر ، وجاء كل واحد منهما بشهود عدول على عدة واحدة ، فاسهم النبى - صلى الله عليه وسلم - بينهما ، رواه الشافعى فى مسنده ، ولان البينتين حجتان تعارضتا من غير ترجيح لأحداهما على الاخرى ، فسقطتا كالخبرين .

الثانية : تستعمل البينتان ، وفى كيفية استعمالهما روايتان :

أ : تقسم العين بينهما ، وهو قول الحارث العكلى وقتادة وابن شبرمة وحماد وأبى حنيفة واحد قولى الشافعى ، لما روى أبو موسى أن رجلين اختصما الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فى دابة وأقام كل واحد منهما البينة أنها له ، فقضى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينهما نصفين . ولانهما تساويا فى دعواهما فتساويا فى قسمته .

ب : تقدم احداهما بالقرعة وهو قول للشافعى .

صفة القرعة :

عند الشافعى تقطع رقاع صغيرة مستوية فيكتب فى كل رقعة اسم ذى السهم ثم تجعل فى بنادق طين مستوية لا تفاوت فيها ثم تجفف قليلا ثم تلقى فى ثوب رجل لم يحضر ذلك ويغطى عليها ثوبه ثم يدخل يده ويخرج فاذا خرج اسم رجل أعطى الجزء الذى أقرع عليه .

ومن سعيد بن المسيب انه قال : انه يأخذ خواتيمهم ، فيضعها فى كمه ، فمن خرج أولا فهو القارع .

وقال أبو داود : قلت لابى عبد الله : فى القرعة يكتبون رقاعا ؟ قال : ان شاءوا رقاعا ، وان شاءوا خواتيم .

وقال الاثرم : قلت لابى عبدالله : كيف القرعة ؟ فقال : سعيد بن جبير يقول بالخواتيم ، أقرع بين اثنين فى ثوب ، فأخرج خاتم هذا وخاتم هذا ، قال : ثم يخرجون الخواتيم ، ثم تدفع الى رجل ، فيخرج منها واحدا ، قلت لأبى عبدالله : فان مالكا يقول : تكتب رقاع ، وتجعل فى طين ؟ قال : وهذا أيضا ، قيل لأبى عبدالله : فان الناس يقولون : القرعة هكذا - وقام الرجل باصابعه الثلاثة، فضمها ثم فتحها - فانكر ذلك أبو عبد الله ، وقال : ليس هو هكذا .

على أى شيء يقرع ؟

قال ابن العربى :

والحق عندي أن القرعة تجرى فى كل مشكل ، فذلك ابين لها ، وأقوى لفصل الحكم فيها ، وأجلى لرفع الاشكال عنها ، ولذلك قلنا : ان القرعة بين الزوجات فى الطلاق كالقرعة بين الاماء فى العتق » .

أما الاقتراع على القاء الآدمى فى البحر عند هيجانه فلا يجوز . وقد ظن البعض أن البحر اذا هال على القوم فاضطروا الى تخفيف السفينة أن القرعة تضرب عليهم ، فيطرح بعضهم تخفيفا - فهذا لا يجوز ويكون فى الاموال فقط ولا يقاس على يونس عندما وقعت عليه القرعة مرارا عندما هاج البحر بامواجه فرمى بنفسه فى البحر - فهذه حادثة لا يقاس عليها .

ويجوز الطرح من السفينة عند خوف غرقها ويوزع ما طرح على مال التجارة فقط ولا سبيل لطرح الآدمى ذكرا كان أو انثى حرا أو عبدا ، مسلما أو كافرا للاجماع على انه لا يجوز اماتة أحد من الآدميين لنجاة غيره .

من مشكلاتنا اللغوية

الأستاذ منصور حامد لشيم

اللغة هى الوسيلة الأولى للتفاهم بين أبناء الجنس الواحد ، والدعامة القوية التى تقوم عليها علاقاتهم ، وتتبادل بواسطتها أحاسيسهم وعواطفهم وانفعالاتهم ، فاذا ما عجزت تلك الوسيلة أو ضعفت عن أداء رسالتها ضعفت بالتالى تلك الروابط المقدسة التى تربط الشعب الواحد ، وتجره الى مراقى الفلاح ومدارج النمو .

ولغتنا العربية كوسيلة للتفاهم وتجاوب المشاعر بين أبناء العروبة تعانى الكثير من المشكلات ويعترض طريقها كثير من العقبات يحس الناطقون بها بصعوبتها ، ويحاولون جاهدين ايجاد حل لها . ولكن هل تواتيهم الحلول السليمة فتسلم لهم لغتهم ويستقيم لسانهم ؟ ذلك هو مانحاول أن نلقى عليه بعض الضوء ..

وأولى هذه المشكلات وأشدها خطرا هو وجود لغتين : احداهما : مانسميها بالفصحى والتى تؤلف بها الكتب ، وتدون بها القوانين ، ونستعملها فى القضاء والتشريع والصحافة وغيرها والتى تدرس لها القواعد ، ونسير بها على نظام دقيق مراعين فيها تلك القواعد والقوانين .

وثانيهما : هى مانسميها باللغة العامية وهى ذلك الخليط العجيب من الألفاظ واللهجات والتعبيرات والأساليب المختلفة اختلافا يسيرا أحيانا وشاقا عسيرا أحيانا أخرى ، وهى التى يستعملها العامة من الشعب يتفاهمون بها نطقا وكتابة ، ويعبرون بها عن عواطفهم وخلجات نفوسهم .

وضخامة المشكلة وصعوبتها فى أننا نجد من يعيشون باللغة الفصحى فى واد ، ومن يعيشون بالعامية فى واد آخر ، بل اننا

نلاحظ كثيراأن من يتحدثون العامية يسخرون من أولئك الذين يحاولون أن يتخذوا من من الفصحى لغة لهم قائلين عنهم أنهم يتكلمون « بالنحوى » وليس أخطر من أن أجد لغتى مثار سخرية واستهزاء حتى تنقبض نفسى وتثور أعصابى من ذلك الذى نظر الى تلك النظرة الساخرة المشحونة بالازدراء ..

وعلى ذلك .. فلابد من أن نبحث عن حل لتلك المشكلة ، ولابد أن نخلق لغة واحدة تجمع أبناء الشعب الواحد ، وتوحد بين مشاعرهم وعواطفهم ، وتؤلف بين مذاهبهم واتجاهاتهم ، وتربط بين آلامهم وآمالهم ، وتأخذ بيدهم جميعا الى العزة والقوة والوحدة المنشودة .

ولكننا نسأل بالتالى : هل يمكن توحيد اللغة الفصحى واللغة العامية ، أو بمعنى أدق هل يمكن خلق لغة نموذجية يرتضيها أبناء الشعب جميعا ويتخذونها وسيلة لتفاهمهم ، أو هل يمكن الاكتفاء باحدى اللغتين لتكون وسيلة التفاهم ؟ وقد انقسم الناس فى تدبير حل لهذه المشكلة الى فريقين يرمى كل منهما الى توحيد اللغة الفصحى واللغة العامية .

ففريق يرى أن نسمو باللغة الى الفصحى ، فنعمل بمختلف الوسائل التعليمية على أن يتكلم بها جميع الناس فى البلاد العربية فى جميع شئونهم باللغة الفصحى ، وبذلك تقضى على مظاهر العنت والشذوذ الناجم عن اختلافهما ، وتصبح العربية الفصحى لغة طبيعية تنتقل من السلف الى الخلف عن طريق التقليد . كما كان يأخذ الطفل الفرنسى فى القرن السادس الميلادى اللغة الفصحى عن أبويه بطريقة المحاكاة ، وبذلك نوفر قسطا كبيرا فى الجهد الذى تبذله المدرسة فى أمر مهما بولغ فى شأنه فهو لايعدو أن يكون وسيلة للثقافة والعلم لا لغاية مقصودة بذاتها

وفريق آخر يرى أن يهبط باللغة الفصحى الى اللغة العامية ، فتستخدم العامية فى الشئون التى تستخدم فيها الآن العربية الفصحى ، وبذلك نقضى على هذا التعدد فى أداة التفاهم ، ونسير على الطريقة نفسها التى تسير عليها الأمم المتحضرة فتوفر على المتعلمين قسطا كبيرا من الجهود التى تبذل فى الاحاطة بلغة غير اللغة التى انتقلت اليهم من آبائهم فى مراحل الطفولة .

ولكن كلا الحلين يتعذر تحقيقه أو ينطوى على أضرار بليغة . فالهبوط باللغة الفصحى الى العامية حل ساذج هدام ، لأن العامية لغة فقيرة كل الفقر فى مفرداتها ولا يشتمل قاموسها على أكثرمن الكلمات الضرورية للحديث العادى وهى الى ذلك مضطربة كل الاضطراب فى قواعدها وأساليبها ومعانى ألفاظها وتحديد وظائف الكلمات فى جملها وربط الألفاظ والجمل بعضها ببعض ، وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقا على التعبير عن المعانى الدقيقة ولا عن حقائق العلوم والآداب والانتاج الفكرى المنظم فاذا لم نجد أمامنا الا اللغة العامية نستخدمها فى جميع شئوننا لتقطعت بنا أسباب الثقافة ونكصنا الى الوراء قرونا عديدة، وقضى على نشاطنا الفكرى قضاء لأن الفكر اذا لم تسعفه أداة مواتية فى التعبير خمدت جذوته وضعف شأنه وضاق نطاقه واقتصر نشاطه على توافه الأمور وسفاسف التأملات ، فاللغة هى القالب الذى يصب فيه التفكير ، فكلما ضاع هذا القالب واضطربت أوضاعه ضاق الفكر واختل انتاجه هذا الى أن اصطناع العامية فى الآداب والعلوم من شأنه أن يحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى والمدون بالعربية الفصحى ، ولسنا فى حاجة الى بيان الكارثة التى تصيب الثقافة العربية لضياع هذا التراث . وفضلا عن هذا كله فان اللغة العامية فى بلد ما غير ثابتة على حال واحدة ، بل هى عرضة للتطور فاذا افترضنا أننا اصطنعنا اللغة العامة للكتابة فى العصر الحاضر فاننا لا نلبث بعد وقت أن نرى أنفسنا أمام المشكلة نفسها من جديد . وهكذا ندور فى حلقة مفرغة .. يضاف الى هذا كله أن اللغة العامية تختلف باختلاف الشعوب العربية وتختلف فى الشعب الواحد باختلاف مناطقه ، فعامية العراق لا يكاد يفهمها المصريون أو المغاربة ، وعامية المصريين لا يكاد يفهمها غيرهم وهكذا ، وفى البلد الواحد تختلف

اللهجات العامية باختلاف طوائف الناس ، وباختلاف المناطق . فعامية الشرقية غير عامية القاهرة ، بل ان المحافظة الواحدة لتشتمل على كثير من المناطق اللغوية ، فالقضاء على الازدواج لا يكون اذا الا بأن تصطنع كل منطقة بل كل محافظة بل كل قرية لغة كفاية تتفق مع لغة حديثها ، وبذلك يصبح فى البلاد العربية آلاف من لغات الكتابة .. وهذه فوضى لا يرضاها عاقل .

وأما الحل الثانى وهو الصعود بلهجة الحديث الى لعربية الفصحى فيتعذر تحقيقه لسببين : الأول أن لغة المحادثة لا تفرض فرضا ولا يمكن ردها الى الحالة التى كانت عليها فى أدوارها القديمة لأن من طبيعتها التطور والتبدل ، ولأنها لا تسير فى تطورها وفقا لارادة الأفراد ، أو تبعا للأهواء ، وانما تسير وفقا لقوانين ثابتة صارمة لا يستطيع الأفراد سبيلا الى تعويقها أو التغلب عليها . الثانى : اننا اذا فرضنا أننا قد قدر لنا النجاح فى هذه المحاولة المستحيلة فجعلنا جميع الناس فى البلاد العربية يتحدثون بالعربية الفصحى فان هذه اللغة المصطنعة لا تلبث بعد تداولها على الألسنة أن تخضع لجميع القوانين التى تخضع لها اللغات الطبيعية . فما دام أفراد الأمم الناطقة بها مختلفين فى التكوين الطبيعى لجسومهم وأعضاء نطقهم وفى الظروف الجغرافية والطبيعية والاجتماعية المحيطة بهم وفى قواهم الادراكية والوجدانيه ، وما دامت سنة الطبيعة تقتضى أن يختلف كل جيل عن الجيل السابق له فى جميع هذه الأمور ، فلا بد أن تنقسم هذه اللغة الى لهجات تختلف كل واحدة منها عما عداها وتتفرع منها لغات عامية ، أى لا بد أن تسير فى المراحل نفسها التى سارت فيها العربية الفصحى من القرن السادس الميلادى الى الوقت الحاضر .. واذا كان الأمر كذلك فما هو الحل الصحيح لهذه المشكلة ؟ الحل الصحيح أن تترك المشكلة كما هى مشكلة وأن تدع الأمور تجرى فى مجاريها الطبيعية فللغة قوانينها ومن ضياع الوقت فى غير جدوى أن نحاول تغيير مجرى هذه القوانين .

حياة القلقشندى وعصره

(٧)

هذا وقد انتهينا من « حياة القلقشندى وعصره » وموسوعته الكبيرة العربية الاسلامية ، وقد وفيناها بحثا ودرسا وتحليلا كاملا ، وشرحنا محتوياتها شرحا شاملا ، وبيان المقاصد والأهداف التى تهدف اليها ، والأغراض العلمية والأدبية التى كتبت من أجلها ، والجهود العنيفة التى بذلها « القلقشندى » فى تاليفها وتنسيقها وتبويبها، والمراجع الكثيرة التى درسها وبحثها من أجلها ، ترى كل هذا مفصلا فى عدد ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ (أغسطس سنة ١٩٦٣) من مجلة « منبر الاسلام » .

وفى الختام يجدر بنا ان نذكر بعض مصادر هذه الموسوعة الخطيرة التى اعتمد عليها « القلقشندى » فى تاليفها ، كما هو الحال الآن فى مؤلفات العلماء الباحثين ، والطلاب الجامعيين ، فى وضع رسائلهم لنيل شهادة « الماجستير » او « الدكتوراة » ، اذ لا بد لهم من تعيين أسماء المراجع التى يعتمدون عليها فى النقل .

وقد اشار اليها فى المواضع التى نقل منها ـ كما نقل العلماء الباحثون المعاصرون ، واساتذة الجامعات الحاليون فى مؤلفاتهم العلمية والأدبية ـ وهى طائفة كبيرة جدا من المؤلفات النفيسة النادرة المثال ، والمصادر القيمة القليلة الوجود ، التى يتعذر احصاؤها ، ويصعب الالمام بها ، وهى تربى عن المائتى مرجع ، وقد تزيد على هذا العدد ، ومنها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، وهى مرتبة على الحروف الهجائية :

(١)

١ ـ الأحكام السلطانية للماوردى .
٢ ـ أدب الكاتب لابن قتيبة .
٣ ـ الامامة والسياسة لابن قتيبة .
٤ ـ الانجليل (الكتاب المقدس) .
٥ ـ الأوائل لأبى هلال العسكرى .

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى

(ب)

٦ ـ البيان والتبيين للجاحظ .

(ت)

٧ ـ تاريخ ابن خلدون .
٨ ـ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة .
٩ ـ التثقيف لابن ناظر الجيش .
١٠ ـ تذكرة ابن حمدون .
١١ ـ تذكرة الصفدى .
١٢ ـ التذكرة لأبى الفضل الصورى .

١٣ ـ تشريف الايام بسيرة الامام الملك المنصور سلحيى الدين بن عبد الظاهر .
١٤ ـ التعريف بالمصطلح الشريف للمقر الشهابى بن فضل الله العمرى .
١٥ ـ تقويم البلدان للملك المؤيد أبى الفدا صاحب حماة .
١٦ ـ التوراة (الكتاب المقدس) .

(ج)

١٧ ـ الجواهر الملتقطة ـ المجموعة من كلام المقر الشهابى بن فضل الله العمرى للامام الحاكم بأمر الله ابى العباس أحمد بن الربيع سليمان .

(ح)

١٨ ـ حسن التوسل فى صناعة الترسل لشهاب الدين محمود الحلبى .
١٩ حياة الحيوان للدميرى .

(د)

٢٠ ـ دستور القاضى تقى الدين ناظر الجيش .
٢١ ـ ديوان ترسل الوزير ابن الخطيب

(ذ)

٢٢ ـ ذخيرة الكتاب لابن حاجب النعمان .

(ر)

٢٣ ـ رسائل اخوان الصفا .
٢٤ ـ الروضة للامام النووى .
٢٥ ـ ريحانة الكتاب للوزير ابن الخطيب .

(ز)

٢٦ ـ زهر الآداب للحصرى .
٢٧ ـ زهر الربيع فى الترسل البديع لشهاب الدين محمود الحلبى .

(س)

٢٨ ـ السنن للامام البيهقى .

(ص)

٢٩ ـ صحيح البخارى .
٣٠ ـ صحيح مسلم .
٣١ ـ صناعة الكتاب لأبى جعفر النحاس .

(ط)

٣٢ ـ طبقات الفقهاء لجمال الدين الاسنوى .

(ع)

٣٣ ـ عجائب المخلوقات لابن الأثير .
٣٤ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه .
٣٥ ـ عوارف المعارف للثعالبى .

(غ)

٣٦ ـ غرر البلاغة لأبى الحسين بن اسحاق الصابى .
٣٧ ـ الغيوث الهوامع فى شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع للقلقشندى .

(ف)

٣٨ ـ الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى .
٣٩ ـ فضائل العرب لابن أبى عبيدة .

(ق)

٤٠ ـ القلم والدواة لمحمد بن عمر المدائنى .

(ك)

٤١ ـ الكامل لابن الأثير .
٤٢ ـ كتاب الأم للامام الشافعى .
٤٣ ـ كتاب الترسل لأبى الحسين سعد .
٤٤ ـ كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى .
٤٥ ـ كتاب قوانين الدواوين لابن مماتى .
٤٦ ـ كنز الكتاب لكشاجم .

(م)

٤٧ ـ المثل السائر لابن الأثير .
٤٨ ـ المسالك والممالك لابن فضل الله العمرى .
٤٩ ـ معالم الكتابة لابن شيث .
٥٠ ـ الملل والنحل للشهرستانى .
٥١ ـ مواد البيان لترتيب الكتابة فى زمن الفاطميين لعلى بن خلف .

(ن)

٥٢ ـ نزهة المشتاق للشريف الادريسى .
٥٣ ـ النهاية فى غريب الحديث لابى السعادات بن الأثير .

وفوق هذا فهناك مراجع أخرى كان « القلقشندى » لا يذكر مؤلفيها مثل :

١ ـ تاريخ صفد .
٢ ـ تاريخ النيل .
٣ ـ رسم المعمورة .
٤ ـ الدر الملتقط .
٥ ـ شرح لامية العجم .
٦ ـ عرف التعريف .
٧ ـ القانون .
٨ ـ كتاب الأطوال .
٩ ـ كفاية المتحفظ .
١٠ ـ الهناء الدائم بمولد أبى القاسم .

***

وغير ذلك من الكتب التى كان يحتـاج اليهـا « القلقشندى » فى كل فن من الفنون ، أو علم من العلوم التى تكلم عليها فى موسوعته وهى كثيرة مثل : النبات والحيوان ، والفلك ، والاملاء ، واللغـة ، والنحو ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والأنساب ، والأدب ، والبريد ، والكتابة ، والخط ، ونحو ذلك .

***

ومن حسن حظنا أننا اطلعنا على بعض هذه المخطوطات التى راجعها « القلقشـندى » نفسـه ونقـل منهـا فى موسوعته ، وعليها خطه وتوقيعه مشفوعا بهذه العبـارة « استفدت منه » .

وذلك عندما أسندت الينا دار الكتب المصرية رسميا تحقيق وتصحيح هذه الموسوعة الخطيرة وعمل فهارس شاملة لكل جزء من أجزائها فى غير أوقاتنا الرسمية ـ عندما كنا نعمل بها ـ فقمنا ـ ولله الحمد ـ بهذا العمل على الوجه الأكمل .

وبعون الله تعالى وحسن توفيقه ، أكملنا « البياض المتروك فى عدة مواضع » والذى علق عليه مصححو هذه الموسوعة بالهامش بهذه العبارة : « كذا بياض بالأصل » من نفس المخطوط الذى نقل منه « القلقشندى » فى موسوعته ، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية .

ويتبين من هذا أن السادة المصححين الأفاضل الذين قاموا بتصحيح « الطبعة الأولى » منها ، وكذا « الطبعة الثانية » لم يطلعوا على هذا المخطوط مطلقـا ، ولذا تركوا البياض الموجود فى الأصول التى راجعوها ، وكتبوا تعليقاتهم بهذا النص : « كذا بياض بالأصل » .

***

هذا ما استطعنا أن نذكره من حياة هذا العالم العبقرى والكاتب الجليل ، والمنشىء البليغ ، بأسـلوبه السهل الممتنع ، الذى ترك للعالم العربى ، ودنيا العروبة ، ثروة ثقافية علمية أدبية عظيمة ، كان خليقا من أجلها أن يخلد فى التاريخ ـ من مؤرخى عصره ـ بسطور من التقـدير والاجلال فى صفحاته البيضاء ، كما خلدوا الكثيرين من أمثاله .

وقد اتفق جميع المؤرخين على أن وفاته ـ رضوان الله عليه ـ كانت فى سنة ٨٢١ هـ .

وجميع المراجع التى أشارت الى حياة « القلقشندى » وضن مؤلفوها بتقديره ، بل تعمدوا التقصير والاهمال ـ حقدا وحسدا ـ منهم فى حق هذا العالم الجليـل العبقرى الفذ ، الذى وقف حياته على العلم والأدب ، وترك للثقافة العربية الاسلامية ثروة أدبية ضخمة ، بل كنوزا عظيمة ونعجب كل العجب ، بل ندهش كل الدهشة من اغفال هؤلاء المؤرخين لسرد حياته العلمية والأدبيـة والحكومية ، ووصف مؤلفاته النفيسة ، وفى مقدمتهـا « موسوعته الكبيرة » أسوة بمن ذكروهم فى مؤلفـاتهم ممن توفوا فى القرن التاسع الهجرى ، كالسخاوى فى « الضوء اللامع » ، وابن تغرى بردى فى كتابيه : « المنهل الصافى » و « النجوم الزاهرة » ، والعينى فى « عقد الجمان » وابن العميد الكاتب « فى شذرات الذهب » وغيرهم ، لأنهم ترجموا فى كتبهم تلك من هم أقل شأنا ، وأحط قدرا ، بل لم يكن لهم أثر يذكر يستحقون به تخليد أسمائهم ، وتراجم حيـاتهم ، بل الغرض يعمى ويصم .

لذا نقترح تخليدا لذكرى هذا الكاتب المبدع ، والأديب المصرى العبقرى ، والمنشىء البليغ الفذ ، الذى انتفع من موسوعته القيمة كبار أدباء هذا العصر ومؤلفوه وكتابه وشعراؤه وأساتذة الجامعات فى الجمهورية العربيـة المتحدة ، والأقطار العربية الشقيقة ، بل وجامعـات آسيا وافريقية وأوربا أيضا ـ اطلاق اسمه مشفوعا باسم موسوعته على شارع موصل الى « كلية الآداب » بجامعة القاهرة ، وشقيقاتها : جامعة الاسكندرية ، جامعـة أسيوط ، جامعة المنصورة ، جامعة طنطا . وكذا الجامعة الأزهرية .

كما نقترح اقامة نصب تذكارى له ببلدته « قلقشندة » التى لا تزال قائمة باسمها حتى الآن .

ولنا كبير الرجاء وعظيم الأمل أن « حكومة الثـورة المجيدة » وهى تقدر عظماء الرجال العاملين ، وصـفوة العلماء المفكرين بتخليد ذكراهم ، كما سنت الجـوائز العلمية والمكافآت التشجيعية للعباقرة والمفكرين منهم ، تحقيق هذا الاقتراح ، والعمل على تنفيذه ، لأن موسوعته العظيمة تعد الآن من مفاخر التراث العربى ، وتعتبر من أمهات المصادر العربية التى يرجع اليهـا أهل البحث والتحقيق ، لا سيما وأن « المؤسسة المصرية العامة » للتأليف والنشر والطبع تعيد الآن طبع هذه الموسوعة .

واذا كان هذا العالم العبقرى ، زعيم الأدباء والكتاب فى عصره ، قد رحل عن تلك الأصقاع بجسمه ، فذكره لن يزال باقيا حيا بها ما دامت مؤلفاته القيمة ـ لا سيما موسوعته النفيسـة ـ باقية ناطقة بفضله ، شاهدة بسعة علمه ، وغزارة مادته ، وكثرة اطلاعه ، يرتشف من مناهلها العذبة كل باحث وعالم وأديب ، ويقتطف من ثمـارها الدانية كل طالب أريب .

فهنيئا لذاك الثرى الذى ضم رفات هذا العـالم الجليل ، والأديب الكبير ، ونسأله تعالى أن يسكب على قبره شآبيب الرحمة والغفران ، ويحسن اليه بقدر ما أحسن الى العلم والأدب انه سميع مجيب .

وفى المقال التالى نذكر ـ بعونه تعـالى ـ ما كتبه مؤرخو عصره عن ترجمته ، وما سطره الأدباء والـكتاب المعاصرون الذين ترجموا له انصافا وتقديرا « وماتوفيقى الا بالله » .

القاضي إياس

بقلم

الأستاذ محمد سيد جاد الحق

هو قاضى البصرة وأحد أعاجيب الدهر فى الفطنة والذكاء ، وأحد مفاخر مضر ، ومن مقدمى القضاة ، كان صادق الحس ، دقيق المسلك فى الفطن ، عجيب الفراسة ملهما ، عفيف المطعم كريم المداخل والشيم ، وجيها عند الخلفاء ، مقدما عند الأكفاء ، مضرب الأمثال فى الفطنة والذكاء ، رأسا لأهل الفصاحة والرجاحة .

« حديث الجاحظ عنه » قال الجاحظ كان اياس بن معاوية وهو صغير ، ضعيفا ضئيلا وكان له أخ أشد منه وأقوى فكان أبوه يقدمه على اياس فقال له اياس يوما : يا أبت انك تقدم أخى على وسأضرب لك مثله ومثلى ، فهو مثل الفروج تنفلق عنه البيضة يخرج كاسيا كافيا نفسه فيلقط ويستخفه الناس فكلما كبر انتقص حتى اذا تم فصار دجاجة لم يصلح الا للذبح ، وأنا مثل فرخ الحمام تنفلق عنه البيضة عن شىء ساقط لا يقدر على حركة وأبواه يغذيانه حتى يقوى ويثبت ريشه ثم يحسن بعد ذلك ويطير ويتخذه الناس ويرسلونه من المواضع البعيدة فيجىء فيصان لذلك ويكرم ويشترى بالأثمان الغالية ، فقال له أبوه : لقد أحسنت المثل ، فقدمه على أخيه فوجده عنده أكثر مما ظن به .

« حديث الأحمص عنه » قال الأحمص ان اياسا نظر الى رجل من ثقيف أبيض بض فقال له : أهندية أمك ؟ قال لا والله ما ضربت فى هندية ولا هندى قط . قال : بلى والله وان جهلت وانى لأرى فيك آثار ذلك . قال لا والله الا اللبن والحضانة فان خادمة هندية كانت لأمى أرضعتنى مدة مديدة . قال : فمن ذلك .

« فطنته التى سارت بها الركبان » دخل دمشق وهو غلام فتحاكم مع شيخ عند قاضيها ، فصال اياس بحدته على الشيخ، فقال له القاضى انه شيخ كبير فخفض كلامك ، فقال له اياس : الحق أكبر منه . فقال له القاضى : اسكت . فقال : ومن ينطق بحجتى ؟ فقال له القاضى : ما أراك تقول حقا . فقال له اياس : لا اله الا الله ، أحق هذا أم باطل ؟ فدخل القاضى من فوره الى عبد الملك بن مروان فاعلمه بما رأى من ذكائه ، فقال له عبد الملك : اخرج فاحكم بينهما وأخرجه الآن من دمشق الى بلاده لئلا يفسد أهل الشام . فاذا كان اياس وهو غلام يخاف على جماعة أهل الشام فما ظنك وقد كبرت سنه وعض على ناجذه . وحين دخل عبد الملك البصرة رأى اياسا وهو صبى وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالسة واياس يقدمهم ، فقال عبد الملك : اف لهذه الثعابين ؟ أما فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث ؟ ثم التفت اليه وقال كم سنك ؟ فقال : سنى أطال الله بقاء الأمير ، سن أسامة بن زيد بن حارثة حين ولاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جيشا فيهم ابو بكر وعمر فقال تقدم بارك الله فيك ، وكان سنه سبع عشرة سنة ، ولما صار ذكاؤه يضرب به المثل كما يضرب بجود حاتم وحلم الأحنف وشجاعة عمرو بن معدى كرب ، نظمهم حبيب فى بيت جمع فضلهم المتفرق للعباس بن المأمون فقال :

اقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

واياه عنى الحريرى بقوله فى المقامة السابعة : فاذا ألمعيتى ألمعية ابن عباس وفراستى فراسة اياس ، وبلغ من فطنته انه كان فى موضع فحدث فيه ما أوجب الخوف وهناك ثلاث نسوة لا يعرفهن فقال : هذه حامل وتلك مرضع وذى عذراء ، فكشف عن ذلك فكان كما تفرس فقيل له من أين لك هذا ؟ فقال : عند الخوف لا يضع الانسان يده الا على أعز ماله ويخاف عليه ، ورأيت الحامل قد وضعت يدها على جوفها ، فاستدللت بذلك على حملها ، ورأيت المرضع قد وضعت يدها على ثديها فعلمت أنها مرضع ، والعذراء قد وضعت يدها بين رجليها فعلمت أنها بكر . وسمع صوت امرأة من بيتها فقال : تلك المرأة حامل بصبى، فلما ولدت، ولدت كما قال. فسئل بم عرفت ذلك ؟ فقال : سمعت صوتها ونفسها معه فعلمت أنها حامل ، وفى صوتها خجل فعلمت أنه غلام .

ومر يوما بمكان فقال : أسمع صوت كلب غريب فقيل له : كيف عرفت ذلك ؟ فقال : بخضوع صوته وشدة نباح غيره من الكلاب ، فكشفوا عن ذلك فاذا كلب غريب مربوط والكلاب تنبحه . وسمع نباح كلب لم يره فقال : هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر ، فنظر فكان كما قال فقيل له فى ذلك : فقال سمعت عند نباحه دويا ثم سمعت بعده صدى يجيبه فعلمت أنه عند بئر .

« ابن هبيرة يطلبه للقضاء » قال اياس أرسل الى ابن هبيرة فأتيته فسألنى فسكت ، فلما أطلت قال : ما بالك ؟ قلت : سل عما بدا لك : فقال اتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم قال : اتفرض الفرائض ؟ قلت : نعم قال : اتعرف من أيام العرب شيئا ؟ قلت : نعم قال : أتعرف من أيام العجم شيئا ؟ قلت : انابها أعرف . قال : انى أريد ان استعين بك على عملى . قلت : ان فى خصالا ثلاثا لا أصلح معها للعمل . قال : ما هى ؟ قلت : انا دميم كما ترى وأنا عيبى وأنا حديد . قال : أما دمامتك فانى لا أريد ان أحاسن بك الناس ، وأما العى فانى أراك تعرب عن نفسك ، وأما الحدة فان السوط يقومك ، قم : فولانى القضاء واعطانى عشرة آلاف درهم وهى أول مال تمولته .

« توليته القضاء فى أيام عمر بن عبد العزيز »كتب عمر بن عبد العزيز الأموى – رضى الله عنه – فى أيام خلافته الى نائبه بالعراق وهو عدى بن أرطاه ،أن اجمع بين اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الحرشى ، فول قضاء البصرة انفذهما ، فجمع بينهما ، فقال له اياس : أيها الأمير سل عنى وعن القاسم فقيهى المصر : الحسن البصرى ومحمد بن سيرين ، وكان القاسم يتردد عليهما واياس لا يأتيهما . فعلم القاسم انه ان سألهما اشارا به ، فقال له : لاتسأل عنى ولا عنه ، فوالله الذى لا اله الا هو ان اياس بن معاوية أفقه منى وأعلم بالقضاء : فان كنت كاذبا فما يحل لك ان تولينى وأنا كاذب ، وان كنت صادقا ينبغى لك أن تقبل قولى ، فقال له اياس : انك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة ليتغفر الله منها وينجو مما يخاف ، فقال عدى بن ارطاه ، أما اذ فهمتها فأنت لها واستقضاه .

« عدى بن أرطاه فى مجلس القاضى » دخل عليه عدى بن أرطاه فى مجلس القضاء – وعدى يومئذ أمير البصرة وكان أعرابى الطبع – فقال له : أين أنت ؟ قال بينك وبين الحائط ، قال : فاسمع منى ، قال : للاستماع جلست قال : انى تزوجت امرأة . قال : بالرفاء والبنين . قال : وشرطت لأهلها أن لا أخرجها من بينهم. قال : أوف لهم بالشرط . قال : فانا اريد الخروج قال : فى حفظ الله . قال : فاقض بيننا . قال : قد فعلت . قال : فيم تحكم ؟ قال : بأن لا تخرجها . قال : بشهادة من ؟ قال : بشهادة ابن أخت خالتك .

« القاضى والشاهد » قال اياس : والله ما غلبنى احد فى البرية قط سوى رجل واحد ، وذلك انى كنت فى مجلس بالبصرة ، فدخل على رجل شهد عندى أن البستان الفلانى – وذكر حدوده – هو ملك فلان ، فقلت له : كم عدد شجره ؟ فسكت . ثم قال : منذ كم يحكم سيدنا القاضى فى هذا المجلس ؟ فقلت : منذ كذا . فقال : كم عدد خشب سقفه ؟ فقلت له : الحق معك وأجزت شهادته .

« رجاحة عقله » يقول عقبة بن عمر بن عبد الرحمن ابن الحارث : ما رأيت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض الا ما كان من الحجاج بن يوسف واياس بن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيرا ، ولرجاحة عقله سأله رجل فقال له : لم تعجل بالقضاء ؟ فقال أياس : كم لكفك من اصبع ؟ قال : خمس . قال : عجلت . قال : لم يعجل من قال بعد ما قتل الشىء علما ويقينا . فقال اياس : هذا جوابى واتى حلقة من حلق قريش فى مسجد دمشق فاستولى على المجلس ، وراوه أحمر دميما باذ الهيئة قشفا فاستهانوا به ، فلماعرفوه اعتذروا اليه وقالوا له : الذنب مقسوم بيننا وبينك ، أتيتنا فى زى مسكين تكلمنا بكلام الملوك .

« رؤية هلال رمضان » وتراءى هلال شهر رمضان جماعة فيهم أنس بن مالك – رضى الله عنه – وقد قارب المائة فقال أنس : قد رأيته هو ذاك ، وجعل يشير اليه فلا يرونه ، ونظر اياس الى انس واذا شعرة من حاجبه قد انثنت فمسحها اياس وسواها بحاجبه ثم قال له : يا أبا حمزة أرنا موضع الهلال ، فجعل ينظر ويقول : ما أراه .

« اياس وابن شبرمة » وحين قدم اياس واسط جاءه ابن شبرمة بمسائل قد أعدها فقال له : أتاذن لى أن أسألك ؟ فقال : سل . فسأله عن سبعين مسألةيجيبه فيها ولم يختلفا الا فى أربع مسائل رده اياس الى قوله ثم قال له اياس : أتقرأ القرآن ؟ قال : نعم . قال : أتحفظ قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم » قال : نعم . قال : وما قبلها وما بعدها ؟ قال : نعم . فقال : فهل أبقت هذه الآية لآل شبرمة رأيا ؟

« اياس وغيلان القدرى » اكترى اياس ابن معاوية من الشام قاصدا الحج ، فركب معه غيلان القدرى ولا يعرف أحدهما صاحبه ، فمكثا ثلاثا لا يكلم أحدهما الآخر ، فلما كان بعد ثلاث تحادثا فتعارفا وتعجب كل واحد منهما من اجتماعه مع صاحبه لمباينة ما بينهما فى الاعتقاد فى القدر ، فقال له اياس : هؤلاءأهل الجنة يقولون حين يدخلون الجنة : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ، ويقول أهل النار : ربنا غلبت علينا شقوتنا ، وتقول الملائكة : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، ثم ذكر له من أشعار العرب وأمثال العجم ما فيه اثبات القدر ، ثم اجتمع مرة أخرى اياس وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فناظر بينهما . فقهره اياس ، وما زال يحصره فىالكلام حتى اعترف بالعجز وأظهر التوبة ، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز ان كان كاذبا فاستجاب الله له ، فأمكن من غيلان فقتل وصلب بعد ذلك .

« حكمه وفرائده » قال الأصمعى : قال اياس : ان أشرف خصال الرجل صدق اللسان ، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه . وسأل رجل اياسا عن النبيذ فقال : هو حرام . فقال الرجل فاخبرنى عن الماء. فقال : حلال . قال : فالتمر . قال : حلال . قال : فما باله اذا اجتمع حرم ؟ فقال اياس : أرأيت لو رميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك : قال : لا . قال فهذه الحفنة من التبن . قال : لا . قال : فهذه الغرفة من الماء . قال: لا . قال : أفرأيت ان خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينا ثم تركته حتى استحجر ثم رميتك أيوجعك : قال : أى والله وتقتلنى . قال : فكذلك تلك الأشياء اذا اجتمعت . ومن كلامه لأن يكون فى فعال الرجل فضل عن مقاله خير من أن يكون فى مقاله فضل عن فعاله . وقال سفيان بن حسين : ذكرت رجلا بسوء عند اياس فنظر فى وجهى وقال : أغزوت الروم ؟ قلت : لا . قال : السند والهند والترك . قلت ؟ لا . قال : أفسلم منك الهند والسند والروم والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ قال : فلم أعد بعدها . وتوفى بواسط سنة ١٢٢ هـ بعد حياة زاخرة تفيض بجلائل الأعمال ، فخلف على الدهر آثارا حفظت ذكره قرونا ولا تزال .

مكانة المرأة

فى المجتمع الإسلامى

الآنسة عائشه حسنى

اخذ الاسلام بيد المرأة ، وارتفع بها من الحضيض ، الى المكان الكريم الذى تشعر فيه بانها انسان عزيز لها مكانها فى المجتمع ، ولها رسالتها فى الحياة .

والاسلام اذ يسمو بالمرأة الى الحد الذى لا تطمح اليه امرأة فى هذه الحياة ، انما اعترف بانسانيتها وبحقها المشروع فى حياة حرة كريمة مستقرة آمنة ، ولم يكن اذ يقرر لها هذه المكانة وتلك الحقوق ، مستجيبا لمطالب نادت بها المرأة أو متجاوبا مع حركة نسوية تكافح من اجل تحرير المرأة بل على العكس جاء اعلانه لحقوق المرأة فى زمان كان الجدل يدور فيه حول المرأة هل هى انسان أم حيوان ، وهل لها روح تستحق الخلود وهل تصلح للعبادة ، الى غير ذلك من الجدل العقيم المزرى بشأن المرأة .

(١) قرر الاسلام وحدة الجنس البشرى بنوعيه ـ الذكر والأنثى ـ وردهما الى أصل واحد :

قال تعالى : (خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) ، وقال جل شأنه : (خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) وحدثتنا عائشة رضى الله عنها عن زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (انما النساء شقائق الرجال) فقرر النبى بذلك أن المرأة نصف المجتمع ، وما ينبغى لمجتمع حى أن يعيش ونصفه مشلول لاعمل له ولا وجود .

(٢) وقرر الاسلام المساواة بين الرجل والمرأة فى المسئولية والثواب والعقاب ، فقد ورد فى القرآن الكريم قوله عز وجل (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)) وقرر القرآن الكريم التفاضل بين الرجال والنساء على أساس التقوى ، فرفع أتقى الجنسين لما يفضى اليه الجهل ، واتقاهما للضرر والضرار ، واتقاهما للبغى والظلم والعدوان ، واتقاهما فى تجنب ايذاء الناس (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم) .

والرسول يقرر مسئولية المرأة عن اعداد جيل سليم البنية مستقيم النفس والعقل والضمير ، وفى تهيئة الجو الذى يجد فيه الزوج الراحة والمسكن والطمأنينة ما يعوضه ما بذل من جهد فى القيام بواجبه وما يجدد نشاطه ويدفعه الى المثابرة على العمل المنتج النافع لنفسه واسرته وامته والنوع الانسانى .

وقال فى صدد الحديث عن المسئوليات (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها) .

(٣) وقرر الاسلام التضامن الاجتماعى بين الجنسين : فقال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم) .

فكانت المرأة فى المجتمع الاسلامى تراجع رئيس الدولة اذا رأت فى سياسته بعدا عن الصواب وقد ورد أن امرأة راجعت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على مشهد من الناس ، فى مسألة تحديد حد أقصى للمهور ، وردته الى قوله تعالى : (... وآتيتم احداهن قنطارا فلاتأخذوا منه شيئا) وقال عمر فى ذلك (امرأة اصابت ورجل أخطأ) ولم يرو ان احدا من الحاضرين أو غير الحاضرين أنكر على هذه المرأة مراجعتها لعمر أو ابداءها لرأيها .

وقد ثبت فى الصحيحين أن المرأة كانت تشارك الرجل فى الميدان بقدر ما تطيق وتسمح به استعداداتها فكن يداوين المرضى والجرحى ويسقين الماء ، فكانت عائشة تحمل الماء هى وأم سليم وغيرها الى الجرحى فى غزوة احد ليسقينهم ويغسلن جراحهم . ولما جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم تولت فاطمة غسل جرحه وتضميده .

(٤) وأباح الاسلام للمرأة أن تأخذ حظها من العلم على قدر ما تستطيع دون أدنى قيد :

فلم يحجز الاسلام على عقل المرأة أن ينطلق فى تحصيل العلم واكتساب المعرفة ، ولم يمنع موهبة علمية نافعة فى المرأة أن تنطلق فى مجال العلم والعمل من اجل مصلحتها ومصلحة اسرتها ووطنها والاسرة الانسانية وجعل الاسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة كما ورد فى الحديث الشريف ، وقد ثبت من عدة طرق ان الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية علمت حفصه بنت عمر الكتابة وقد شجعها النبى بعد زواجه بها ان تواصل تعليمها .

بل نجد الاسلام يحض ويرغب فى تعليم الجوارى وورد انه صلى الله عليه وسلم قال (ايما رجل كانت عنده وليده فعلمها فاحسن تعليمها وأدبها فاحسن تاديبها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران) فقرن ثواب التعليم والتاديب بثواب العتق الذى كان يرغب فيه كثيرا .

وفى كتب التراجم نساء فضليات عالمات تلقى عنهن شيوخ معروفون بغزارة العلم وعلو منزلتهم فى الرأى .

(٥) وقرر الاسلام ان للمرأة ذمة مالية مستقلة عن ذمة والديها أو زوجها أو أولادها :

كانت المرأة مهضومة الحقوق لاسيما فى حقها فى التملك والتصوف فيما تملك وفقا لارادتها ومصلحتها ، الىأن جاء الاسلام فقرر لها ذمة مالية مستقلة فىاكتساب الحقوق وتحمل التزامات دون وصاية عليها من أب أو ام او زوج او اخ ، فشرع الوصية والارث لهن كالرجل وأولادها ما فرض لهن على الرجال من مهر الزوجية والنفقة على المرأة وأولادها وان كانت غنية واعطاهن حق البيع والشراء والاجارة والهبة والصدقة وغير ذلك ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضى وغيره من الأعمال المشروعة ، وأن المرأة الفرنسية لا تزال الى اليوم مقيدة بارادة زوجها فى جميع التصرفات المالية والعقود القضائية .

واذا كان الاسلام قد فرض حق المرأة فى الميراث على النصف من حق الرجل ، فذلك لما يتحمله الرجل دون المرأة من مسئوليات الانفاق على الزوجة والاولاد وكذلك الاصول والمعسرين من ذوى الارحام فكان من العدل ان يؤتى نصيبا يعينه على مواجهة كل هذه المسئوليات .

(٦) وقرر الاسلام حق المرأة فى اختيار الزوج الكفىء الذى تريده :

لم يترك الاسلام لهوى الاب أو الام أو الاخ أن يستبد بالبنت لاكراهها على الزواج بمن تكره ، فجعل اليها اختيار الزوج الكفء الذى تحبه وتطمئن الى اخلاصه وقيامه بواجبات الزوجية ، وترتاح اليه والى قدرتهعلى اسعادها واحضانها .

(٧) وجعل الاسلام أساس الزوجية المودة والرحمة :

لم يطبع الاسلام الحياة الزوجية بسمات الجفاء والصرامة فى معاشرة الرجل لزوجته ونجده يعرف اصالة الرجل وكرم معدنه بحسن عشرته ورفقته لزوجته ويحدث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما أكرم النساء الا كريم ولا أهانهن الا لئيم) وفى صورة الحياة داخل بيت النبوه ، وفى كافة المشاهد التى علمناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا نكاد نجد نظيرا لها فى ارقى البيوت واسعد الازواج واعرق الاسر .

(٨) وكرم الاسلام المرأة : أما ، وزوجة ، وبنتا ، واختا :

فعن الزوجة جعل الاسلام المرأة الناجحة فى حياتها الزوجية خير ما فى هذه الدنيا من متاع فقد قالرسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين ساله عن آية الوعيد على كنز الذهب والفضه (الا اخبرك بخير ما يكنز ! المرأة الصالحة ، اذا نظر اليها سرته ، واذا أمرها اطاعته ، واذا غاب عنها حفظته) .

وقد اوصى الاسلام بالام فقال عليه الصلاة والسلام (ان الله يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ، ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب) .

اما وصية الاسلام بالبنات فنسمع قوله عليهالصلاة والسلام (من كان له ثلاث بنات أو ثلاث اخوات أو بنتان أو اختان فاحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة) .

كما جعل الاسلام الى الام الحق فى حضانة أولادها الصغار وجعلها أولى من الآب فى رعايتهم والولاية عليهم لما جعلها الله عليه من الامومة والحنان .

وبعد ان وضحت لنا الصورة التى اخذتها المرأة بعد الاسلام نستطيع أن نقول بأن الاسلام أعطاها حقوقها كاملة بل اوفاها اكثر مما تطمح اليه آمال امرأة فى هذه الحياة .

جراح المدينة المقدسة

الأستاذ عبد الله امام

مفاتيح كنيسة المسيحيين بايدى المسلمين .. هم الذين يفتحونها ، وهم أيضا الذين يغلقونها ..

وكل مسيحى له صديق مسلم .. وكل مسلم له صديق مسيحى .. ان ماجمع المسيحيين والمسلمين ليس نكبة فلسطين وحدها .. لقد جمعهم من قبل عمر بن الخطاب ..

وعاشوا دهورا طويلة اخوانا ، حتى جاءت النكبة فصهرت نفوسهم وعاشوا أصدقاء متحابين .. يكرهون العدو ..

نهارهم .. عمل .. وترقب للعودة .

وليلهم .. سهر .. وتطلع نحو الشطر المحتل من المدينة ..

ان المدينة مقسومة تماما – كبرلين – قسم عربى وآخر محتل .. والفاصل بينهما هو سور أيضا !

هذه هى لمحة سريعة عن الحياة فى المدينة المقدسة .. مدينة القدس ..

المدينة التى تعيش على النكبة ، منذ ١٦ سنة وتطوى جراحها ، وآلامها كل ليلة ، حتى بدأت لحظة الخلاص تقترب يوم تصافحت الأيدى العربية ، وتناست كل شىء من أجل قضية كبرى ، والتقت البلاد العربية كلها من أجل هدف أيضا .. طربت له المدينة المقدسة .

***

ان هذه المدينة المقدسة تعيش حياة غريبة .. أهلها ممزقون ، نصفهم عرب ، والنصف الآخر راح فى فلسطين المحتلة ، وأصبح العرب الذين يسكنونه جنسيتهم اسرائيلية ..

العائلة الواحدة تشتت .. والاسر كلها موزعة ... والفاصل بين القدس القديمة العربية .. والقدس الجديدة المحتلة هو سور المدينة ..

لقد بنى هذا السور منذ سنوات طويلة ليحمى المدينة من هجمات الاعداء ، ولكن لجنة الهدنة قد جعلته فاصلا بين « الدولتين » عندما فرضت التقسيم .

واصبحت القدس كمدينة برلين .. مقسومة نصفين .. فى الوسط جدار سميك .. كل نصف تابع لدولة معينة !

والحياة تمضى فى القدس بطريقة جميلة ، لا يتصورها الا من يعيشها .. ان المدينة لاتعرف التعصب أبدا ، ولكنها تعرف الحقد على العدو الذى مزقها ، وقسمها قسمين .. الاقارب أصبح جزء منهم يسكن المنطقة العربية ، والجزء الآخر يسكن المنطقة المحتلة ، ومحرم عليهم الاتصال ، أو التخاطب أو التعارف ! .

ان الناس – الاهل والاقارب – الذين مزقوا بين قسمى المدينة لا يعرف أحد منهم شيئا عن الآخر منذ ١٦ سنة .. وفى خلال هذه الـ ١٦ سنة تغيرت أشياء كثيرة .. هناك أطفال ولدوا ، وشيوخ ماتوا ، وبنات تزوجن .. وبالاختصار تغيرت ملامح العائلات القديمة تماما ..

والمحنة التى مرت بها المدينة ، بل التى مرت بها فلسطين كلها ، لم تعرف مسيحيا ومسلما .. الا دماء المسيحيين سالت تدافع عن الأرض المقدسة ، ودماء المسلمين سالت أيضا ، وهى تدافع عن الأرض المقدسة .

ان فلسطين مقدسة فى نظر المسيحيين حيث يعتقدون انه ولد المسيح فى مدينة منها ، وأنه عذب وحوكم فيها ، وصلب ودفن فيها أيضا .. وله مقبرة فى مدينة القدس يعتقد المسيحيون أن سيدنا عيسى عليه السلام مدفون فيها حتى يومنا هذا .

وفلسطين مقدسة فى نظر المسلم .. فالى مسجدها الاقصى أسرى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج ، ومن فوق أحد صخورها صعد الى السماء ليقابل ربه فى نفس الليلة ..

وفيها مساجد .. مساجد عديدة لأعلام المسلمين تروى تاريخا اسلاميا مشرقا فى هذه المدينة .

هذه الارض المقدسة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين ، هى التى سالت دماؤهم وهم يدافعون عنها ضد العدوان والاغتصاب والنهب .. وكل شىء فى الوطن الفلسطينى تعرض للاغتصاب والنهب ، حتى الأماكن المقدسة أيضا ، فانها لم تسلم من العدوان على الاطلاق ..

والوحدة التامة والمحبة ، التى يعيش فيها المسلم والمسيحى ليست وليدة النكبة ولا وليدة الحرب .. انها محبة قديمة .. ولقاء قديم .. تدعم على مر الأيام والسنوات ، وزادته المحنة رسوخا .

ولقد بدات قصة هذا اللقاء الاخوى بين المسلم والمسيحى منذ سنوات عديدة .. وفى سنة ٦٣٥ ميلادية على وجه التحديد ..

فى ذلك العام قامت جيوش المسلمين بقيادة « **ابو عبيدة الجراح** » بمحاصرة مدينة القدس .. التى يسكنها الروم ..

ووجه أبو عبيدة الى سكانها انذارا يدعوهم فيه الى الاسلام أو دفع الجزية والا كانت الحرب ..

وانتظر أربعة أيام دون حرب .. ودون اجابة .. ثم جاءت الاجابة بأنهم لن يسلموا ، ولن يدفعوا الجزية ، وهم مستعدون للحرب ..

و ...

بدأت الحرب .. عشرة أيام مضت من القتال .. قبل أن تشرق راية أبى عبيدة الجراح .. ويحاصر المدينة حصارا قويا .. استمر أربعة شهور فرأى سكان المدينة التسليم وخرجوا يتقدمهم قائدهم « **صفرونيوس** » حاملا على صدره الصليب المقدس ، وعلى جانبيه عدد من القسس والرهبان ، وطلبوا أن يسلموا للخليفة عمر بن الخطاب بنفسه ..

وأرسل أبو عبيدة لعمر .. ولم يتوان عمر .. فجاء ملبيا نداء القائد ، وهرع اليه السكان يطلبون منه العفو ..

ولنسمع مايقوله البطريرك نفسه .. قال لى البطريرك فنوذكتس بطريرك الروم الأرثوذكس :

ان البطريركية كانت ولا تزال تعيش مع اخواننا المسلمين مدة من الزمن تزيد على ألف وخمسمائة سنة ،

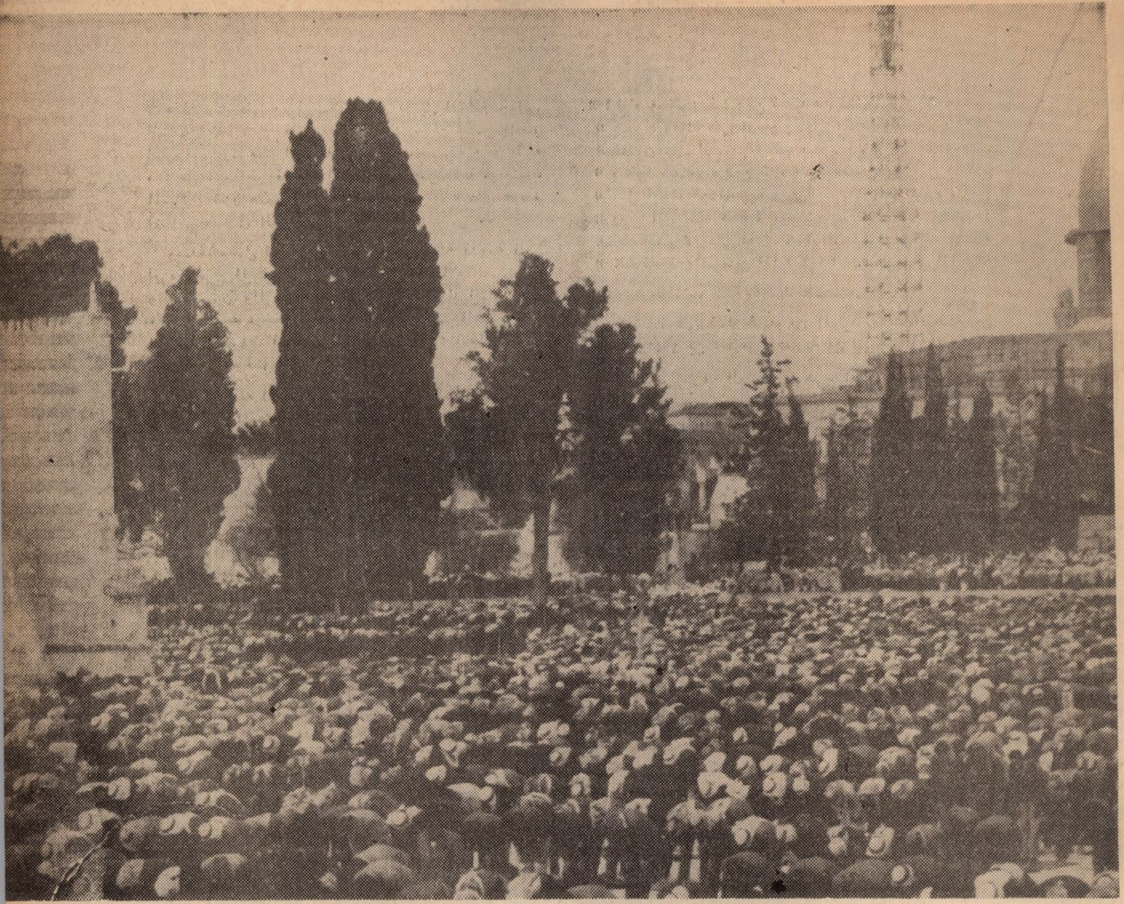

وتتمتع هذه البطريركية بامتيازات وحقوق خاصة استثنائية ، وهذه الحقوق تستند بصورة خاصة الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. فقد استقبله وقتئذ البطريرك اليونانى « صفرونيوس » بأمر من الامبراطور هرقل امبراطور بيزنطيا بعد أن أخذ أمرا بأن يسلم بيديه مفاتيح الكنيسة الى الخليفة ، فقد كان الخليفة رجلا منصفا وعادلا محترما يخشى الله .. وعلى ذلك استقبله .. ذهب البطريرك الى حيث يقيم الخليفة فوق جبل الزيتون .. وهناك استقبله وسلمه المفاتيح ، وطلب من عمر بن الخطاب أن يذهب معه الى كنيسة القيامة لزيارتها ، وقد أخذه البطريرك الى هيكل سليمان حيث وجد بعض القاذورات ، فصار هو بنفسه ينظفها ..

وأخذ الناس ينظفونها معه .

ويمضى بطريرك الروم الأرثوذكس الحالى فى روايته لى قائلا :

ومن ذلك التاريخ أمر عمر ببناء الحرم !

وطلب عمر أن يزور كنيسة القيامة .. وذهبوا الى هناك .. وفى الوقت الذى كان فيه عمر فى الكنيسة حان موعد الصلاة ، فطلب البطريرك من عمر أن يصلى داخل الكنيسة ، ولكن عمر رفض وقال :

ـ اذا صليت داخل الكنيسة ، فان المسلمين سوف يأخذونها ..

وخرج الى مكان بعيد عن الكنيسة بضعة أمتار ، ووضع سجادة وصلى عليها .. ومن ذلك الوقت بنى على المكان الذى صلى فيه مسجد ، وهذا المسجد يسمى مسجد عمر ..

هذه هى رواية البطريرك ..

وهناك رواية أخرى رواها لى المؤرخ عارف العارف الذى كتب تاريخ القدس ، وتاريخ نكبة فلسطين .. قال لى عارف العارف :

ان عمر بن الخطاب كان رجلا ديمقراطيا ، ولم يكن ديكتاتورا ، ولهذا جمع اليه بمجرد وصول رسالة عبيدة ابن الجراح ، اليه أهل الحل والعقد ، واستشارهم فى الأمر فكان رأى عثمان : أن لايذهب الخليفة بنفسه اذ أن العدو لابد وأن يضطر للتسليم مادام قد أصيب بالضعف والرعب ..

وكان رأى على بن أبى طالب أن يسير الخليفة الى فلسطين عملا برأى قائده المحنك خشية أن ييأس العدو اذا رفضت شروطه المعقولة فيتمسك بحصونه ، أو يأتيه مدد من عدو آخر فيتغير الموقف ،وتنعكس الآية ،ويصيب المسلمين ضرر عظيم ، وأخذ الخليفة برأى « على » بعد أن استخلفه فى البلاد وسار الى بيت المقدس ..

وعندما وصل امر أن يبلغ بطريرك المدينة قدومه فلبى أمره وخرج البطريرك من الكنيسة يتبعه الاساقفة والقسيسون والرهبان حاملين الصليب ولما انتهوا الى مقام الخليفة ، خف للقائهم ، وقد حياهم بالسلام ، ثم تحدثوا فى شروط التسليم وكتب لهم وثيقة الامان التالية وهى التى عرفت بالعهدة العمرية :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماأعطى عبد الله
« عمر أمين المؤمنين أهل ايلياء من الامان ، أعطاهم أمانا
« لأنفسهم وأموالهم وصلبانهم وكنائسهم ، سقيمهاوبريئها
« وسائر ملتها ، أنه لاتسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا
« ينتقص منها ، ولا من خيرها ، ولا من صليبهم ، ولا من
« شىء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار
« أحد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود ،
« وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل
« المدائن ، وعليهم أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل
« المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم ، واللصوص ،
« فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله ، حتى يبلغوا
« اقامتهم ومن أقام منهم آمن وعليه مثل ما على أهل
« ايلياء ن الجزية ، ومن احب من أهل ايلياء أن يسير
« بنفسه وماله على الروم ويخلى بيعهم وصلبهم ، فانهم
« آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم ، حتى
« يبلغوا مأمنهم ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على
« أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ، ومن
« رجع الى أهله فانه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصدوا
«حصادهم ، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة
« الخلفاءوذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية»

« كتب سنة خمسة عشر » .

« شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان » .

ويستمر عارف العارف فى شرح التاريخ :

ان هذا هو عهد الامان الذى أعطاه عمر بن الخطاب لأهل ايلياء ، وسلمه الى « صفرونيوس » بطريرك الروم، وهو الذى طلب حضور الخليفة بنفسه ليتسلم المدينة وقد تسلمها عمر ، وسلم البطريرك عهد الامان ، وبالرغم من ذلك فقد أذاعت البطريركية فى القدس سنة ١٩٥٣ نصا آخر للعهدة العمرية قالوا انه نسخة عن الاصل المحفوظ فى مكتبة الروم بالفنار من أعمال استانبول .. وهو فى اعتقادى نص ملفق الغرض منه اظهارما للروم من حق للتقدم على الطوائف المسيحية الأخرى .

ثم أخذ عمر الامان على أبناء المدينة ، وبعد أن أمضى السكان العهد دخل بيت المقدس سنة ١٥ للهجرة «سنة

٦٣٦ ميلادية » ودخلوا المدينة مكبرين مهللين ، وراية العرب ترفرف فوق رؤوسهم .

وكان أول عمل قام به عمر بن الخطاب بعد فتحه بيت المقدس أن زار كنيسة القيامة ، ولما كان في داخل الكنيسة حان وقت الصلاة ، فأشار عليه البطريرك صفرونيوس أن يصلى داخل الكنيسة قائلا « **مكانك صل** » ، ولكن عمر أبى وخرج من الكنيسة وصلى فى مكان قريب منها لجهة الجنوب وبعد أن أتم صلاته قال للبطريرك :

« ايذن لى أيها الشيخ ، اننى لو أقمت الصلاة فى كنيسة القيامة لوضع المسلمون عليها الأيدى من بعدى فى حجة اقامة الصلاة فيها ، وانى لآبى أن أمهد السبيل لحرمانكم منها ، وأنتم لها أحق وأولى » .

ثم طلب الى البطريرك أن يريه مكان الهيكل ، وذهب الاثنان معا الى منطقة الهيكل يرافقهما عدد من الصحابة والقسس وقادة الجيش . وكان المكان مهجورا بالمرة ، ينعق فوقه بوم الخراب ، ولم يكن فيه سوى الطلل الباقى من عهد الرومان ولم يكن على الصخرة أى نوع من أنواع البناء ، بل كانت الصخرة مغطاة بالأقذار .

فدهش عمر وراح ينضح التراب بكفيه وينقله بثوبه وتبعه الصحابة فراحوا يرفعون من الصخرة التراب الى أن بدت للناظرين فأمر عمر ببناء مسجد فى ذلك المكان .

وقد قال عدد من المؤرخين أنهم رأوا المسجد بأعينهم، وكان يتسع لثلاثة آلاف من المصلين ولكن أحدا من هؤلاء لم يذكر أين كان يقع المسجد على وجه التحديد .

هذه هى بداية بناء المسجد الأقصى ..

والآن ، نترك التاريخ لنعود الى الحاضر ..

ان صورة التسامح الدينى التى تعيش فى المدينة المقدسة صورة رائعة حقا .

ان مفاتيح « كنيسة القيامة » أضخم وأعرق الكنائس فى القدس ، وهى التى تضم الأماكن التى عذب فيها السيد المسيح وحوكم ، ودفن ـ كما يقول المسيحيون ـ هذه الكنيسة مفاتيحها فى يد المسلمين .. أن عائلتين مسلمتين يقومان بحراسة ابوابها .. هما عائلتا :

* آل جودة

* آل نسيبة .

ونعود الى المؤرخ عارف العارف ليقول لنا ... ان المؤرخين اختلفوا فى تحديد التاريخ الذى تولتا فيه هذه المهمة ، وان اتفقوا فى القول ، أن « آل جودة » هم الذين يحتفظون بالمفاتيح وأن « آل نسيبة » هم الذين يفتحون الكنيسة فى مواعيدها المقررة ، ومتى فتح هؤلاء الباب أعادوا المفاتيح الى أولئك وهكذا ..

ويقول « آل نسيبة » ان هذه الوظيفة فى يدهم منذ زمن عمر بن الخطاب وأن أول من تسلمها هو جدهم عبد الله ، وأن هذا هو ابن امرأة من الخزرج تدعى « نسيبة » ، وكان لها ولدان أحدهما « حامد » ظل فى المدينة ، والثانى « عبد الله » اشترك فى فتح القدس ، ولما تم للمسلمين فتح القدس ودخلها عمر بن الخطاب سلمه البطريرك « صفرونيوس » مفاتيح القيامة

فناولها « عمر » الى « عبد الله بن نسيبة » مؤتمنا اياه لزهده وتقواه ، وتوارث آل نسيبة هذه المهمة منذ ذلك الحين ، وأن « آل نسيبة » ظلوا أمناء على المفاتيح منذ عمر حتى مجيء الصليبيين فرحلوا عن القدس مع من رحل عنها من المسلمين ومن المسيحيين الشرقيين الأرثوذكس ، ولم يعودوا بعد فتح صلاح الدين مباشرة ، فأمر صلاح الدين بتسليم المفاتيح الى « آل غضينه » وهم أجداد «آل جودة » ، ولما عاد « آل نسيبة » طالبوا بحقهم فعز على القاضى آنذاك أن ينقض حكما مضى عليه ردح من الزمن وقضى بأن تبقى المفاتيح بيد « آل غضينة » على أن يتولى « آل نسيبة » فتح الأبواب ورضى الطرفان بحكمه وهكذا درجت العادة منذ ذلك الوقت ..

ويستطرد الأستاذ عارف العارف قائلا : ان هناك عدة روايات بشأن المفاتيح وهذه أشهرها ، ولكن على العموم فان المفاتيح مازالت حتى اليوم فى يد المسلمين ..

وهكذا يعيش المسلمون والمسيحيون معا فى أمن وصفاء منذ عهود طويلة وأزمنة بعيدة ..

ثم .. جاءت النكبة فوحدت بين قلوبهم ، وهزت المسيحى من أعماقه .. والمسلم أيضا .. الدم الذى سال لم يفرق بين المسلم والمسيحى والأرض التى اغتصبت لم تفرق بين المسلم والمسيحى أيضا ..

والقدس التى قسمت ووضع فى وسطها جدار كجدار برلين يفصل الأخ عن أخيه ، والأب عن أبنائه ، هذه القدس مازالت تعيش نابضة بالحقد والكراهية للغاصب الذى شرد أبناء البلد جميعا ، واستولى على أرضهم وعلى بيوتهم وعلى أملاكهم جميعها ..

واذا كانت القدس تعيش حياتها على الأماكن المقدسة .. والسياح والزوار العديدون الذين يفدون اليها من جميع أنحاء العالم الاسلامى لمشاهدة الأماكن الاسلامية المقدسة ، ومن جميع أنحاء العالم المسيحى ليعيشوا فى الأماكن المقدسة المسيحية .. فان هذه الأماكن المقدسة عديدة ومنتشرة فى كل مكان ..

ان أشهرها بالنسبة للمسلمين .. المسجد الأقصى ..

ويليه فى الشهرة أيضا .. قبة الصخرة المشرفة ..

ولن أنسى فى حياتى منظر صلاة الجمعة فى المسجد الأقصى ، وحرم المسجد الأقصى ، ان أكثر من مائة وعشرين ألف رجل وامرأة قد ذهبوا لأداء فريضة الصلاة ، وتوقف المرور فى الشوارع قبل أن تشرق الشمس ، حتى بعد غروبها ، ذلك لأن الوافدين من جميع أنحاء المملكة الأردنية وظلت السيارات تملأ الشوارع حتى بعد أن انتهت الصلاة بخمس ساعات ..

ان المسجد الأقصى وقبة الصخرة لهما تاريخ .. تاريخ طويل حافل ..

انهما قطعتان كلُ مسلم ..

وفى الأيام القادمة سوف يفتتح مسجد قبة الصخرة بعد التجديدات التى تمت فيه والتى تكلفت أكثر من مليون جنيه ..

سوف يقام مؤتمر اسلامى كبير ابتهاجا بهذه المناسبة .. وسوف يكون على رأس الوفود الذاهبة وفد من الجمهورية العربية المتحدة .. وفد كبير يشمل عددا كبيرا .. كبيرا جدا من المسلمين ..

مؤتمر القمة

الشاعر محمد حبيب الله الريس

أُمتى حَيِّ بتيه قادتى
وارزقى حُبهم كُلَّ فَمِ
وانقشى أَمجادهم من دمعة
سكبتها فرحةٌ كالحُلُم
واحفظى ذكراهمُ بل واذكرى
أنها عندى كهذا الهرم
أُمتى لاحت تباشير الصبا
من جديد بعد طول الهرِم
فلتكن لعبتك اليوم هنا
فى فلَسْطِين لقشع الْغمِ
أُمتى للنيل زفت فرحة
مع عبير الحبِّ مثل النَّغَم
مزجت فيها شعوبى بعدما
مزقت أوصالها بالتهم

شعلة الإيمان لَن تخبو ولا
مرجل الثأر المفدى بدمى
كيف يخبو ويد الغادر فى
حاجة للنار كى تستقم
كيف يخبو وعَدُوّى ها هنا
مَسّ قلبى بأليم السَّقَم !!
وحدتى اليوم هى النار التى
سوف تجلو أمْسىَ المنصرم
سوف تمحو عاره أو ذله
سوف تُحيي عاديات الشمَم
إن أقام الغدْرُ يومًا فلكم
عاش أيامًا ذليل القدم
لم تكمم يده أفواهنا؟
لا ولم تَمْحُ وثيق الذمم
كيف نلهو عن ذئاب لاتعى
حرمة للقدس أو للحرم
أمتى قد حان يوم الفوْرة
حان يوم الزحف نحو القِمَم
فإلى التصعيد هيّا امتى
وإلى الفجر الجديد النغم

قصة العدد:

عروسة من الحلوى

الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

على الطريق الزراعى العام - حيث تطل كل الدور على حركة المرور - تقع دار صغيرة واجهتها مطلية بالجير .. حديثا . ويتصاعد منها دخان ورائحة خبيز وطبخ ورنين زغاريد ، وجلبة عند الباب .

وعلى مقربة من الدار تجمع صبيان من مختلف الأعمار ينظرون تارة الى الشمس الغاربة وتارة أخرى الى امتداد الطريق . وكلما رأوا شبح سيارة عمهم الهرج والمرج وتصايحوا وهم يصفقون كأنهم يرددون لحنا : « العروسة أهه .. العروسة أهه »

وفعلت كلمة « العروسة » فعلها فى كل سن حين تناهت الى أسماع عشرات من الناس .. خلف النوافذ والأبواب وعلى الطريق وفى دكان الحاج عبده القريب من المكان ..

فتنهدت فتاة فى السابعة عشرة من العمر كانت راجعة من الحقل . وتغنى على بعد منها بموال شاب فى العشرين . وعضت عجوز شفتها بلثتها وتحسست صدرها بنية فى الثانية عشرة لكن ..

لكن مصطفى الذى سحرته كلمة عروسة اخذ يتلفت حوله فى كل اتجاه وقلبه يخفق . كان يشعر بحنين جارف لم يدع النوم ليلة أمس يزوره مبكرا . شأن كل غلام يجرى ويلعب ثم يرتمى نائما كأنه ميت .

وكان أبوه بائتا فى البندر ليشترى حاجات منها المهم ومنه ما هو ترف . اذ هم فى شهر أكتوبر والقطن جيد المحصول وحتى هذه العروسة التى تنتظرها الدار التى طليت واجهتها بالجير كان محصول القطن فيها سخيا .

وانطلقت الزغاريد ..

وكان (العريس) جالسا فى مكان آخر عند احد أقربائه المحبين تفوح من ملابسه رائحة عطر تشبه العنبر يشير بكفه الغليظة وهو يرد التحية بفخر من منح وساما ..

ومصطفى على الطريق بمعزل عن الصبيان .. جلس على احدى المصاطب وعيناه تحملقان فى نشوة . وكلما سمع المجموعة وهى تردد فى نغم رتيب « العروسة أهه » خفق قلبه الصغير وتململ فى مكانه بقلق ربما زاد عن قلق العريس الحقيقى .

***

وطافت بخيال الصبى أشياء براقة ورائحة عطرة وألوان على الخدود . ثم .. معنى غامض شعر به مصطفى غريزيا .. معنى أن يملك المرء شيئا جميلا يقول له الناس وقتها « مبروك » !!

ومع غروب الشمس ووسوسة أوراق الشجر بنسيم سبتمبر تصايح الصبيان واثقين ممارأته أعينهم «العروسة أهه » وانطلقت زغاريد فى حماسة الهتاف الصادق وأزت فى الهواء طلقات نارية هربت منها الطيور فى الفبشة وملأت الأنوف رائحة التراب والبارود والعطر والدخان والطبيخ ونزلت العروسة فدخلت من باب الدار وأخذ كل شىء يفتر لكن مصطفى ما لبث أن أخذ يجرى على الطريق نحو سيارة عامة توقفت لينزل منها ناس وكان أبوه أحد النازلين . ولما رآه الغلام أخذ يهتف

من جديد بحماسة موكب كامل : « العروسة أهه .. العروسة أهه »

وضحك ابوه وضحك الناس .. وقدم اليه ابوه هديته الغالية التى وعده بها قبل السفر عروسة من الحلوى .. حملها من المدينة . برق كل شىء فيها حين عبر مصطفى الطريق من امام الدكان فغمره النور المنتشر من بابه . وكان سائرا على حذر . خائفا من أن يعثر . وخيل اليه ان الطريق كله منعرجات ومنخفضات .. حتى دخل بها .. دخل بها الدار بسلام .

وتقدمت خطا الليل ..

وكان مصطفى قد غفا قليلا ثم استيقظ على صوت يملأ أذنيه « العروسة اهه » ففتح عينيه واسترد وعيه . ألفى نفسه راقدا فى احدى الحجرات العليا من الدار ولم يكن على الطريق كما صورت له الأحلام . ووقع نظره على خشب السقف أولا ثم المصباح المعلق فى الحائط . ثم الشباك المقفل .. المواجه للمصباح .

كانت العروسة فيه . فتبسم لها وهو راقد . وأخذ يمسح فى تلذذ بقايا النوم من عينيه . وتذكر موكب الصبيان وهتافهم والعريس الحقيقى وعروسته التى اطلقت لها البنادق والزغاريد . وتنهد الغلام فى لذة ثم نظر حوله ليرى النائمين .. أمه وأخته التى تكبره . ثم قام من مكانه ومشى نحو الشباك .

وهناك وقف فرأى كل شىء يبرق . جسمها الأبيض الناعم الملمس وفمها وأنفها الصغيرين . وحمرة أحسن من التفاح على خديها . وقلنسوة من الفضة !! وحزام من الذهب .

***

خيل اليه ان هذا ليس ورقا ولكنه معادن نفيسة وكان زغاريد المساء تناهى الى سمعه احتفالا بهما . وتلفت فرأى أمه وأخته فى أعز النوم . فتحسس فم العروسة ثم حملها بين يديه .

وتألقت على راسها وخصرها أنوار المصباح حين اقترب بها منه وخيل الى الصبى أن العروسة تناغيه فقرب فمها من أذنه . وفى هذه اللحظة غنى كروان يعبر سماء الريف فملأ سمع مصطفى فابتسم مخادعا نفسه وسمع الى نداء من داخله يغريه بالتأكد من أنها « حلوى » فلعقها بلسانه . وعندئذ امتلأت حواسه بالسكر والشذى وعاد نفس الكروان يعبر السماء ويغنى فخيل الى مصطفى أنها زغاريد المساء فتلمظ فى سعادة .

ومشى بها خائفا عليها ووضعها فوق قاعدة الشباك . وكان كل شىء نائما الا .. مصطفى والعروس !! وشعر عندئذ بالجوع ففكر فى الطعام .

ورأى على مقربة منه (سبتا) صغيرا فيه بقايا العشاء لكنه احس بحاجة الى شىء حلو .. لم يكن أمامه الا العروسة . لكنه زجر نفسه ..

« أى قطعة ستكسرها .. حرام !! » ومصمص بشفتيه وربت عليها . وخيل اليه انه اقتنع . لكنه ما لبث أن قربها من أنفه وأخذ يشمها . وعاد الشذى والسكر فملأ حواسه فاغمض عينيه وفتح فمه وقضم قطعة منها . من عند القاعدة التى تشبه قاعدة الناقوس ، وذوبها فى فمه وهو مغمض العينين وبعد أن ذهبت اللذة فتح عينيه ليرى ماذا صنع فرأى فى القاعدة كسرا على هيئة مثلث فأحس بالندم . ولما وضعها فى مكانها من النافذة وقفت تماما . فغمره سرور . لأن القطعة المأكولة لم تشوه العروسة . وتركها وذهب الى حيث كان يرقد .

وأغمض عينيه فلم يزره النوم . وتذكر العريس فى الدار على الطريق الزراعى وذكر سعادته بين المدعوين .. كان يرد عليهم التحية بفخر من منح وساما . وتخيل مصطفى موقفه من عروسته . ثم فتح عينيه . فوقعت بسرعة على العروسة فى الشباك .

كان نور المصباح متألقا على الفضة والذهب . فى خصرها وفوق راسها . وخيل اليه أنها تبتسم له وتناديه فذهب اليها . وأحس بشوق الى رائحة السكر فعاد يشمها . وعندئذ أغمض عينيه .. وبلا تفكير ولا رسم خطة قطم قطعة أكبر من القاعدة . وذوبها فى فمه وهو فى نشوة ثم فتح عينيه فرأى الكسر مستطيلا له شكل مضبوط فوضع العروسة بلهفة على الشباك .. فلم تقف .. مالت الى اليمين .. ولو تركها لسقطت وتحطمت .. وعندئذ أحس بالندم .. « كنت تركتها للصبح ليراها الأولاد .. ياخسارة »

وظل حاملا لها بين ذراعيه متحيرا كيف يسندها.وهم أن يوقظ أمه من النوم ليستشيرها فى الأمر .. لكنه خجل فمشى بها .. وجلس حيث كان يرقد ووضعها فى حجرة وحمل رأسه بين يديه فى حزن وتفكير .

لكنه عاد فقال فى نفسه

« عملوها للاكل » وضحك .. غير ان الحزن عاوده ففكر فيما عسى أن يفعل . ولم يلبث أن رقد على جنبه ثم وضعها فى حضنه .. ظل يربت عليها ويحملق فى وهج النور على الفضة والذهب حتى نام ..

***

وفى الصباح الباكر استيقظ ..

لم يكن فى الحجرة أحد سواه . وفطن الى شىء هام رأى (العروسة) فى حضنه حطاما من الحلوى . غلبه النوم فنام وتقلب عليها فكسرها . منظر مثل بقايا جرة من الفخار .. والرأس الجميل كان سليما .. على فمه ابتسامة غامضة خالية من الاغراء لأن الليل قد ولى .. ولم يغادر مصطفى مكانه .. أخذ يتناول قطعة قطعة ويأكل فى وجوم .. ولم يبق الا راسها .. فنظر اليها مصطفى وقال فى نفسه لكن بألم :

« كانت جميلة .. قبل كسرها .. وأكلها » .

وتنهد عميقا وهو يبلع ريقه ..

***

ولما ارتفعت الشمس وخرج مصطفى الى الطريق مر على دار العريس فرآه جالسا عند الباب وكل من مر عليه يهنئه .

فتذكر الصبى تفاصيل ما وقع ليلة امس .. فنظر نحو الدار التى طليت واجهتها بالجير حديثا وضحكة عالية تنبعث من أعماقه .

هلموا يا أسود العرب

الشاعر عبد العظيم حسن شحاتة

هلموا يا أُسود العُرْب حتى ... نرد بعزمنا كيد الأعادى
جمال قالها فى يوم نصر ... فحولت الخلاف إلى اتحاد
يَغُرّ الغادرين أنِ اختلفنا ... فزادوا فى التحدى والعنادِ
وساروا للتوسعِ دون علم ... بأَن سيكونُ قبرهُمُ بلادى
أرادوا الماءَ فى الأُردنِّ مُلْكًا ... ليُرْوى منهم الغَلَلَ الصوادى
ويُروى أرضنا الظمأَى لتجنى ... لهم خيرا فيرقَوْا باقتصاد
لقد أنساهم النكران حقا ... وأرضا أهلها بين البوادى
فِراشهم العراءُ بلا غِطاءِ ... يعدون الدقائق فى السُّهَادِ
وأعينهم يقرحها اشتياق ... إلى الوطن السليب إلى الجهادِ
وما عرفوا التذلل فى زمان ... ولا عرفوا التَمَسْكُنَ للعباد
فهيا يا بنى الأُردنِّ هيا ... فهذا عهدنا عهد الودادِ
وهيا يا أخى السورىّ وانهض ... وصافح شعب مصر بالأيادى
فدجلة والكويت لنا معين ... ودرع فى الملمات الشدادِ

مراكش والجزائر أهل حزم		كذا السودان مرفوع العمادِ
واخوان بتونس ثم ليبيا		ذوو رأى غنى بالسدادِ
ولبنان الشقيق به رجال		أكفهم شَغُوف بالزِّنادِ
وفى أرض الحجاز ترى جنودًا		وأبطالا على رأس القيادِ
كذا اليمن السعيد وكل قطر		تحرر من رُتاجَات الفسادِ
فهبت من بلاد العرب أُسْدٌ		تلبى ما رجا منها المنادى
توحدهم عقيدتهم بدين		وقرآن أَتى بلسان ضادِ
فضجَّ العالم الغربى رعبا		وكل قد تجمع للتنادِ
وقالوا أُمةُ العرب استعادت		قواها بعد مقربة النفادِ
تسالم من يسالمها بيمن		وبين الناس توصف بالحياد
وتبنى فى سماء المجد صرحًا		ويرنو الكون للصرح المشادِ
أعادت عروة الاسلام وثقى		ودستور الاله الحق هادى
فما بعيت لنا فيها مياهٌ		ولا حلو الشراب أوالحصادِ

أضواء على المسلمين في العالم

الإسلام والمسلمون في الهند

إعداد : رياض خليفة

اخى القارىء :

أكتب لك هذا الشهر عن اخوتنا فى الهند بعد أن عشنا فى الشهر الماضى مع اخوتنا من المسلمين فى جمهوريات الاتحاد السوفييتى ، ونقلنا لك الاقوال المختلفة التى تبين كيف يعيش القوم هناك ، أو بالاحرى كيف تعامل الاديان عموما .

واليوم أكتب لك عن الهند .. بلد الاساطير والأعاجيب .. وحكايات ألف ليلة وليلة وسنعرف فى الهند كيف ظهر الاسلام وكيف يعيش اليوم ؟ والعلاقات الهندية العربية والدراسات العربية بعامة والثقافة الاسلامية بوجه خاص كما ستتعرض للنشاط الدينى والاجتماعى للمسلمين هناك ودورهم فى الحركات الوطنية .

الاسلام وكيف عرف طريقه الى الهند ؟

لايخفى على من له المام بالتاريخ أن عرب الجاهلية كانوا يأتون سواحل الهند وجزرها منذ سنوات كثيرة قبل الاسلام ، وتاجروا مع أهلها ، وقد ذكر التاريخ أن كلا من النبيين : داود وسليمان ، عليهما السلام ، عرفا « كيرالا » وجلبا أشياء كثيرة من منتجاتها ، وبهذا ظهر أن أمرها كان معروفا قبل أن يعرفها العرب الذين يعيشون على سواحل البحر العربى ، وفى زمن «أغارتا سايد » كانت العرب تعيش على شواطىء « ملبار » الى درجة أن أهلها تأثروا بهم وتدينوا بدينهم .

وقد أجمع رجال التاريخ على أن أول من دعا أهل الهند الى الاسلام : هم التجار العرب المسلمون الذين أقاموا بالسواحل الجنوبية حتى تأثر وأسلم كثير من أهل هذه النواحى .

ويقول المؤرخ ارنولد فى كتابه « الدعوة الى الاسلام » ان الاسلام قد جاء الى الهند الجنوبية فى القرن الثامن ومما يدل على ذلك وجود قبر قديم مكتوب عليه : على ابن عبد الرحمن المتوفى سنة ١٦٦ هـ .

ويقول « رولندوسن » أن المسلمين من العرب أقاموا بسيلان وساحل ملبار فى القرن السابع وذكر المؤرخون أنه وجد محفورا على حجر فى مسجد يقع بقرب «بيتور» فى « كيرالا » أن الاسلام ظهر فى السنة الخامسة للهجرة ويعللون سبب ظهوره بوصول بعض العرب مبكرين الى « مليبار » ولا ريب فى أن المسلمين كانوا موجودين بالهند من أوائل القرن الأول الهجرى فحاكم سرنديب « سيلان » أسلم فى سنة ٤٠ هـ كما أسلم حاكم ملبار ، وقد جاء محمد العلافى فارا من الحجاج فى خمسمائة فارس ونزل على ساحل السند باذن حاكم داهر ثم صار من خواصه .

وكانت السواحل الغربية كلها من كامباى الى قلات فى القرن الأول مملوءة بمستعمرات المسلمين ، وبعد زمن قليل صار العرب المسلمون من أصدقاء حكام الهند .

ويتبين من هذا أن المسلمين استوطنوا الأراضى الهندية فى أوائل القرن الأول من الهجرة وأواسطه .

والآن لنتحدث عن أول من عرف الاسلام من أهل الهند ..

أول الجزر التى أضاءها الاسلام بضيائه هى جزيرة سرنديب « سيلان » وواليها أول من اعتنقه بالهند فى عهد الصحابة سنة ٤٠ هـ ، ويقول الرحالة المسلم ابن شهريار الفارسى فى كتابه « عجائب الهند » :

أول جزيرة من جزر الهند انبثق فيها نور الاسلام هى سرنديب ، ولما علم أهلها ببعثة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ارسلوا رجلا منهم الى جزيرة العرب ليتحقق أمرها ، فاذا ماوصل الى بلاد العرب : كان العهد للخليفة عمر رضى الله عنه ، فاستعلم منه عن أحواله عليه السلام ، فبين له عمر رضى الله عنه مفصلا ، فلما رجع مات فى الطريق ، ووصل خادمه اليهم ، فأعلم أهل الجزيرة باحواله عليه السلام وأحوال أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وانتشرت منذ ذلك الحين تعاليم الاسلام ومبادىء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ويحكى المؤلف حكاية أخرى هى أقرب الى القبول عنده

اذ قال ان الاسلام ظهر أولا فى ملبار لا فى سرنديب ، وهى أن حاكم ملبار دفعه الشوق الشديد للرحيل للحجاز ورؤية النبى العظيم الجديد وكان على جماعة من حاشيته وأتى مكة وتشرف بالاسلام وأقام عدة أيام ثم عاد الى وطنه فى جماعة من المسلمين فلما بلغ بلدة « ظفار » مات ودفن بها وقال بعضهم انه رحل للحجاز فقضى نحبه ومات فى الطريق وكانت وفاته بالمكلا ودفن فى فناء أحد مساجدها ، وواصل المسلمون الذين كانوا برفقته المسير حسب وصيته الى ملبار ونشروا الاسلام بها .

وقد أجمع معظم المؤرخين على الرواية الأخيرة ، فاذا تحققت هذه الحكاية التاريخية تحقق أن حاكم ملبار كان أول من آمن فى الهند فى زمنه عليه السلام .

المسلمون فى الهند
ثالث طائفة اسلامية فى العالم

وقد عقد أخيرا بمدينة عليكرة المؤتمر التربوى الاسلامى لعموم الهند ، وافتتح شرى بدر الدين طيابجى مدير جامعة عليكرة المؤتمر فقال :

ان المؤتمر يجب أن يشجع الدراسة الخاصة بالمدنية الهندية وأن يذكر العناصر الثلاثة التى تكونت منها هذه المدنية وهى : العنصر السانسكريتى والعنصر الاسلامى والعنصر العربى فاذا تجاهلنا أحد هذه الثلاثة فستكون الدراسة شيئا آخر .

وقال أيضا : ان المسلمين فى الهند يجب أن يتجاوبوا مع تحدى الزمن الذى نعيش فيه . ثم بين أن المسلمين يكونون ثانى جالية دينية فى البلاد ، وثالث طائفة اسلامية كبرى فى العالم من حيث العدد « أكثر من ٤٥ مليون مسلم » ولديهم كل المراكز الاسلامية الهامة والجامعة الاسلامية الرئيسية ، والمكتبات العظيمة الزاخرة بكتب الفكر والآداب الاسلامية ، فعلى المسلمين أن ينتفعوا بهذه جميعا الى أقصى حد .

العلاقات العربية الهندية
بين الأمس واليوم

تعود العلاقات بين الهند والعالم العربى الى أقدم حقب التاريخ المعروف ، فأعمال التنقيب التى جرت فى سومر ومصر تشير الى وجود تبادل بين الهند وهذه البلاد يعود تاريخه الى حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، وكانت صادرات الهند الى البلاد العربية تشمل التوابل واللآلىء والقطن والحرير والشيلان والموسلين والأحجار الكريمة كما كانت تشمل خشب الساج الثمين الذى تصنع منه السفن وكذلك الطواويس والفيلة ، ومع هذه السلع انتقلت الأفكار والمبادىء الدينية وطرق العبادة والمهارات الفنية .

وقد زادت العلاقات التجارية تدعيما فى القرون التالية وكانت الجياد العربية الأصيلة فى معسكر الملك «هرشا» لاتقل شهرة عن السيوف العربية التى كانت تصنع من الصلب الهندى حتى أصبحت كلمة المهند مثلا يضرب فى الأدب العربى .

ان الثقافة الهندية كانت بكل تأكيد تمتد الى خراسان وفارس والعراق حتى حدود سوريا . وازدهرت فى الاسكندرية مستعمرة هندية بين القرن الثانى « ق.م » والقرن الثانى « ب.م» وكان لها أثر كبير فى نمو الفلسفة الأفلاطونية الحديثة . وكتب « دين ملبورن » يقول : ان نزعة صوفية هندية حقيقية أنشأت لها مركزا دائما فى صحارى مصر الغربية .

وكان لهذه الصلات الأولى أثرها فى اللغة كذلك وسرعان ما أصبحت اللغة العربية تستخدم كلمات مثل قرنفل وغير ذلك من الكلمات .

ولقد دعا هذا التبادل المشترك العرب الى الاهتمام بالأدب الهندى وترجمت الى العربية بعض روائع الأدب الهندى .

وفى ميدان الطب كان تأثير كل من الهند والعرب فى بعضهما البعض قويا حقا ، فقد أرسل خسروانوشروان طبيبه خصيصا الى الهند ليحضر له كتب الطب لترجمتها والى جانب ذلك أحضر لعبة الشطرنج التى انتشرت بعد ذلك فى البلاد العربية ومنها الى أوربا . كما أحضر هارون الرشيد الأطباء الهنود لينظموا المستشفيات ومدارس الطب فى بغداد وكان من بين هؤلاء « ماناكا » الطبيب الهندى الأشهر .

وأما فى ميدان الفلك : فقد ترجم الى العربية كتاب الفلك الهندى المشهور « سوريا سيدهانتا » تحت اسم « سند هند » ويكاد يكون العلماء العرب قد نقلوا الجداول الفلكية حرفيا من هذا الكتاب . ومن أهم مساهمات الهند فى ميدان الرياضيات : اختراع العلامة العشرية وفكرة الصفر الذى انتقل الى العلوم الحديثة

غروب .. وشروق

وقد استمرت العلاقات العربية مع الهند بكل قوة الى أن سقطت الخلافة العباسية فسقطت بغداد تحت حكم التتار ، ووقعت مصر تحت حكم العثمانيين ... وهكذا غربت شمس الثقافة العربية وتضاءلت الصلات بين الهند والعالم العربى .

ومع بزوغ فجر الاستقلال كان على الهند أن تعيد هذه العلاقات وتحييها . وهل هناك دليل على وثوق العلاقات بين الهند والبلاد العربية حتى يومنا هذا أقوى من العادة التى جرى عليها بعض الناس من تسمية كبرى بناتهم باسم « هند » .

ويمكن أن يقال ان الصفة المميزة لعلاقات الهند الراهنة مع البلاد العربية ، منبعثة من الكفاح المشترك ضد السيطرة الأجنبية ، ومن القضايا المتماثلة فى الميادين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ولا نجد فى صفحات التاريخ فترة توثقت فيها الصلات فى ود واخلاص وجو سلمى أكثر مما هى اليوم ، ولاسيما فى المضمار الثقافى ، ولا شك أن القيام بدراسة جدية متقنة لهذه النواحى من تاريخ العلاقات بين الهند والعرب ، يركز الأضواء على مجموعة من المعلومات التى تهم العالم المؤرخ والرجل العادى على السواء وان استذكار الصلات يخلق فكرة سليمة كما أنه يساعد على تدعيم روابطهم الحاضرة وتوطيد أركانها .

المسلمون فى الهند ونشاطهم الفكرى حتى اليوم

كان ـ ولا يزال ـ المسلمون فى الهند أوفياء لوطنهم ، أوفياء لدينهم وثقافتهم الاسلامية العربية لايتخلفون عن ركبها ولا ينقطعون عنها ، وقد تراهم فى بعض فترات التاريخ فى مقدمة القافلة .

وان مؤلفات المسلمين فى الهند فى العلوم الاسلامية لا تحصى وتدل على مركز الهند العلمى ودور علمائها ومؤلفيها وعنايتهم بالناحية الاسلامية بعامة واللغة العربية بوجه خاص .

ومن هذه الكتب كتاب « العباب الزاخر » للامام حسن ابن محمد اللاهورى من رجال القرن السابع الهجرى الذى عد من مراجع اللغة العربية وفى مقدمتها ، وكذلك كتابه « مشارق الانوار » فى الحديث من الكتب المشهورة المقبولة فى العالم الاسلامى ، وقد ظل مدة طويلة من كتب التدريس .

ومنها كتاب « كنز العمال » للشيخ على بن حسام الدين البرهانبورى من رجال القرن العاشر ، ومنها كتاب « مجمع بحار الأنوار فى غرائب التنزيل ولطائف الأخبار » للشيخ محمد طاهر الفتنى وكذلك كتابه «تذكرة الموضوعات » ومنها كتاب « الفتاوى الهندية » التى تعتبر من المراجع الفقهية الكبرى التى عليها العمدة فى كثير من الأقطار الاسلامية التى تحكم بالفقه الحنفى . ومنها كتاب « مسلم الثبوت فى أصول الفقه » للعلامة محب الله بن عبد الشكور الحنفى البهارى ومنها كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون » للشيخ محمد أعلى التهانوى من رجال القرن الثانى عشر .

كما ألفت كتب أخرى على جانب كبير من الأهمية فى التشريع الاسلامى على رأسها كتاب :

« حجة الله البالغة » للامام الدهلوى وهو كتاب مبتكر فى موضوعه لايوجد له نظير فى المكتبة العربية على سعتها وقد أجله علماء هذا الفن وأعيد طبعه فى مصر مرارا ، ومنها « تاج العروس فى شرح القاموس » للزبيدى الذى هو أشهر من أن يعرف ، وهو مكتبة لغوية عظيمة فى عشرة مجلدات كبار .

وقد نبغ فى الهند فى القرن الرابع عشر الهجرى مؤلفون تفوقوا فى العالم الاسلامى كله فى سرعة التأليف وكثرة المؤلفات وضخامة الانتاج وكان كل واحد منهم مجمعا علميا نشيطا ، فالأمير صديق حسن القنوجى أمير بهوبال يبلغ عدد مؤلفاته ١٢٢ كتابا منها ٥٦ كتابا فى اللغة العربية ، وفيها كتب ذات قيمة علمية كبرى منها « فتح البيان فى تفسير القرآن » وأبجد العلوم ، والتاج المكلل والبلغة فى أصول اللغة ، والعلم الخفاق فى علم الاشتقاق

وعلى رأس المتأخرين الشيخ عبد الحى بن عبدالحليم اللكنوى وله ١١٠ كتابا منها ٨٦ باللغة العربية من أشهرها وأجملها السعاية فى شرح شرح الوقاية » و « مصباح الدجى » .

ومن كبار مؤلفى هذا العصر وكتابه : العلامة : السيد سليمان الندوى الذى خلف مكتبة كبيرة فى السيرة النبوية والشريعة الاسلامية والتاريخ والأدب ، وهو يستحق أن يعد من كبار المؤلفين والمحققين الباحثين فى الشرق .

ومن أشهرهم أيضا العلامة مناظر احسن الكيلانى صاحب « النبى الخاتم » و « تدوين الحديث » و « نظام الاسلام الاقتصادى » و « نظام التربية والتعليم » .

ومن أشهر ما ألف فى الحديث النبوى : عون المعبود فى شرح سنن أبى داوود ، و «تحفة الاحوذى فى شرح

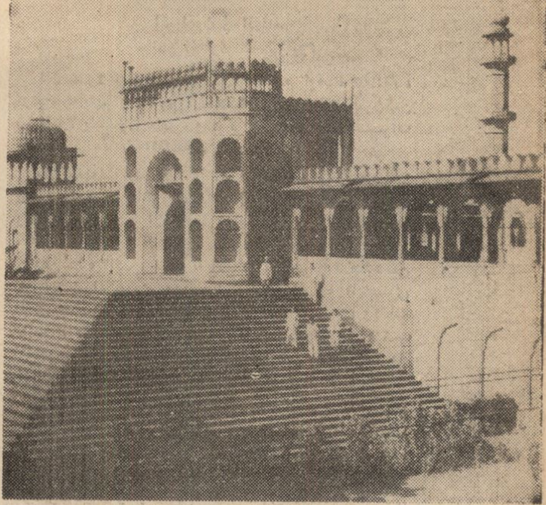

المسجد الجامع فى كاتيانا بموناجاد

سنن الترمذى » و « فتح الملهم فى شرح صحيح مسلم » و « أوجز المسالك الى شرح موطا مالك » .

ولم يزل شعار المسلمين منذ العهد الأول الاعتناء الكامل باللغة العربية والتعصب لها وقد حافظوا عليها باعتبارها لغتهم فى التاليف والمعرفة ، ولا يزال المسلمون فى الهند متمسكين باللغة العربية يدرسون أمهات كتبهـا فى مدارسهم التى يسمونها المدارس العربية .

وقد أصدروا فى فترات مجلات وصحفا عربيـة تدل على عنايتهم بهذه اللغة واحيانها ونشرها منها : « مجلة البيان » التى كانت تصدر شهريا فى لكناو ومنها صحيفة « الجامعة » الأسبوعية وتصدر فى كلكتا وكان رئيس تحريرها أبو الكلام آزاد رئيس المؤتمر ووزير المعارف فى الحكومة الهندية بعد ذلك . ومنها مجلة « الضياء » التى يصدرها علماء الندوة . ولا تزال مجلة « البعث الاسلامى » لسان حال الدعوة الاسلامية ورائدة الفكر الاسلامية تصدر عن ندوة العلماء ، وصحيفـة « الرائد » الأسبوعية يصدرها طلبة دار العلوم ويكتبون فيها .

الاسلام وأثره فى الثقافة الهندية

ولا ريب أن للدين أثرا بينا على ثقافات الشعوب وحضاراتها ، يتفاعل معها ويصبغها بلونه وتعاليمه ، فمنذ أن بدأ الانسان يشترك مع أخيه الانسان فى بناء المجتمع: كانت ترسم حياته عناصر : أهمها الدين والعلم والفلسفة ويتفاوت كل من هذه العناصر فى التأثير على حياة الفرد بوجه عام بقدر مايسمح فهم الناس لها .

وعندما جاءت الحضارة الاسلامية الى الهند : غيرت من حياة الناس ومن عاداتهم وتقاليدهم الى حد كبير .. ولا عجب ، فقد خلق الاسلام نهضة فى الهند ظهرت آثارها فى كثير من شعوب آسيا وفى كل وجه من وجوه الحياة لأجيال طويلة متعاقبة .. آثار مازالت تتفتح فى ثقافات الهند وغيرها حتى اليوم ، وتنم عنها فنون هذه الشعوب وآدابها وطبيعة الحياة فيها .

ولم يبدأ تاريخ النهضة الاسلامية فى الهند ـ فى أغلب الظن ـ الا عندما استقر المقام بالحكم الاسلامى فيهـا استقرارا ساعد حكامها وملوكها على البناء ، وعلى اسعاد الشعب الهندى ، والعمل على رفاهيته فى ظل الـدين الاسلامى .

وعندما توحدت الهند ـ فى العصر الاسلامى ـ وتوطدت اواصر الصداقة بينها وبين جيرانها من البلـدان التى اعتنقت الاسلام وتعاونت معها على نشر تعاليمه وتقاليده وثقافته وفنونه : حتى اشتركت جميعا فى بناء نهضـة اسلامية اسيوية تحددت مميزاتها فى التاريخ .. نهضة شرقية لاتقل فضلا وأثرا على أكثر شعوب آسيا عما لعصر النهضة الأوروبية من فضل على حياة أهل أوربا .

ويتجلى أثر الاسلام على ثقافة الهند فى مختلف الفنون الاسلامية المنتشرة فى أنحاء الهند العريضة : من عمارة ، ونحت ، وزخرفة ، وتصوير ، ونحو ذلك مما يعتبره المؤرخون والنقاد : سجلا حافلا لحياة المسلمين فى الهند وفتوحاتهم وانتصاراتهم وأعمالهم المجيدة التى لا تحصى فى شتى نواحى الحياة .

ولقد اشتهر الملوك والاشراف فى الهند أيام الحـكم الاسلامى ، بالحياة الزاخرة وبقصص البطولة والحب ، وبالحكمة التى أملتها تعاليم الاسلام على تصرفاتهم العامة والخاصة ، وبالتسامح الذى اشتهر به الاسلام .وكانوا على قدرة وكفاية عظيمين فى النواحى الثقافية عامـة : من شعر وأدب وفلسفة وعلم وقوة .

واستمرت هذه الثقافات الاسلامية تسرى فى حياة أهل الهند ردحا طويلا من الزمان حتى جاء الاستعمار ، فعمد الى اهمال حضارات الهند جميعا بما فيها الحضـارة الاسلامية ، الا أن الهند التى أصرت على أن تتـوارث تقاليدها تمسكت بدياناتها وثقافتها رغم الاستعمار تمسكا عجزت معه الثقافة الغربية عن التأثير على حياة الناس فيها ، فلم تنس الهند تراثها القديم حتى يومنا هذا ، ولم يخطف بريق الثقافة الغربية أبصار الشعب الهندى الذى تمسك بشرقيته رغم المؤثرات المختلفة التى اتبعها الاستعمار أكثر من قرنين من الزمان .

اشهر المدارس الاسلامية بالهند

وقد احس المسلمون فى الهند بالخطر على مستقبلهم وعلى دينهم وتقاليدهم منذ وضع الانجليز ايديهم علـى الهند وأعلنوا ضمها للتاج البريطانى فى منتصف القرن التاسع عشر . لهـذا رأيناهم يتعاونون لفتح المدارس الدينية العربية فى المدن والقرى لتتولى تثقيف ابناء المسـلمين وتعليمهم مجانا كى تخلق منهم جيلا قويا يتولى الدعاية للاسلام وتبصير المسـلمين بأمورهم وتنوير اذهانهم .

وكانت أولى المدارس العربية التى ظهرت فى الوجود واضطلعت بحمل هذه الأمانة هى مدرسة « دار العلوم » فى قرية ديوبند التى صارت الان جامعة علمية اسلامية عربية كبيرة حتى أطلقوا عليها فى الهند « أزهر آسيا » وتلت هذه المدرسة شقيقة أخرى لها فى نفس العام وهى مدرسة « مظاهر العلوم » وهى فى مدينة سهارانبور التى نمت وترعرعت كذلك وصارت الآن من كبريات المدارس العربية .

وعلى نسق هاتين المدرستين الكبيرتين : انشئت مئات من المدارس العربية الدينية ، وتنافس المسلمون فى كثير من القرى والمدن فى اقامتها والانفاق عليها حتى تجدهـا تقدم جميع الخدمات لطلابها وتعين الأطباء للاشراف عليهم وصرف الدواء لهم .

وفى مطلع هذا القرن تاسست المدرسة العربية الكبيرة « ندوة العلمـاء » فى لكنو ، واضطلعت بحمـل رسالتها فى جدارة ونجاح ولاسيما مايتصل منها باللغة

العربية تحت اشراف علماء ممتازين وليس هذا فحسب بل ان فى شرق الهند ووسطها وجنوبها آلافا من المدارس الدينية تحمل نفس الرسالة التى تحملها هذه المدارس الكبيرة نذكر منها على سبيل المثال « الجامعة السيفية » فى مدينة سورات وهى جامعة تعنى باللغة العربية ، وفى الجنوب مدرسة « الباقيات الصالحات » .

وفى كيرالا اسست كثير من المدارس العربية التى تلقن أصول العربية والشريعة الاسلامية وقدظلت هذه المدارس تعانى من سوء النظم والمناهج حتى قامت جماعة من العلماء والأدباء المخلصين .. وتنبهوا الى ماطرأ من فتور فى ميدان الدراسة العربية والعلوم الاسلامية فى البلاد ؛ وقرروا انشاء مدارس وكليات عربية تجرى وفقا للمناهج الحديثة للتعليم ، وادراج مواد عديدة عصرية ولغات أجنبية .

وتقع كلية « روضة العلوم » ببلدة فاروق بقرب كاليكوت ويدرس الطلاب فيها علوم القرآن والحديث واللغة والأدب وعلوم اللسان والبلاغة والتاريخ والفلسفة وغير ذلك من العلوم الحديثة ومما هو جدير بالذكر أن لغة التدريس لهذه المواد هى اللغة العربية الفصحى لهذا السبب نجد الكلية فريدة فى بابها ويحصل المتخرج منها على شهادة « أفضل العلماء » الجامعية .

كما يوجد فى كيرالا أيضا من الكليات العربية التابعة لجامعة كيرالا منها « الكلية العربية » وكلية « سلم السلام » وهى تعنى بتعليم البنات عناية فائقة .

ولاشك أن هذه الخطوات الخاصة بافتتاح المدارس العربية فى سائر أنحاء البلاد ستكون عونا على توثيق عرى الصلات الودية القائمة بين الهند والعالم العربى .

المساجد والجمعيات الدينية

وتجد المساجد مثل هذه العناية التى تلقاها المدارس الدينية ، والمساجد هناك كثيرة ولا تكاد تخلو قرية أو مدينة من مسجد أو مساجد اللهم الا فى الأماكن التى تخلو من المسلمين وهى قليلة ونادرة .

وتمتاز الهند بكثرة المساجد الفخمة التى تعتبر من آيات فن البناء والعمارة وهذه المساجد قديمة ويرجع وجودها الى عصر الحكم الاسلامى للهند .. حين كان الملوك والولاة يتنافسون بعضهم فى انشاء المساجد وزخرفتها .. ومع هذه المساجد الفخمة توجد المساجد الأخرى التى تميزها البساطة فى بنائها وفرشها . ففى كل شارع أو محلة مثلا تجد المسلمين فيها يحرصون على اقامة مسجد لهم حسب قدرتهم المالية .

ومن الطريف أن معظم المساجد يعد فى جانب منها مكان لتسخين المياه فى فصل الشتاء ويتعاون الناس على ذلك ، واذا عرفنا شدة حرص المسلمين على أداء الصلاة جماعة فى المسجد كل وقت أدركنا السبب فى عنايتهم بتسخين المياه للوضوء .

وتستوقفنا فى أنحاء الهند دهشة كبرى لهذه العظمة التى تتسم بها المساجد عموما على كثرتها . وفى دلهى - على سبيل المثال - تستوقفنا آثار اسلامية كثيرة من أهمها القلعة الحمراء ، فهى من الأمثلة التى تنطق بعظمة العمارة الاسلامية وجلالها .

ولقد أقام المسلمون كذلك فى دلهى القديمة قريبا من القلعة الحمراء « المسجد الجامع » الذى يعد من أجمل المساجد فى الهند كلها حيث تنعكس الثقافة الاسلامية بوضوح على بنائه الرائع . وعلى محاريبه الجميلة .. المحلاة بزخارف اسلامية بديعة من الرخام الملون .

وفى أجرا - وهى قريبة من دلهى - درة الهند الخالدة « التاج محل » التى أقامها الامبراطور شاه جيهان مقبرة

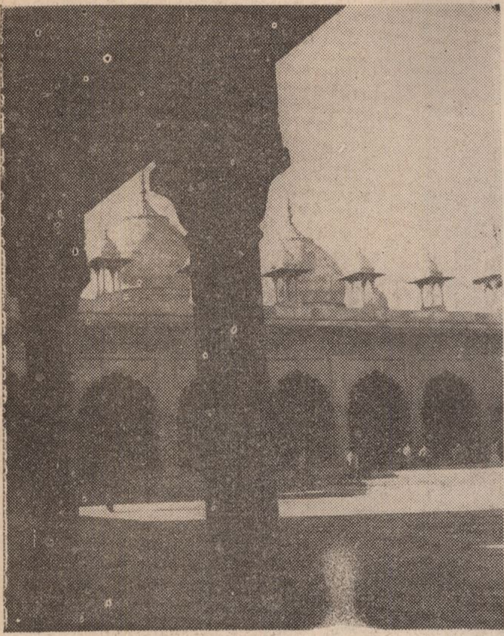

قصر اللؤلؤة من الداخل بقلعة أجرا

لزوجته فكانت احدى عجائب الدنيا السبع ، فى فكرة البناء وجمال المظهر ، وكم كان الحب دافعا لأعمال عظيمة .

وتوجد - على مقربة من اجرا - القلاع والقصور الاسلامية التى تشهد بما وصلت اليه النهضة الاسلامية على أرض الهند ، كما يوجد فى راجستان أماكن عديدة تنعكس عليها تعاليم الاسلام وتقاليده بشكل كبير .

هذه عجالة سريعة عن المساجد وأما عن الجمعيات : فلعل من أشهرها وأهمها بالذكر « جماعة التبليغ » ولها من الجهود فى خدمة الاسلام والمسلمين مايشمل نواحى الهند كلها ، بل ويمتد خارج الهند ، وقد ألف هذه الجماعة مولانا المرحوم محمد الياس وجعل مركزها مسجد نظام الدين أولياء فى نيودلهى ، وذلك منذ ٤٠ عاما ولما توفى خلفه فى القيادة ابنه مولانا محمد يوسف ويشترك فى نشاط هذه الجماعة المثقفون وغيرهم من جميع الطبقات من المسلمين الذين يقومون بواجبهم نحو الاسلام .

وبخصوص الحج الى بيت الله فنجد جمعية خدام النبى فى « بومباى » وهى تسهر على خدمة الحجاج وتسهيل عملية سفرهم .

هذا والمسلمون فى الهند شديدو التعلق بالأماكن المقدسة ، وهم حريصون على الحج ، ويبلغ عدد الحجاج سنويا فى المتوسط ٢٠ ألفا وتعنى الحكومة بتيسير عمليات سفرهم الى مكة .

وربما كان أبرز المناسبات التى يحتفل بها المسلمون فى الهند هى عيد الفطر وعيد الأضحى . فمئات المسلمين

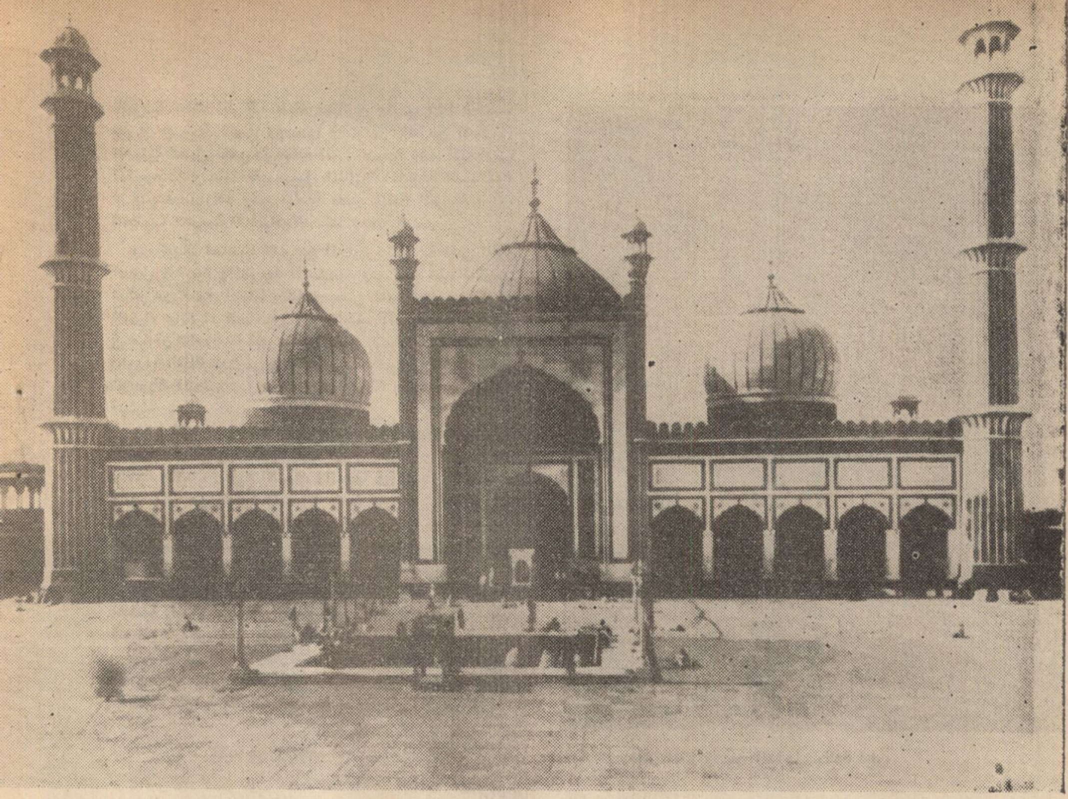

المسجد الجامع بدلهى : وهو آية فى فن المعمار الاسلامى بالهند

يجتمعون فى هذين العيدين فى المساجد المنتشرة فى جميع البلاد للصلاة ، وتنظيم الطوائف الأخرى للحفلات والولائم لاستقبال اخوانهم المسلمين وتهنئتهم بالعيد المبارك ، ويسود الجميع جو من المودة والاخاء والتمنيات المتبادلة .

المسلمون فى الهند .. والحركة الوطنية

وفى ختام هذا التحقيق لابد من الاشارة الى الدور الذى لعبه المسلمون فى الهند تجاه الشعور الوطنى .. ففى خلال معركة الحرية قدموا بعضا من كبار زعمائهم للحركة الوطنية ، فأسماء بدر الدين طيابجى ، وحكيم أجمل خان ، ومولانا محمد على ، ودكتور م.ا. انصارى ومولانا أبو الكلام أزاد ، كلها محفورة فى سجلات معركة عدم العنف الكبرى التى دارت رحاها فى الهند .

ولم يقتصر اشتراك المسلمين على هؤلاء فحسب ، بل هناك كذلك الملايين من أفراد الشعب الذين هبوا للدفاع عن كيانهم ووطنهم وانضموا تحت راية المهاتما غاندى وتقاسموا مع أبناء الشعب كل التضحيات التى تطلبها هذا الكفاح المرير .

هذا ومسلموا الهند اليوم يؤلفون جزءا لايتجزأ من الشعب الهندى ، فهم يعيشون فى وفاق تام مع الجماعات والطوائف الأخرى ، ويتقاسمون واياهم التراث والثقافة القومية العظيمة فى كل ناحية من نواحى الحياة .

أما الدور الذى لعبه المسلمون منذ الاستقلال فى النهوض بالبلاد فقد كان أبعد مدى وأكثر تأثيرا .

ففى البرلمان الهندى الحالى ٥٢ عضوا مسلما ولا يوجد أقل من ستة نوات ووزراء مسلمين فى الحكومة المركزية ، والسيد فضل على ، والسيد ذاكر حسين نائب رئيس جمهورية الهند وهناك قضاة مسلمون وأعضاء فى اللجان العامة لتعيين الموظفين .

كما تعتز حكومة الهند كذلك بعدد من أبنائها المسلمين الذين يخدمونها فى مختلف المستويات ، فهناك السيد عابد على نائب وزير العمل ، والسيد محمد على كريم تشاجلا سفير الهند فى الولايات المتحدة . والسيد حافظ محمد ابراهيم وزير الرى والكهرباء والسيد : محمد عظيم حسين سفير الهند لدى الجمهورية العربية المتحدة وغيرهم كثيرون وكثيرون .

وبعد ...

وبعد هذا المسح الشامل للاسلام والمسلمين فى الهند منذ أضاءها الاسلام حتى اليوم وبعد بيان أثر الاسلام فى التفكير والثقافة الهندية ، وامتزاج الثقافتين الهندية والاسلامية ، ودور المسلمين فى التفاعل الوطنى مع سائر اخوانهم المواطنين فى الهند ..

بعد هذا كله يا أخى ، أرجو أن أكون قد وفقت فى الشخوص الى ذهنك ، وارضاء رغباتك فى حدود ما استطعت .. والله المستعان .. والى لقاء آخر .

من أعلام الإسلام

قيس بن سعد

صاحب لواء النبي ورئيس الشرطة وأمير الصدقة ..

الأستاذ عبد العزيز الإسلامبولي

عملاق من عمالقة الاسلام ، وسيد وابن سيد فى الجاهلية وفى الاسلام ، وزعيم من زعماء العرب غير مدافع ولا ممانع ، ذلكم هو : قيس بن سعد بن عبادة ، ابن دليم بن الخزرج ، المدنى الانصارى ، صاحب رسول الله ، والقائم منه مقام الشرطى من الأمير .

وأبوه : سعد بن عبادة ، سيد الخزرج وأمير الأنصار ، الذى رفض مبايعة أبى بكر وعمر ، لأنه كان يرى مع الخزرج وجماعة من الأوس وكلهم من الأنصار – أنه أحق بالخلافة منهما ، فلما توفى أبو بكر وصار الأمر الى عمر ، عاتبه ، فقال سعد : « كان والله صاحبك (وهو أبو بكر) ، أحب الينا منك ، وقد والله أصبحت كارها لجوارك ، فقال عمر : من كره جوار جاره تحول عنه ، فلم يلبث سعد أن خرج الى الشام مهاجرا ، فمات بحوران » .

***

وهب بارىء النسم لقيس بن سعد بسطة فى الجسم ، وبسطة فى العقل والحكمة والدهاء ، وبراعة المدخل وحسن التدبير ، ونباهة الذكر فى الجود والفتوة والمروءة وطيب الاحدوثة فى الوفاء والأمانة .

أما بسطة الجسم فأوضح مظهر لها ما ذكره ابن قتيبة فى كتابه « المعارف » عن قيس . وقد امتد به الاجل حتى سنة ٦٠ من الهجرة ، فأدرك معاوية أميرا للمؤمنين ، وجرت بينهما أحداث سنعرض لبعضها فى ثنايا المقال .

قال ابن قتيبة : « وكان قيس بن سعد طويلا جسيما ، وكتب ملك الروم الى معاوية : أرسل الى سراويل أجسم أطول رجل عندك ، فقال معاوية : ما أعلمه الا قيس بن سعد ، فقال لقيس : اذا انصرفت فابعث الى سراويلك ، فخلعها ورمى بها اليه ، فقال معاوية : ألا بعثت بها من منزلك ؟ فقال :

أردت لكيلا يعلم الناس أنها
سراويل قيس والوفود شهود

وأن لا يقول الناس بالظن انها
سراويل عادى نمته ثمود

ورواية الذهبى فى « سير النبلاء » ، أن قيصر طلب الى معاوية أن يرسل اليه سراويل أطول رجل من العرب ، فقال لقيس : ما أظننا الا قد احتجنا الى سراويلك ، فقام فتنحى وجاء فألقاها ، فقال له معاوية : ألا ذهبت الى منزلك ثم بعثت بها !

فقال :

أردت بها كى تعلم الناس أنها
سراويل قيس والوفود شهود

وأن لا يقولوا : غاب قيس ، وهذه
سراويل عادى نمته ثمود

وانى من الحى اليمانى سيد
وما الناس الا سيد ومسود

فكدهم بمثلى ، ان مثلى عليهم
شديد ، وخلفى فى الرجال مديد

فأمر معاوية بأطول رجل فى الجيش فوضعت سراويل قيس على أنفه ، قال الرجل : فوقعت بالأرض .

وقد استبعد ابن عبد البر هذا الخبر ، فى حين أثبته من القدامى الاثبات كثيرون منهم أبو العباس المبرد فى كتابه «الكامل» ، وقر عرض لهذا الشعر ، وجاء الشيخ

سيد بن على المرصفى فى كتابه « رغبة الآمل من كتاب الكامل » ، فقال ان قيس بن سعد ، « كان موصوفا مع جماعة ، قد بذوا الناس طولا وجمالا وبعد أن ذكرهم قال : وكان أحد هؤلاء يقبل المرأة على الهودج ، ويقال للرجل منهم : مقبل الظعن » . والظعن بضمتين : جمع الظعينة ، وهى الهودج سواء أكانت فيه امرأة أم لم تكن . وهى أيضا : المرأة ما دامت فى الهودج ، فاذا لم تكن فيه فليست بظعينة . ولست أرى فى هذا الوصف اسرافا ، فقد أطبق جل الذين ترجموا له ، على أنه كان : اذا ركب حمارا خطت رجلاه فى الأرض .

***

أما بسطة العقل والدهاء ، فيؤيدها اجماع المؤرخين ، على أنه « كان من دهاة العرب وذوى الرأى الصائب والمكيدة فى الحرب والنجدة » ، وكان معاوية يسميه « ناب العرب » ، ويقول الزهرى : ان العرب كانت تعد قيسا من دهاتها ، وكان من ذوى الرأى ، وقال : دهاة العرب ، حين ثارت الفتنة خمسة : معـاوية بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، وقيس بن سعد ، والمغيرة ابن شعبة وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى . وظل قيس وحده مع على ، رضى الله عنه ، حتى نهايته .

ويقول قيس عن نفسه (لولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « المكر والخديعة فى النار » لكنت أمكر هذه الامة) ، وهذا الذى يقوله عرف عنه ، وضرب به المثل ، فى الجود والدهاء ، ومن أدلة دهائه وحزمه :

أن الامام على بن أبى طالب أرسله واليا على مصر ، فكتب اليه معاوية وعمرو يدعوانه الى مبايعتهما ، فقال : لولا أن المكر فجور لمكرت مكرا تضطرب منه أهل الشام . ثم كتب اليهما كتابا أغلظ فيه القول ، فكتبا اليه كتابا فيه عنف ، فكتب اليهما بكتاب فيه لين . فلما قرأه ، علما أنهما لا قدرة لهما على مكره . وقال معاوية : لا بد لنا بهذا .

فاذاعا بالشام كذبا أنه تابعهما ، واصطنعا كتابا زعما صدوره من قيس الى معاوية ، يذكر فيه ما أتى الى عثمان من الأمر العظيم ، وانه على السمع والطاعة . وكان حين تولى أمر مصر قد ضبط أمورها ، وامتنع بالمكيدة والدهاء من معاوية وعمرو ، فأغدق الأرزاق على أهل مصر ، فى حين لم يحمل طعاما الى أهل الشام .

لذلك عمد معاوية الى اتمام خدعته ، فنادى فى الناس « الصلاة جامعة » ثم خطب فيهم قائلا : يا أهل الشام ! ان الله ينصر خليفته المظلوم ، ويخذل عدوه ، أبشروا ، هذا قيس بن سعد ، ناب العرب ، قد أبصر الأمر ، ورجع الى الطلب بدم خليفتكم وكتب الى بذلك . وقد أمر بحمل الطعام اليكم ، فادعوا الله لقيس وارفعوا أيديكم . فعجوا وعج معاوية ورفعوا أيديهم ساعة . ثم قال معاوية لعمرو : تحين خروج العيون . ففى سبع ليال أو ثمان يصل الخبر الى على ، فيعزل قيسا ، وكل من ولى مصر كان أهون علينا . فلما بلغ الخبر عليا ، دخل عليه محمد ابن أبى بكر الصديق ، والأشتر ، وذما قيسا ، وجعل على لا يقبل كلامهما لثقته البالغة فى وفاء قيس وأمانته وكرامته ، ولكنهما ما زالا به ، حتى عزله وولى الأشتر مكانه ، فمات مسموما قبل أن يصل الى مصر ، فولى محمد بن أبى بكر .

فلما التقى ابن أبى بكر بقيس ، علم محمد أن عليا قد خدع ، وقال قيس لمحمد : ليس عزلكم اياى بمانعى أن أنصح لكم ، وانا من أمركم هذا على بصيرة ، وانى فى ذلك على الذى كنت أكابد به معاوية وعمرا وأهل خربتا ، فكايدهم به ، فانك ان تكايدهم بغيره تهلك . ووصف له ما يأتى وما يدع من أمره ، فاستغشه محمد بن أبى بكر ، وخالف كل شىء أمره به ، وخرج لحرب أهل خربتا فقاتلوه وهزموه ، ولم يحل منهم بطائل .

والواقع أن الامام عليا لم يكن يرى أصلح لمصر أحدا غير قيس بن سعد ، وقد عارض كثيرا فى عزله ، ولكن المحيطين به ، أوغروا صدره عليه ، واستعانوا بالفرية التى افتراها معاوية وعمرو ، وزاد الأمر ضغثا على أبالة : أنه حين ولى قيس بن سعد أمر مصر ، قال له : سر الى مصر ، فقد وليتكها ، واخرج الى رحلك واجمع اليك ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فان ذلك أرهب لعدوك وأعز لوليك . فقال له قيس : يرحمك الله يا أمير المؤمنين ! والله لئن لم أدخلها الا بجند آتيها به من المدينة لا أدخلنها أبدا ، فأنا أدع ذلك الجند لك ، فان أنت احتجت اليهم كانوا منك قريبا ، وان أردت أن تبعثهم الى وجه من وجوهك كانوا عـدة لك ، وانا أسير اليها بنفسى وأهل بيتى . فخرج قيس فى سبعة نفر من الانصار ، حتى دخل مصر بحيلة دبرها ، وذلك أن خيلا قابلته بالطريق عليها رجال من بـلـدة (خربتا) ، كانوا يطلبون قتلة عثمان ، فلما سـألوه هويته ، قال انه يطلب من يؤوى اليه وينتصر به ، ثم مضوا معه ، حتى أظهر أمره ، بعد أن أطلعهم على كتاب على بولايته ، وبعد أن صعد المنبر وقام فيهم خطيبا ، فبايعه أهل مصر جميعا ، الا جماعة من خربتا أعظموا قتل عثمان واعتزلوا ينتظرون ماذا يتم .

وكتب قيس الى على ، بشان هؤلاء وخشى الذين كانوا الى جوار على ، أن يكون فى الأمر ممالأة فأشاروا عليه أن يأمره بقتال الكافين عنه ، فأمره بقتالهم ، فلم ير قيس ذلك رأيا ، وكتب اليه يقـول : « متى قاتلناهم ساعدوا عليك عدوك ، وهم الآن معتزلون ، والرأى تركهم» فكان ذلك سببا قويا فى ريبة أصحاب على ، فكان أن أشاروا بعزله .

وترك قيس مصر الى المدينة ، وعليها مروان بن الحكم من قبل معاوية ، فعبث به بنو أمية ، نتيجة مؤامرة دبرها مروان ، فلما بلغه أمرها ، قال : والله ان هذا لقبيح أن أفارق عليا وان عزلنى ، والله لألحقن به ، فلحق به وحدثه بما كان يعتمد بمصر ، فعرف على أن قيسا كان يدارى أمرا عظيما بالمكيدة ، ثم ان عليا أطلع قيسا على خطته ، وكشف له الأمر كله . وانتهى الى أن جعله على مقدمة جيشه .

فلما علم معاوية بذلك ، اغتم غما شديدا ، وزادت مخاوفه من قيس ، وبعث الى عامله على المدينة ، مروان ابن الحكم ، يقول : ماذا صنعتم من اخراجكم قيسا الى على ؟ أمددتم عليا به ؟ والله لو أمددتموه بمائة الف مقاتل ، ماكان بأغيظ على من اخراجكم قيسا اليه .

وظل قيس على وفائه ، كريما على نفسه ، لم يتغير لحظة على ما عاهد الله عليه ، ولا احرورف على منهج أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ولا آله ، وحسبه دلالة على ما أسلفنا ، أنه يوم قتل الامام كان قائد المقدمة وفيها خمسة آلاف ، قد حلقوا رؤوسهم ، وكان أول من بادر الى الحسن بن على فبايعه بالخلافة ، وكان الحسن يرى الصلح مع معاوية وكتب اليه يطلب الأمان ، فاجابه معاوية الى جميع ما طلب ، وكتب الحسن الى قيس يامره

بالدخول فى طاعة معاوية ، فأبى ، ولكنه قام فى أصحابه خطيبا ، وقال لهم فى الختام : « ان شئتم جالدت بكم أبدا ، وان شئتم أخذت لكم أمانا » ، فقالوا : خذ لنا أمانا ، فاخذ لهم ولم يأخذ لنفسه خاصة .

وقد عز على معاوية ، فارسل الى قيس يدعوه الى مبايعته ، فأبى أن يلين ، ورد عليه ردا عنيفا ، فأشار عمرو بقتله ، فأبى معاوية ، وقال : أنا لا أقاتله ماوجدت الى الصلح سبيلا ، ثم أرسل الى قيس ورقة مختومة من أسفلها ، وقال له : أشترط فيها ما شئت . فلم يزد على الأمان لشيعة على ، ولم يطلب مالا ولا منصبا لنفسه .

واخيرا التقى الرجلان ، فقال معاوية لقيس : « انما انت حبر من أحبار يهود ، ان ظهرنا عليك قتلناك ، وان ظهرت علينا نزعناك . فقال قيس : انما أنت وأبوك صنمان من أصنام الجاهلية ، دخلتما فى الاسلام كرها ، وخرجتما طوعا » .

***

وارتحل قيس الى المدينة ، ومعه أصحابه ، فجعل ينحر لهم كل يوم جزورا ، وكان هذا دأبه ، وديدن أبيه من قبل .

وهنا تتجلى لنا خصيصة من خصائصه ، فقد ضرب به المثل فى الجود ، حتى لقد كان يستدين ليطعم أصحابه ، وكان له حصن شامخ البناء ، مرتفع الذروة ، ورثه عن آله ، وكان يصعد اليه وينادى فى كل يوم : هلموا الى اللحم والثريد ، قال الامام ابن سيرين : وقد أدركت ابن قيس يصنع صنيع أبيه ، ويقول : من أحب شحما ولحما فليأت .

وتذكر كتب السيرة ، أن سعدا كان يطعم الناس فى أسفاره مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان اذا نفد ما معه استدان . ويقول الواقدى : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعث أبا عبيدة فى سرية فيها المهاجرون والأنصار ، وهم ثلاثمائة ، الى ساحل البحر الى حى من جهينة ، فأصابهم جوع شديد ، فأمر أبو عبيدة بالزاد فجمع ، حتى كانوا يقتسمون التمرة . فقال قيس بن سعد : من يشترى منى تمرا بجزر يوفينى الجزر (الابل) ها هنا . فجعل عمر يقول : يا عجبا لهذا الغلام يدين (أى : يتبايع بالدين) فى مال غيره ! فولد رجلا من جهينة فساومه ، فقال : ما أعرفك ! قال : أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم . فقال : ما أعرفنى بنسبك فابتاع منه خمس جزائر ، كل جزور بوسق (أى حمل بعير) من تمر ، وأشهد له نفرا ، وأبى عمر أن يشهد وقال : هذا يدين ولا مال له ، انما المال لأبيه . فقال الجهنى : والله ما كان سعد ليجنى بابنه فى شقة من تمر ، وأرى وجها حسنا . فنحرها لهم فى ثلاثة مواطن . فلما كان فى اليوم الرابع نهاه أميره أبو عبيدة ، وقال : تريد أن تخرب ذمتك ولا مال لك .

وقد بلغ امر هذه المجاعة الى أبيه (سعد بن عبادة) ، فقال : ان يك قيس كما أعرف فسوف ينحر للقوم ، فلما قدم قص على أبيه الأمر ، وكيف منعوه آخر شىء من النحر ، فكتب له أربع حوائط ، وهى على حد تعبير ابن الأثير : بساتين من النخيل ، فى كل منها خمسون وسقا . فقيل ان النبى صلوات الله عليه ، لما سمع ذلك قال : « أما انه فى بيت جود » .

وظل قيس يستدين ويطعم ، حتى قال ابو بكر وعمر . ان تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه ، فمشيا فى الناس .

ووصل ذلك سعد بن عبادة ، فذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم ، يشكو اليه صنيع أبى بكر وعمر ، ويقول : من يعذرنى من ابن أبى قحافة وابن الخطاب . يبخلان على ابنى !

ولا عجب فى هذا ، فان سعدا كان يحرس رسول الله مخافة عليه ، يوم بدر ، وكان رسول الله قد قال : من جاء بأسير فله سلبه ، فجاء أبو اليسر بأسيرين .

فقال سعد : حرسناك يا رسول الله .. الخ فنزلت الآية (ويسألونك عن الأنفال) .

ولما قدم النبى للمدينة ، كان سعد بن عبادة يبعث اليه كل يوم جفنة من ثريد اللحم ، أو ثريد بلبن ، أو غيره . فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيوت أزواجه . ويذكر ابن سيرين : ان سعدا كان يرجع كل ليلة الى أهله بثمانين من أهل الصفة يعشيهم ، ويقول اللهم هب لى حمدا ومجدا ، اللهم لا يصلحنى القليل ولا أصلح عليه .

ولذلك لا ندهش حين نرى ابنه يسير سيرته ، بل حين نقرأ أن سعدا قسم ماله بين أولاده وخرج الى الشام فمات ، وولد له ولد بعيد وفاته ، فجاء أبو بكر وعمر الى ابنه قيس ، فطلبا اليه أن يرد على هذا الوليد شيئا ، فقال قيس : ما أنا بمغير شيئا صنعه سعد . ثم أردف ذلك بمأثرة تضرب الى الصميم وتبلغ السماكين سجاحة وسماحة وغنى وعزة نفس ، ذلك بأن قال : ولكن نصيبى له . وليس بعد نزوله عن نصيبه كله ، واجلاله لما صنع أبوه ، غاية لمستزيد .

***

ومسك الختام هذه الطرفة التى تبين عن جانب من أعمق طبائع الانسان ، ذلك بأن قيسا باع عقارا بتسعين ألفا ، فأمر من نادى فى المدينة ، من أراد القرض فليأت . فاقرض أربعين ألفا ، ووزع الباقى جوائز وهدايا ، واستكتب من أقرضه صكا . ثم مرض بعد ذلك مرضا قل فيه عواده ، فقال لزوجته وهى قريبة أخت أبى بكر الصديق : لم قل عوادى ؟ قالت : للدين . فارسل الى كل رجل بصكه ، وقال : اللهم ارزقنى مالا وفعالا ، فانه لا يصلح الفعال الا بالمال . ومن ثم ندرك المعنى الجليل لاختيار النبى اياه صاحبا وقيما على الصدقة .

قال المؤرخون : توفى قيس فى آخر خلافة معاوية ، وقد توفى هذا فى سنة ٦٠ للهجرة ، ولم أر من شذ على هذا الاجماع ، الا ابن أياس ، فقد ذكر فى أول كتابه « بدائع الزهور » أن وفاة قيس بن سعد كانت فى سنة ست وثلاثين ، ووقع فى وهم آخر ، حين زعم أن ولايته على مصر ، استمرت أثنتى عشرة سنة ، وأنه تولى عليها سنة خمس وعشرين .

والصحيح أن مدة ولايته بمصر كانت سنة واحدة ، وهى سنة ست وثلاثين من الهجرة ، وليست سنة وفاته ، رضى الله عن ذلكم الصحابى الجليل ، الذى حظى بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عشر سنوات ، هى أبقى على الزمن من الزمن ، يمنا وبركة .

التبشير في أفريقيا.. ينحدر إلى الهاوية..

تحقيق صحفي قام بإعداده

حامد المرسى تقى الدين

* فشل التبشير . وكشفت مؤامراته ..
* المبشرون أفاقون فى مسوح رهبان ..
* أنفق الاستعمار المليارات لتنصر مسلم فلم يستطع ..
* الاسلام انتشر بالمبادىء والمثل ..

سينتشر الاسلام ويعلو .. رغم أنف الصهيونية ..

سينتشر الاسلام ويعلو .. رغم أنف المبشرين .

سينتشر ويعم أرجاء المعمورة . وسينطق كل شبر منها « لا اله الا الله . محمد رسول الله » تسقط الصهيونية ..

ان الاسلام بطبيعته التى أعطاها الله له . طبيعة كلها حيوية ، كلها حياة « طبيعة الفطرة .. طبيعة السلام والأمان »

فهو دين سمح يخلق فى أتباعه روح العزة والكرامة ، ويدخل فى حياتهم معنى الديمقراطية الاجتماعية الحقة ، التى لا تعترف بتفاضل بين الشعوب ، لا تعترف بتفاضل بين فرد وآخر ، الا على أساس من التقوى والعمل الطيب .

فليس للحسب ولا للنسب ولا للثراء المادى ولا للعنصرية ، أقل اعتبار فى نظر العقيدة الاسلامية .

من أجل هذا أحب الافريقيون الاسلام ، كما أحبه بقية الشعوب ، واتخذوا من تعاليمه أساسا لتنظيم حياتهم الاجتماعية والسياسية ، وقد كان لدخول الاسلام فى أفريقيا من غير شك أثر واضح فى تشكيل حياة الناس الاجتماعية والفكرية ، وفى احداث نوع من التطور الشامل ..

وأدى الاسلام دوره فى طبع حياة الافريقيين بالطابع الحضارى المزدهر ، وأتيحت لهم الفرص الكريمة للاتصال بالعالم الخارجى على قدم المساواة ..

واستطاع الاسلام أن يقضى على الحروب القبلية فى افريقيا ، وخلق حالة من الأمن والاستقرار ..

ورأى الاستعمار أن انتشار هذه المبادىء سيقضى على مصالحه فى الشرق فأرسل المبشرين ليحولوا الناس عن هذا الدين . ويقضوا على هذه المبادىء السامية ، التى حالت دون استغلاله لموارد هذه البلاد ..

وأنفق مليارات الدولارات والفرنكات لتحقيق أهدافه واستغل الاستعمار شيئين هامين وهما « الفقر والمرض » فى كثير من حالات التنصر .

واستعمل كل دهائه فى خلق طرق لانصراف الناس عن هذا الدين وتحويلهم عن هذه المبادىء .. ابتسامة عذبة ، كلمة طيبة ، احسان منظم ، ويظهر أن كل هذا لغرض نبيل أو عمل انسانى جليل ، والحق أن لا شىء من هذا كله ، انما ظاهره فيه الرحمة وباطنه فيه العذاب ..

وأراد المستعمرون أن يجتثوا القومية ، وينتزعوا العقيدة الدينية .. وما الوطن الا قومية وعقيدة ، فاذا انتزعوا شيئا من ذلك ، ذهب الوطن ، وذهبت معه الحياة وتعرضت القارة الآمنة المطمئنة فى عصورها الحديثة للمؤامرات التى لعب أحط أدوارها « ساسة أفاقون . وتجار مخادعون متدثرون فى مسوح الرهبان »

واتجهت أنظار الأوربيين الى القارة الوديعة ، بغية احتكار موارد البلاد وايجاد سوق لتصريف المنتجات واستغلال رءوس الأموال .

ولا يمكن أن يفصل أغراض وتاريخ المبشرين ، عن الدوافع الاستعمارية ، وتاريخ الاستعمار .

ان هدفهم المستور معاونة الحكم الاستعمارى وتهيئة العقول والأفكار للتبشير بسيادة الرجل الأبيض المستغل، قبل التبشير برسالة السيد المسيح .

ولعل أبلغ وصف لتلك المآسى ما قاله أحد الزعماء الافريقيين المتحررين ، يصف الأوربيين عندما دخلوا البلاد :

« كانوا يملكون الانجيل ، وكنا نملك الأرض ، أما الآن فقد أعطونا الانجيل وأخذوا منا الأرض » .

ورغم هذا كله فشل المبشرون ، وسقط القناع عن هؤلاء عندما وقف الرجل الأوربى موقف السيادة والتسلط واستغلال خيرات البلاد .

واستطاع الافريقيون أن يحافظوا على عقيدتهم الروحية ومقدساتهم الدينية ، واستردوا كل حقوقهم كاملة بفضل الاسلام ويئس الاستعمار من ألاعيبه ومكره وخداعه أمام جلال القرآن .

وفشل التبشير وبالتالى فشل معه الاستعمار وأخذ عصاه على كاهله ورحل عن هذه القارة العذراء .

وسيعود الاستعمار مطأطىء الرأس أمام عظمة الاسلام. مقيدا نفسه بالاغلال امام جبروته معلنا فى خشية « الاسلام دين السلام » .

وايمانا من مجلة « منبر الاسلام » بسمو الدعوة الملقاة على عاتقها تقدم هذا التحقيق لتكشف للعالم حيل

الاستعمار فى استعمار الشعوب واستغلال مواردهـا والسيطرة عليها .

وقد التقينا بالسيد بشير حسن ، عضو « نقابة العمال » السنغالية وأجرينا معه هذا الحديث لنعرف مدى نجاح التبشير فى افريقيا عامة وفى السنغال بوجه خاص ..

فسألت سيادته عن الأسباب التى أدت الى دخول التبشير البلاد ومدى نجاحه ومقوماته ؟

وأجاب سيادته قائلا :

كان دخول التبشير « السنغال » فى بادىء الأمر دخولا « سياسيا » أى لأجل الاستعمار .. وحاولوا بطرقهم الخادعة وأساليبهم الماكرة لتحويل المسلمين عن دينهم الحقيقى وأظهروا للناس أنهم هم البلسم الشافى والدواء الناجح ..

***

المبشرون يلجأون الى الوثنيين

وقال سيادته :

لكن أهل البلاد لم ينخدعوا بمكرهم وفشلوا فى أداء مهمتهم ، وعند ذلك لجأوا الى الوثنيين « اللا دينيين » وبدأوا ينشرون الدين المسيحى بينهم وانقسموا الى قسمين :

الأول : يعمل بالتدريس فى مدارس السنغال ، بدأوا يدرسون المقررات للطلبة ومن شدة ايمان النـاس بالاسلام ، لم يمكنوهم بأن يتعرضوا للدين مطلقا بأى حال من الأحوال .

وكانوا يخصصـــون بعض الوقت لتدريس الدين المسيحى « للمسيحيين ، والوثنيين » وكانوا يأخذون أولاد الوثنيين يربونهم وينفقون عليهم .

والقسم الثانى : كان يعمل بالوظائف الحكومية ، وكان متفرقا فى جميع وظائف الدولة ، فحاول انفاذ السموم فى عقول المواطنين وبث دعايته الضالة المجرمة ولكن الاسلام كان أقوى .

وقال سيادته :

لقد وجد المبشرون الطـريق مقفلا أمامهم من جانب المسلمين ، ووجدوا طريقهم الوحيـد « المسيحيين والوثنيين » أيضا ، وكان محظورا عليهم أن يكلموا واحدا من المسلمين .

***

المبشرون آلة الاستعمار

وظل سيادته يقول :

والسبب الوحيد فى دخول التبشير السنغال .. هو .. الاستعمار . أتى به ظنا منــه أنه سيكون آلة يستخدمها فى استغلال موارد البلاد .

« مليارات الفرنكات بلا جدوى »

واستعمل كل أساليبه فى تحويل الناس عن عقائدهم من دهاء الى خداع .. الى غش .. الى مكر .

ولكن .. فشل التبشير فشلا ذريعا ولم يحولوا من أبناء المسلمين أحدا مطلقا ، رغم انفاقهم فى سبيل ذلك مليارات الفرنكات .. وبالتالى فشل معه الاستعمار .

***

« أسباب فشل التبشير »

وقال سيادته :

عندما قدم المبشرون ، كان الاسـلام فى عنفوانه ، والعقيدة الدينية راسخة فى قلوب المسلمين رسوخ الجبل الأشم .

ولما بدأوا فى نشر مبادئهم الهدامة .. أقام العلماء خطاباتهم فى الأماكن العامة وأقامت مشايخ الطرق احتفالاتها ، وأقام الوعاظ ارشاداتهم .. لتوعية النـاس من كل هذه الدعايات السامة ، والمبادىء الهدامة ، وتحذير الناس من هؤلاء المضللين الخائنين .

« اسلام حقيقى »

ومما يدل على تمسك السنغاليين بدينهم الاسلامى ، ومحافظتهم على مبادئه .. أن كل فرد فى السنغال يحفظ القرآن الكريم ، ولو لم يعرف اللغة العربية وبعد حفظ القرآن يخصص له عالم من العلماء ، يجلس اليه ، يسأله عن كل ما يدور بعقله من أمور دينه ودنياه .

ويقول سيادته :

والفرد بعد ما يحفظ القرآن ويجلس أمام الشيخ ويقرأ « الخليل » كتاب فقه ، ويقرأ « الرسالة » كتاب فقه أيضا ، لا يستطيع أحد أن يحوله عن دينه ولا يخدعه أو يغشه ..

فالسنغاليون يعرفون كل شىء عن دينهم وان لم يعرفوا اللغة العربية ، وأنا شخصيا لا أعرف اللغة العربية ، ومع ذلك أعرف كل شىء عن دينى الاسلامى وأحفظ القرآن الكريم .

***

أسباب انتشار التبشير فى افريقيا

وانتشر التبشير فى افريقيا بالذات .. لأن الأديان عامة لم تدخل هذه البلاد ، كان بعض بلاد افريقيا ليس فيها اسلام وليس فيها مسيحية ، وكل ما فيها «وثنيون» فبعضهم يعبد الحجارة ، وبعضهم يعبد الشمس الخ .. فعجل الاستعمار بدخول التبشير فى هذه البلاد ، لأن أى دين يأتى اليهم سيعتنقوه ، وكانت هذه البلاد تعلم أن كل الأديان من الله .. فاستغل الاستعمار هذه الفرصة ، وفيه شىء آخر ، وهو أن المسيحية تبيح أشياء كثيرة يحرمها الاسلام فلم يدخل الاسلام بسرعة فى هذه البلاد كما دخل السنغال ..

***

« السنغال والبلاد العربية »

وقال سيادته :

لقد من الله على السنغاليين بالرحمة ، فدخل الاسلام بلادهم قبل أن تدخل المسيحية ، واستقبله النـاس بالترحاب . ودخلوا فيه آمنين .

وتكاد تكون السنغال كلها اسلامية فنسبة المسلمين فيها ٩٥٪ وكان ذلك نتيجة مجاورة السنغال للدول العربية أكثر من غيرها فانتقل الاسلام اليهم فى عهد الفتح الاسلامى ، وكان لعقبة بن نافع أثر طيب فى اسلام هذه البلاد ، وله ذكرى طيبة فى قلوب السنغاليين .

***

« الاسلام انتشر فى بلاد المسيحية »

ومع أن المسيحية تغلغلت فى هذه البلاد ، الا أن الاسلام قد تمكن من الانتشار فيها ، بمبادئه السامية ، ومثله العليا ، وبخاصة فى « ابيجار » كان جميع أهلها « وثنيين » وكان لا يوجد بها مسلم واحد .

أما الآن وقد أصبحوا جميعا مسلمين ، يعبدون ربا واحدا ويتجهون الى قبلة واحدة .

وأصبحت البلدة كلها مساجد تنادى « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

عزيزى القارىء :

***

ان الاسلام عقبة فى وجه الاستعمار ، والمعرقل الوحيد لاحتكار الشعوب ، ويحاول الاستعمار بكل الطرق القضاء عليه .

ولكن .. الاسلام سينتشر رغم أنفه ، سينتشر ويعم أرجاء العالم ، وسيشهد كل شبر فى الارض « انه لا سلام الا بالاسلام » « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

ندوة الشهر

دور الفتاة فى المجتمع الجديد ..

الأستاذ عبد الرحمن الشربينى

فتاة اليوم أم المستقبل ..

وبقدر العناية بتنشئة فتاة اليوم .. بقدر ماسيكون لها من شأن عظيم حينما تصبح أما تنشىء للشعب رجالا ..

فالام مدرسة اذا أعددتها

أعددت شعبا طيب الاعراق

وفى المدرسة الاعدادية النموذجية بمصر الجديدة .. احدى النماذج الحية للمصنع البشرى الذى تصنع فيه فتاة المجتمع الجديدة كنا على موعد مع الندوة التى اقامتها المدرسة عن دور الفتاة فى المجتمع الجديد .

تحدث فى الندوة :

١ ـ الدكتورة حكمت أبو زيد وزيرة الشئون الاجتماعية .

٢ ـ الاستاذ عبد العزيز السيد المدير العام للمنطقة التعليمية .

٣ ـ العقيد عز الدين فرج .

قال الاستاذ عبد العزيز السيد عن مفاهيم المجتمع الجديدة :

ـ لقد فكرت فى مفهوم المجتمع ولماذا نسميه جديدا؟ وما هى المفاهيم القديمة ولماذا غيرناها ؟

انا نبنى المجتمع بالعلم .. بالايمان .. بالتعاون .. بالاشتراك .. بالعقيدة .. بالعمل .. فاذا كانت كل هذه الوسائل قد أصبحت جديدة لاننا جددنا كل مايتصل بها بدافع من ثورتنا وتحررنا ، فلا بد أن يصبح المجتمع الذى نبنيه بتلك الوسائل جديدا من غير شك .

افضل البنت على الولد

واستطرد يقول :

وفى مجال بناء هـذا المجتمع الجديد .. أستطيع أن أؤكد أننى **أفضل الفتاة على الفتى .. البنت على الولد ..**

وليس ذلك لانها مكسورة الجناح كما يتحدث بذلك بعض الناس ، **وانما لانها طاقة وقوة .. لها دور خطير .. فهى بنت .. فزوجة .. فأم .. تهز المهد بيديها فتهز الدنيا بأسرها .**

فالمهمة الملقاة على عاتقها هى مهمة خطيرة فى امة تصطرع مع عوامل داخلية وخارجية .. تشكل التاريخ وتعدل المنحنيات فى طريقها ..

ان البلد الذى أنجبت جمال عبد الناصر انما مصدره أم .. وكل فتاة اذا ما أحسن تربيتها تستطيع ان تكون أما وتنجب جمالا .

الانوثة ضرورة

أريد للبنت أن تبقى على أنوثتها .. ولا تكون رجلا أو تكون عسكرية فى تكوينها .

ولكنى أريدها فى المحافظة على دينها وفى روحها وسماتها وطاعتها وسيرتها عسكرية مائة فى المائة .

وختم حديثه راجيا كل توفيق للقائمين بتلك الرسالة الخطيرة .. رسالة الفتاة .

الروح العسكرية للفتاة

وتحدث العقيد عز الدين فراج عن الناحية العسكرية فقال :

ـ ماذا لو أن الام لم تساهم بنشاطها فى خلق روح عسكرية فى المجتمع ؟

ماذا يحدث للجيش لو وقفت الام موقفا سلبيا ؟

واخذ يعقد مقارنة بين الجندية القديمة والجندية الحديثة فى بعض البلدان فقال :

واخذ يعقد مقارنة بين الجندية القديمة والجندية الحديثة فى بعض البلدان فقال :

ففى انجلترا قال أحد العسكريين ان الجندية الحديثة أقل كفاءة من الجندية القديمة .

لان الجندى اليوم أصبح لا يفكر الا فى حماية نفسه أولا .. وما ذلك الا لان سيطرة عميقة من تأثير الام تكسر معنويته ..

الجندى الهارب

وضرب مثلا لاثنين من عساكر الجندية الحديثة احدهما هرب من وحدته ذات يوم ، فلما سئل لماذا هرب قال كنت فى وحدة قريبة من أمى عندما هربت .

أما الثانى فقد رفض أن يهبط بالبراشوت فى احدى مناورات فرقته ، فلما سئل لماذا لم يقفز قال : ان أمى منعتنى من أن أزاول أى قفزة خوفا على حياتى .

حرية غير مستحبة

وفى أمريكا ..

يبدو من تصرفات الجنود التى تشاهدها اينما حلوا وأينما توجهوا ، أن هؤلاء الجنود على درجة كبيرة من الحرية غير المستحبة ، والتصرفات الوقحة المجوجة .
ولئن كان لذلك من سبب أساسى فانما هو الام الحديثة فى أمريكا بالذات .

أثر الام على الجندية

واستطرد يقول :

ـ ان الام هى التى تصنع القوة فى نفس الجندى .. كما انها ايضا هى التى تزرع فى نفسه الباعث على التقاعس والخنزلان ..

ان ما يجرى من دماء نقية فى دم الامهات هوالباعث الحق على خلق الجندى الحديث .. وهى كذلك الاساس الاول فى خلق جندى خائف أو جندى شجاع .

خطة الفتاة فى المجتمع

وقالت الدكتورة حكمت ابو زيد :

ـ هذا الموضوع شيق وشائك .. شيق لانه موضوع اهتمامنا جميعا فى الوقت الحالى ..

وشائك لانه معقد .. ليس من السهل وضع خطة ومقترحات للتنفيذ لكل ما تسير فيه تلك الفتاة .. سنجد الصعوبات الكثيرة فى سبيلنا .. فليس المهم أن نضع الخطط للمجتمع الخير .. وانما المهم أن نضع الخطط موضع التنفيذ .

لماذا نهتم بالفتاة

حينما تشترك الفتاة فى المجتمع فهى ركن فى هذا المجتمع .. لها اهمية اكبر من الفتى لا لانها تسهم بنصيب اكبر ، وانما لانها ربة اسرة .. تظل مع الاولاد اكبر فترة .. فهى اكثر تأثيرا من هذه الناحية .. ومن اجل هذا جاء الاهتمام بدور الفتاة فى المجتمع الجديد .

التكيف بالمجتمع

ان المجتمع لايبنى على سواعد الدولة فحسب .. فلا يكفى مثلا أن تتخذ الدولة قرارا بمنح المرأة حقوقها السياسية .. أو تقوم بفتح المدارس على مصراعيها أمام الفتاة لتتلقى التعليم ، وانما المهم هو أن تتكيف الفتاة بالمجتمع الجديد .

ترجمة التوعية

وهناك مهمة أخرى خطيرة تنتظر الفتاة ..

المجتمع الجديد له ملامح صنعناها فى مفاهيم نرددها فى كل مكان .. وهذه التوعية النظرية ليست كافية لبناء هذا المجتمع .. انما لابد من ترجمتها الى سلوك وعمل وفعل .. هذا هو واجب أم المستقبل .. بل هو أيضا واجب الوالد والوالدة اللذين يعدان للمستقبل فتاة اليوم وأم الغد .. يجب أن نحول الاشتراكية والتعاونية الى مفاهيم لا لمجرد أن تجيب عليها الفتاة فى الامتحان ، وانما الى سلوك فى كل ما تفعل وفى كل ما تقول .

بين الماضى والحاضر

كيف اذن نبنى الفتاة على هذا الاساس ؟

المجتمع له بقية فى رواسب نفوسنا .. والفتاة ترسف فى تقاليد الماضى ..

فكيف توفق الفتاة بين الجديد ومفاهيمه ؟ وبين معاملة الماضى التى تلقاها فى بقية من التقاليد التى ترسف فى قيودها ؟

وهنا .. تكون مهمة الاباء .. ومهمة المدارس .. ومهمة المجتمع على وجه العموم .

جميع الامكانيات تعمل فى خدمة الفتاة لتخف من حدة الصراع حين تنتقل من القديم الى الجديد ..

يجب أن نحد من تفكيرها فى الكماليات والا نجعلها تستغرق وقتها الكثير فيها .

يجب أن نعلمها أن الضروريات هى المهمة ، وكيف نربط على بطوننا فى سبيل تكوين المجتمع الجديد ..

المجلات تعنى بالمظاهر والزينة .. وتسرع الفتاة لشرائها لتقع عينها أول ما تقع على المودات والصور الخليعة ..

يجب أن نحول بينها وبين ما يقع بصرها عليه فى هذه المجلات ..

يجب أن تفهم الفتاة ان الانوثة فى البساطة .. تعتمد على نمو شخصيتها حتى تسيطر بها على الجميع ..

بين وظيفتين

الفتاة رضيت أم كرهت لابد أن تخرج لميدان العمل .. ستكون ربة بيت فى يوم من الايام .. ولابد لها أن تساعد أسرتها على مهمات الحياة .

فكيف نوفق بين العملين ؟ ..

وظيفة الطبيعة .. ووظيفة العمل .

مهمة خطيرة يجب على المدرسة والمجتمع أن يتعاونا فى اعداد الفتاة لها .

انها ليست مهمة الام فحسب .. انما هى مهمة المواطن الاشتراكى .. تتعلم كيف تأخذ وتعطى .. اذا أعطاها .. لابد أن تتعود الشعور بالمسئولية .. اخذت يوما من أبيها فلابد أن تعطيه فى المستقبل مثلما أعطاها حتى تتعود الشعور بالمسئولية بالاحساسات الواجبة .. بالتضحية .. وكل هذه أهداف ومستويات يتطلبها المجتمع الجديد .

من ادعاءات
المستشرقين

الدكتور محمد صلاح الدين علي مجاور

يحتل الحديث عن بحيرى الراهب الكثير من تفكير المستشرقين ويذهب خيـــالهم فيه مذاهب شتى وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقة التى كانت بينه وبين نبى الاسلام محمد - صلى الله عليه وسلم - وهم فى حديثهم عن هذه العلاقة ومداها يوسعون دائرتها ويجعلون من بحيرى رائد النبى وملهمه وواضع دينه ومؤلف قرآنه ، وهم فى هذا يرمون الى النيـــل من صاحب الرسالة والطعن فى دينه وأن ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - ليس وحيا يوحى ولا كتابا منزلا ولكنه كـــلام من صنع بحيرى وتفكيره ، هذا ما يراه الكثيرون منهم، وليس أدل من هذا على تخبط التفكير وسوء الدافع والبعد عن النظرة العلمية التى لا تعرف التحيز ولا التعصب · ولست أدرى ماذا يقول هؤلاء لنفر آخر منهم يرى أن محمدا هو صانع دينه وواضع قرآنه وكان ذهنه يتفتق عن هذا الأسلوب المعجز فى فترات من الغيبوبة التى كانت تصيبه نتيجـة مرض كان يلازمـــه ؟ حقيقة أن الاتجاهين يتفقان فى الغـاية وهى الحط من قدر الاسلام وأنه ليس دينا سماويا ولكن يبدو الاختلاف واضـــحا فى وجهتى النظر ··

لقد كان بحيرى رائدا من رواد الرهبنة فى كنيسته وصاحب مدرسة دينية ومن قادة التفكير المسيحى فى القرن السادس الميلادى ولكن كان له رأيه فى الصليب مما أغضب رجال الكنيسة ودفعهم الى طرده منها · وهو فى هذا يرى أن الصليب الذى يجب أن يقدسه كل مسيحى هو ذلك الصليب الذى صلب عليـــه المسيح نفسه والذى حمله على كتفه وسار به الى مكان صلبه ، هذا الذى كان مصنوعا من الخشب وليس أى صليب آخر · فليس من المسيحية فى شىء أن تركع أمام صليب من حجر أو فضة أو ذهب أو نحو ذلك· فهو لم يطرد من الكنيسة لثورته على الصليب وانتقـــاده له وانما طرد بسبب وجهة نظره هذه ·

خرج بحيرى ووجهته مدينة يثرب (المدينة) حيث فكر أن يخلو للعبادة ولـكنه عرج فى طريقه على جبل الطور فى صحراء سيناء ووقف فوق قمة الجبل يناجى الاله كما سبق لموسى أن ناجاه ويتم بحيرى قصته كما تصـــورها فيقول : وفجأة يظهر نور من عند الله ورأيت ملاكا قريبا منى فركعت مبتهلا أمامه فقال لى : تشجع يابحيرى (سارجيس Sargis) ولا تخف ونظرت حولى فرأيت أربع نوافذ فى الجنة وأبصرت ضوءا أنار الدنيا كلها فى قوة توازى قوة ضوء الشمس سبع مرات ·· ثم تحدث عن مشاهداته فى الجنة وزاد خياله خصبا فاسترسل فى أمور لا داعى للاستمرار فى سردها · ولكن هناك أمرا يمس موضـوع حديثنا يدعى أنه شاهد ضمن ما شاهد ورأى

فى طور سيناء ذلك أنه يقول أنه رأى وأخبر أن فرع اسماعيل من العرب سينتصر وسيبنى ملكا عضودا وقد أدرك أن عليه أن يعمل على تحقيق هذه الرؤيا ٠

اتجه بحيرى نحو يثرب ليعيش فى أطرافها وبعد أن مكث أربعين عاما جاءه أحد الرهبان من أصدقائه ويدعى مرهب وطرق باب بحيرى ففتح له واستقبله بحيرى بالعناق ثم بالبكاء والندم ، هكذا يروى مرهب فى الوثيقة التى عثر عليها والتى كتب عنها ريتشارد جوتيل Richard Gattheil الألمانى ٠ ولقد كان بكاؤه وندمه على ما فرط منه من تنكر للمسيحية وخدمة لهذا الدين الذى ذاع وانتشر وكاد أن يهدد المسيحية ٠

جلس بحيرى مجلس الاعتراف من صديقه مرهب يقص القصة وقد بدأها بالحديث عن رحلته فى طورسيناء وما رأى ثم سرد له علاقته بهذا الدين الجديد ونبيه وكيف أنه هو الذى شيد هذا الدين وأقامه وكيف أنه دعم محمدا وشجعه وأيده ، قال بحيرى ان الرؤيا التى رأيتها خاصة بسلالة اسماعيل جعلتنى أقدم الى هذه الأرض وفى راسى شحنة من الايمان بأنه لا بد من العمل لتحقيق هذا استجابة لما رأيت فهذا أمر الاله ولا مفر من تنفيذه وقبوله٠ رأيت محمدا فرأيت فيه نجابة وذكاء وحسن تصرف ولمست فيه شخصية وقوة فقلت له ان قومك فى حاجة الى من يقودهم فهم ان وجدوا القائد حكموا الدنيا وأنت خير من يقوم بهذه القيادة ويتصدر لها ٠ فقال محمد وماذا أفعل لأكون سيدهم ؟ فقلت له ادع النبوة فيهم وقل لهم اننى رسول من عند الله ٠ فقال محمد ولكن ما دليلى ؟ ان لكل نبى معجزة فما معجزتى ؟ فقلت له هون عليك فسأكفل لك هذا بكلام يبهرهم ويأخذ بقلوبهم ولا يستطيعون الاتيان بمثله ٠ وهكذا ذهب محمد الى قومه واعلن نبوته بينهم وكان كلما اشتد الجدل بينهم وبينه جاءنى على عجل فأضع له قرآنا يرد فيه على أسئلتهم فهم حينما سألوه صف لنا ربك ، علمته « **قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** » وحينما سألوه وعيروه بأنه أبتر لا ولد له وانه لا شيء عنده ، علمته « **انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر** » وهكذا حتى علمته القرآن كله ٠ وهأنذا الآن يامرهب أعض بنان الندم على ما فرطت حتى ثبتت دعائم هذا الدين وذاك أمره لا فى جزيرة العرب وحدها ولكن خارج حدودها وغدا سيتجاوز أمره ممالك الفرس والروم ٠ كم أنا نادم فاسأل التوبة لى والغفران من أجلى ٠

والقصة فى اختراعها ليست محبوكة

ولا معقولة فهى تحاول التماس العذر لبحيرى فى أنه انما كان يعتقد رؤيا الهية رآها واذا كان الأمر كذلك فلماذا الندم ولماذا البكاء ؟ اذا كان بحيرى قد رأى ذلك فلماذا اذن عذاب النفس وتأنيب الضمير ؟ الا أنه الكذب والافتراء الذى لا يقف على قدمين !

ثم متى جاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى بحيرى وكم مرة قابله قبل رسالته حتى يلمس فيه ما لمس ؟ وكيف يقبل انسان مثل محمد يعترف له بحيرى نفسه بقوة الشخصية أن يكون أداة فى يد من لا يحسن معرفته ؟ ويقبل توجيهه نحو أمر ليس من السهل الصمود فيه الا لمن كان مدعما بمثل ما دعم به الرسل من قبل ؟ واذا سلمنا جدلا أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قابل بحيرى فى ذهابه للتجارة بالشام وعودته منها وهو يعمل للسيدة خديجة فالثابت تاريخيا أنه لم يذهب للتجارة قبل البعثة بسنوات فهل كان اعلان النبوة أمرا متفقا عليه بينه وبين بحيرى من حيث الزمن حتى يعلنها وفى أى عام ؟ كذلك ثبت فعلا أن الرسول لم يول وجهه شطر المدينة منذ البعثة حتى الهجرة المباركة فكيف كان يتلقى من بحيرى آياته وقرآنه ؟ لم يدع محمد أنه ليس من طبيعة البشر وليس فى قدرته ـ الا اذا أيدته قدرة خارقة أو قدرة الهية ـ أن يقطع المسافة بين مكة والمدينة فى السنوات الثلاث عشرة قبل الهجرة وهى أكثر من سبعمائة ميل فى ساعات يتلقى وحيه من بحيرى ثم يعود لمواجهة مشركى قريش ؟ ان الصراع الفكرى والصراع الايدلوجى فوق صراع العقيدة ما انقطع يوما ولا هدأت حدته بين محمد وجماعة قريش لحظة ، فكيف كان

يسلك محمد معهم ومصدر وحيه يبعد عنه بحوالى سبعمائة ميــــل أو تزيد ؟ لم يكن التليفون قد اخترع ولم تكن الطائرات النفاثة قد وجدت ولكنه الكذب يعمى صاحبـــه عن أوضح السبل •

ثم تعالوا بنا نحتكم الى العقل والمنطق ، تعالوا بنا نضع القرآن فى صياغته وعروبته ونضع بجانبه لسان بحيرى، أليس هذا أعجميا وذاك لسان عربى مبين ؟ كيف يتسنى لرجل عاش سريانى اللسان سريانى التفكير، واذا نطق العربية فبلكنة سريانية كيف يتسنى له أن يضع هذا اللون المعجز من الأساليب والذى عجزت الالسنة العربية على مر الدهور أن تاتى بمثله أو بسورة منه ؟

الحقيقة أن الاختلاق والتزييف واضحان تمام الوضوح فى هذه الأسطورة وليس غريبا أن يحاول بعض المشتغلين بالاسلاميات من غير المسلمين أن يدسوا على هذا الدين وأن يكيدوا له وأن يفتروا عليه من الأكاذيب ما شاءوا ، فهو الدين الذى لا يستطيعون الطعن فى دعوته الى الوحدانية الخالصة وفى ابرازه لكثير من القيم وتحديه وهجومه على كثير من التفكير غير الدينى الذى تبنته بعض الأديان الأخرى• لا غرابة فى هذا فهو الدين الذى حطم سلطة الكنيسة وقضى عليها ، وهو الدين الذى قضى على سلطة رجالها وجعل العلاقة بين الفرد وربه علاقة مباشرة لا توسط فيها ولا واسطة ، وهو الدين الذى يرى أن الله واحد لا ارتباط بينه وبين أى لون من ألوان النبوة أو الأبوة ، وبذلك هدم أساسا من أسس العقيدة المسيحية فهو فى الواقع ثورة على معتقدات لا مبرر لها ، وثورة على طبقية رجعية أقامتها الكنيســـة لتثبيت سلطانها • ولا يضير الاســلام ما يقولون فقد سبق أن حاربوه بالقوة وأردوا أن يطفئوا نور الله ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون •

سلام

ان قضية السلام ليست قضية العصر الحديث ،وانما هى قضية أجيال سالفة ، ترجع الى الوراء آلاف السنين ومن ثم فهى ليست قضية عصر الاسلام .

وجدت تلك القضية منذ شعر الانسان بحاجته الى الاجتماع بأخيه الانسان ، ليتعاونا فى التخلص من قسوة الطبيعة ، وضراوة الكائنات التى تشاركهما الحيـــاة . وتقاسمها الارض .

فهى لم توجد الا حينما شعر الانسان بحاجتـــه الى السلام فى مواجهة تلك المخاوف ، فاندفع فى كل طريق يغلب على ظنه أنه يوصله الى مايحتاجه من السلام .

وعاش فى الارض فترة ظن فى مبتدئها انه وصل الى ما يبغى ، فامن على نفسه أخطار الطبيعة ، وافتراس الوحوش .

ولكنه ماكاد يستشعر الامن ، حتى أحس الاضطـراب والقلق مازالا يقلقان حياته .. !

فقد أثارت حياة بعضهم الهانئة أطماع البعض الاخر .

ولم يجد هذا البعض من طريقة يصل بها الى مايريد سوى القهر والغلبة ، فأعد نفسه ، وشن هجومه ، وما درى أنه بذلك قد نقض البيت على رأسه ورأس أخيه ولقد صور القرآن ذلك الحال فى قوله :

« واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قــربانا فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل من الاخر ، قال لاقتلنك، قال انما يتقبل الله من المتقين .

« لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين .

« انى أريد أن تبوء بائمى واثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين .

« فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فاصبح من الخاسرين . »

الاسلام

الأستاذ ابراهيم عوضين

وظل التطاحن بين بنى الانسان قرونا ، جرت فيها الدماء فى كل بقعة ، واختفت فى طواياها معالم السلام ، واصبحت كلمة من الكلمات الخيالية ، تراود بعض الرؤس فيما يشبه الاحلام .

وكما لا يستطيع كل الناس أن يتحدثوا بما يتراءى لهم فى نومهم ، فكذلك لم يستطع كل حالم بالسلام أن يتحدث بما يتردد فى فكره ، محتفظا لنفسه بين قومه بالمركز والسلطان ، والا نبذ وعد جبانا خائنا .

وهكذا اصبحت قضية السلام أوسع دائرة ، واحكم عقدة منها فى العهد الاول .

فمشكلتها هناك الوصول الى حل .

ومشكلتها هنا الوصول الى من يبحث عن الحل . او الكشف على جرىء يواجه قومه بانه يبحث أمرا كهذا الامر .

* * *

ومع الايام تفاقمت الاحداث ، وبشعت الحروب ،فثارت هنالك بعض النفوس ، تطالب بالنظر فى تلك القضية والبحث عن حل لها .

وكم كانت دهشتها حين وجدت بجوارها من يشاركها الرأى ، ويوافق على ما تطلب .

وتمخضت تلك عن عقد معاهدات وأحلاف ، تضمن السلام لمن يتجاورون ، وبذلك خفتت الحروب بعد أن ضاقت دائرتها ، وأصبحت بين جماعات متباعدة .

وكان لكل جماعة فى معاهداتها وتحالفها نظاما ،تختلف فيه عن غيرها من الجماعات .

ولعل أوضح نموذج أمامنا ، وادناه منا ، ما كان من العرب فى ذلك الشأن ، فقد جعلوا أيام السنة قسمين، حرموا فى أحدهما الحرب ، واتفقوا على أن العرب جميعا خصوم من يبدأ بالحرب فى تلك الفترة من كل عام ، وأطلقوا على تلك الفترة « الاشهر الحرم » وهى « ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب » . وقامت حياتهم على تقديس ذلك العهد والحفاظ عليه .

وكان احترام ذلك العهد مصدر نفع كبير للعرب ، وضمانا لانتظام مصالحهم ، واستقرار أمورهم .

وحلف الفضول يعتبر بحق أصدق مثال لذلك العهد فى تلك المرحلة من مراحل حياة الانسان فى الارض تداعت الى ذلك الحلف قبائل من قريش – على أثر حرب ظالمة أسموها حرب الفجار – فتحالفوا وتعاقدوا الايجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته .

* * *

ومع كل هذه الاحلاف والعهود تلفت الانسان باحثا عن السلام فلم يجده .

فالقلق هو القلق ، والاضطراب هو الاضطراب ، والخوف من كل ما يحيط به مازال مستبدا بحياته ، واذ ذاك تبين له أن ما حققه من انتصارات فى ذلك المجال لم يكن بالذى يكفل له القرار والامن .

ظن أن الامن كامن فى اشاعة السلام بين أفراد القبيلة، ولكنه لم يجد فيه طلبته .

ثم ظن أن الامن كامن فى اشاعة السلام بين المتجاورين من القبائل والجماعات ، ولكنه لم يحقق أمنيته .

وعندئذ وقف حائرا .. يرتد اليه طرفه الزائغ خاسئا وهو حسير .

وعندئذ جاءه محمد عليه الصلاة والسلام بوحى السماء يرشده الى ما افتقده ، ويأخذ بيده اليه .

وعندئذ فتح الاسلام أمام الانسان آفاقا أخرى ما كان ليرتادها خياله ، فجعلها أسبابا للسلوك يرتادها جسمه فتشيع فى نفسه الامن ، وتملأ الارض بالسلام .

وضع يده على الحقيقة ، وقاده اليها .

عرفه أن سر اخفاقه فى الوصول الى السلام لا يعود الى ماتناول من علاج ، فكل ماتناوله حسن مقبول ،غير ان تعاطيه يجب ان يكون مصحوبا بعلاج آخر .

عرفه انه انما أخفق لانه لم يحسن تشخيص الداء ، لا لانه أخطأ فى نوع الدواء .

عرفه أن عليه – قبل أن يبحث عن السلام يشيعه فيه من يعيش معه – أن يبحث عن السلام يشيعه هو فى نفسه ، فمن العبث أن تطلب السلام ممن يفتقد فى ذاته السلام .

ولذا عمد الاسلام الى أصل الخوف وموطن الفزع ، وواجهه بالعلاج الحاسم المطمئن .

١ – كان الانسان يحس الخوف يملأنفسه مما يحيط به .

من المستقبل وما يخفيه .
من الحاضر وما يتمخض عنه .
من الماضى وما يترتب عليه .
من الغيب وما يستره .

٢ – كان يحس الخوف يسيطر عليه مما يتكشف عنه الكون وما تبديه الطبيعة .

من الشمس وتوابعها .
من البحر وهياجه .
من النهر وفيضه .
من الرياح وعصفها .

٤ – كما كان يحس الخوف ممن يعيش في جواره
ولكن الانسان أدرك هذا الاخير ، فعمل على التخلص منه بالاحلاف والمعاهدات ، ولم يدرك ما سوى هـذا ، فارتبكت حياته ، واختلت مقدراته ، فبات حزينـا ، وأصبح مهموما ، فازدادت سطوتها فى نفسه ، وقويت هيمنتها على تفكيره ، فاتجه اليها بالقرابين يترضاها ، وبالطقوس يستأمنها ، وبالتأليه يحتمى فيها .

وكلما قويت – مع ذلك السلوك – آماله فى السلام ، تبين له أنه يجرى وراء السراب ، وتبدى له أنه انمـا يلتجىء من القلق الى القلق ، وانه انما يرتمى فى احضان الرعب والفزع .

***

حتى اذا جاءه الاسلام ألقى اليه بطـوق النجاة ، لينتشله من ذلك الخضم الطاغى .

أظهره على الحقيقة ، وكشف له الخـافى ، وأوضح أمامه العلاقة بينه وبين كل ذلك .

فجعل الالهة الها واحدا ، فما على الانسان من سلطان سوى سلطانه وحده .

« ألاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » .

ففساد حياته يرجع أول مايرجع الى ذلك التعدد فى الالهة ، اذ « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

وحدد له سمات هذا الاله الواحد ، ليتعرف عليه ، ويشد وثاقه به .

فهو « فاطر السماوات والارض .. » يعلم سرها ، ويدبر أمرها ، ويحركها بحيث لا تتوقف ، ولا تتصادم ، بل تتكامل الحركات ، فتصبح مع تعـددها حـركة واحدة .

وهو « الذى له مافى السماوات وما فى الارض .. » فلا خوف من أية قوة ما أمنت جانب ربك .

وهو « خالق كل شىء ، وهو على كل شىء وكيل » . فمن احتكم الى قوانينه أمن ، ومن التجا الى شرعـه سلم .

وهو « الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم .. » فاحتم به ، ولا تخش شيئا ، فالله الحارس .

وهو « الحكيم الخبير » فاعمل بمـــا أمرك به تامن خفايا الطريق ، وتجنب مانهاك عنه ، لانه يقصد من وراء ذلك ما تجهل من خير فيصلك به ، وما لاترى من شر ، فيبعدك عنه .

وهو « الغنى الحميد » الذى يكفل لك بغناه مايطمئنك على حاجات جسمك ، فهو « الرزاق ذو القوة المتين » .

وهو « يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » فلا تقلق من جراء ذلك ، وتفرغ للجهد والعمل ، يصلك منه الكثير .

وهو « يحيى ويميت » فاطمئن على حياتك فانها بيده هو أيها الانسان .

وهو الهادى الى الصراط المستقيم « جاعل الملائكة رسلا .. » فلا تخشى الاضطراب فى حياتك ، ولا تخف ضلال عقلك متاثرا بما يحيط به ، فقد تكفل لك بوسيلة المعرفة ، وضمن لك وصول الرسالات الهادية .

وهكذا يمنح القلب البشرى راحة وهدوء ، ويتنسم العقل طمأنينة واستقرارا ، حيث يجد أنه – اذ يتصل بالهه ذلك – انما يتصل بحقيقة المؤثرات الفاعلة فى هذا الوجود ، كما هى فى عالم الحقيقة والواقع ، فليس ما تقرره الايات القرآنية كلاما منمقا مرتبا ، يجافيـه الواقع ، وانما هى الحقيقة ، تلتقى فيها العاطفة والمنطق مع واقع الحياة .

ومن ثم فان الفرد يبدأ مع الاسلام حياة جديدة كل الجدة ، تتغير على أساسها أفكاره وعقائده ونظرته الى الاشياء ، ونظرته الى الاخرين من بنى البشر ، واتجاهاتها فى دروب الحياة حيث يستقيم بعد اعوجاج ، ويتحرك بعد جمود ، ويلتقى بعد انفلات ويجد ذاته بعد ضياع .

حياة سليمة من الهزات والارجحات ، ما بين تأليه الانسان فى صوره الكثيرة ، وتحقير الانسان الى حد الزراية والمهانة .

خالية من الاذلال والاستعباد .

بعيدة من القهر والاستكانة .. الا للقوة الـكبرى المنزهة عن المصلحة والغرض .

مليئة بالامن والاطمئنان .

ويوغل الاسلام بالانسان فى طريق السلام ، حتى يزداد امنا وطمانينة ، فيسلمه المفتاح ، ويطلب اليه أن ينقب بنفسه فى جوانب الكون ، وأنحـاء الارض والسماء ، ليكشف بنفسه ما قرره الاسلام عن الكون الذى يعيش فيه ، والذى أثار فى نفسه الرعب والفزع .

« قل انظروا ماذا فى السماوات والارض .. »

« ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب » .

« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه .. »

« وفى أنفسكم أفلا تبصرون . وفى السماء رزقكم وما توعدون . »

***

وبعد أن خلق الاسلام فى الانسان سبل الاسلام ، فملأ بها ضميره ، وفاض بها على قلبه ، وكسابها عقله وحسه لم يكن أمام الانسان بد من أن يصبح معنى السلام منهجا سلوكيا ، يأخذ بيده اذ تتحرك ، ويستقبل قـدمه حين تخطـو .

١ – وبدأ الاسلام فاقر كل وسائل السلام التى عرفتها الجاهلية ، بعد أن أزال عنها غبش الجاهلية ، فأقـر الاشهر الحرم « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السماوات والارض ، منها اربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم .. » وتمنى رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم حلفا كحلف الفضول فقال :

« لقد شهدت مع عمومتى فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعيت به فى الاسلام لاجبت » .

٢ – وفضل طريق السلام فى دفع الاذى العـارض بادىء ذى بدء . « ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون » ..

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتى هى أحسن » .

٣ – سن الحرب على مضض ، وسيلة يدفع بهـا من لا يقدر السلام ، ولا يهتم الا بالعدوان .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين » .

« .. فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

هذا سلام الاسلام .

سلام يملأ على الفرد حياته الخاصة ، فينبثق منها ويفيض على من يشاركه الحياة فى الارض .

وهذا السبيل اليه .. يا من تتشدقون بالسلام وتحاربون فى نفس الوقت دين الاسلام

.. « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » .

« ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل »

تحويل اسرائيل لمجرى الأردن تحويل للتاريخ

الدكتور جمال الدين الرمادى

ان الخطوات التى اتخذتها اسرائيل لتحويل مجرى نهر الاردن خطوات ينبغى ألا نسكت عنها أو نغض الطرف عنها ، انما يجب أن نواجهها فى شجاعة فائقة وعزم من حديد .

ولقد كان مؤتمر القمة الذى عقد أخيرا فى القاهرة الهزة الكبرى التى زلزلت أركان اسرائيل وهزت الصهيونية العالمية من أعماقها هزا عنيفا رهيبا .

ان اسرائيل رأس الحربة وجسر الاستعمار فى الشرق الاوسط ، وعندما تتكاتف الجهود لدرء خطرها فانما تستأصل الشر من جذوره ، وتقتلع العدوان من أصوله ، فلا سلام للعرب مع اسرائيل ، ويجب أن نتخذ الاهبة ونعد العدة للدفاع عن أنفسنا ورد الأراضى المغتصبة الى أهلها .

فاسرائيل لم تكتف بمساحة الارض التى منحت لها بموجب مشروع التقسيم ، انما استمرت فى اتمام عملية توسيع أراضيها ، والاعتداء على الاراضى الفلسطينية حتى وصلت الى ٧١٠٠ ميل مربع بعد ما كانت ٥٢٠٠ ميل مربع فى مشروع التقسيم ، بل انها لم تلبث أن أصبحت ٧٨٠٠ ميل مربع ، وانتهى بها الأمر الى أن أصبحت ٨٠٤٨ر٨ ميلا مربعا .

ولقد أحست اسرائيل عقب قيامها مباشرة أنها لا تستطيع أن تقوم على سياسة الاكتفاء الذاتى فى مواردها الاقتصادية ، ومحصولاتها الزراعية لان ٦٠ فى المائة من الاراضى الاسرائيلية غير قابلة للزراعة ، ومن هنا اتجهت أنظار اسرائيل الى عمليات التوسيع فى أراضيها ولا سيما فى منطقة صحراء النقب .

وبهذا تضمن استيعاب مهاجرين جدد فى منطقة النقب فيزداد عدد سكانها ، ويزداد عدد الايدى العاملة فيها ، وتعمل على رفع مستوى الاقتصاد الاسرائيلى بكافة الوسائل ، وحينئذ يتحقق حلم بن جوريون الذى يتطلع اليه وهو أبعد من العنقاء وأعصى من تطاول النجوم ، وهو أن يصبح عدد سكانها نحو خمسة ملايين نسمة .

كما تهدف اسرائيل كذلك الى زيادة الانتاج الزراعى الى ما يعادل ثلاثة أضعاف الانتاج الزراعى الحالى .

وتهدف اسرائيل كذلك الى احياء ميناء ايلات بحيث يصبح منفذا لاسرائيل على البحر الاحمر تتسلل منه الى افريقيا وآسيا . فضلا عن أن قيامها بعمليات الاصلاح الزراعى فى صحراء النقب سوف تضيع على العرب الفرصة فى القيام بهذا العمل ، ويحاول أن يفلت الزمام من أيدى العرب فلا يستطيعون استردادها كما انه يخلق حاجزا جغرافيا بين الدول العربية التى تسعى الى الوحدة الكبرى ، تلك النهضة السياسية الكبرى التى يسعى العرب الى تحقيقها ، بل تلك الحقيقة التاريخية الخالدة منذ أبعد الحقب والازمان .

وقد عبر السيد الرئيس جمال عبد الناصر أصدق تعبير عن ذلك الخطر الداهم الذى يجب أن نتنبه اليه فى موقفنا ازاء اسرائيل ، فقال فى حديث له الى الصحفى الهندى « كارنجيا » لنشره فى مجلة «بلتيز» :

«لقد كنا دائما فى حرب مع اسرائيل، وكانت اسرائيل دائما المعتدية ، جميع الاعتداءات الماضية مثل حرب السويس التى شهدتها بنفسك ونقلت أخبارها كانت من تدبير اسرائيل ، وطالما توجد اسرائيل فسوف يتحتم علينا أن ننتظر الحرب فى أى وقت » .

والحقيقة أن الصهيونيين لا يكتفون باغتصاب فلسطين فحسب ، وانما يعدون العدة أيضا لاقامة امبراطورية من الارض المنهوبة تمتد من النيل الى الفرات .

ومن هذا المنطق القائم على العدوان المستمر قلت لك ان احتمال الحرب قائم فان العرب لا يملكون مواجهة العدوان عليهم بقبوله ، أو السكوت عليه ، وانما لابد لهم من الدفاع عن أرضهم وحياتهم .

وليس مصدر قلقنا هو المياه التى يسرقونها والارض التى يعتزمون استعمارها عن طريق استجلاب مهاجرين غرباء عليها ، فان هذه الاعمال رغم عدم شرعيتها ليست بالخطر الكبير لكن ما يهمنا هو ألا نسمح لهم بان يقووا ويدعموا قبضتهم على الارض التى اغتصبوها من العرب عن طريق الارض العربية ، والاستمرار فى تمزيق الجرح الذى أصاب اللاجئين الفلسطينيين بطردهم من ديارهم»

لقد زادت ميزانية تسليح اسرائيل ٣٥ فى المائة فى هذا العام عما كانت عليه فى العام الماضى .

واليوم ها هى ذى تعمل على تنفيذ مشروع تحويل نهر الاردن بيد أن هذا التحويل يعتبر تحديا للتاريخ ويعتبر تحديا للظروف الطبيعية بين الدول العربية ، وان الارادة العربية أصرت على المبادرة الى احباط هذا المشروع الاستعمارى واستخدام مياه روافد نهر الاردن .

وتقرر البدء فورا فى تنفيذ المشروع العربى لتحويل مياه النهر فى جو من الارادة العربية الجماعية القادرة على تحمل المسئوليات، وتحمل التبعات، واداء الالتزامات والاستعداد لمواجهة شتى الاحتمالات .

ان الايام السعيدة الماضية التى عاشتها العواصم العربية جميعا وهى أشد ارتباطا ، وأعظم تماسكا لهى أيام عزاء فى تاريخ العروبة جمعاء لن تنمحى ذكراها ولن تنقضى بشراها .

وان مؤتمر القمة الذى قد فتح الطريق الى قلوب العرب جميعا ، ومهد السبيل الى عزة العرب جميعا .

وقرب الغاية الى رد الحقوق المغتصبة الى ذويها، وعودة الارض السليبة الى أهليها !..

ويحسن هنا أن نشير الى المشروع العربى لتحويل نهر الاردن والذى يهدف الى استغلال مياه نهر اليرموك لاغراض الرى وتوليد القوى الكهربائية .

كما يرمى الى استغلال مياه نهر الاردن وروافده شمال بحيرة طبرية لاغراض الرى وتوليد الكهرباء .

ويرمى كذلك الى استغلال مياه نهر الاردن وروافده جنوب بحيرة طبرية لاغراض الرى فضلا عن استغلال مياه الوديان والآبار .

ولا يهدف المشروع العربى الى تخزين مياه هذا النهر فى بحيرة طبرية لان شوطىء البحيرة كلها تقع فى اسرائيل فيصبح الاردن تحت رحمة اسرائيل فيما يتعلق بخزن المياه التى تحتاج اليها .

كما أن متوسط الملوحة فى مياه نهر اليرموك تبلغ نحو ٨٨ جزءا فى المليون على حين تبلغ متوسط الملوحة فى مياه بحيرة طبرية نحو ٣٠٠ جزء من المليون ، ومن المنتظر أن تزداد ملوحة المياه التى يستعملها الاردن من نهر اليرموك فى حالة تخزين مياهه فى بحيرة طبرية .

وهناك سبب آخر يعزى الى تبخير جزء كبير من مياه النهر بالبخر فى حالة التخزين وضياع كميات من المياه تزيد عن قدر معين وحجم معلوم وسعة مقدرة وهى ٨٣٠ مليون من الامتار المكعبة .

وسوف يؤثر تخزين المياه فى بحيرة طبرية الى ارتفاع المياه نحو مترين مما يؤثر تأثيرا بالغا على الاماكن المقدسة الموجودة على شواطىء البحيرة .

هذا هو جوهر المشروع العربى وهو من المشروعات التى كانت قيد البحث مع غيره من المشروعات الجديدة .

ومهما تبدلت الخطط أو تغيرت المناهج أو تعددت الاساليب ، فان الحقيقة الواقعة التى لا يرقى اليها الشك ولا تصل اليها الريبة ، ولا يداخلها أدنى خلخلة أو اضطراب هى أن العرب لن يقبلوا بحال من الاحوال قيام اسرائيل بمشروعاتها العدوانية الصارخة .

ولن يقبل العرب بحال من الاحوال تمكين اسرائيل من بسط أجنحتها فى الارض العربية الطيبة أو تحويل مجرى هذا النهر الخالد الذى يجرى عبر أرض عربية كريمة تحفه قلوب العرب من كل جانب وتمتزج بمياهه، وتختلط بأمواجه ، وتطوف على شطآنه .

هنيئا للعرب بمؤتمر القمة الذى وحد القلوب وجمع الصفوف ، وهنيئا للعرب بما تمخض عنه مؤتمر القمة من ارادة عربية جماعية تهدف الى رفعة العرب والامساك بناصية العرب وانجاز مهمة القيادة الكبرى لمصير العرب فى مواجهة الخطر الصهيونى .

حقا لقد ولد العرب من جديد .. وحققت الصيحة الكبرى أهدافها ورفعت أعلامها .

وكان هناك نصر فى أعقاب عيد النصر ..

« ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز »

صدق الله العظيم

نور الدين زنكى وفلسفة الوحدة

الدكتور احمد شلبى

المنظر : اجتماع يحضره نور الدين زنكى أمير أتابكية الموصل وشيركوه أحد كبار قادته وبعض الحاشية والقواد

نورالدين : انها مسئولية كبيرة أمام جيلنا الحاضر والاجيال القادمة ، أن تدنس فى عهدنا أرضنا الاسلامية بأقدام الصليبيين •

قائد : وبيت المقدس الطاهر الذى تعظمه كل الاديان ماذا دهاه حتى شهد القسوة والدم المهراق ظلما وعدوانا

قائد آخر : والتخطيط الذى يضعه الصليبيون ماذا يحوى والى أى مدى سيمتد ؟

الاول : نعم انهم ماجاءوا الى هذه الديار الا وهم يقصدون التوسع على حساب العرب وحساب الاسلام •

قائد آخر : وقد دفعهم تجار الساحل الشمالى لبحر الروم ليتخذوا من بلادنا أسواقا لهم ، ومن أرضنا طرقا يتصلون بواسطتها بخيرات آسيا

القائد الثانى : والمستعمر الاثيم تمتلىء نفسه بالحقد ، وقلبه بالبغضاء ، وليس فيه شعور انسانى ، والفتك والغدر من أبرز خصاله •

(تسمع حركة بالخارج وأصوات استغاثة وضجيج فيستمع لها الحاضرون السلطان نور الدين يصفق فيدخل جندى) •

نور الدين : ماذا هناك ؟

الجندى : طوائف المشردين واللاجئين يامولاى ، دفعهم طغيان الصليبيين الى الهجرة زرافات ووحدانا فى حالة يرثى لها من الجوع والفاقة •

القائد : ان وفودهم لم تنقطع منذ عرف الصليبيون هذه الديار •

نور الدين : وماذا سنفعل الآن لهؤلاء اللاجئين ؟

احد أفراد الحاشية : ننصب لهم الخيام ، ونقدم لهم الطعام •

(يندفع واحد من اللاجئين الى حيث الاجتماع ، فيسمع هذه الجملة)

اللاجىء : (فى ملابس مهلهلة وحالة كئيبة)

ماذا تنوون أن تفعلوا للاجئين ؟ تريدون أن تنصبوا لهم الخيام وتقدموا الطعام ؟ لا ، لم نجىء الى البطل نورالدين ننشد الكساء ونطلب الطعام •

- وماتطلب اذا ؟

اللاجىء : أريد أرضى السليبة وداري الحبيبة ومهد الصبا •

(يبكى الرجل ، ثم يعود فيصرخ) لا ، لامكان للبكاء ، نحن نريد العمل ، اريد أن أعيد بناء أسرتى واطهر بلادى من المغتصب الحقود •

نور الدين : ياشيخ ، مانزل بك نزل بنا ، وداري مهددة مثل دارك واهلى قد يصيبهم ماأصاب اهلك ، فاجلس وأعطنا مهلة لنفكر فى الامر •

ياجندى . ادخل من عندك من العلماء ، وأنتم ايها القواد تستطيعون الخروج وسأطلبكم بعد قليل لمزيد من المشاورة •

(يخرج القواد ويدخل ثلاثة من العلماء)

احد العلماء : السلام على السلطان ورحمة الله وبركاته •

نور الدين : وعليكم السلام

نور الدين : هل تعرفون مانزل بالمسلمين من الصليبيين الطغاة ؟

أحد العلماء : ومن ذا الذى لايعرف مانزل بالمسلمين من كوارث الصليبيين ؟

عالم آخر : لقد توالت قسوتهم منذ حلوا بديارنا ولا يزال طغيانهم ممتدا ، وبطشهم متجددا .

عالم ثالث : ان ايام الصليبيين فى سوريا كلها مجازر شنيعة ، وازهاق للارواح ،وفيض من الدماء البريئة ، دقسوة شملت الاطفال والنساء والعجائز وطالما جرت هذه المجازر والسفاكون يحتسون الخمر ، ويرقصون طربا ، لا للنصر الذى أحرزوه وانما لما يحدثونه بالمسلمين من ابادة وتدمير .

نور الدين : (متجها للعلماء) أيها الشيوخ نحن لانريد أن نتذكر الماضى الا بقدر ماننتفع به فى المستقبل وان المعركة لاتزال دائرة بيننا وبين قوى الشر

عالم : نعم لاتزال دائرة ونحب أن نقوم بدورنا فى أتونها .

نور الدين : من أجل هذا استدعيتكم ، فالمعركة فيما أرى ليست معركة سلاح فحسب ، ولكنها معركة اعداد شعبى أيضا .

عالم آخر : ليأذن لنا السلطان أن نطوف البلدان الاسلامية نهيىء الرأى العام الاسلامى للجولة القادمة .

نور الدين : وأهم مايعنينا أن يتضح للمسلمين أن الجولة القادمة تستلزم الاصرار والتآخى ، فقد غلبنا الصليبيون عندما اتحدوا وافترقنا ، وتعاونوا واختلفنا . هذه مهمتكم ، أما المهمة العسكرية فانا بصدد الاستعداد لها .. هيا أيها العلماء لمهمتكم الكبيرة ولابد لليل أن ينجلى .

(يخرج العلماء ويبقى نور الدين وحده ـ نور الدين يمسك بريشة ، ويرسم خريطة جغرافية على ورقة ويهمهم بصوت غير مسموع ، ثم ينادى :

نور الدين : ياجندى

الجندى : لبيك يامولاى

نور الدين : استدع لى أسد الدين شيركوه ومن معه من القادة .

الجندى : سمعا وطاعة يامولاى .

(يدخل القادة)

نور الدين : ان مهمتنا تنقسم قسمين ، فجانب منها يحتاج الى اعداد شعبى وهذا سيقوم به العلماء ليبرزوا للمسلمين أن موقفنا موقف حياة أو موت ، وأنه لا اطمئنان ولا أمن وأرضنا السليبة فى يد الاعداء وان الاتحاد والتآخى هما الدعامة الاولى للنجاة .

شيركوه : حقا ياسيدى ، وما القسم الثانى ؟

نور الدين : القسم الثانى هو العمليات العسكرية ، وهذه أريد أن أخططها بمساعدتكم فماذا ترون ؟

قائد : ألا ترى انه يلزمنا مزيد من الاسلحة ومزيد من الجنود ؟

نور الدين : لا ، ليست هذه هى الخطوة التى اتطلع لها ، وانما هناك خطوات أهم من الاسلحة والجنود *

القائد : وماهى هذه الخطوات ؟

نور الدين : ان الهزيمة التى وقعت بالمسلمين تسببت عن الفرقة التى كانت شائعة بينهم عند الزحف الصليبى فى وقت تكتل فيه الصليبيون وتكاتفوا ولاتزال الفرقة قائمة ، ولهذا حاول الصليبيون أن يحتلوا دمشق وأن يمدوا سلطانهم الى مصر .

قائد : وقد وجدوا للاسف أحد المتنافسين على الوزارة بمصر يحاول أن يتعاون معهم ويستدعيهم لنصرته .

شيركوه : وماذا تستطيع أن نفعل ازاء هذه الاحداث؟

نور الدين : هذا رأيى ، الوحدة هى وحدها طريق النجاة .

(ينظر القادة بعضهم لبعض فى أمل ، ونور الدين يواصل كلامه) أنا لا آمن على نفسى وعلى جيشى أن أحارب الصليبيين ، وهناك منافذ لهم فى أرض المسلمين .

شيركوه : وماذا تقصد ياسيدى بالمنافذ ؟

نور الدين : نعم ، لايخلو ميدان من الخونة أو الذين تحركهم الانانية وتغلبهم المنفعة الشخصية ، ورأيى أن المعركة الاولى أن ننتصر على أنفسنا ونقيم الوحدة فى أرضنا فاذا تم لنا ذلك .

(يتجه للخريطة ويشير)

وأحطنا بالصليبيين من الشرق فاتحدنا مع دمشق وأحطنا بهم من الجنوب فاتحدنا مع مصر بالاضافة الى مملكتنا بالشمال ، فان النصر يكون حينئذ أكيدا ويسيرا .

شيركوه : نعم مارأيت يامولاى ، والطريق ممهد لتحقيق أمنيتك التى هى أمنية كل العرب وكل المسلمين ان حاكم دمشق لايقوى على رد عادية الصليبيين عن عاصمة الامويين وهو يدعونا لنصرته ، وشاور الوزير المصرى يطلب عوننا ليقوى بنا ضد الفرنجة .

نور الدين : نعم هيا للعمل فلتسر أنت ياشيركوه ، الى مصر على رأس جيش من الابطال المغاوير ، وأنا سأذهب بنفسى الى دمشق ، وعندما نحيط بالصليبيين من كل جانب سيكون ذلك أول النهاية للمستعمر الاثيم ، وسيكون فى مقدور جيش المسلمين أن يسترد الديار ويلقى بالغاصبين فى البحر ويعيد اللاجئين الى ديارهم ، هيا هيا الى النضال .

***

وتمت الخطة بنجاح وأثمرت أحسن الثمار ، وان هزائم الصليبيين قد بدأت وتوالت بعد ذلك حتى انتهى سلطانهم وزالت دولهم من ساحل الشام وقد أكمل الابطال المغاوير الذين جاءوا بعد نور الدين مهمته وفى مقدمة هؤلاء صلاح الدين الايوبى والظاهر بيبرس ، وكانت خطتهم جميعا هى خطة نور الدين زنكى من حيث اعتقادهم أن الوحدة هى أهم أساس يقوم عليه النصر على المعتدين .

ودارت الايام وأعاد التاريخ نفسه واقتحم الصهيونيون فلسطين الحبيبة والسبيل الوحيد للانتصار عليهم انما هو الوحدة وبناء سور ضخم حولهم ، وهو ماتعمل الجهود الآن لتحقيقه ، فلندع لهذه الجهود بالنجاح والتوفيق *

مفتاح الإسلام خالد بن الوليد

قول الرسول فيه

ما مثله يجهل الإسلام

للأستاذ عبد المنعم حسن الأدفوى

مهما يقال فى شان الحياة التى سبقت الاسلام بشبه الجزيرة العربية ، لافرق فى ذلك بين الحواجز والبوادى ، من أن العرب كانوا يؤمنون بمثل عليا وتقاليد رفيعة تتمثل فى الشجاعة والكرم والنجدة والمروءة والوفاء والايثار والتضحية ولو بالنفس مهما يقال ذلك فى شان هذه الحياة ، فانها تقوم فى الأغلب الاعم على شريعة الغاب التى تتمثل فى الطغيان والغدر والظلم والقهر والجبروت والسلب وانتهاك الحرمات وخطف النساء ومعاقرة الخمر واقتراف كل المنكرات .

وقد اضطر العرب فى شبه جزيرتهم الى محاولة التخفيف من آثار الحياة القلقة المضطربة التى يحيونها فحرموا القتل والحرب فى اربعة أشهر سموها الاشهر الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ،ومع ذلك فهناك قبائل لم تلتزم هذا التحريم ، فاستمرأت العدوان طيلة العام كله .

ومرد هذه الحياة اللا انسانية الى طبيعة بلاد العرب الخالية من الزرع والتى تعتمد فى وجودها على المطر ، فاذا انقطع - وكثيرا ما ينقطع - أجدبت مراعيهم ، فهلك ضرعهم وبالتالى هلكوا هم ، ولا منجاة لهم حينئذ الا باغارة القوى منهم على الضعيف ، فيسلبه ماله وحياته .

فى هذا الجو المملوء بعوامل الاضطراب والقلق والذى يقوم على العصبية والقبلية نشأ خالد بن الوليد ، فكانت لبطن مخزوم التى ينتسب اليها خالد ، وهى احدى البطون العشر التى لها السيادة فى المجتمع المكى ، اذ كانت صاحبة القبة ، وهى مجتمع الجيش والاعنة : قيادة الفرسان ، كما كان ابوه الوليد بن المغيرة من أعاظم قريش وأغناها بل انه كان اغناها على الاطلاق .

وبمقدار ماكان لخالد من جاه مادى وادبى فى الجاهلية كانت عداوته للاسلام الى أن كتب الله له الهداية فأعزه بالاسلام وأعز الاسلام به .

قول خالد : وكان أخى الوليد دخل مع النبى مكة فى عمرة القضية فطلبنى فلم يجدنى ، فكتب الى كتابا فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فانى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام ، وعقلك عقلك .. ومثل الاسلام لايجهله أحد .. وقد سألنى رسول الله عنك فقال أين خالد .. ؟ فقلت يأتى به الله فقال ما مثله يجهل الاسلام .. ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيرا له ، ولقدمناه على غيره ، فاستدرك يا أخى ما قد فاتك من مواطن صالحة»

فلما جاء فى كتاب أخى نشطت للخروج ، وزادنى رغبة فى الاسلام ، وسرتنى مقالة رسول الله ، ورأيت فى المنام كأنى فى بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة .. ثم أسلم خالد .

فاستجابة خالد للاسلام انما كانت نتيجة لقول رسول الله لأخيه الوليد : « ما مثله يجهل الاسلام » ثم قوله « ولقدمناه على غيره » .. وقد رأى خالد فيما قاله الرسول بالنسبة له ، تجسيدا لثقته بنفسه فانفتحت

له معالم الحق ، وزالت عن بصيرته غشاوة الجاهلية ، ولذلك راينا خالدا بعد اسلامه يعمل للدين ، بعد ان كان يعمل لما ورثه من عصبية وقبلية .

ولقد عبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن عظيم سروره بمقدم خالد مسلما فقال « الحمد لله الذىهداك وقد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك الا الى خير »

فقال يارسول الله : ادع الله لى أن يغفر تلكالمواطن التى كنت أشهدها عليك فقال عليه السلام : « الاسلام يجب ما قبله » .

وفى موقعة اليرموك التى وقف فيها المسلمون أمام جيش الروم شهرين لايقدرون على شىء قال أبو بكر والله لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، وفعلا استطاع خالد فى هذه الموقعة رغم وفاة أبى بكر وتولية عمر ، وعزل خالد وتولية أبى عبيدة أميرا للجيوش الاسلامية ، فان خالدا اخفى هذه الاخبار عن الناس وأدار المعركة بنفس القوة وبنفس العزيمة الاولى كانه لم يعزل الى أن كتب الله النصر للمسلمين ثم أعلنها بعد ذلك .

وأعجب ما حدث فى هذه المعركة أن أحد قواد الروم وهو جرجه نادى ليخرج الى خالد فخرج اليه وأقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما وقد أمن أحدهما صاحبه فقال جرجة ياخالد أصدقنى ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، ولا تخادعنى ، فان الكريم لايخادع : بالله هل انزل اللهعلى نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم الا هزمتهم .. قال لا ! فبم سميت سيف الاسلام ؟ قال : ان الله عز وجل بعث فينا نبيه عليه السلام فدعانا فنفرنا ونأينا عنه جميعا .. ثم ان بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله .. ثم ان الله اخذ بقلوبنا حينا ، فهدانا به فتابعناه .. فقال انت سيف من سيوف الله سله على المشركين ودعا لى بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين « أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

قال جرجه : صدقتنى ثم ناقشه فى الاسلام حتى انتهى الامر باسلامه ، وترك صفوف الروم وقاتل مع المسلمين ، بعد أن علمه خالد الاسلام وصلى ركعتين ، ومات جرجه فى هذا اليوم ، وهو يقاتل أشد قتال وأصدقه دفاعا عن دينه الجديد .

هذا هو أثر التربية الاسلامية فى الابطال الذين نفخ فيهم الرسول من روحه وعلمهم الحياة ، وتمكنت من قلوبهم عقيدة التوحيد ، فاصبحوا يعيشون بها ولها بعد أن كانوا قبل اسلامهم يحيون لامجادهم الشخصية وللدفاع عن العصبية والقبلية ، وهم هم الابطال الذين نصر الله بهم دينه واعلى كلمته ، ومكن لهم فى الارض.

ان خالدا أصبح فى ظل الاسلام أسطورة يخافها الاعداء من عرب وفرس وروم ، وحتى قال له عمر بن الخطاب ، وهو من هو عدلا وعقلا وشخصية كما يقول العقاد فى كتابه « عبقرية خالد » :

ياخالد والله انك على لكريم ، وانك الى لحبيب .. ولن تعاتبنى بعد على شىء ، وأرسل الى الامصار يأمر الولاة أن يعلنوا فيها باسمه : « انى لم اعزل خالدا عن سخطة ولا عن خيانة ولكن الناس فتنوا به فخشيت أن يوكلوا اليه ويبتلوا به والا يكونوا بعرض فتنة » .

دية الانسان وأجزائه أو التعويض

تميزت الشريعة الاسلامية بأنها لم تحتم القصاص فى القتل العمد ، بل انها جعلت ذلك لأولياء القتيل ، ان شاءوا اقتصوا ، وان شاءوا عفوا ، وتنازلوا عن القصاص ، واكتفوا باخذ دية قتيلهم .

أخرج البخارى ومسلم واحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة – رضى الله عنه – ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، اما أن يفتدى ، واما أن يقتل) ، ولفظ الترمذى : (اما أن يعفو ، واما أن يقتل) .

وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبى شريح الخزاعى قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : (من أصيب بدم أو خبل « جراح » فهو بالخيار بين احدى ثلاث ، اما أن يقتص ، أو يأخذ العقل « الدية ») ، أو يعفو ، فان أراد رابعه فخذوا على يديه»

وفى الشريعة اليهودية كان القصاص من القاتل امرا محتما ، ولم يكن لأولياء القتيل ان يتنازلوا عن هذا الحق .

اخرج البخارى والنسائى والدارقطنى عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – قال : كان فى بنى اسرائيل القصاص ، ولم يكن فيهم الدية ، فقال الله تعالى لهذه الأمة : « كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » ، فالعفو أن يقبل فى العمد الدية ، والاتباع بالمعروف يتبع الطالب بمعروف ، ويؤدى اليه المطلوب باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فيما كتب على من كان قبلكم .

بين الشريعة والقانون

الأستاذ محمود لطفي عبد الكريم

ويتبين من هذا الأثر أن ابن عباس يشرح آية القصاص وهو - من غير شك - شرح مستمد مما فهمه من النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى الآية الكريمة .

والطالب والمطلوب بضم الباء فيهما ، أى أن على الطالب - وهو ولى القتيل - أن يطالب القاتل بالدية بالمعروف لا بالعنف ، وعلى المطلوب - وهو الذى سيدفع الدية - أن يؤدى هذه الدية باحسان .

***

وأما القانون الوضعى فانه يرى أن حق القصاص من القاتل المتعمد انما هو للحكومة وحدها ، وليس لأولياء القتيل - فى نظر هذا القانون - ذلك الحق ، بل ولا حق العفو عن القاتل ، ذلك لان هذا القانون يعتبر الاعتداء على النفس اساءة للمجتمع ، الذى هو صاحب الحق الأول فى القصاص ، والحكومة تمثله فى اقتضاء هذا الحق .

ومن الغريب أن القانون الذى يعطى المجتمع هذا الحق ، يسلبه ذلك الحق فى بعض حوادث الاعتداء على العرض ، فليس على الزانية شىء اذا تنازل زوجها عن حقه فى تلك المأساة الخلقية الشائنة .

ولست أفهم حكمة اختلاف الامر فى الحالتين ، مع أن الاساءة الى المجتمع متحققة فى حالة الزنا دون حالة القتل ، ففيهـا اختلاط الأنساب ، وشيوع الفواحش والرذائل ، والقضاء على الفضائل ، وجميع العناصر المؤدية الى انهيار المجتمع .

***

والدية ، أو التعويض ، يختلف الأمر فيها كذلك بين الشريعة والقانون ، فأساس تقدير الدية فى القانون الوضعى هو تفاوت المجنى عليهم من حيث المركز الاجتماعى ، ومقدار الضرر الذى يقع على افراد عائلته بموته .

فاذا كان المجنى عليه يشغل منصبا كبيرا ، فانه يراعى فى تقدير ديته المدة التى كان من المحتمل أن يعيشها ، والترقيات التى كان سيصل اليها ، ومجموع المبالغ التى كان سيحصل عليها طول هذه المدة .

وأما اذا كان المجنى عليه يشغل عملا بسيطا ، كأن يكون عاملا باليومية ، أو خادما ، أو أى شىء يعادل ذلك ، فان التقدير يختلف ، طبقا لهذه القاعدة ، قاعدة التفاوت بين فئات الناس .

فالتعويض فى الحـالة الاولى يبلغ عدة آلاف من الجنيهات ، بينما لا يجاوز فى الحالة الثانية مئات قليلة من الجنيهات .

***

وأما الشريعة الاسلامية فان كل الناس امامها سواء ، لا فرق فيها بين أمير وصعلوك ، ولا بين وزير وخفير ، فالاعتبار فيها لآدمية المجنى عليه ، والناس جميعا فى الآدمية سواء ، فدية كل واحد من هؤلاء فى القتل العمد وشبه العمد مائة ناقة ، منها أربعون فى بطونها أولادها (حوامل) .

أخرج الامام احمد وابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « عقل شبه العمد مغلظ مثل عقل العمد ، ولا يقتل صاحبه ، وذلك أن ينزو الشيطان بين الناس فتكون دماء فى غير ضغينة ولا حمل سلاح » .

وأخرج الامام احمد وابو داود والنسائى وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو أن النبى - صـلى الله عليه وسلم - قال : « الا ان قتل الخطأ شبه العمد قتل السوط أو العصا مائة من الابل ، منهـا أربعون فى بطونها أولادها » .

ودية القتل الخطأ مائة ناقة ليس فيها حوامل ، أو مائتا بقرة ، أو ألفا شاة ، او قيمة ذلك من النقدين ، فاذا كانت من النقدين روعى فيها التفاوت فى أثمان الابل ، ارتفاعا وانخفاضا بحسب اختلاف الزمان .

وذلك أن ثمن الناقة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان ثمانية دنانير فكان مقدار الدية وقتذاك - اذا دفع نقدا - ثمانمائة دينار ، فلما كانت خلافة عمر رفع هذه القيمة الى ألف دينار ، لأن أثمان الابل كانت قد ارتفعت فى عهده الى هذا الحد ، وقياسا على هذا فانه اذا كان ثمن الناقة الآن يساوى سبعين جنيها ، فان الدية يجب أن تكون سبعة آلاف من الجنيهات .

أخرج أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كانت قيمة الدية على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانمائة دينار ، وثمانية آلاف درهم ، وكان ذلك كذلك حتى استخلف عمر ، فقام خطيبا فقال : ان الابل قد غلت ، ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار ، وعلى أهل الورق (الفضة) اثنى عشر الفا ، وعلى أهل البقر مائتى بقرة ، وعلى أهل الشاء ألفى شاة ، وعلى أهل الحلل مائتى حلة .

***

واذا ترتب على الجناية فقد عضو من الأعضاء ، كاليد والرجل وغيرهما ، فان أساس تقدير التعويض فى هذه

الحالات ، فى القانون الوضعى ، هو أهمية العضو المفقود بالنسبة لصاحبه ،فيد الكاتب ليست كيد العامل أو يد من لا يباشر بيديه أى عمل ، فقد يحكم بتعويض فى الحالة الأولى والثانية ، وقد لا يحكم بشىء مطلقا فى الحالة الاخيرة ، لانه لم يترتب على فقد يد المجنى عليه فيها فوات مصلحة بالنسبة له .

ولا شك أن الأخذ بذلك تطبيق لنظرية تجارية ، تعتمد على مقدار ما يؤديه العضو المفقود ، وبذلك يعود الأمر الى التفاوت بين الناس ، وانظر ، ثم أحكم على ما يثيره ذلك التمييز من الشعور بالمرارة والأسى فى نفس من يرى اعضاءه — فى مجال التقييم — أقل شأنا من أعضاء طبقات اخرى ، هى فوقه بحكم القانون .

***

واما الشريعة الاسلامية فانها قد راعت فى تقدير التعويض عن الأعضاء المفقودة قيمة كل عضو منها ، وما يفوت صاحبه بسبب فقده أو تشويهه ، دون تمييز بين انسان وانسان ، فدية أى عضو من اعضاء الكناس كدية نظيره من أعضاء الوزير ، ومن هو فى حكمه ، وتطبيقا لهذا فان دية الرجل الواحدة اذا تلفت خمسون ناقة (أى نصف الدية الكاملة) ، لأن الرجل الواحدة تعادل نصف الجسم كله ، اذ أن الشخص لا يستطيع أن يمشى على رجل واحدة ، الا اذا استعان بشىء آخر ، فأصبحت حركته نصف حركة من يمشى على رجلين ، ودية الرجلين معا اذا تلفتا مائة ناقة (أى الدية كاملة) ، لأن صاحبها اصبح عاجزا عن المشى ، وذلك يحول بينه وبين السعى لتحصيل قوته وقوت من يعول ، فكأنه قد فقد حياته كلها ، وكذلك الأمر فى اليد الواحدة ، واليدين معا ، وفى العين الواحدة ، والعينين معا .

واذا كان العضو التالف ليس له نظير ، كالأنف واللسان ، استحق صاحبه الدية كاملة ، لأنه فقد نهائيا الحاسة التى كان يؤديها بذلك العضو .

اخرج النسائى عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « ان فى النفس الدية ، مائة من الابل ، وأن فى الانف اذا أوعب جدعه الدية ، وفى اللسان الدية ، وفى الشفتين الدية ، وفى الصلب الدية ، وفى العينين الدية ، وفى الرجل الواحدة نصف الدية ، وفى المأمومة ثلث الدية ، وفى الجائفة ثلث الدية ، وفى المنقلة خمسة عشر من الابل ، وفى كل اصبع من اصابع اليد والرجل عشر من الابل ، وفى السن خمس من الابل ، وفى الموضحة خمس من الابل ، وأن الرجل يقتل بالمرأة ، وعلى أهل الذهب ألف دينار » .

أوعب جدعه على البناء للمجهول ، أى قطع جميعه ، والصلب هو العمود الفقرى ، والمأمومة هى الاصابة فى الرأس اذا بلغت أم الدماغ ، أى الجلدة الرقيقة التى تغطى الدماغ ، والجائفة هى الاصابة التى تصل الى جوف أى عضو له جوف ، كالساق والعضد ، والمنقلة هى الاصابة التى تنقل صغار العظام عن أماكنها ، والموضحة هى الاصابة التى تكشف العظم ولا تكسره .

واخرج الامام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن سول الله — صلى الله عليه وسلم — قضى فى الأنف اذا جدع كله بالعقل كاملا (أى بالدية كاملة) ، واذا جدعت أرنبته فنصف العقل ، وقضى فى العين نصف العقل ، والرجل نصف العقل ، واليد نصف العقل ، والمأمومة ثلث العقل ، والمنقلة خمسة عشر من الابل .

***

وللتشويه حسابه فى هذه الشريعة ، فالعضو الذى لا يؤدى عمله اذا قطع قدر له تعويض يناسب ما لحق صاحبه من تشويه جسمه بسبب فقد ذلك العضو ، مثال ذلك اليد المشلولة ، فانها وان كانت لا تؤدى وظيفتها ، الا أن بقاءها فى مكانها يحفظ على صاحبها تمام خلقته ، وجمال شكله ، فاذا قطعت صار صاحبها مشوها ، والعين العوراء التى لم يذهب ماؤها ، فانها كذلك تجعل وجه صاحبها أقل دمامة وقبحا مما لو طمست وأصبح مكانها غائرا .

ولهذا المعنى فانه قدر لليد المشلولة اذا قطعت ثلث ديتها (أى ثلث الخمسين من الابل) ، وللعين العوراء التى لم يذهب ماؤها اذا طمست ثلث ديتها ، وهكذا .

أخرج النسائى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قضى فى العين العوراء ، السادة لمكانها اذا طمست بثلث ديتها ، وفى اليد الشلاء اذا قطعت بثلث ديتها ، وفى السن السوداء اذا نزعت بثلث ديتها .

***

وللجنين كذلك حسابه فى هذه الشريعة ، فاذا أجهض شخص امرأة حاملا ، فسقط جنينها ميتا كان عليه أن يدفع غرة ، أى فرسا ، أو عشرا من الابل .

وأصل ذلك أنه كان لحمل بن مالك زوجتان ، فتشاجرتا ، فضربت احداهما الأخرى — وكانت حاملا — فقتلتها ، وأسقطت جنينها ميتا ، فقضى النبى — صلى الله عليه وسلم — بدية المقتولة ، وفى جنينها بغرة .

أخرج الامام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى عن المغيرة بن شعبة ان امرأة ضربتها ضرتها بعمود فسطاط ، فقتلتها وهى حبلى ، فأتى فيها النبى — صلى الله عليه وسلم — فقضى فيها على عصبة القاتلة بالدية ، وفى الجنين غرة ، فقال عصبتها : أندى « أندفع الدية » ما لا طعم ولا شرب ولا صاح ولا استهل ؟ مثل ذلك يطل (يهدر فلا تدفع ديته) ، فقال : (سجع مثل سجع الأعراب ؟) ينكر عليهم قولهم .

***

وبعد ، فأى النهجين أفضل ؟ وأى الطريقين أقوم ؟

الطريق الذى رسمه عالم الغيب والشهادة ، أم الطريق الذى رسمه من لا يعلم ما فى غده ، ولا ما هو وراء ظهره ؟

حول رأى ..
العقاد فى المرأة

تحقيق يقدمه : محمد عبد الموجود • على عبد ربه

• ان ما خرج به الأستاذ العقاد من أن مكان المرأة الطبيعى هو البيت ، هو الحق الذى لا شك فيه .

« مفتى الجمهورية »

• ان الهدف الأول من الزواج هو ضرورة وجود زوجين متعاونين يكمل أحدهما ما فى الآخر من نقص ، وللزوجين أن يتفقا على أن تلازم المرأة بيتها أو على أن تعمل .

« محمد وصفى »

• ان الدين نفسه وقد سوى بين الرجل والمرأة فى الواجبات الدينية لم يبح العمل للرجل ويحرمه على المرأة .

« صلاح مجاور »

• ان الحياة منذ وجدت تنادى بأعلى الصوت أن مكان المرأة هو التربع على كرسى مملكتها الصغيرة ، وادارة شئون بيتها كما ينبغى أن تكون .

« عبد السلام سرحان »

• ان عودة المرأة الى البيت دعوة الى النكوص الاجتماعى وعودة الى مرحلة تجاوزها المجتمع .

« آمال العمرى »

تشارك المرأة الرجل أعماله خارج البيت ، أم تلزم بيتها لا تبرحه .. قضية طالما اشتد حولها الصراع بين المفكرين .. واحتدم بينهم الخلاف فمن قائل ان المرأة لها أن تعمل فى جميع الميادين التى يعمل فيها الرجل ومن قائل أن المرأة مكانها الطبيعى فى البيت .. وتمر القرون تلو القرون ويظل عمل المرأة عبر تلك القرون الطويلة محلا للخلاف ومثارا للجدل والنقاش .. والقضية قائمة لم يصل فيها المفكرون الى رأى موحد .. وحكم فيصل بعد ..

ومن حين لآخر تطفو القضايا القديمة فوق أمواج الأحداث لتناقش من جديد ويتناقش المفكرون وذوو الرأى فيها لعلهم يصلون الى نتيجة لتلك المناقشات يقبلها الجميع ويرتضونها ..

وفى الأيام الأخيرة أثار الأستاذ الكبير عباس العقاد قضية اشتغال المرأة وقال أن مكانها الطبيعى هو البيت .. هذه وجهة نظره التى آمن بها ولا يقبل عن غيرها بديلا ..

وللأستاذ العقاد مكانته العلمية والأدبية والاجتماعية .. مكانة لا ينكرها أحد .. وله كذلك خبرة السنوات الطويلة التى قرأ خلالها وسمع كل آراء المفكرين فى العالم حول تلك القضية الكبرى .. ولكن شخصا فى الدنيا لا يعلو على النقد .. وكل رأى فى العالم - مهما كانت مكانة هذا الذى ينادى به - له مؤيدون وله معارضون ولكل منهما أسانيد يعضد بها رأيه .. لذلك رأت مجلة منبر الاسلام أن تستطلع الآراء المؤيدة لرأى العقاد وما يستندون اليه فى تقرير رأيهم .. وكذلك رأى المعارضين وما يقولون به تأييدا لرأيهم .. وقمنا بجولة مع مجموعة من كبار رجال الفكر والرأى فى الجمهورية العربية المتحدة نسألهم رأيهم فى قول الأستاذ العقاد ، ونستفسر عن السر فى مشاركة المرأة للرجل فى مجالات العمل المتعددة حتى فى الأعمال الشاقة ، ولنرى حال المرأة فى صدر الاسلام وما اذا كانت تساعد الرجل فى أعماله خارج البيت وهل فى القرآن الكريم وأحاديث الرسول ما يشير الى ذلك ؟ ولنتساءل عن حالنا نحن فى الوقت الحاضر وعما اذا كانت طبيعة بلدنا فى دور التنمية تحتاج - بالضرورة - الى مشاركة المرأة للرجل أعماله ... وسألنا هؤلاء الفحول رأيهم فى تعليم البنت، والمرحلة التى يجب أن تتوقف عندها من مراحل التعليم، وما اذا كان الهدف من تعليمها ، هو العمل أم لتكون أكثر قدرة على خدمة زوجها وبيتها وأولادها ؟..

• وقابلنا فضيلة الشيخ أحمد هريدى مفتى الجمهورية العربية المتحدة وقلنا لسيادته .. ما رأى سيادتكم فى الموضوع الذى أثاره الأستاذ عباس العقاد حين قال : « ان مكان المرأة الطبيعى هو البيت » ؟

* فقال سيادته : ان ما خرج به الأستاذ العقاد من مكان المرأة الطبيعى هو البيت - هو الحق الذى لا شك فيه واذا كان لنا أن نعلق على هذا الرأى بشىء فهو بالثناء والتقدير على كاتبنا واكبار ما يمتاز به من الشجاعة فى الحق لأن هذا الرأى هو رأى الكثيرين من الناس الذين يقدرون الأمور تقديرا حسنا متزنا ولكنهم لا يجهرون بهذا الرأى لاعتبارات لا أريد الخوض فيها . وليس فيما قرره الأستاذ العقاد . انتقاص للمرأة أو غض من كرامتها ومكانتها كما قال الأستاذ العقاد بحق

لان بقاء المرأة فى البيت واشرافها الاشراف الكامل على خدمة زوجها واعداد أولادها وتربيتها تربية صحيحة صالحة من النواحى الدينية والثقافية والاجتماعية وكل ما تتطلبه التربية الرشيدة بما امتازت به المرأة من صفات وما توفر لها من استعداد . هذه المهمة هى أخطر مهمة وهى أكبر خدمة يمكن أن تؤديها لوطنها وأعظم نصيب يمكن أن تساهم به فى اعداد لجيل . وخدمة الوطن والدين لا تستدعى أن يقوم من يريد الخدمة بكل شىء أو بشىء لا يتفق مع طبيعته واستعداده وانما تكون بالقيام بما يحسنه ويتفق مع طبيعته ومع استعداده . والمرأة بحسب طبيعتها واستعدادها أقدر على القيام بالدور الذى أشرنا اليه وانتاجها فيه أكفل بالخير والمصلحة من انتاجها فى أى مجال آخر .

● وسألنا سيادته اذا كان صحيحا أن مكان المرأة هو البيت فما هو السر فى مشاركة المرأة للرجل فى مجالات العمل المختلفة حتى فى الأعمال الشاقة ؟.

* فأجاب سيادته : أعتقدأن هذا السؤال ان صح أن يوجه لأحد فانما يوجه لمن أخذوا بيد المرأة ووصلوا بها الى هذا المكان واذا كان لنا أن نحاول معرفة السر وأن نحسن الظن فانه يمكن القول بان السر هو شعور هؤلاء بحاجتهم الى مشاركة المرأة للرجل فى العمل وفى العمل الشاق وفى تقدير أنه ليست هناك حاجة تدعو الى الزج بالمرأة فى هذه المجالات وتكليفها من الامر مالا تطيقه ولا يتفق مع طبيعتها .

● فقلنا لفضيلته هل كانت المرأة فى صدر الاسلام تساعد الرجل فى أعماله خارج البيت ؟

فقال فضيلته :

* كانت المرأة فى صدر الاسلام تقوم بالعمل الذى يناسبها وتقتصر عليه ،وقد اقتسمت السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول العمل مع زوجها الامام- على كرم الله وجهه - وكان من نصيبها عمل البيت . غير انه قد تدعو ظروف عامة كظروف الحرب ، المرأة أن تعمل خارج البيت وفى هذه الحالة وأمثالها لا بأس عليها بل من واجبها أن تعمل ولكن فى نطاق قدرتها واستعدادها وبمقدار ما تقتضيه الظروف . وقد ثبتأن المرأة اشتركت على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى أعمال الحرب كممرضة وطاهية وساقية ومحمسة للجيش لان مثل هذه الظروف تستدعى الانتفاع بكل أفراد الامة القادرين على العمل ، كل فيما يحسنه ويقدر عليه . وقد كان لاحدى النساء على عهد الرسول خيمة فى المسجد تضمد فيها الجرحى وتشرف على خدمتهم واسعافهم .

● وقلنا لسيادته : ان طبيعة بلد فى دور التنمية تحتاج لتعبئة كل الجهود والامكانيات لرفع مستوى البلد فهل من الضرورى أن تشارك المرأة الرجل فى العمل ؟

* فأجاب قائلا يمكن فى ضوء الاجابة على السؤالين الثانى والثالث استخلاص الاجابة على هذا السؤال . فان من المقرر شرعا أن للضرورات حكمها والحديث فى موضوع مشاركة المرأة للرجلفى العمل انما يتناول حالة اجتماعية تأخذ وضعها فى المجتمع كظاهرة طبيعية ليس يقتصر على حالات الضرورة أو أوقات الحاجة كما يتجه هذا السؤال . وليس من شك فى انه اذا دعت ظروف الأمة ودواعى نهوضها وتقدمها الى اشتراك المرأة فى العمل فانه يكون واجبا أن تشترك مع ملاحظة طبيعتها واستعدادها وعدم تعريضها لما لا يتفق مع أحكام الدين.

● وسألنا سيادته عن رأيه الشخصى فى تعليم المرأة ، وهل هناك مرحلة يجب أن تتوقف عندها وهل اذا تعلمت عليها أن تلزم بيتها أم تلتحق بعمل ؟

* فأجاب سيادته : ان تعليم البنت ليس جائزا فقط بمقتضى أحكام الشريعة وانما هو واجب . واذا كان الحديث عن تعليم المرأة قد جرى فى بعض الكتب فى مجال التعليم الدينى فليس معنى ذلك الاقتصار على تعلم هذه النواحى فقط وعدم جواز أن تتعلم غيرها من فروع العلم والعمل . فان ذلك قد أملته ظروف الحياة اذ ذاك . واذ كانت ظروف الحياة الآن تملى غير ذلك فان تعليم المرأة واجب . ولا أرى الوقوف به عند مرحلة معينة لان التعليم الناقص قد يكون أضر وأدعى الى الشر، غير أنى لا أرى من الجائز ولا من ضرورة التعليم أن يختلط الجنسان معا على النحو القائم الآن فمن الممكن ومن اليسير أن يفصل كل جنس عن صاحبه فى دور التعليم ويقوم على الكل رجال مخلصون يؤدون واجبهم ومهمتهم على خير الوجوه وأكفلها بالمصلحة .

واتساقا مع ما بدأنا به أرى أن يكون تعلم المرأة واعدادها اعدادا صالحا كاملا لتؤدى واجبها فى خدمة وطنها ومجتمعها فى الحدود التى أشرنا اليها أولا .

وقابلنا الدكتور عبد السلام سرحان وسألنا سيادته ؟

● أثار الأستاذ عباس العقاد ضجة حول موضوع اشتغال المرأة فىالميادين العامة وقال : ان مكانها الطبيعى هو البيت ، فما رأى سيادتكم فى ذلك ؟

فأجاب قائلا :

* قبل أن أجيب عن هذا السؤال يسرنى ويهمنى أن أوجه نظرك الى أن الأستاذ الكبير عباس العقاد - رحمه الله - من الكتاب القلائل الذين امتلأت قلوبهم بالايمان بالله ، ففقهوا الحياة كما يجب أن تكون الحياة، ولهذا فهو يصدر فيما يكتب عن احساس عميق ، وادراك دقيق ، وفهم مثالى للصورة المثلى التىارتسمت على صفحات الزمن للاسلام والمسلمين ، ويمتاز العقاد بالشجاعة الادبية التى تهيىء له ان يقذف بالحق فى صدور المنحرفين دون أن يخشى فى الله لومة لائم .

أما موضوع السؤال فما كان ينبغى مطلقا أن تحدث كلمة العقاد أى ضجاج ، لأن الحياة منذ وجدت تنادى بأعلى الصوت أن مكان المرأة هو التربع على كرسى مملكتها الصغيرة ، وادارة شئون بيتها كما ينبغى أن تكون .

ان طبيعة المرأة وطبيعة الحياة تلتقيان داخل تلك الجنة المنزلية التى تصنع فيها الحياة .

ان رسالة المرأة فى بيتها أخطر الرسالات التى تناط بانسان ، وصب النماذج الآدمية الحية ، وتفتيح براعمها الصغيرة يحتاج الى جهود جبارة ، ورعاية تفيض بالأمومة والعطف والحنان ، وليس لمصنع الحياة الاول من يديره سوى ربته الطبيعة ، وراعيته الانسانية ، وملكته التى تديره ذات اليمين وذات الشمال .

لقد منحها الله العاطفة وضمخها بمعانى الحنان ، وصنعها من خامات الرحمة ، ورزقها المهارة والصبر الجميل الذى يمكنها من جعل البيت مثابة للهدوء والسكون ومربعا للراحة والسعادة ، ومنبعا للانتعاش وتجديد دم الزمان .

وأيما بيت فقد رعاية ربته فانه يصبح قطعة من الصحراء ، ولو ازدان بالفراش الوثير ، وأزين بالسندس والحرير .

ولهذا ترى بيوت العاملات من السعادة خالية ، ومنازل غير المتزوجين على عروشها خاوية ، وان كانت متخمة بالتحف والأرائك ، طافحة بالمناظر الأخاذة ، والألوان الفاتنة .

ذلك أنهافاقدة لروح الحياة ، جافة من ماء الوجود ، ولهذا يهجرها أصحابها ويفرون منها كأنها السجون .

هذه هى الحقيقة التى يعرفها الناس عن كثب ، ويعلمها النساء قبل الرجال من قريب ، ولتثق يا بنى أن آلاف العاملات والموظفات يدركن هذه الحقيقة ويشعرن بها شعورا مريرا ، ولولا ظروف خاصة بأخلاق المجتمع، وموت الرجولة والمروءة فى كثير من أفراده لفرت كل امرأة أو كل فتاة الى المنزل من جديد ترشف فيه الراحة ، وتتذوق داخله الهناءة ، وتحس السعادة داخل كل ركن فيه .

هذه هى طبيعتها وتلك هى رسالتها ، بل ذلك هو أمنيتها العذبة التى ترجو تحقيقها آناء الليل وأطراف النهار .

ووظيفة المرأة فى بيتها وظيفة اجتماعية من أسمى الوظائف وأشرف الاعمال وأداؤها على مستواها الصحيح مجد وعظمة وجلال وخلود .

واذا كانت المجتمعات الماضية قد نعمت بأداء المرأة لرسالتها الانسانية فى اطار منزلها فان مجتمعنا الحديث - بعد انتشار التعليم وجبرية التثقيف ووهن الاخلاق وانحلال الروابط - فى أشد الحاجة الى عودة المرأة الى مكانها وقيادتها لسفينة بيتها وتحملها أعباء المسئوليات الخطيرة التى تناط بها فى زماننا الحديث .

ان الأزواج يرجون هذا ، والأبناء والبنات يتمنون أن تهبهم الأم ما تحت جوانحها من عطف وشفقة ورعاية وحنان .

ان ازواج الآن يقضون أوقاتهم فى الاندية حتى منتصف الليل والابناء مشردون فى الشوارع لا يعرفون لهم عشا يجتمعون فيه .

والعاملات أنفسهن يتمنين العودة دون أبطاء الى مهد سعادتهن وراحتهن وموطن هناءتهن فى الحياة .

ولولا ظروف العيش وضرورات قاسية لفررن الى البيت باسرع مما يتوهم الكثيرون .

هذه هى الطبيعة وتلك هى الحياة ، فاذا دعت ضرورة العمل فى جو من الطهر والعفة ، وفى ميدان لا يسمح بالتلوث والارتياب فلا مانع مطلقا أن تعمل المرأة لتحفظ كيانها أو تصون شرفها ، أو تغنى وجهها عن أن يريق ماء الحياة .

فقلنا لسيادته :

● اذا صح أن مكان المرأة هو البيت فما السر فى مشاركة المرأة للرجل فى مجالات العمل المتعددة حتى فى الأعمال الشاقة ؟. فقال سيادته :

* ان الحياة شركة بين الرجل والمرأة ، ولكل منهما رسالة يجب عليه أداؤها فى جد واتقان ، ورسالة المرأة فى بيتها أخطر ألف مرة من عملها الخارجى كائنا ما كان، لانها تتعلق بتنمية الاشباح وصقل الارواح وادارة دولة صغيرة ، وتدبير ما لها من موارد ومصروفات .

وقد عرف العالم هذه الحقيقة وأقرها وعرف للمرأة قدرها فى هذا الشأن ، وأكبرت الاديان تلك الرسالة وانزلت المرأة بسببها خير مكان ، وقدست عملها كل التقديس ، وأفاءت عليها غلالة من الاكبار والاجلال ، ورفعت الامومة الى ما فوق السحاب .

فضيلة الشيخ أحمد هريدى

كذلك فهمت المرأة أن الحياة شركة بينها وبين الرجل فبذلت ما تستطيع بكل ما يستطاع ،وقدمت من وقتها وجهدها وروحها فى سبيل زوجها وأولادها كل مرتخص وغال .

ولكم يكون جميلا أن نخطط لعمل المرأة ، ونحيطها بالرعاية الكاملة ونهيىء لها السلك الوظيفى الذى يحفظ كرامتها . ويتفق مع طبيعتها ، ويصون ما جبلت عليه من رقة وحياء .

ولكم يكون أجمل أن يمنح المتزوجون بعض المساعدات الدائمة التى تعينهم على تحمل أعباء الحياة ، بشرط أن تستقيل زوجاتهم ان كن موظفات ، وبشرط أن توقف مرتبات الذين لم يتزوجوا وعلاواتهم عند حد محدود

لو حدث هذا لواجهت الأسر والبيوت أسعد الأعياد. وخطر على بالنا سؤال ؟

● هل كانت المرأة فى صدر الاسلام تساند الرجل فى أعمال خارج البيت وهل فى القرآن أو السنة ما يشير الى ذلك ؟.

فأجاب سيادته قائلا :

● كان هناك تعامل كامل ، ومشاركة جدية بين الرجل والمرأة فى صدر الاسلام وكان التكامل الروحى يدفع الزوجين الى الفدائية البالغة فى مقابلةالحياة ولم يعرف العالم حتى ظهور الاسلام وظيفة للمرأة بالمعنى المعروف فى زماننا هذا ، ولكن الشركة الروحية بين الرجل والمرأة فى صدر الاسلام دفعت طرفى الشركة الى تقديم كل عون وبذل كل مساعدة ومساندة ترفع من أعلام الحياة وتهيىء لسفينتها الوصول الى شاطىء النجاة .

وقد كان العمل الأول فى صدر الاسلام هو الجهاد فى سبيل الله والذب عن دعوة رسول الله ، وقد أبلت السيدات المسلمات فى ذلك أعظم البلاء .

ولما جاء دور الصراع الدموى خرجن الى الميدان وتحملن عبء المشاركة فى الدفاع وأخذن يشاطرن الرجال لأوار الحرب ويسقين الجنود ويمرضن الجرحى وينقلن القتلى وينافحن عن المجاهدين الأبطال .

وكان بعض السيدات يغزل بالاجر لمساعدة الازواج ، وبعضهن الآخر يدرن الرحى أيضا بالأجر لهذه الغاية الكريمة فىأول الاسلام .

ولقد كان نظام الدولة يغنى المرأة عن العمل بعد أن استقرت الأمور وأصبح لدولة المسلمين كيان ،فقد كانت

الدولة تضمن لكل رجل وامرأة ما يقيم الحياة ، وكانت الارزاق تجرى فى سخاء على من لا عائل لهن من النساء .

والحياة فى الجزيرة العربية آنذاك لم تسمح بأن تتولى المرأة وظيفة عامة الا ما كان يحدث من عمل المرضعات .

وهذا يدلنا قطعا على أن الاسلام لا يمنع العمل اذا اقتضته ضرورة أو تعلق به أمل ، على أن يكون ذلك فى حدود المبادىء العامة المشروعة التى وضعها الاسلام للمجتمع على قاعدة : الوقاية خير من العلاج .

وقد أباح الاسلام للمرأة التجارة وادارة مالها وتصريف أمورها بالاوضاع التى تصون الشرف وتحفظ الكرامة وتقطع السنة الشك والارتياب وكتب السنة والتاريخ ملأى بالآثار الدالةعلى ذلك خاصة فى باب الجهاد .

قلنا لسيادته :

● ان طبيعة بلادنا فى دور التنمية تحتاج الى تعبئة كل الامكانيات ، فهل يستلزم ذلك ضرورة مشاركة المرأة للرجل فى العمل ؟

فقال :

* اليوم وفى كل يوم ليس هناك ما يمنع من تلك المشاركة فى الميادين المختلفة على أن يراعى التخصص الطبعى الذى صنعه الله ، والابتعاد عن أسباب الزيغ والفساد . ووسائل الضعف والانهيار .

اننا فى نهضتنا المتوثبة بعد الثورة فى أشد الحاجة الى تربية الاجيال الجديدة وزرع معانى الوطنية والحياة الجادة فى نفوس الناشئين ، والابناء الآن يتركون لمدرسة الشارع ، ولرعاية الخدم ، وللاوبئة الاجتماعية تنهش فيهم وترعى ، ولهذا نرى الشباب المخنث المتميع المتخلع الذى تغريه أسباب الفساد وتجره مظاهر الانحلال الخلقى الى الفناء وانعد من الاحياء .

ان ثروتنا فى شبابنا يجب ان تكون أغلى الثروات ، ويجب أن نحافظ عليها ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، وبعد هذا فلا باس من أن نوجه جهودنا ووجودنا كله الى النهوض بأعباء نهضتنا كل فيما تخصص له أو نبغ فيه من الغايات والأهداف المشروعة التى تحفظ للمجتمع كرامته ، وتصون للشعب أخلاقه ، وتحيى فيه الرجولة والبطولة ، وتبعث فيه الحياة الكريمة من جديد .

ونحن جميعا مقتنعون أتم الاقتناع بأن أكثر الأعمال التى تقوم بها المرأة الآن لا تمت للمجتمع الفاضل ، أو للنظام الاسلامى بسبب أو نسب من قريب أو بعيد .

واذن تدريس المرأة للفتيات ، وتمريضا للسيدات ، وعلاجها للنساء ، وخبرتها فى مجال النشاط النسوى ، لا بأس به اذا كان سائرا فى الطريق السوى وعلى هدى مبادىء الاسلام فان عمل المرأة فى ميدان الخلاعة والمجون كالرقص والتمثيل والغناء بوضعها الحالى ، أو ميادين الاثارة والاستغلال الجنسى كعمل المرشدات السياحيات ، ومضيفات الفنادق والطائرات ، وسكرتيرات المديرين والرؤساء وما شاكلها — عمل لا يرضاه خلق ، ولا تقبله رجولة ، ولا تقره عفة أو اباء .

اننا الآن نسير فى طريق الشوك ، وننقل النظم الاوروبية دون وعى ، ونسابق ركب التحلل والميوعة باسم الحضارة ، والحضارةمن ذلك براء .

فعلينا — كما أشرت سابقا — أن نخطط لعمل الرجل والمرأة ، ونضع النموذج الحى للعمل الوطنى الحق ، ونبتعد ببناتنا ونسائنا عن المزالق ، ونجنبهن اسباب الفساد والانحلال ، ونعفى نهضتنا الثورية المتوثبة من الشواطىء العارية والرحلات المختلطة ، ونمزق عن مجتمعناثياب الفتنة والتحلل العميق .

واذا عرفت المرأة طريقها الى العمل المجدى ، وعرف الرجل طريقه فى ميدان الجهاد المثمر ، والتزمنا جميعا حدود الخلق الفاضل ، وخلعنا رداء التحلل والتآكل ، وأغلقنا أبواب الفساد فى وجوه أصحابه — فلا شك أننا سنخطو خطوات حاسمة الى الأمام ، ونبنى دولتناالفتية على دعائم قوية ثابتة الاساس .

وأخيرا سألنا السيدالدكتور

● ما رأى سيادتكم الشخصى فى تعليم البنت ، وهل ترى سيادتكم أن هناك مرحلة تعليمية يجب أن تتوقف عندها الفتاة ، هل يكون تعليمها للعمل الخارجى أو للبيت .. فأجاب قائلا :

* لا يختلف اثنان فى أن تعليم الفتاة من الواجبات الأولى ، واللوازم المقدسة للحياة والعلم طريق النور وسبيل المعرفة ، ووسيلة الى التقدم ، وطريق الارتفاع بالانسان الى الموضع الذى هيأه له الله .

ولعل تعليم الفتاة فى زماننا هذا أقسى ضرورة من تعليم الفتى ، لأن فتاة اليوم هى أم الغد التى ستصنع حياة المستقبل ، ولا سبيل الى الموازنة بين الجاهلات والمتعلمات .

فالاسلام نفسه أمر بالتعليم وحث على الثقافة ، ورغب فى المعرفة ولم يفرق بين الشاب والفتاة .

كل ما هنالك أن يكون التعليم فى اطار الفضيلة وتحت اشعاع الخلق وبعيدا عن هذا التقليد الأعمى الذى يسير فيه .

ومن اللوازم ان يظل تعليم الفتاة بعيدا عن تعليم الفتى ، وتكون هناك جامعات خاصة للبنات .

وامكانياتنا الآن تسمح بهذا التخصيص ، واسلامنا يامر به ويدعو اليه ، والتجارب المريرة تنادى بهذا وتوجبه ، وتصطرخ فى الناس أن يؤازروه ويقووه .

واذا كان أكثر القائمين على التعليم الجامعى ينادون بغير هذا ، فقد تأثروا جميعا بالحياة فى أوروبا وأمريكا ، وأصبحت حياتهم الخاصة والعامة بعيدة عن الأوضاع السليمة كل الابتعاد .

يجب أن تتعلم الفتاة وان تزود جديا بالثقافة الاسلامية ، وتربى تربية فاضلة بعيدة عن النظام الأوروبى .

ويجب أن تهيأ الفتيات جميعا حتى الثانوية العامة بالتربية المنزلية وأن تعد كل فتاة لتكون زوجة صالحة ، وبعد ذلك يسمح للنابغات — اللاتى يتهيأ لهن الظرف المساعد — بالتعليم العالى فى اطار طاهر ، ومجتمع سليم

وبهذا نستطيع أن نسير بالأمة قدما فى طريق الحياة الصحيحة ، وأن نخلق أجيالا مسلمة تتملأ بالاسلام ، وتتضمخ بعطوره ، وترتوى من معينه حتى نحقق قول الله تبارك وتعالى فينا « كنتم خير أمة أخرجت للناس »

● وقابلنا بعد ذلك الأستاذة آمال العمرى الأمينة المساعدة بمتحف الفن الاسلامى ولما عرضنا عليها رأى الاستاذ الكبير عباس العقاد فى المرأة وسألناها عن رأيها هى قالت : أنا لا أوافق الأستاذ العقاد رأيه فى عودة المرأة الى البيت . فليس من المعقول أن تعود الى البيت وقد حققت انتصارات باهرة فى معظم مجالات الحياة وأثبتت جدارتها وأهميتها فى المجتمع الجديد .

عودة المرأة الى البيت دعوة الى النكوص

ان عودة المرأة الى البيت دعوة الى النكوص الاجتماعى وعودة الى مرحلة تجاوزها المجتمع . والمرأة المصرية بالذات قد شاركت الرجل أعماله منذ القدم فذهبت معه الى الحقل وشاركته كل شىء فى الحياة . فهل نطالب هذه الفلاحة بالعودة الى البيت وترك زوجها أم نطالب التى نالت حظامن التعليم بالجلوس فى البيت وهذا شىء لا يعقل بعد أن تعلمت ولاقت فى سبيل ذلك كثيرا من المتاعب .

● فلما رأينا تصميمها على هذه الاجابة قلنا لها كيف تستطيع المرأة العاملة أن توفق بين العمل والبيت .

* فقالت سيادتها : هذه مشكلة كبرى بالنسبة للمرأة ، ويمكن القضاء عليها بعمل تنظيم بالنسبة للمرأة العاملة وبالتعاون مع الزوج والتضحية من الجانبين . ثم ان طبيعة التقدم وتيسير الحصول على كل الوسائل الحديثة التى تساعد المرأة فى عملها بالمنزل وفرت كثيرا من الوقت والجهد الذى تبذله المرأة فى البيت لكى تؤدى عملها على أكمل وجه . وغير معقول أن يعمل نصف المجتمع ويظل نصفه عاطلا ، فالمرأة دائما نصف المجتمع

● وسألنا سيادتها عن تعليم الفتاة

* فاجابت قائلة : ما دام لابد للمرأة من السيرقدما فى سبيل تحقيق أهدافها والمشاركة الفعالة فى بناء الأمة. فلا بد لهامن أن تتعلم الى أبعد مدى فالعلم ليست له نهاية يقف عندها الفرد سواء فى ذلك الرجل أو المرأة وسواء بقيت المرأة فى البيت أمشاركت الرجل فى العمل فلا بد لها أن تتعلم على أى حال ، فالعلم هو السلاح الذى تواجه به الحياة فتستطيع به أن ترفع المستوى الثقافى والدخل القومى خارج البيت ، وبه أيضا تربى جيلا قويما صالحا داخل البيت .

ثم قابلنا الدكتور وصفى وطلبنا رأيه فى هذا الموضوع فأجابنا فى تسلسل منطقى رائع قائلا :

ان الاختلاف بين الكتاب فى تحديد وظيفة المرأة من الناحية الاجتماعية ،لم يخل من تطرف ، فمن قائل أن المرأة لها أن تعمل فى جميع الميادين التى يعمل فيها الرجل ، ومن قائل أن المرأة مكانها الطبيعى فى البيت ، وأنها خلقت للحمل والرضاعة والحضانة ، والقول الأول يتناقض مع جميع الحقائق العلمية ، فالمرأة تختلف عن الرجل من النواحى الجسمية « التشريحية » والفسيولوجية والعقلية والنفسية ، والقول الثانى يريد أن يخضع المرأة وامكانياتها كلها لبعض أعضاء خاصة فى جسمها كالمبيضين والرحم والثديين دون سائر أعضائها الاخرى كالجهاز العظمى والعضلى والمخ وسائر الجهاز العصبى وغيرها .

ولعل سبب الأخذ بالرأى الأخير الاعتقاد بأن الأصل فى الزواج هو عمار العالم ، وتزويده بالنسل ، مع أن الله خالق الذكر والانثى يبين أن الهدف الأول من الزواج هو ضرورة وجود زوجين متعاونين يكمل احدهما ما فى الآخر من نقص ، فالرجل مثلا يحمل لواء العقل وتحمل المرأة لواء العاطفة ، فاذا ترابطا برابطة الزواج ، تمكنا جميعا من السير فى مضمار الحياة بقدم ثابتة ، واستطاعا أن يتعاونا على تذليل عقبات الحياة ، فمشاكل الحياة لا يستطيع العقل وحده أن يتغلب عليها ، ولا تستطيع ذلك كذلك العاطفة وحدها ، فالزواج ترابط روحى بين الزوجين وتعاون بينهما مزدوج ولهذا يقول جل شانه : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وأما الولد وعمار العالم فمسئولة عنه غريزة معينة يشارك فيها الانسان سائر انواع الحيوان .

ولو كانت وظيفة المرأة مقصورة على الولادة ، وكان ايجاد النسل هو الهدف الأساسى من الزواج ، لحملت حواءفى الجنة ، ولما بقى ابراهيم مع زوجته سارة حتى صار شيخا وصارت عجوزا ، ولما ظل رسول الله مع زوجاته اللائى لم ينجبن ، ولحدد الله للانسان مواسم الاتصال الجنسى كما حددها للحيوان ، ولما أبقى زوج على زوج عقيم ، لما عاشت امرأة مع رجل لا ينجب .

ان الله تعالى فرض التعليم على الجنسين وفرض عليهما العمل بما علموا وقال : من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون والعمل الصالح هو العمل الذى أباحه الاسلام ، فيحرم على المسلم التجارة فى الخمر او ادارة أندية القمار أو احتراف مهنة الربا وغيرها من الأعمال التى يستنكرها الدين .

وطبعى أن المرأة لا يناسبها العمل الذى لا يتفق مع تكوينها الجسمانى ، فعظامها مثلا وعلى وجه عام أرق وأضعف ، وأقل صلابة واحتمالا من عظام الرجل ، وكذلك عضلاتها أضعف من عضلات الرجل ، فلا تقوى كالرجل على القيام بالأعمال الشاقة ، وعلى العكس من ذلك يناسبها تماما أن تكون طبيبة وممرضة ومدرسة ، ويناسبها كذلك أن تعمل فى الغزل والنسيج ، ومثل ذلك من الصناعات ، ولم يمنع الاسلام المرأة على وجه من أن تزاول أى عمل مناسب يتلاءم مع طبيعتها ، بل الاصل أن تعمل المرأة وتتعاون مع الرجل ، وأما ملازمة المرأة للبيت ، فتستدعيه ظروف خاصة ، نضرب لذلك مثلا نساء زعماء الدول ، فان بيوت هؤلاء الزعماء وادارتها ليست بالأمر الهين السهل ، ونعتقد أنه من أجل مثل هذا ، أمر الله أزواج النبى أن يقرن فى بيوتهن ، وخصهن بهذا الأمر بقوله : وقرن فى بيوتكن ».

وهنالك ظروف عائلية كثيرة وأسباب اجتماعية أخرى تضطر المرأة أن لا تشغل نفسها بعمل آخر غير أعمال البيت ، وللزوجين أن يتفقا على أن تلازم الزوجة بيتها وتتفرغ لأعماله ، ما دام الرجل قادرا على الكسب .

وفى جميع المناطق الزراعية فى البلاد الاسلامية تعمل المرأة تلقائيا مع زوجها فى الحقل ، ويحدثنا القرآن الكريم أن ابنتى شعيب رسول الله كانتا ترعيان الأغنام نيابة عن أبيهما ، بل ويحدثنا التاريخ أن النساء فى صدر الاسلام كانت لهن آراء فى السياسة وادارة شئون الدولة كعائشة زوج الرسول الكريم .

أما القول بأن المرأة لها أن تعمل فى جميع الميادين التى يعمل فيها الرجل ، فهو قول لا يتفق مع تكوين المرأة ، وان كان الدين لا يحرم على المرأة أن تعمل عملا شاقا الا أن يكون هذا العمل يقودها الى التهلكة ، فالله تعالى يقول : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »

فالمرأة فى الجمهورية العربية المتحدة وفى جميع البلاد الاسلامية على وجه عام ، يجب أن تعمل بجانب الرجل وأن تشاركه فى حمل أعباء الحياة ما استطاعت الى ذلك سبيلا لبناء مجتمعنا الجديد الحر ، فيتماسك كل هذا المجتمع لتصل الى الاهداف التى نصبو اليها ، ولا شك أن الرئيس جمال عبد الناصر حينما أعطى للمرأة الحق السياسى الذى سلب منها من قبل وحق العمل الحر ، حقق مبدأ رئيسيا من المبادىء الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى الاسلام ، وهو رفع شأن المرأة ، وابراز كيانها ككائن حر له نفس ما للرجل من

الدكتور محسن وصفى

الاستاذة آمال العمرى

حقوق ، وحمى المجتمع من أن يظل نصفه معطلا مشلولا، فيدفعه ذلك الى الوراء بدلا من النهوض به الى أسمى مراتب الكمال .

فالمرأة فى الاسلام يجب أن تتعلم كما قدمنـــا ، وأن تستزيد ما شاءت من العلم ، وعليها أن تعمل ، ولها أن تأخذ أجرها على عملها كالرجل ، وفى هذا يقول جـل شأنه : « انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » ويعد الله المرأة بأعظم الثواب اذا عملت فيقول : « ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب »

وفى جلسة هادئة فى مكتب صلاح مجاور بكلية التربية بجامعة عين‌شمس ، خرج سيادته علينا من الحقائق التى قد تغيب على فكر الكثيرين منا ، بعضــــها يؤيد رأى الأستاذ العقاد والبعض الآخر يقول له .. لا .. الظروف أولا وأخيرا هى التى تحكم وليس هناك‌قاعدة عامة ..

مع احترامى للاستاذ العقاد وآرائه فيما يصــــدر من احكام لأنه لا يصدر الا عن روية وتفكير باعتبار أنه من رواد الفكر فى مجتمعنا العربى الا أن حديثـــه عن المرأة ودورها فى ميدان العمل لا يصح أن يؤخذ هكـــذا على اطلاقه والمسألة فى نظرى تخضع اولاوقبل كل شىء الى الظروف التى تعيش فيها المرأة وتحيط بها فقد يكون العمل وسيلة لحل مشكلةاقتصادية لا علاج لها الا بالعمل وقد يكون وسيلة لملء وقت الفراغ الممل حيث لا ولد يملأ البيت وحيث الوحدةالقاتلة فى بعض الأحايين . بل انه قد يكون علاجا نفسيا لبعض المشكلات فالذهاب الى العمل ومحاولة حل المشاكل والتحدث الى الاخرين قد يخرج النفس التى تكالبت عليها المتاعب وغمرتها الأحزان من انطوائيتها المفزعة الى اجتماعيتها التى تدخل عليها السرور .

وقد يكون العمل وسيلة لهدم الأسرة وفصـــم عرى الزوجية ، وزعزعة الثقة المتبادلة ولذا يجب أن ينظر الى المسألة فى ضوء الحقائق الاتية فلا يقال ان المرأة تعمل حتى اذا لم يكن هناك داع للعمل أو أنها لا تعمل حتى اذاكان هناك داع اليه :

١ ـ ان المرأة وقد فتحت لها مجالات التثقف والتعلم الى أعلى المستويات ، وهيأت لها الفرص لتحصل على أرقى المؤهلات فمن المتناقضات أن يقال لها بعد ذلك سواء أرادت أم لم تريدى الزمى بيتك ، بل ان فى هذا قتلا لكثير من المواهب ووأد لكثير من الذكاء وبخاصة فى مجتمع يسعى لأن يلحق بركب الحضارة فحيث أن المرأة قد اكتسبت حق التعليم فقد اكتسبت حق العمل دون جدال .

٢ ـ ان المرأة فى كثير من مجالات العمل قد أثبتت جدارة وكفاءة وأن كثيرا من هذه المجالات لا يصلح لها أحد سواها كالتدريس فى بعض مراحل التعليم والطب الخاص بالنساء والتمريض وما الى ذلك . واذا كان الرجال فيما بينهم يختلفون فى القدرة على ممارسة أنواع من العمل فالمرأة بحكم تكوينها الجسمى والفسيولوجى والبيولوجى لا تلائمها كل الأعمـــال ولكن تلائمها بعض الأعمال .

٣ ـ ان العمل فى ذاته شرف وفضيلة ما دام عمــلا شريفا يتمشى والقيم السائدة التى ارتضاها المجتمع ، وما دام هذا العمل غير ممتهن فلماذا تحرم المرأة من العمل ويكون وقفا على الرجال ؟

٤ ـ ان عمل‌المرأة قد يكون عاملا من‌عوامل‌رفع‌مستوى المعيشة للاسرة الأمر الذى لا يحرمه دين ولا يأباه عرف وهو من هذه الناحية أدخل فى باب التعاون .

٥ ـ ان المجتمعات التى سبقت التطور والارتقاء قد آمنت بحق المرأة فكان لها نصيبها القوى فى دفع عجلة التقدم والتطور الى الامام وشاركت بقوة وفاعلية فى شتى الميادين . واذا كان هذا الحق قد استغل استغلالا لخرج بالمرأة عن حد الوفاء فالمسئولية ليست فى اعطاء الحق ولكنها فى كيفية ممارسته . ولا شك أن مجتمعنا يتطلب تضافر كل القوى والجهـــود وليس من اللائق فى مرحلة البناء والنهوض أن نوقف أكثر من نصف مجمـــوعة عن المشاركة فى هذا البناء .

٦ ـ ان مفهوم الحياة الزوجية لم‌يعد قائما على‌أساس من تبعية المرأة للرجل فهو عليه العمل وهى عليها‌القيام على خدمته . ان الحياة الزوجية يمثل فيها الرجل دور

الدكتور عبد السلام سرحان

الاستاذ صلاح مجاور

الرائد وتمثل المرأة فيها دور المساعد ، والتعاون بينهما هو أساس الحياة وليس فى هذا تعارض مع قوامة الرجل

٧ ـ ان الدين نفسه وقد سوى بين الرجل والمرأة فى الواجبات الدينية لم يبح العمل للرجل ويحرمه على المرأة فهو سبحانه يقول « انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » ويقول عز من قائل « ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا لا فرق فى ذلك بين الرجال والنساء» حقيقة أنه جعل الانفاق فى البيت من مسئوليات الرجل ولكنه لم يشر من قريب أو بعيد الى تحريم العمل على المرأة ، وكم من نساء مؤمنات خرجن فى حشمة القانتات التائبات للتجارة زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزمن الجلة من خلفائه وصحابته ولم يلزمهن أحد بالمكوث فى البيت . أما قوله تعالى « وقرن فى بيوتكن » فهذا خاص بزوجاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالله سبحانه يقول « يانساء النبى لستن كأحد من النساء »

والخلاصة من هذا كله أن العمل للمرأة حق لم يحرمه الدين وقد تقتضيه ظروف خاصة بالمرأة أو بالمجتمع الذى تعيش فيه، هذا الحق تؤيده الاتجاهات الاجتماعية التى تصاحب التطورات الحادثة فى المجتمع ، ولكن مع هذا يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أيضا النقاط الآتية :

١ ـ أن الزوجية والأمومة وظيفة خطيرة ومسئوليات جسام والعمل خارج البيت قد يؤثر على هذه الوظيفة ويعوق دور المرأة فى أدائها .

٢ ـ أن العمل قد يزعزع كيان الأسرة ويقضى عليها ، فقد يؤثر فى الثقة المتبادلة أو يعرض الأبناء لعدم الرعاية والتوجيه أو يفقد الزوج متعة الحياة الأسرية واستقرارها .

٣ ـ ان عمل المرأة قد يعرضها لوسائل الاغراء وبخاصة اذا تعاملت مع من لا اخلاق لهم ، الأمر الذى يتنافى والدين ويهدد العروة الزوجية بالانفصال .

٤ ـ أن العمل ومسئولياته والأعباء الزوجية ومتطلباتها والأمومة ومستلزماتها كل ذلك قد يؤثر على المرأة صحيا وقد يرهقها عقليا وعصبيا وفى هذا خطر جسيم.

٥ ـ ان الاستقلال الاقتصادى عن الرجل الذى يترتب على العمل قد يولد فى المرأة احساسا زائدا بالذات ، ومن ثم تهمل فى واجباتها نحو زوجها مما قد يترتب عليه تعكير صفو الحياة فيما بينهما .

ومن هنا يمكن أن يقال ان الحياة الزوجية لها قداستها وأى مساس بهذه القداسة يجب النظر اليه بعين الاعتبار . ومن مجمل القول من وجهة نظرى أن العمل حق للمرأة لا يصح اطلاقا حرمانها منه ، ولها أن تمارس هذا الحق فى نوع من العمل يلائمها اذا كان هناك من الضرورات الاجتماعية أو الاقتصادية أو السيكلوجية ما يحتم هذا العمل ويدعو اليه ، وبشرط ألا يكون فى هذا العمل ما يزعزع كيان الأسرة أو يؤثر فى قيمة من القيم التى تقوم هذه الأسرة على أساسها كالثقة والاخلاص والاستقرار أو يقف بواجب الأمومة عند حدودها السطحية فلا ينال الابناء من الأم عطفها المنشود ولاحنانها الذى يشبع كثيرا من حاجتهم النفسية أو يقف بالزوجة عن أداء واجباتها فى ناحية الزوجية .

فاذا ما وضعت المسألة هكذا «اما البيت واما العمل» فانا مع الاستاذ العقاد فى ان البيت هو الأول أما اذا لم يكن هناك تعارض بينهما وأمكن للمرأة أن تجمع بينهما فى نجاح وتوفيق فلماذا نحرمها حق العمل ونحكم عليها بأن تلزم بيتها ؟

لقد أثبت الكثير من النساء جدارتهن فى ميدان العمل كما أثبتن كذلك جدارتهن فى ميدان الأمومة ومجال الحياة الزوجية . والأمثلة فى كثير من الاسر التى تعيش بيننا أصدق دليل ، فالمشكلة ليست فى هل تعمل المرأة أو لا تعمل ولكن المشكلة ، هل هناك ما يدعو الى العمل والى أى مدى يمكن التوفيق بينه وبين أعباء البيت . أما اذا لم يكن هناك داع الى العمل فالبيت هو الوظيفة التى لا مناص منها لاية امرأة .

وبعد أيها القارىء العربى فى كل مكان .. هذه هى آراء المفكرين أمامك .. قدمناها لك لتنتقى منها ما يناسب ظروفك .. وأما القول بأن مكان المرأة الطبيعى هو البيت .. فهذا ليس قاعدة ..

وكذلك فالقول بان على المرأة ان تعمل .. هو الآخر ليس قاعدة .. لكل ظروف ما يلائمها .. والقرآن الكريم وأحاديث الرسول لم يمنعا المرأة من العمل ولكن بشرط أن يكون زوجها موافقا على أن تعمل .

الذرة ..
بين الحرب والسلام

تحقيق صحفى قام باعداده :

على على عبد الله

- الاسلام ضد التسلح الذرى
- الاشعاع الذرى يقتل الخلايا الحية
- من الصعب تفادى خطر الاشعاع الذرى وقت الحرب
- ضرر الاشعاع الذرى يعود على المحاربين وغيرهم
- أبحاثنا الذرية لخدمة البشرية

تسابق الدول فى التسليح الذرى ، وهم بهذا انما يتسابقون الى الدمار والخراب ، ويستعملون كل ما خلق الله لهم فى فناء انفسهم ويعطون الجوائز لمن يصنع شيئا أحسن فى موت عدد كبير من البشر .

ويديرون عقولهم فى السعى وراء الحرب واستعمار البلاد الآمنة المطمئنة ، ويحولون النعم الى نقم ، وينفقون فى ذلك ملايين الدولارات .

ولو حولوا هذا الى خدمة أنفسهم والبشرية لكان فيه الخير كل الخير ، لأن « الذرة » فى الحرب لا تعنى فناء المحاربين والقضاء على العسكريين فقط ، وانما تتعدى ذلك الى أهل البلاد الآمنين والشيوخ العاجزين والأطفال القاصرين ، ولا تترك وراءها خيرا أبدا مهما كانت النتيجة للمقاتلين .

وندعو الآن الدول المسالمة ذات السيادة الى معاهدة توقيع حظر التجارب الذرية ، أمنا على نفسها وعلى البشرية ، وكلما وصلوا الى نتيجة فعالة كلما خلقت مشكلة جديدة .

ان الاسلام ضد التسلح الذرى وضد اشعال الحرب فى القضاء على معالم الانسانية ، لان الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان يجهز جيشا لمقاتلة قوم أوصاهم ألا يقطعوا شجرا وألا يتعرضوا لشيخ ولا لامرأة ، ولا لطفل .. فكان لهذا امام الرحمة ورسول السلام ، فدخل الناس فى دينه آمنين مطمئنين .

ولما كان للتسلح الذرى خطره على البشرية من جميع نواحيه ماديا وصحيا ونفسيا آثرت مجلة « منبر الاسلام » أن تلتقى « بعلماء الدين » و « علماء الذرة » و « علماء الطب » لتوضح للقراء رأى الدين فى التسلح الذرى وأثر التجارب الذرية على العالم .

مناشدة الانسانية فى كل أقطارها أن تناشد الدول الكبرى أن يتراجعوا عن استعمال الذرة فى الحرب وأن يحولوا جهودهم متعاونين الى استخدامها فى السلام استخدامها فى صالح الامة لما لها من آثار سيئة ونتائج خطيرة .

وقد التقيت بفضيلة الشيخ حسن مامون مفتى الديار المصرية « سابقا » ووجهت اليه هذه الاسئلة :

* الاديان عامة تدعو الى السلام ، فما موقف الاسلام من استخدام الذرة فى الحرب ؟

فأجاب فضيلته قائلا :

- بناء على معلوماتى عن نتائج انفجار القنابل الذرية أستطيع أن أقرر بأن استخدام الذرة فى الحرب لا تقره الشريعة الاسلامية لان أثر انفجار القنبلة الذرية لايقتصر على المتحاربين فى ميدان القتال بل يعم غير المشتركين فى الحرب من الشيوخ والنساء والاطفال الآمنين الذين لا يد لهم فى الحرب .

وقد نهى الاسلام فى الحروب العادية التى كانت دفاعا عن الاسلام ضد مشركى مكة الذين كانوا يقصدون باعتدائهم القضاء على الاسلام قبل أن ينتشر ويكثر أهله ، ففى هذه الحروب ثبت النهى عن قتل الشيوخ ، ورجال الدين ، والنساء ، والاطفال ، الذين لم يشتركوا فى الحرب .. فكلها تؤدى الى ازهاق أو تشويه أجسام غير المشتركين فى الحرب يكون حراما منهيا عنه ، هذا فضلا عن أثر القنابل الذرية فى تدمير المساكن والبيوت والمصانع والمدن الآهلة بالسكان والقضاء على الحضارة الانسانية وعلى الاقل تأخير مسير الانسان فى طريق المدينة والعمران .

وسألت فضيلته :

* ما هو النداء الذى توجهه الى العالم بالنسبة لحظر التجارب الذرية ؟

فأجاب فضيلته :

- النداء الذى أوجهه لجميع المشتغلين بصنع القنابل الذرية هو أن يرجعوا الى ضمائرهم ويقروا حظر استخدام القنابل الذرية حرصا على مصالحهم وعلى مصالح أمتهم وعلى مصالح باقى الأمم ، فخير ما يفعله الانسان أن يقدم خدمة لاخيه الانسان ويمنع عنه ضررا محققا ويساعد على نشر السلام حفظا للتراث الانسانى واستبقاء للعلاقة الاخوية بين الانسان وأخيه الانسان .

ثم التقيت بالدكتور محمد جمال الدين الفندى ـ الأستاذ بكلية علوم القاهرة ، ووجهت الى سيادته السؤال الآتى :

* هل يوجد فى القرآن ما يدل على الذرة ، وما معناها ؟

فضيلة الشيخ حسن مأمون

دكتور محمد النادى

فقال سيادته :

ـ لفظ الذرة ورد فى القرآن كما فى قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » تشير الى أن الذرة شيء صغير جدا أصغر اللبنات التى تبنى منها المادة ، وقد سبق أن اشار بعض فلاسفة الاغريق الى أن الاجسام تتكون من لبنات صغيرة هى الذرة ، ولكن ليس معنى ذلك أن نسبغ على هذا اللفظ كما ورد فى القرآن الكريم كافة المعانى العلمية التى نسبغها عليه فى هذا العصر خصوصا من حيث ما تحوى من طاقات ، والاشارة فى حد ذاتها لها معناها ومغزاها ولا نستطيع أن نحمل مثل هذه الآيات كل المعانى التى أظهرها لنا العلم اليوم وانما هى بمثابة الحافز على البحث والتنقيب العلمى .

ثم وجهت لسيادته السؤال التالى :

* ما هى الاضرار والامراض التى يمكن أن تسببها الاشعاعات الناتجة عن التفجيرات الذرية ؟

فأجاب سيادته :

ـ الاشعاعات الذرية تؤثر على خلايا الاحياء من حيوان ونبات كما أن التفجير الذرى يؤثر على جو الارض ، وفى فجر العصر الذرى قام العلماء بتحليل كميات وفيرة من تربة الارض ومن الماء والمطر وعينات عديدة من النبات والحيوان والاغذية المختلفة وأنسجة كثير من اجسام البشر لمعرفة مدى ما وصل اليه تاثير التجارب الذرية فى هذه المجالات .

والمعروف علميا أن الاشعاع الذرى يقتل الخلايا الحية بسبب العديد من الاورام والحروق الخبيثة والسرطان ، وأهم أنواع الغبار الذرى الذى يتولد من الانفجارات الذرية ويفتك بالحياة هو استرانشيوم ٩٠ الذى يعرف عنه انه اذا ما تولد بكميات كافية يسبب السرطان وسرطان الدم وأمراض الاعصاب المستعصية كما أنه قد يؤثر على الوراثة . ويقال ان جيلا من الميكروبات والفيروسات الفتاكة يمكن أن تنشأ بتاثير الاشعاعات الذرية .

وقد وجد أن الاسترانشيوم ذا النشاط الاشعاعى له ميل للاستقرار فى عظام الاحياء ويسبب تاثيره السام السرطان بانواعه ، ولكن نحمد الله أن كميات هذه الاشعاعات فى جونا ما زالت ضئيلة . وهناك حالات جوية خاصة تتميز بطبيعتها بتوفر الغبار الذرى فيها وعظم تركيز النشاط الاشعاعى بها عند اجراء التجارب الذرية وأهم هذه الحالات الأجواء المتربة كأجواء الصحارى ، ويعمل المطر كما تعمل جاذبية الارض على ترسيب ما يعلق فى الجو من شوائب ذرية كما أن تيارات الهواء المختلفة تعمل على توزيع هذه الشوائب تدريجيا بحيث تقل نسبتها سريعا .

ثم التقيت بالدكتور عزت خيرى ـ الأستاذ بكلية علوم القاهرة ، فوجهت لسيادته السؤال التالى :

* ما المعنى الذى فسر به العلماء الذرة ؟

فأجاب سيادته :

ـ الذرة تتكون من نواة موجبة الشحنة يتركز فيها الجزء الاكبر من المادة ، تدور حولها الكترونات سالبة الشحنة ضئيلة الوزن « ١٨٧٠/١ من وزن نواة الهيدروجين » فى مدارات مختلفة الطاقة . وتشبه هذه الصورة دوران الكواكب حول الشمس .

وقد وجد العلماء واكتشفوا وجود جسيمات مختلفة داخل النواة هى البروتون « موجب الشحنة » ، والنيوترون « متعادل الشحنة » والبوزيترون « موجب الشحنة ويساوى وزن الالكترون » وغيرها من الجسيمات والدقائق . وتتماسك هذه الجسيمات مع بعضها البعض بقوى كبيرة وتختزن لذلك طاقة عالية وتسمى هذه بالقوى قصيرة المدى . فاذا ما تفتتت النواة صاحب تفتيتها انطلاق طاقة عظيمة ، يمكن استخدامها فى أغراض مختلفة . وهذا أساس مبسط للطاقة النووية .

ثم التقيت بالدكتور محمد النادى بكلية علوم القاهرة فوجهت اليه السؤال التالى :

* كيف نتفادى خطر الاشعاعات الذرية ؟

فأجاب سيادته :

ـ الاشعاعات الذرية لا توجد الا حيث توجد المواد المشعة ويجب الحرص باستمرار على الابتعاد عن المواد المشعة نظرا لما يصدر منها من اشعاعات نافذة تؤذى أعضاء الجسم ولا سيما الأجزاء الحساسة مثل الكبد

دكتور جمال الدين الفندى

دكتور عزت محمد خيرى

ونخاع العظام ، ويمكن الاستدلال على المواد المشعة بواسطة أجهزة خاصة مثل « عدادات جيجر » فعندما تبدأ هذه الاجهزة فى العد فانها تعنى وجود مصدرمشع على مقربة منها ، ولذلك يجب أن نبتعد عن مصدر الاشعاعات ، وتستخدم عادة قوالب من الرصاص يحاط بها المصدر المشع لمنع اشعاعاته من الانتشار . أما فى حالات الحرب فعند القاء قنبلة ذرية على مكان معين فان انتشار التراب الذرى يجعل من الضرورى هجرة السكان حيث يمكن للمختصين ازالة المواد المشعة وان ذلك من أصعب الامور .

ثم وجهت الى سيادته السؤال التالى :

— ما مقدرة علمائنا اليوم نحو توجيه الذرة فى خدمة البشرية ؟

فأجاب سيادته :

— التقدم فى العلوم الذرية يتوقف على عاملين :

العامل الاول : هو وجود الاشخاص الذين يمكنهم القيام بالابحاث والدراسات الذرية ، ونحن والحمد لله لدينا وفرة من هؤلاء .

العامل الثانى : هو عامل الاجهزة اذ أن الابحاث الذرية تحتاج الى أجهزة ومواد باهظة التكاليف ، وقد تأسست مؤسسة الطاقة الذرية ولديها الآن امكانيات مرضية .

وتظهر فى المجالات العلمية الكبيرة لعلمائنا ابحاث ذات قيمة علمية كبيرة ، وبالطبع سوف يزداد عدد هذه الابحاث عندما تزداد امكانيات الاجهزة والمواد الذرية .

ثم التقيت بالدكتور محمود السيد رئيس قسم الاشعة بالقصر العينى فوجهت لسيادته السؤال التالى :

* هل كان سبب ظهور بعض الامراض ، وخصوصا فى عصر الذرة مثل مرض السرطان من أثر الاشعاعات الذرية ؟

فأجاب :

— السرطان مرض ملازم للانسانية منذ زمن طويل وللسرطان أسباب كثيرة بعضها توصل العلم الى معرفته والبعض ما زال سببه غامضا .

التفجيرات الذرية يصحبها تعرض لجرعات كبيرة جدا من الاشعاعات عند حدوث الانفجار ، وكذلك تعرض على أوسع مدى عن طريق الغبار الذرى ، وقد وجد ان هذه الاشعاعات المؤينة هى احدى العوامل التى توصلت الشواهد الى معرفتها كسبب لحدوث السرطان وكان ذلك بشكل واضح منذ القاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكى باليابان عام ١٩٤٦ .. فقد وجد أن الافراد الذين ظلوا على قيد الحياة بعد فترات متراوحة أصيبوا بسرطان الدم . كما أن البعض الآخر أصيب بسرطان العظام أو سرطان الجلد .

وكانت نسبة السرطان بين القيمين فى هذه المناطق عالية اذا ما قورنت بالمقيمين فى بلاد أخرى .

كما لوحظ أن الذين يتعرضون للاشعاعات المؤينة بحكم عملهم سواء كانوا فى المصانع أو الابحاث أوتشغيل الاجهزة المنتجة لهذه الاشعاعات تكون نسبة تعرضهم للسرطان أعلى من غيرهم ممن لا يتعرضون لهذه الاشعاعات ، والسبب فى ذلك هو أن الاشعاعات المؤينة قد تغير خاصيات توالد الخلايا البشرية مما يجعلها قابلة للتحول من خلايا عادية أو طبيعية الى خلايا سرطانية .

ثم وجهت لسيادته السؤال التالى :

* وهل يوجد علاج قاطع لمرض السرطان ؟

فأجاب سيادته :

— علاج مرض السرطان فى باكورته بالاستئصال التام يكون فى معظم الحالات ذا نتائج مرضية . وهذا العلاج يكون اما بالجراحة أو بالاشعاعات المؤينة أو بكليهما حسبما يتطلب الحال . أما فى الحالات المتقدمة فنتائج علاجها فى الغالب غير مرضية ولا يمكن القول علميا أن هناك علاجا قاطعا .

ثم وجهت لسيادته السؤال التالى :

* هل الذرة تستخدم فى علاج أمراض اخرى غير مرض السرطان ؟

فاجاب سيادته :

— تستخدم النظائر المشعة فى علاج بعض الامراض الاخرى مثل تسمم الغدة الدرقية حيث يعطى المريض اليود المشع بواسطة الفم أو الحقن . وبجانب الفائدة العلاجية للنظائر المشعة توجد فائدة أخرى وهى تشخيص بعض الامراض .

من ذخائر المكتبة الإسلامية

الإسلام وحاجة الإنسانية إليه

عرض وتلخيص

الأستاذ محمد محيي الدين سالم

لقد عرفت الانسانية منذ فجر التاريخ كثيرا من الاديان السماوية منها وغير السماوية حملتها رسل الله سبحانه وتعالى الى البشرية جمعاء .. حتى كان الاسلام ذلك الدين السمح خاتم رسالات الله ، والذى ارتضاه للناس دينا قيما سلاما فى اسمه سلاما ساعة نزوله . يحس العالم وتحس الانسانية دائم الحاجة الماسة الى تعاليمه ، وشريعته شريعة الحق شريعة الله .

حول هذه المعانى كان كتاب : الاسلام وحاجة الانسانية اليه للاستاذ الدكتور ، محمد يوسف موسى الذى قسمه الى خمسة أقسام تحت كل قسم منها عدة فصول .

أ ـ كان القسم الاول عن معنى الاسلام والحاجة اليه وخصائصه .

ب ـ ويدور القسم الثانى حول علم التوحيد والعقائد ومعنى عدالة الله ورحمته .

جـ ـ أما القسم الثالث فقد تعرض الكاتب فيه الى النبوة والبعث النبوى

د ـ كما كانت الشريعة الاسلامية معنى وخصائص ، ماضيا ومستقبلا ، هى موضوعات القسم الرابع من الكتاب .

هـ ـ وفى الباب الخامس خاتمة الكتاب يقدم لنا المؤلف فيه معنى تربية الفرد واصلاح المجتمع والسلام العالمى .. وهو الاطار الذى يشكل مقاصد الاسلام وغاياته .

ولنستعرض الكتاب من بدايته لنقف عند الفصل الثانى بعنوان الحاجة الى الاسلام حيث قدم لنا المؤلف صورة صادقة عما كانت عليه البشرية من فساد وظلم واضطهاد ، وكيف كان الاسلام ثورة على المجادلة الجوفاء فى العقيدة ، بل كان انقاذا سريعا أخرج الناس من الظلمات الى النور ، ومن ضيق الظلم الى رحابة العدل ، بل كان الامل الذى تطلعت اليه الانسانية زمنا طويلا فهو خاتم الاديان وله من الخصائص ماينفرد بها وحده فهو دين الوحدة الدينية والوحدة السياسية والوحدة الاجتماعية . ودين العقل والفكر ، ودين الفطرة والوضوح ، ودين الحرية والمساواة ودين الانسانية .. لذا كله فهو دين منه الدولة .

يقول المؤلف فى معنى الوحدة الدينية : الاسلام دين الوحد لا التوحيد فقط ، فقد اخذت كلمة التوحيد معنى خاصا لا تعدوه وهو القول باله واحد خلق السموات والارض ،ومابينهما واليه وحده يرد الامر كله ، وذلك فى مقابلة القول بالهين اثنين أو آلهة متعددة .

واذا تركنا معنى الوحدة الدينية جانبا نرى الوحدة الاجتماعية التى قررها الاسلام فى هذه الناحية بلغت من الروعة والكمال حد الاعجاب ، وصارت لهذا مضرب المثل تتحدى التاريخ كله والامم جميعا .

لقد محا الاسلام أول الامر النعرة الجاهلية ، وحرم التفاخر بالاحساب والانساب اذ أبان أن أصل الناس جميعا واحد ، وهذا اذ ينادى كتابه :

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وهذا أيضا اذ يقول رسوله صلوات الله وسلامه عليه .

« كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » .

واذن فلا تفاضل بالاجناس أو الانساب او الغنى او الجاه أو غيرهما ، وذاك مما تعارفه الناس مقياسا للقيم واساسا للتفاضل .

والاسلام دين العقل والفكر مافى هذا من ريب وبذلك يشهد القرآن الكريم الذى يشيد بالعقل فى كثير جدا من آياته ، والرسول العظيم فى كثير من أحاديثه ، ويدل لذلك ايضا عقائده التى جاء بها ، وأصوله التى قام عليها .

ولعل من اهم خصائص الاسلام التى تميزه انه دين الفطرة والوضوح ، الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها ، ودين الوضوح الذى لا يجعل العقل يقف حسيرا عاجزا عن فهم بعض ماجاء به وادراكه ، وبهذا وذاك يخاطب العقل والقلب والوجدان معا .

ومن خصائص الاسلام ايضا أنه دين الحرية بكل ما لهذه الكلمة من معان ومدلولات عند الغربيين ، وعند

العرب على السواء ، فقد حرر الاسلام الضعيف من القوى وسلطانه ،فقد كان العرب وغيرهم من الامم السابقة يحرمون من الميراث الضعيفين : المرأة والاولاد الذكور الصغار ، كما كانوا لا يورثون الزوجة بل يعتبرونها نفسها من جملة ماتركه الزوج من الميراث .

والاسلام ليس عقيدة دينية فقط ، ولا نظاما اخلاقيا فحسب ، بل هو دين ودولة بكل ما تتسع له كلمة دولة من معنى ومدلول ، فالاسلام نظام شامل وكامل بلا ريب ، فهو يحكم الانسان وتصرفاته فى كل حالاته فى خاصة نفسه ، وفى علاقته بالله تعالى وفى صلته باسرته ، وفى علاقاته العديدة المختلفة بالمجتمع الذى يعيش فيه ، وفى علاقات الدولة الاسلامية بالدول الاخرى ، فهو ينظم كل هذه الاحوال والعلاقات وذلك ببيان الاصول ، والمبادىء العامة التىتقومعليها ، والقواعد والقوانين ، والنظمالتى تحكمها على اختلاف أنواعها » .

ولننتقل مع مؤلفنا الى القسم الثانى من الكتاب حيث يحدثنا عن نشأة علم الكلام وتطوره فيقول :

« التوحيد هو اعتقاد وجود الله الواحد الاحد الذى لا شريك له فى ذاته أو صفاته او افعاله ، والذى بعث الرسل لهداية العالم والانسانية الى طريق الخير ، والذى يسأل العبد فى الحياة الاخرى ، ويجزيه على ما عمل فى الحياة الدنيا من خير أوشر ، وقد نشأ هذا العلم فى الاسلام كما فى الاديان الاخرى السابقة لعوامل اقتضت نشأته ثم جد ما جعله يتطور من حال الى حال » .

ثم ينتقل الى بحث وجود الله سبحانه ومعرفته وحدوث العالم عنه حيث يورد لنا الآية الكريمة : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » . والآية الشريفة « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض ، وما خلق الله من شىء ، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون » .

تلك الآيات الكريمة هى مفتاح الدليل على وجود الله تعالى ومعرفته ، والدليل على وحدانيته .

ويستوقفنا المؤلف باسلوبه الفلسفى الشيق عند الفصل الثانى من القسم الثالث وموضوعه البعث والحياة الاخرى يقول :

« ان البعث والانتقال من هذه الحياة الدنيا الى الحياة الاخرى الخالدة أمر يتفق فيه العقل والدين ، أو كما يقول الفيلسوف ابن رشد هو أمر اتفقت عليه الشرائع ، وقامت عليه البراهين عند العلماء ، وذلك لان الانسان لم يخلق عبثا فى هذه الحياة ، بل خلقه الله لغاية جليلة يعتبر تحقيقها بافعاله ثمرة وجوده فى الدار الدنيا ، فلا مناص اذن من أن يبعث بعد موته ليؤدى حسابا عما عمل فى سبيل هذه الغاية ، وفى هذا يقول الله العليم الحكيم فى سورة « المؤمنون »

« افحسبتم انما خلقناكم عبثا ، وانكم الينا لا ترجعون » .

وكانت الشريعة الاسلامية فى تعريفها ونشأتها وتطورها . ومدى الحاجة اليها هى موضوعات القسم الرابع من الكتاب يقول المؤلف فى تعريفه للشريعة : « يراد بالشريعة كل ما شرعه الله للمسلمين من دين سواء أكان بالقرآن نفسه أم بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهى لهذا تشمل اصول الدين أى مايتعلق بالله وصفاته ، والدار الاخرى وغير ذلك كله من بحوث علم التوحيد أو علم الكلام » .

كما يقول المؤلف فى الحاجة الى الشريعة وخصائصها :

ظهر الاسلام والعرب بل العالمكله فى أشد الحاجة اليه فأتاهم العقيدة الحقة والشريعة الصحيحة والنظم التى يقوم عليها المجتمع والامة لتسهم فى بعث العالم ونهضته واخراجه من الظلمات للنور .

وكان من هذه الشريعة والنظم مانسميه بالفقه او التشريع الاسلامى .

وأهم خصائصه :

١ - انه يرجع فى أسسه العامة الى وحى الله تعالى .
٢ - التمهيد لاحكامه بوازع الدين والاخلاق .
٣ - جزاؤه دنيوى وأخروى معا ، ونزعته جماعية .
٤ - قبوله للتطور حسب بيئات الزمان والمكان .
٥ - غايته تنظيم الحياة الخاصة والعامة ، وتيسيرها واسعاد العالم كله .

أما القسم الخامس من الكتاب فكان بعنوان مقاصد الاسلام وغاياته تناول فيه المؤلف ثلاثة قضايا الاولى تربية الفرد والثانية اصلاح المجتمع أما الثالثة فكانت عن السلام العالمى .

يقول فى تربية الفرد :

« من المعروف أن الفرد هو اللبنة الاولى التى يتكون منها المجتمع ، ويقوم عليها فمتى نشأ الفرد تنشئة صالحة صلح المجتمع بلا ريب .

وهنا نجد الاسلام قدعنى عناية كبيرة بتربية الفرد عناية لا نجدها - من ناحية الشمول والتفصيل - فى دين آخر من الاديان السماوية التى جاءت قبله » .

ويقول فى اصلاح المجتمع :

« أول حلقة فى سلسلة المجتمع التى تمتد حتى تشمل العالم كله هى الاسرة وهناك نجد الاسلام قد حاط الاسرة بكل الحقوق والضمانات التى تجعلها أسرة هانئة حقا والتى تجعل منها عدة ومددا لمجتمع سليم سعيد ، اذا قام كل من افرادها بما له من حقوق وبما عليه من واجبات كما يفرضه الاسلام » .

ويقول المؤلف فى السلام العالمى :

« الاسلام ليس دينا مغلقا على شعب واحد او امة واحدة ، بل هو دين مفتوح لكل من يطلب الحق ويؤمن به ، هو دين عالمى للناس جميعا فى جميع العصور لذلك كان من الطبيعى أن يرعى الاسلام هذه الحقيقة الواضحة ، وأن يعمل على أن يعيش الناس بسلام فى جميع أنحاء العالم ، وفى كل الازمان ، وتتجلى هذه الرعاية من نواح عديدة مختلفة ، فهو لايعادى غير المسلم بل يساعده ويحض على حسن معاشرته ، فالاسلام من أهدافه السامية ان يعيش العالم كله فى سلام . وهذا ما اخذ به المسلمون انفسهم فى السلم والحرب وكان له اثر طيب على الاسلام والمسلمين والعالم اجمع » .

وهكذا تنتهى جولتنا مع احدى ذخائر المكتبة الاسلامية والذى جعلنا نتساءل ونخرج من تساؤلنا انه لا يوجد وسيلة لاصلاح هذا العالم الذى نعيش فيه سوى هذا الدين الاسلامى نؤمن به حقا ، ونفهم حق الفهم ، ويكون منا دعاة وزعماء مخلصون ، دعاة وزعماء يجعلون حياتهم وقفا على الدعوة اليه ويرون سعادتهم فى القيام به ويكونون فى سرهم وعلانيتهم مثلا طيبة وقدى صالحة تدعو وحدها الى الاسلام .

وهكذا فان الدين الاسلامى لا يزال العالم فى حاجة شديدة اليه ، ولا خلاص للانسانية مما تعانيه الا بالايمان به واتباعه فهو الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ، والداعى الى الحق والى الصراط المستقيم .

اذكروا هذا الرجل :

شاعر البرارى

علم

الأستاذ محمد عبد العزيز حسن عطية

يا أم شعرى ويا أمى العزيزة أو ــ
لادى فؤادى عتادى ملك شطانك
لى فيك حب طيور الدوح تقرؤه
والريح تكتبه فى رمل كثبانك
فان امت فانسجى زهر الربى كفنا
لى وادفنينى وحيدا فى ثرى بانك
وغسلينى برقراق الندى وكلى
الى طيور الربى تأبين « حسانك »

بهذه الأبيات النقية الصافية الصادقة ، توجه شاعرنا الى البرارى بوصيته التى حفظها له الزمن منذ عام ١٩٤٢ حتى اذا حان الحين ، ووافته المنية فى النصف الثانى من يناير الماضى ، وفت له البرارى بما أراد ، وحققت ما أمل .

واذا كان الوفاء يدعو الى ذكر الراحلين ، والتحدث عنهم بالطيب من القول ، فانه يوجب أن نجعل من حياة العاملين الذين خلفوا لنا تراثا نافعا ، وعاشوا عمرهم للناس ، يصنعون القيم ويغذونها من كيانهم ، أقول يوجب الوفاء أن نجعل من حياتهم منهجا ، ومن دعوتهم مشعلا ينير الطريق .

وصاحبنا اليوم واحد من هؤلاء الذين عاشوا الحياة لغيرهم ، لم يعشها لنفسه بقدر ما عاشها للغير ، وما تألم لما يصادفه فيها من عنت ــ وما اكثر ما صادف ــ بقدر ما تألم لمن حوله ممن يعانون قسوة العيش ومرارة الأيام ، ولقد خلف لنا تراثا انسانيا يجدر بأهل البحث ان يتناولوه بالدرس والتنقيب وانهم لواجدون فيه خطوطا واضحة عن خصائص شعب بأكمله فى حقبة من العمر .

محمد السيد شحاته هذا هو اسمه الذى يكاد لايعرفه حتى الكثيرون ممن كانو خلطاءه وخلصاءه اما لقبه الذى اشتهر به فى الأوساط الأدبية وعرف به بين الناس فهو شاعر البرارى .

يقول الاستاذ انطون الجميل فى مقدمة ديوان بين أحضان الطبيعة ــ من شعر صاحبنا ــ الذى طبع فى عام ١٩٤٢ وكان وقتها رئيسا لتحرير جريدة الاهرام ــ « تلقيت فى أحد الأيام منذ سنتين مع « بريد الاهرام » رسالة صغيرة مطوية على بضعة أبيات من الشعر مكتوبة بخط جلى جميل ، فلما قرأت الأبيات أعجبنى ما فيها من اشراق المعانى ، ورقيق الشعور مع دقة فى الملاحظة ، وجدة فى الوصف ، وكانت مذيلة بتوقيع « شاعر البرارى » حفظنا هذا اللقب ونسينا الاسم .. »

ويقول فى مقدمة ديوانه بين أحضان الطبيعة فى جزئه الثانى الاستاذ محمد فريد ابو حديد .. « هو رجل فذ له طريقته الخاصة به فى كل شىء ، هو رجل اتخذ لنفسه سبيلا فى الحياة رضى بها ومضى فيها ، فاذا قرأت له فهو شاعر البرارى ، واذا حدثته فهو شاعر البرارى ، واذا تأملت أحواله فى حياته فهو شاعر البرارى ... ولقد وفق شاعر البرارى فى اختيار ذلك اللقب الذى عرف به .... »

ولا أحسبنى أترجم له بهذه الكلمة التى أسجلها هنا فى ذكراه الأولى ، وانما هو تذكير أسوقه لأدبائنا ونقادنا ، وفاء للرجل ووفاء لقيمه التى عاش لها وأفنى عمره فى حياطتها والدعوة بها ، وبعد أن تحقق الكثير من أمله الذى كان يرواده قبل قيام ثورة يوليو المباركة ، ذلكم الأمل الذى كان يترجم عنه فى عنف واصرار بين نيران الاقطاع وأغلال الفساد السياسى .

ولد شاعرنا فى مطلع هذا القرن فى قرية « كفر الجرايدة » وشاء له أبوه الفلاح الفقير أن يحصل على قسط من التعليم فنال منه نصيبا أهله أن يعمل مدرسا فى بلقاس ثم ناظرا لمدرستها ، وخلال ذلك كان يبعث بذوب روحه وخفقات قلبه ــ شعرا ــ الى المجلات الأدبية والى جريدة الاهرام .

ويقول رئيس تحرير جريدة الاهرام فى ذلك « وظل شاعر البرارى يوافينا الفينة بعد الفينة بأبيات تتروح بين الخمسة والستة ، وقلما تتجاوز السبعة أو الثمانية ، فنجد دائما لها مكانا للنشر على ضيق المكان بين أخبار الحرب وانباء السياسة ، فتبدو كالابتسامة الوضاءة بين غيوم هذه وفواجع تلك ، لأن موضوعها كان دائما مستمدا من عذوبة الطبيعة وجمال مناظرها .

وانتدب بعد ذلك للعمل بدار الكتب فى طنطا وانتقل الى هناك مع أسرته ، ثم نقل الى المنطقة التعليمية بها ، ثم رأى أن يترك العمل وأن يعيش على مرمى البصر من قريته ما بقى له من عمر فسوى معاشه واقام فى بلقاس وحيدا على حين كان أولاده يقيمون على بعد خطوات منه فى منزل آخر حتى اذا قضى الأمر واختاره الله الى جواره أمكن لوصيته أن تنفذ وأن يحقق له القدر ما أراد .

ولقد مر شاعرنا بمراحل انعكست آثارها على شعره، وقد ثقف نفسه ثقافة واسعة أعانته على دقة التصوير وبراعة الفكر ، وصدق التعبير ، وسلامة الاسلوب .

وقد طبع له ــ على ما أعلم ــ وحى البرارى ، ونجوم ورجوم ، وبين أحضان الطبيعة ــ جزءان ــ ، ومع الدين ثلاثة أجزاء ، ومع الطبيعة كان آخر ما طبع ، وله شعر كثير غير مطبوع .

وسنجده فى شعره عن الطبيعة شاعرها العربى الصادق الحب ، الوفى الفؤاد ، حتى ليقول :

يتلقى سواى وحى هواه
من عيون ترنو بها الآرام
وانا الشاعر الذى كل وحيى
من عيون جفونها الأكمام

لم يدع فيها شيئا لم يترجم له شعره صوراً طريفة ، ولوحات دقيقة ، فى بساطة رائعة ، وسحر أخاذ .

وقد ضمن شعره عن الطبيعة آلام ابنها « الفلاح » الانسان الكبير الذى يعيش معها على الفطرة ابنا بارا وفيا أمينا ، تحدث عن أبيه وجده ، تحدث عن الملايين فى ظل الاقطاع ، لم يخش للاقطاعيين سطوة ، ولم يرهب لهم جنابا .

تحدث حديثا عاصفا صريحا ، وهدده عمالقة الاقطاع الذين كان يعيش بينهم ، وينشر شعره على الملأ عن مظالمهم ، فلم يعبأ بهم ، وظل على ولائه للطبيعة وللفلاح ، حتى جاءت الثورة فحققت أمله وقضت على الظلم والظالمين .

فى ديوان بين احضان الطبيعة يقول عن رسالة الزهور :

وما بال زهر المترفين ذوى الغنى
أبى أن يؤدى للعفاة رسالته ؟
أزهر الربى يجدى وينشر عدله
وزهر الغنى يكدى ويطوى عدالته ؟
لك الله يا عافى ... فان غنينا
غنى مطيع شحه أو جهالته .

ويقول فى وفاء النيل فى الديوان نفسه :

شكا بؤسه الفلاح للنيل وافيا
وهذا هدير النيل قد ردد الشكوى
فعلق على شكواه يا نيل انه
على بث شكواه لغيرك لا يقوى

ويقول أيضا فى وفاء النيل :

رنا فرأى بؤس « فلاحها »
يزيد فقطب ثم اضطرب

ويقول فى الديوان ذاته عن « القطن » :

قد أقر الفلاح عينيك يا مصر
بمجهوده وما قر عينا
بات يمشى الى الفناء حثيثا
وسواه يمشى اليه الهوينا
يتشكى مما يعانى ولكن
أين من يسمع التشكى أين ؟

وفى بين أحضان الطبيعة يقول شاعرنا فى الربيع :

قل يا ربيع لكل مثـ
ـر راتع فى اكثرية
انا قد كسوت لك الريا
ض فهل كسوت لى البرية ؟

ويقول :

قف يا ربيع على البرارى وقفة
مشكورة الا صباح والا مساء
وانظر ضياع المترفين وقل لها
كم من ضياع فيك للفقراء

ويقول :

سل يا ربيع على فلاح مصر أسى
فشيؤه لم يزل فى مصر منجوسا
ما باله يلبس الدنيا سعادتها
ويكتفى هو بالحرمان ملبوسا ؟

ويقول :

اهتف لفلاح البرارى
يا ربيع على جداره
ودع القصور القائمات
على القصور وحى داره

ويقول فى هذا الديوان على لسان « الصفصافة »

لو كان لى شىء لجدت به
لمبتغيه ولا أبغى به بدلا
خزيت من أن أغصانى علت عبثا
يا ليت ما قد علا من أغصنى سفلا

ثم يجيبها قائلا :

صفصافة النيل لا تخزى ولا تهنى
ما الخزى الا لمثر بيننا بخلا
أولى باطراقك الناسون أمتهم
والأغنياء الاولى لم يعملوا عملا

ثم هو بعد ذلك شاعر مؤمن يشيع الايمان الرشيد فى شعره كله ولكنه فى العشر الأخيرة من عمره ، يشتد عليه ما يرى من انصراف الناس عن دينهم وعن قيمه ، ومثله ، وتعاليمه ومبادئه ، ثم يرى من يدخل فى الدين ما ليس فيه أو يدعى صلة به وهى منعدمة لديه ، فكان أن سجل بخط يده ديوان « مع الدين » فى ثلاثة أجزاء ، ورأى أن تطبع بخطه فكان له ما أراد .

وقد جاء فى مقدمة الجزء الثالث من هذا الديوان ..

« .. وبعد .. فهذا هو الجزء الثالث من كتابى « مع الدين » وهو والجزءان السابقان تذكير بالقرآن ليس الا « **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** » و « **الذكرى تنفع المؤمنين** » .

وأكثر ما جاء فى هذا الديوان بأجزائه الثلاثة ، حكمة غالية وعظة بالغة وتجربة عاشها الشاعر فانطلق بها الى الناس ، يحرس عقائدهم وينبه غفلتهم ، فى حدة قاسية يغفرها قصده الكريم ، وقلبه الكبير وغيرته على الحق - وكانت بالغة الدقة - .

وفى ديوانه هذا مزج الشعر بالنثر كما فعل بديوان صدر له فى مطلع حياته الشعرية تحت عنوان - نجوم ورجوم - .

وأعرض لنموذج من هذا الديوان لنستبين قصده ، ولنعرف الى أى شىء كان يدعو ، وكيف كان يقول ..

تحت عنوان « أين أثرك » وبعد قوله تعالى « **ونكتب ما قدموا وآثارهم** » يقول الشاعر :

لم يكفنا منك أنفاس ترددها
فى يقظة اللهو أو فى نومة الكسل
فكن من الناس واركض فى مناكبها
فى جانب العلم أو فى جانب الأمل
او كن من النحل واترك بيننا أثرا
النحل يبنى لنا دنيا من العسل

ثم يعقب قائلا :

وبعد فيأيها الانسان ، أن بطاقتك الشخصية لا تكفى دليلا على وجودك ، فقدم للزمن ما يدل على أنك انتفعت به وانتفع بك واترك فى دنياك أثرا يدل عليك بعدك ، والا كنت كأن لم تكن ، اربأ بنفسك أن تكون من الذين يقول الله فيهم « **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** » .

وآخر ما طبع له ديوانه - مع الطبيعة - وخاتمة قصائد هذا الديوان هى قصيدته « الى البرارى » وفيها يقول :

يا أمى الكبرى أمامك شاعر
صاد وبين يديك نقع صداه
وافاك من طنطا يردد صوته
وتردد الأطيار فيك صداه
وافاك يسعى بين ريحان الهوى
وورده وسيوفه ومداه
يضع الجبين على ثراك مصليا
ودموعه كالزهر أو كنداه
فاذا هموا سالوا فقولى : شاعر
قد جاء يغسل غيه بهداه

يرحمه الله ، ويجزيه الخير على ما قدمت يداه لوطنه من كلمة صدق ، ودعوة حق ، وجزى الله خيرا من يعرف الوفاء لهذا الشاعر فيما ترك من آثار .

الدكتور حسن الباشا

من التراث الاسلامى المجيد
إبريق الخليفة الأموى مروان ابن محمد

ان المسلمين لا يفخرون فقطبما يشتمل عليه تراثهم من ذخائر الفضيلة والمعرفة والأدب ، ولكن أيضا بما يحتويه من كنوز فنية تعتبر من أسمى ما أنتجتهالمواهب الانسانية .

ومن هذه الكنوز تحفة رائعة تعد من أثمن ممتلكات متحف الفن الاسلامى بالقاهـــرة : ونقصد بها ابريق الخليفة الأموى مروان بن محمد (سجل رقم ٩٢٨١) .

والابريق من البرونز ، ويبلغ ارتفاعه ٤١ سموقطره ٢٨ . ويتألف من بدن منتفخ متكور يرتكز فى أسفله على قاعدة مناسبة ، ويخرج من أعلاه رقبة اسطوانية الشكل تنتهى بفوهة مخرمة ، وللابريق مقبض فخم وصنبور جميـــل .

ويتسم الابريق فى حد ذاته بجلال الشكل ، وجمال النسب ، والتناسق التام بين الأجزاء .

وتكسو بدن الابريق زخرفة محفورة وبارزة تتألفمن صف من عقود على هيئةأهلة ، ويرتكز الطرفان المتجاوران

من كل عقدين على شكل مثلث يعتمد بدوره على عمودين متجاورين ، ويزخرف الأهلة أشكال كروية ، ويوجد فى داخل العقود وريدات يحيط بكل منها دائرتان متداخلتان يحصر محيطاهما فيما بينهما أشكالا رباعية داخلها حبيبات صغيرة ، ويوجد فى أسفل الوريدات — بين كل عمودين وفى أعلى العقود — زخارف نباتية تملأ ظاهر البدن الكروى .

كما يكسو رقبة الابريق أيضا رسوم محفورة تتألف من دوائر ووريدات صغيرة متماسة ، ويفصل الرقبة عن الفوهة شريطان من الحبيبات الكروية ربما تمثل حبات اللؤلؤ ، ويحصر الشريطان فيما بينهما زخارف هندسية بارزة .

ومما يلفت النظر فى هذا الابريق صنبوره المشكل على هيئة ديك يصيح وقد نفش ريشه ، ورفع ذيله ، ومط رقبته ، وفرد عرفه . وعلى الرغم من الاسلوب الزخرفى الذى صور به جسم الديك وريشه وسائر أعضائه فان المنظر العام يتسم بقوة التعبير ، ويفيض بالحيوية ، واظهار الحركة . بل انه من فرط تعبيره يكاد يوهمنا بأننا نوشك أن نسمع صوته .

ولا يقل مقبض الابريق فى جماله عن صنبوره . ويخرج المقبض من بدن الابريق على هيئة زخارف نباتية ومتصلا بصورة كائنين حيين ، ويمتد الى أعلى موازيا للرقبة ، ثم يستدير حتى يتصل ثانية بجسمه نفسه ، ويخرج من أعلى دائرة المقبض حلية على هيئة ورقة نباتية محورة من أوراق الاكانتس أو شوكة اليهود تنضم أطرافها كأنها أصابع اليد كانت من غير شك قاعدة مشبك غطاء الابريق .

ويزين المقبض فى الجانبين صفان من الحبيبات تشبه حبيبات الرقبة ، ويمتد بين الصفين أفرع نباتية متموجة تخرج منها أوراق شجر ذات شكل زخرفى .

ويمس المقبض عند التوائه فوهة الابريق : وهذه تتألف من أفرع وأوراق نباتية تتمثل بطريقة التخريم .

وفضلا عن القيمة الجمالية التى يمتاز بها الابريق ، والتى تضعه فى المرتبة الأولى بالنسبة للتحف البرونزية فان له أيضا أهمية فنية أثرية تزيد من قيمته : ذلك انه يمثل مرحلة من أهم مراحل الفن العربى الاسلامى : وهى مرحلة نشأته فى العصر الأموى ، كما يشهد على المستوى الرفيع الذى بلغه الفن العربى والصناعة العربية الاسلامية منذ البداية .

ومن جهة أخرى ينهض هذا الابريق دليلا قويا على السماحة التى صارت من سجايا العرب بفضل تفهمهم لمبادىء الاسلام التى تحض على المحافظة على النافع ، والاستفادة بتجارب الأمم والشعوب مهما بعدت أزمانها وأقطارها ، ومهما اختلفت تقاليدها وأديانها ، وذلك عملا بالحكمة الاسلامية الخالدة : « اطلبوا العلم ولو فى الصين » اذ يتمثل فى هذا الابريق ابقاء المسلمين على التقاليد الفنية والصناعية النافعة للأمم السابقة : **ذلك أن هذا الابريق تربطه — من حيث أسلوب الصناعة والزخرفة — وشائج متينة بفنون الفرس الساسانيين من جهة وفنون الشرق الأدنى من جهة أخرى .**

ولقد حافظ المسلمون على هذه التقاليد الفنية الصالحة ، وارتقوا بها ، وطوروها نحو الكمال ، وصبغوها بطابعهم بحيث صارت ذات طراز اسلامى بحت ، وأصبحت تراثا اسلاميا نهلت منه الأمم على اختلاف أجناسها وأقطارها وأديانها .

ولم يكن ابريق مروان نسيج وحده : اذ شاع فى العصر الأموى صناعة هذا النوع من التحف البرونزية التى نهجت فى أسلوبها نفس الأسلوب القديم حتى صار من المتعذر على علماء الآثار والفنون أن يفرقوا بين ما صنع منها قبل ظهور الاسلام وبعده اعتمادا على الاسلوب وحده ودون استخدام قرائن أخرى .

والحق أن ابريق مروان ذو صلة وثيقة بفرائض الاسلام التى تتعلق باستعمال الماء ولا سيما الوضوء . وربما كان صنبوره الذى صور على هيئة ديك يصيح والذى يصب منه الماء للوضوء قد قصد منه أن يرمز الى آذان الصبح حينما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، وينبثق نور النهار من ظلام الليل ، وعندئذ يقوم المسلمون من نومهم ، ويشرعون فى الوضوء تهيؤا للصلاة ، والوقوف بين يدى الله الذى يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، ويخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ويرزق من يشاء بغير حساب . وفى ذلك الوقت يسمع صياح الديكة .

وأخيرا فان ظروف اكتشاف هذا الابريق تضيف الى قيمته أهمية تاريخية : ذلك أنه عثر عليه أثناء بعض الحفائر الأثرية فى « أبو صير الملق » فى أنقاض مقبرة يقال انها كانت مدفن الخليفة الأموى : مروان بن محمد ، كما أنه بلغ من الابداع الفنى والجلال بحيث صار جديرا بأن يمتلكه الخلفاء . واذ أضفنا الى ذلك كله أنه يرجع — بحسب أسلوبه وطرازه — الى العصر الأموى جاز لنا أن نساير العلماء الذين نسبوه الى آخر خلفاء بنى أمية ، وأطلقوا عليه لذلك اسم « ابريق مروان بن محمد » ، وجاز لنا أن نتصور أنه قد صحب هذا الخليفة فى نهايته الأليمة فى « أبو صير » .

وبناء على ذلك فان فى هذا الابريق الثمين تتجسد حقبة مهمة من حقب التاريخ الاسلامى شهدت انتهاء خلافة بنى أمية ، وقيام خلافة بنى العباس ، وهو فى الوقت نفسه أثر مادى ملموس ينسب الى مروان بن محمد : آخر خلفاء بنى أمية فى شرق العالم الاسلامى ، ويذكرنا بالنهاية الأليمة التى انتهى اليها هذا الخليفة المكافح ، والتى صحبتها نهاية الدولة الأموية ذاتها .

والحق أن هذا الابريق يبعث أمام أعيننا صورا حية لأحداث مهمة فيها عظة وعبرة .

لقد ساءت الأمور فى أواخر العصر الأموى بسبب الفتن والخلافات المذهبية والعنصرية وفساد الحكم . ولله در الحارث بن عبد الله بن الحشرج الجعدى الذى وصف الفوضى التى انتابت الدولة الأموية حين يقول :

أبيت أرعى النجوم مرتفقـا
اذا استقلت تجرى أوائلها
من فتنة أصبحت مجللة
قد عم أهل الصلاة شاملها
من بخراسان والعراق ومن
بالشام كل شجاه شاغلها
فالناس منها فى لون مظلمة
دهماء ملتجة غياطلها
يمسى السفيه الذى يعنف بالجهـ
ـل سواء فيها وعاقلها
والناس فى كربة يكاد لها
تنبذ أولادها حواملها
يغدون منها فى كل مبهمة
عمياء تمنى لها غوائلها
لا ينظر الناس فى عواقبها
الا التى لا يبين قائلها
كرغوة البكر أو كصيحة حبـ
ـلى طرقت حولها قوابلها
فجاء فينا أزرى بوجهته
فيها خطوب حمر زلازلها

ولقد وصلت الحال غاية التدهور فى عهد مروان بن محمد (١٢٧ – ١٣٢) ، وبذل هذا الخليفة – فى سبيل الاصلاح ، وانقاذ الموقف – مجهودا كبيرا استحق من أجله لقب « الحمار » الذى أطلق عليه اشادة بصبره ومثابرته وجلده فى محاربة أعدائه ، وذلك حسب المثل « أصبر من حمار » و « حمار الحرب لا يهرب » ، ولو أن بعض العلماء يرجع هذا اللقب الى « سنة الحمار » التى تطلق على آخر سنة من كل مائة عام تاريخى ، وكان ملك بنى أمية قد مضى عليه مائة عام عند حكم مروان .

وأيا كان سبب تلقيب مروان بهذا اللقب فان هذا الخليفة قد كافح بصبر فى سبيل القضاء على الخلافات بين أنصار الأمويين من العرب ، وفى سبيل افساد خطط مناوئيه من الخوارج والشيعة والعباسيين والموالى – ولكن دون جدوى .

وكان الخطر الاكبر الذى يهدد بنى أمية يكمن فى خراسان حيث قام بالدعوة للعباسيين قائد داهية من الموالى هو أبو مسلم الخراسانى . وقد رسم أبو مسلم خطته على أساس أن يوقع بين عرب خراسان أولا ، ثم يقضى عليهم فئة بعد أخرى ويقال ان ابراهيم بن محمد ابن على امام العباسيين نصح أبا مسلم بقوله « ان استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل » .

وأحس عبد الحميد كاتب مروان بن محمد بهذا الخطر فنصح فرق العرب بقوله : « فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية من يد الفئة الأعجمية ، واثبتوا ريثما تنجلى هذه الغمرة ونصحوا من هذه السكرة ، فينضب السيل ، وتمحى آية الليل ، والله مع الصابرين ، والعاقبة للمتقين » .

غير أنه سرعان ما ظهر أصحاب الرايات السود من العباسيين وأنصارهم من الموالى الفرس وأعلنوا دعوتهم فى رمضان سنة ١٢٩ هـ منتهزين استفحال الخلاف بين أنصار الأمويين من عرب خراسان . وبعد أن استطاع أبو مسلم بدهائه أن يوقع بين العرب فى خراسان تصدى لعسكر مروان بن محمد تحت قيادة نصر بن سيار وهزمهم . ثم أخذ العباسيون يتقدمون نحو الكوفة يسوقون أمامهم فلول الأمويين .

ودخلت جيوش أبى مسلم الكوفة فى المحرم سنة ١٣٢هـ ، وسلموا الامر لأبى سلمة الخلال : القائم بدعوة العباسيين بالكوفة .

وفى تلك الأثناء كان مروان بن محمد قد قبض على الامام العباسى ابراهيم بن محمد وحبسه فى حران الى أن مات بعد أن أوصى بالخلافة الى أخيه أبى العباس عبد الله بن محمد . ومما قيل فى رثائه :

قد كنت أحسبنى جلدا فضعضعنى
قبر بحران فيه عصمة الدين
فيه الامام وخير الناس كلهم
بين الصفائح والأحجار والطين
فيه الامام الذى عمت مصيبته
وعيلت كل ذى مال ومسكين
فلا عفا الله عن مروان مظلمة
لكن عفا الله عمن قال آمين

وبايع العباسيون أبا العباس الذى خطب فى ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ خطبته المشهورة التى نعت فيها نفسه « بالسفاح » أى المعطاء أو كثير العطاء وقد قال فيها مخاطبا أهل الكوفة :

« يا أهل الكوفة : أنتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا . انتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى ادركتم زمننا ، وأتاكم الله بدولتنا . فانتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا . وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فانا السفاح المبيح ، والثائر المنيح » .

وحينئذ أسقط فى يد مروان بن محمد ، لا سيما وأن نار الفتن اشتعلت أيضا فى الشام والحجاز ، غير أنه تصدى للعباسيين فى الجزيرة ، وتحصن أحد أعوانه : على بن هبيرة بواسط . وبعث السفاح بعمه عبد الله بن على ومعه قوة التقت بمروان بن محمد على نهر الزاب الأعلى . أحد روافد نهر دجلة فى جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ ، فانهزم مروان وتفرق عنه عسكره .

وفر مروان مؤملا أن يجد مخرجا من ورطته . ودخل حران حيث مات الامام العباسى ابراهيم بن محمد ، ومنها الى قنسرين وعبد الله بن على يتبعه ، ثم حمص ، ثم دمشق ، ومر بالأردن وفلسطين ، ومضى حتى دخل مصر ، وأتى الفسطاط ، ومنها خرج الى « أبو صير » .

ويسترعى نظرنا أثناء انهزام مروان صورة من صور الوفاء الصادق بطلها عبد الحميد الكاتب : ذلك أن مروان حين أحس بقرب نهايته تراءى له أن يعفى كاتبه من ملازمته ، فقال له : « ان هذا الأمر زائل عنا لا محالة ، وسيضطر اليك بنو العباس لأدبك ، وان اعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم لعلك تنفعنى فى حياتى وبعد مماتى . غير أن عبد الحميد رفض ما عرضه عليه مروان ، وصمم على أن يثبت معه وقال : « ان الذى أمرتنى به أنفع الأمرين لك ، وأقبحهما بى ، ولكن أصبر حتى يفتح الله عليك ، أو أقتل معك » .

وصحب عبد الحميد الكاتب مروان بن محمد أثناء هربه ، ودخل معه مصر وهو شبه واثق من النهاية المرة التى تنتظرهما كما يتضح من رسالة بعث بها الى أهله تعد من غرر الادب العربى جاء فيها :

« أما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالمكاره والسرور ، فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ، ومن عضته بنابها ذمها ساخطا عليها ، وشكاها مستزيدا لها . وقد كانت اذاقتنا أفاويق استحليناها ، ثم جمحت بنا نافرة ، ورمحتنا مولية ، فملح عذبها ، وخشن لينها ، فابعدتنا عن الأوطان ، وفرقتنا عن الاخوان ، فالدار نازحة ، والطير بارحة . وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعدا واليكم وجدا ، فان تتم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار ، والذل شر جار . وأسأل الله الذى يعز من يشاء ، ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة فى دار آمنة تجمع سلامة الأبدان والأديان فانه رب العالمين ، وهو أرحم الراحمين . وانا لله وانا اليه راجعون » .

وبعث عبد الله بن على – بناء على كتاب من الخليفة العباسى أبى العباس السفاح – بصالح بن على فى ملاحقة مروان بن محمد ، فدخل مصر ثم مضى الى « أبو صير » حيث قتل مروان فى ٢٧ الحجة سنة ١٣٢ هـ كما قتل كاتبه عبد الحميد ، ويقال ان هرة أكلت لسان الخليفة الأموى . وبذلك ختمت حياة آخر خلفاء بنى أمية فى الشرق الاسلامى .

ودفن مروان فى مقبرة فى « ابو صير » يقال انها هى التى عثر فى أنقاضها على الابريق البرونزى الذى ينسب اليه .

المرأة المسلمة

مع حرم سفير اتحاد ماليزيا بالقاهرة

السيدة ناجحة تنكوبسار برهان الدين

اعداد : نجاة أحمد الزنيرى

كنت على موعد مع سفير اتحاد ماليزيا بالقاهرة .. وكان الحديث بيننا عن الاسلام والمسلمين فى ماليزيا .. وبعد انتهاء المقابلة تمكنت من الالتقاء بالسيدة حرمه لاستكمال الحديث عن المرأة فى اتحاد ماليزيا . والسيدة ناجحة على جانب كبير من الذكاء والثقافة .. وهى أم لستة أبناء ثلاث بنات وثلاثة ذكور .. الابنة الكبرى التحقت بالجامعة الأمريكية بالقاهرة والثانية بمدرسة بور سعيد بالزمالك .. والولدان الكبيران يدرسان بانجلترا . والولد والبنت الصغيران بروضة أطفال مدرسة سامى بمصر الجديدة ..

والسيدة ناجحة تتلقى دروسا خاصة فى اللغة العربية .. وتواظب على قراءة القرآن الكريم يوميا .. كما تؤدى فريضة الصلاة والصوم بروح ملؤها التقوى والايمان العميق .

زارت دولا كثيرة مع زوجها السفير .. عندما كان سكرتيرا أولا لسفارة اتحاد الملايو هناك . وزارت انجلترا عندما كان نائبا للمندوب السامى الملايوى هناك .

وتقول : « لقد خرجت من زياراتى الكثيرة بخبرات واسعة فى طريقة الحياة فى كل من انجلترا وأمريكا ».. وتعلمت فن (الاتيكيت) فى انجلترا .. ودرست اللغة الفرنسية . وفى عام ١٩٥٨ انضمت للنشاط الاجتماعى فى الملايو كعضو فى الجمعيات النسائية .. ومثلت الملايو فى اجتماعات الجمعية الدولية للمرأة .

والسيدة ناجحة تقسم أوقات فراغها بين المطبخ حيث تهوى اعداد الطعام ، وبين الكتب حيث تحب القراءة .. وفى الملعب حيث رياضة التنس المفضلة ..

القاهرة بلد تاريخى

وتقول السيدة ناجحة : هذه أول مرة أرى فيها القاهرة .. وعندما جئت من لندن حيث المطر والجليد الى القاهرة .. وجدت هنا الشمس ساطعة والجو معتدلا والدفء فى كل مكان فرحت جدا .. وشعرت كأننى عدت الى بلادى ماليزيا .. ولم أشعر بالغربة على الاطلاق وارتحت جدا للروح الطيبة الموجودة عند المصريين ..

والقاهرة بلد سياحى جميل فيها آثار تاريخية كثيرة كالأهرام وأبى الهول والقلعة والمتاحف وقد استمتعت بمشاهدة كل هذه الآثار .. فالقاهرة بلد لها قيمتها التاريخية العظيمة .

وسألت حرم السفير عن رأيها فى المرأة المصرية فقالت :

انا لم أتعرف على الكثيرات .. ولكن من المجموعة التى تعرفت بها وجدت أن المرأة المصرية متقدمة جدا .. ومثقفة .. ولها نشاط اجتماعى كبير .. وهى مكافحة .. صبور .

الصفات الواجب توافرها فى زوجة الدبلوماسى :

وسألت السيدة ناجحة عن الشروط الواجب توافرها فى زوجة الدبلوماسى لتكون زوجة ناجحة ؟ فقالت : أن تكون مضيفة ناجحة فى البيت وأن توفر الظروف المناسبة للحياة الاجتماعية والدبلوماسية وحياة زوجها .. وأن تكون ذات شخصية اجتماعية نشيطة . وأن تكون ذكية الى حد ما ..

واستطردت ضاحكة : ولكن يجب أن لا تكون ذكية جدا والا تحولت الى سفيرة .. وان كانت هذه أمنية .. أليس كذلك !..

المرأة المسلمة فى ماليزيا :

وتحدثت عن المرأة المسلمة فى ماليزيا فقالت : انها تتقدم ببطء . فالمرأة المسلمة ليست أغنى فئة .. معظمهن يعتمدن على الحكومة فى منحهن فرصة التعليم العالى كالبعثات الخارجية . وقليلات منهن يعملن فى الوظائف العامة كالطب والمحاماة والنشاط السياسى .

فالسيدة (عائشة جانى) تعتبر المرأة الوحيدة فى مجلس الشيوخ فى اتحاد ماليزيا . والسيدة (فاطمة هاشم) عضو فى برلمان اتحاد ماليزيا .. والسيدة (ايبوزين) رائدة من رواد النشاط الاجتماعى والثقافى للمرأة ..

ولكن فى الوقت الحاضر انضم عدد كبير من النساء الى الوظائف الحكومية .. ومن أسباب بطء التقدم ان بعض الآباء كانت تسيطر عليهم الأفكار الرجعية القديمة

السيد / سفير اتحاد ماليزيا بالقاهرة بين السيدة حرمه وأولاده

.. فحرموا فتياتهم المسلمات من التعليم والعمل والاختلاط بتوسع ..

ولكن الحضارة الحديثة دفعتهن الى المقاومة والتغلب على هذه المشكلة وتمكن من الالتحاق بركب التطور بالعلم والعمل ..

لا وجود للحجاب عندنا :

والمرأة عندنا ليست محجبة .. ولم تعرف الحجاب من قبل .. وهى الآن جنبا الى جنب مع الرجل بعكس ما كانت عليه فى الماضى البعيد .. والتحقت بالمعاهد العليا والجامعات .. والتقدم مستمر ..

الجمعيات النسائية :

وتوجد جمعيات نسائية كثيرة جدا لها نشاط اجتماعى وثقافى للنهوض بالمرأة فى شتى نواحى الحياة .. وقد انشىء فى العام الماضى المجلس النسائى لاعداد المرأة للمجتمع اعدادا صالحا ومن ناحية النشاط النسائى السياسى يوجد حزب « قوم ابو » وقوم معناها طائفة او جماعة وابو معناها الأم .. أى (طائفة الأم) . وحزب آخر يسمى (حزب امتو) .

فالمرأة المسلمة فى ماليزيا لها دور كبير فى النشاط السياسى .. عن طريق هذه الجمعيات .

الأعياد الدينية :

وتهتم ماليزيا بالأعياد الدينية . .وتقيم المهرجانات الشعبية فى الميادين الكبرى التى تمتـد أياما .. وتستقبل ليلة الاسراء والمعراج بحفاوة كبيرة وتحظى بنصيب أكبر من المهرجانات .. كذلك يوم المولد النبوى .. وفى عيد الفطر ، وعيد الأضحى تتزاور العائلات وتتبادل الهدايا .. وفى شهر رمضان الكريم تقـام المسابقات الدينية وتمنح الجوائز لمن يستطيع قراءة القرآن الكريم .. ومن خلال هذه الاحتفالات الدينية يتولى علماء الدين القاء المحاضرات الدينيـة بالشرح والتفسير فى كل مناسبة دينية حسب موضوعها .

العروس تقرأ القرآن فى حفل زواجها :

وعند الزواج تقام حفلات كبيرة جدا تمتد لعدة أيام عند الأسر الفنية .. وفى الأوساط الملكية تمتد الحفلات الى أسبوعين أو أكثر .. وتقام حفلات خاصة تقرأ فيها العروس القرآن الكريم ويعتبر هذا أهم شىء يجب أن تجتازه العروس فى حفل زواجها .

الزى الوطنى :

والزى الوطنى يشبه السارى الهنـدى .. ويسمى (واكبايا) وهو يغطى كل الجسم ومن فوقه يوضـع (شال) يلتف حول الكتفين . وهذا الثوب له ألوان جميلة زاهية ..

الطعام المفضل :

أفضل الأطعمة فى ماليزيا هو (الأرز بالكارى) .. ويليه بعض الأكلات الشعبية المفضلة مثل (ريدالنج — وسمبال — ساتير) وهى أنواع من الكباب ..

واختتمت السيدة ناجحة حرم سفير ماليزيا بالقاهرة حديثها معى بتمنياتها الطيبة للمرأة المسلمة فى كل مكان من العالم .

أنت تسأل؟ .. والمفتى يجيب!

فضيلة الشيخ حسن مأمون

السؤال الاول

من السيد/ صديق محمد شحاتة حلو - يسأل عن نصيب الزوج فى تركة زوجته المتوفاه التى لم تنجب بنين وبنات مع العلم بان امها على قيد الحياة كما ان لها ثلاثة اخوة ذكور واختا واحدة وما نصيب كل من أمها واخوتها الذكور الثلاثة واختها .

الجواب

لزوج المتوفاة فى تركتها النصف فرضا لعدم وجود فرع وارث للمتوفاة ولامها سدس تركتها فرضا لوجود عدد من الاخوة والاخوات والباقى بعد النصف والسدس لاخوة المتوفاة الذكور ولاختها الانثى تعصيبا للذكر مثل حظ الانثيين وذلك اذا كانوا جميعا اشقاء أو لاب . واذا كان بعضهم شقيقا وبعضهم لاب حجب الشقيق الاخوة من الاب واذا كانوا جميعا اخوة من الام كان نصيبهم ثلث التركة يقسم بالسوية بينهم لا فرق فى ذلك بين الذكر والانثى منهم .

السؤال الثانى

من السيد/ محمد المتولى بدير - يقول السائل : ان الامتحان يجىء خلال الثلث الاول من شهر رمضان فهل يجوز لى استنادا على هذا وقياسا على الاعذار الاخرى أن أفطر فى هذه الايام العشرة على أن أعيدها بعد رمضان نظرا لان المذاكرة فى أيام الامتحان واداء الامتحان تتطلب مجهودا فوق العادة .

الجواب

الامتحان لا يعتبر عذرا مبيحا للفطر فى ايام رمضان لانه من الاعمال التى لا يؤثر فيها الصيام تأثيرا يمنع الطالب من آدائه أو من مذاكرة دروسه واذا فرض أن الصيام يضعف احد الطلبة ويمنعه فعلا من اداء الامتحان لضعف صحته او لاى سبب آخر وأشار عليه الطبيب الصادق بالافطار فانه يأخذ فى هذه الحالة حكم المريض المرخص له بالفطر على ان يقضى بعد رمضان الايام التى افطرها فيه والله اعلم .

السؤال الثالث

من السيد/ أمين الدكر من نزلة حسين على مركز المنيا ..

يقول السائل : ان رجلا توفى وترك زوجته وبنتين وأختا شقيقة وولدى ابن اخ شقيق فمن يرث ومن لايرث وما نصيب كل من الوارثين .

الجواب

لزوجة المتوفى فى تركته الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ولبنتيه الثلثان فرضا بالسوية بينهما وباقى التركة بعد الثمن والثلثين لأخت المتوفى الشقيقة - تعصيبا مع البنتين ولا شىء لولدى ابن الاخ الشقيق ذكورا أو اناثا لان الذكر محجوب بالاخت الشقيقة التى صارت عصبة مع البنتين وأخذت حكم الاخ الشقيق واما الاناث منهن فلا ميراث لهن لانهن من ذوى الارحام المؤخرين فى الارث عن اصحاب الفروض والعصبات .

السؤال الرابع

من السيد/ احمد عزب بالمعهد العالى التجارى باسيوط - يقول السائل : ان سؤالى يهم كل شاب يتمسك بدينه فهل سماع الأغانى من المذياع حرام أم حلال فاذا كان حراما فماذا اعمل مع زملائى الذين اسكن معهم فانهم يفتحون الراديو بالاغانى وبالعكس فى القرآن كما أنهم يرددونها بالسنتهم دائما انا فى حيرة وأسأل أيضا عن دخول السينما للترفيه .

الجواب

سماع الاغانى من المذياع جائز أخذا بمن أجاز سماع الموسيقى والاغانى من الفقهاء المجتهدين لدلالة التى ساقوها فى ذلك ولا فرق بين الاغانى الوطنية وغيرها ما لم يترتب على سماع الاغانى فتنة أو اعراض عن واجب أو اخلال بالاداب ونصيحتى للسائل ان يوثق علاقاته بزملائه الذين يساكنهم وان يحملهم بالاقناع والرفق على أن يستمعوا للقرآن الكريم ويمتنعوا أن يقللوا من سماع الأغانى العاطفية وخاصة ما كان فيها ابتذال او اثارة للغرائز ولعله يظفر فى النهاية باقناعهم وصلاح حالهم اما دخول السينما للترفيه فلا شىء فيه بشرط ان يتحاشى جهده مشاهدة الافلام المثيرة الملوثة بالرقصات الخليعة المستهترة فليس فى مشاهدة هذه الافلام فائدة ترفيهية أو غيرها .

السؤال الخامس

من السيد/ أحمد أحمد الفقى من طنطا - يقول السائل : ان رجلا وامرأة تزوجا منذ ثلاثين عاما ولم ينجبا وكل منهما بلغ من السن الثمانين ولحدث طرأ فجأة طلاق مكمل للثلاث لا تحل له بعده حتى تنكح وزجا غيره طلق الزوج زوجته ثلاثا وحرر قسيمة الطلاق على انه ويسأل السائل هل يصح فى هذه الحالة اذا تزوجت غيره أن تشترط فى عقد الزواج ان تكون العصمة بيدها او ان ذلك غير جائز مع العلم بان الزوج موسر والزوجة فقيرة وهو يريد ان يسترها بعد وفاته حتى يلقى الله وهو راض عنه .

الجواب

ان المطلقة طلاقا مكملا للثلاث لا تحل لمطلقها الا اذا تزوجت غيره وعاشرها معاشرة الازواج ثم طلقت منه او مات عنها وبعد انقضاء عدتها من الطلاق أو الموت يحل لها أن تعود لمطلقها الاول بعقد زواج ومهر جديدين وقد انعقد الاجماع على هذا الحكم ودليله من الكتاب والسنة واختلف العلماء فيمن تزوج امرأة بقصد تحليلها لمطلقها هل يكون زواجه صحيحا يحل له معاشرتها أم - لا - علماء الحنيفة يقولون انه يكره الزواج من المطلقة طلقة ثالثة بشرط تحليلها لمطلقها كأن يقول : تزوجتك على أن احللك لمطلقك للحديث الصحيح المروى عن النبى - صلى الله عليه وسلم . «لعن الله المحلل والمحلل له» والزواج عندهم فى هذه الحالة زواج صحيح لبطلان شرط التحليل ولذلك تحل للزوج الاول ولا يجبر الزوج الثانى على تطليقها كما حققه الكمال بن الهمام فى فتح القدير وهو ما ذهب اليه الامام ابو حنيفة وخالف فى ذلك الامام ابو يوسف وقال ان الزواج بشرط التحليل زواج غير صحيح ولا تحل الزوجة لزوجها الاول لانه فى معنى

المؤقت وذهب الامام محمد الى انه زواج صحيح ولكنه لا يحلها للزوج الاول لانه استعجل ما أخره الشرع واذا اضمرت المطلقة ثلاثا وزوجها الثانى هــذا الشرط فى نفسيهما ولم يصرحا به فان الزواج يكون صحيحا بدون كراهة ويكون الزوج فى هذه الحالة مأجورا اذا قصد من الزواج ايضا اصلاح ما بين الزوج الاول ومطلقته وعودتها اليه والى اولادها منه ان كان لها اولاد اما من تزوج لا بقصد الاصلاح بل لمجرد قضاء الشهوة فانه يكون آثما وهذا يصرف فيمن نصب نفسه لهذه المهمة واشتهر بها وهو ملعون ينطبق عليه نص الحديث السابق ذكره والزواج الثانى ياخذ حكم كل زواج صحيح فاذا شرطت الزوجة لنفسها فى عقد الزواج ان تكون العصمة فى يدها صح هذا الشرط ويجوز لها ان تطلق نفسها متى شاءت وتكون فى هذهالحالة نائبة عنالزوج فى التطليق .

السؤال السادس

من السيد حسن عفيفى ابراهيم ٦ شـــارع بستان ريدان بالقاهرة .

يقول السائل : انه أراد التزوج من بنت خاله لكنه علم أن والدة السائل أرضعت طفلا لخاله وان هــذا الطفل رضع مع أخت السائل تكبره بعامين وهذا الطفل ايضا أكبر فى السن من اخته بنت خال السائل التى يريد الزواج منهــا وقد توفى ابن خال السائل الذى رضع من والدته كما توفيت اخت السائل التى رضــع معها . ويسأل بقوله هل يصح لى شرعا أن أتزوج من هذه الفتاة أو من أى فتاة أخرى من بنات خاله مع العلم بان زوجة خاله لم ترضع أى طفل من اطفال والدتى كما يسأل ايضا عمــا اذا كان يصح لأولاد خاله البنين أن يتزوجوا من يتزوجوا من اخوات السائل البنات .

الجواب

انه يظهر من سؤال السائل انه لم يرضع من زوجة خاله وان جميع أولاد خاله لم يرضعوا من والدته فاذا صحت هذه المعلومات جاز له أن يتزوج من بنت خاله التى وقع اختياره عليها أو من أية فتاة أخرى من بنات خاله كما انه يجوز لأبناء خاله الذكور أن يتزوج أى واحد منهم من احدى أخوات السائل البنات لعدم وجود حرمة رضاع بينهم ـ ورضاع ابن خاله من والدته يحرم عليه الزواج من احدى اخوات السائل وبوفاته لم يبق محل لهذا الحكم ولا تاثير له بالنسبة لأخوة الطفــل المذكور أو أخواته .

السؤال السابع

من السيد على محمد حسن الباحث القانونى بوزارة الداخلية ..

يقول السائل ان امراة توفيت عن اولاد أخ شقيق هم ذكران وانثى وعن أولاد أخت شقيقة ذكر وأنثى وعن أولاد أخت شقيقة أخرى أربع من الاناث وليس لها أقارب سوى من ذكروا ويطلب الافادة عن الأنصبة الشرعية التى توزع على هؤلاء الأقارب ومقدارها .

الجواب

ان الذى يرث هذه المتوفاة ابنا أخيها الشقيق بالسوية بينهما تعصيبا ولا شىء من الارث لكل من بنت أخيهــا الشقيق وأولاد أختيها الشقيقتين الذكور والاناث لأنهم جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين بالارث عن أصــحاب الفروض والعصبات .

السؤال الثامن

من السيد المواطن ابراهيم محمد الراعى تاجــــر بالاسماعيلية :

نرجو الاجابة على هذين السؤالين بصفحة انت تسأل والمفتى يجيب بمجلة منبر الاسلام :

١ ـ هل المرأة مساوية للرجل ؟

٢ ـ هل كلمة القانتين فى قوله تعالى « ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنــا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » تجعل المرأة مساوية للرجل فى التعبير عنها .

الجواب

ان الشريعة الاسلامية سوت بين الرجل والمرأة فى جميع التكاليف ففرضت الصلاة المكتوبة على المرأة كما فرضتها على الرجل ولم تفرق فى سنن الصلاة بينهما أيضا والأحكام التى خالفت فيها المرأة الرجل كالأمانة وستر الجسم فى الصلاة وغيرها روعى فيها مصلحتهــا وصيانتها والبعد بها عن كل ما يثير الرجل أو يفتنه وليس فى ذلك انتقــاص لها كما أن الشريعة راعت التخفيف عليها باسقاط الصلاة المفروضة عنهــا مدة الحيض والنفاس لحاجتها فى هــذه الأيام للراحة ولم تفرض عليها اعادة هذه الصلوات بعد الحيض والنفاس دفعا للحرج عنها كما أنها حرمت على الحائض والنفساء صوم شهررمضان أيام الحيض والنفاس معوجوب القضاء عليها لعدم مشقة القضاء عليها لأنه شهر واحد فى السنة كلها وقد صح عن معاذة انها قالت سألت عائشة ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة قالت كان يصيبنا ذلك مع رسول الله ـ صلى الله عليــه وسلم ـ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة .

وسوت الشريعة أيضا بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات فكما أوصت على الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف اوجبت على الزوجة معاشرة زوجها بالمعروف . قال الله تعــالى « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » وقال تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » والدرجة هى القوامة التى أوجبتهــا الشريعة الاسلامية للزوج على زوجته فى قوله تعالى . « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » وعلى الزوج بموجب هذه القوامة النظر فى مصالح الأسرة وأن يكد ويكدح ليكفل لها العيش الرخى كما أن عليه توجيه زوجته الى ما فيه مصلحة الأسرة لها ولاولادها متخذا فى ذلك سبيلالاقناع والحجة ومساواة المرأة بالرجل فى الشريعة الاسلامية تستند الى أدلة كثيرة ليس منهــا الآية التى ذكرها السائل والتى نزلت بعد ضرب المثل للكافرين ببعض نساء المؤمنين وللمؤمنين ببعض نساء الكافرين وعدم نفع انتماء الفريق الأول من النســاء للمؤمنين وعدم ضرر الفريق الثانى بانتمائه للكافرين قال الله تعالى « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل أدخلا النار مع الداخلين » « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجهــا فنفخنا فيه من روحنا وصدقتبكلمات ربها وكتبهوكانت من القانتين » ـ فقد ناسب بيان ان فريق النســاء المؤمنات أن ينوه القرآن الكريم بفضل سيدة عظيمة فضلى من النساء المؤمنات وهى السيدة مريم أم سيدنا عيسى عليه السلام الطاهرة العفيفة التى نذرت نفسها لعبادة ربها وأكرمها الله فى حياتها ووصفها فى نهاية السورة بانها كانت من القانتين والمراد أنها واحدة من المواظبين على طاعات الله والجمع هنا للرجال والنساء بتغليب الذكور على الاناث وهو ما يقضى به الأسلوب العربى الفصيح فليس فى هــذه الآية اذن دليل على مساواة المرأة بالرجل وهذا لا يمنع من وجود أدلة أخرى على هذه المساواة .

شركة مصر لتجارة السيارات

احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت .. القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية :-

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس واجن — مصانع أوفاش بيل

مصانع سيارات مرسيدس — مصانع موتورات كمنز

مصانع سيارات فولفو — مصانع موجارت بالمجر

مصانع س . أ . ق — ولوكاس — مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا

مصانع جرارات واقيد براون

محطات الخدمة :

• ورشة مرسيدس

١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ - ٧٣٠٢١ - ٧٣٠٠٧

بالقاهرة

• محطة خدمة سيارات نصر

بالقاهرة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت ت ٤٩٧١٠

• ورش فولكس فاجن

٥ شارع النيل بامبابة ت ٢٩٨٢ - ٨٠٠٦٨٢ - ٨٠٩٨٤٩

٤ شارع الادريسى بمنشية البكرى بمصر الجديدة

تليفون ٦٠٤٠٦

٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية

تليفون ٢٥٨٩٦

MERCEDES - BENZ

المجلس
الأعلى
للشئون
الإسلامية

يواصل
إصدار
سلسلة

دراسات
في
الإسلام

وكتب
إسلامية

في ثوبها الجديد

ترقبوها في منتصف شهر ذي الحجة
وفي منتصف كل شهر عربي .

يحررها نخبة ممتازة من
قادة الفكر والأدب في العالم الإسلامي

مع القراء

يحرره حسين السكرى

عزيزى القارىء : فى كل يوم نرى سبقا جديدا فى ميادين الدفع الثورى ونلمس نهضة قوية متكاملة فى عالم الخلق والبناء .. فمنذ أن دقت ساعة العمل والكفاح وشمسنا العربية تشرق كل يوم على جديد .

التفرقة العنصرية :

السيد / نشأت محمد الششتاوى - المحلة الكبرى - غربية :

لا تجزع فالظلم دائما محكوم عليه بالزوال لأن عين السماء لا تغفل ولا تنام واذا كان هناك من يتحدى الرأى العام وينتهك حرمات الانسانية ويمتهن مقدساتها ويتجاهل حقوقها فثق أن يد القدر له بالمرصاد سواء أكان فى جنوب أفريقيا أو فى غيرها ولا بد لليل أن ينجلى ويحل محله النور والاشراق .

الأسير :

السيد / محمد جمعة العدوى - خطيب مسجد المنصورية - أسوان :

قصتك التى كتبتها تحت عنوان « الأسير » تحتاج الى مزيد من دقة التصوير وحسن التمهيد وبراعة السرد القصصى فكاتب القصة لا بد أن يعيش فيها وينفعل بها حتى يمكنه رسم أشخاصها والغوص فى أعماقهم وبهذا يكون انتاجه حيا ناطقا .

أبجدية الحياة :

السيد / على مصيلحى عبد الرازق - امام مسجد الحويطات بالبحر الأحمر :

لاشك أنك أمعنت الفكر وأعملت الخاطر فى هذه القصيدة حيث استطعت أن تصور المراحل التى يمر بها الوليد من المهد الى اللحد فى أبجدية متناسقة من ألفها الى يائها وهذا جهد مشكور ينم عن حبك للبحث والاستقصاء وهذه بعض أبياتك :

أتيت الى الحياة بقول كن
والله أبدع صورتى وبرانى
بنى الرحمن جسمى داخل الر
حم الحصين بدقة وأمان
تجمعت العظام بقدرة
جلت عن الأوصاف والتبيان

بداية :

السيد / محمد عبد الرحمن زنجبارى - مدينة البعوث الاسلامية بالعباسية :

مادمت تهوى نظم الشعر ففى استطاعتك أن تنمى مداركك وتغذى أفكارك بالاطلاع على كثير من الدواوين التى تمكنك من مزاولة هذا النشاط واعتبر ماكتبته بداية طيبة تحتاج الى المتابعة والامعان .

أمل يتحقق :

السيد / عبد الرحيم محمد زقزوق - أبو السمحا بحيرة :

ان الغبطة تملأ قلوبنا جميعا لهذا الاجتماع التاريخى الكبير الذى ضم جميع الملوك والرؤساء فى مؤتمر القمة ونحن معك نبارك ذلك التحالف ونشيد بهذا التآلف ونرجو أن يكون فاتحة الخير والنصر والاقبال وسنشير هنا الى ماسطره يراعك :

نحن العروبة لا تلين قناتنا
نحن الفوارس لا نبدد ملكنا
بتضامن شرع الاله وجوبه
فى محفل سام عظيم ضمنا
نعطى الأمور حقوقها فى مجلس
نأبى عليه بأن تضيع حقوقنا

بريد التعارف

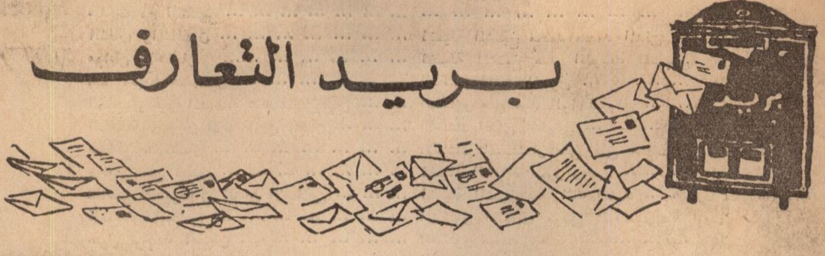

الاسم : شوقى أبو شوشة النحال
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٣ سنة
المهنة : تلميذ بمدرسة عمرو ابن العاص الاعدادية
الهواية : الشعر ، والقصة ، والخطابة ، وجمع طوابع البريد
العنوان : مدينة مساكن عين الصيرة ـ بلوك ١٣٤ مدخل ٣ شقة ٤

الاسم : حلمي محمد السيد راضي
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٥ سنة
المهنة : موظف بهيئة المواصلات السلكية واللاسلكية ـ
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع والصور واقتناء الكتب الدينية
العنوان : هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية بسنترال شبين الكوم

الاسم : زكريا اسماعيل البدوى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : الاطلاع ، والمراسلة وجمع الطوابع ، والصور
العنوان : الشهداء ـ منوفية ـ سلامون بحرى

الاسم : عبد الرازق أحمد عبد السلام
البلد : البحرين
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : مراسلة الشباب العربى ، والاطلاع العلمى والدينى ، وجمع الصور
العنوان : شارع الشيخ عبد الله بن حمد ـ المحرق ـ البحرين

الاسم : محمد الناغوشى
البلد : المغرب الاقصى
السن : ١٥ سنة
المهنة : طالب بالسنة الثالثة الثانوية
الهواية : قراءة كتب الفقه الاسلامى ومراسلة شباب العالم الاسلامى
العنوان : المغرب الاقصى ـ الدار البيضاء

الاسم : عبد الوهاب بن يوسف الزيانى
البلد البحرين
السن : ٢٢ سنة ٠
المهنة : موظف بدائرة الكهرباء
الهواية : قراءة الكتب التاريخية والاجتماعية وتبادل المناظر الطبيعية
العنوان : دائرة الكهرباء ـ ص.ب ٢ البحرين ـ الخليج العربى

اقرأ في هذا العدد :

معالم الطريق		٣
زعماء العالم الاسلامي		٢٢
الحرية أساس الديمقراطية	السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية	٢٤
حديث مع السفير		٢٧
النفاق والمنافقون	فضيلة الشيخ محمد محمد المدني	٢٩
مواطن الاحسان	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي	٣٢
اشتراكيون مسلمون	الدكتور أحمد الحوفي	٣٧
الاناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين	الدكتور علي عبد الواحد وافي	٤٠
الخلافة أو مكان الانسان في الكون	الاستاذ البهي الخولي	٤٣
خواطر مستشار	الاستاذ المستشار علي علي منصور	٤٩
رحلتي الى تونس	فضيلة الشيخ منصور رجب	٥١
عناصر الحيوية في الدين الاسلامي	فضيلة الشيخ عبد الله المشد	٥٨
التراث الاسلامي	الدكتور اسحاق موسى الحسيني	٦٣
حول ترجمة القرآن	الدكتور محمد وصفي	٦٥
شبهتان حول الاشتراكية	الدكتور عبد الغني عوض الراجحي	٦٦
في رحاب القرآن الكريم	الاستاذ عبد العزيز العلي	٧٠
من اعجاز القرآن الكريم	الدكتور حفني شرف	٧٢
حركة الدفاع عن الاسلام	الاستاذ أنور الجندي	٧٦
الصديق خطيبا	الدكتور محمد كامل جمعة	٨٠
القرآن والعلم الحديث	الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفي	٨٢
الشعر العربي في مهرجان الاعياد	الدكتور عبد الرحمن عثمان	٨٤
من دعاة الاصلاح	الاستاذ علي الجمبلاطي	٨٧
دراسات في التاريخ الاسلامي	الاستاذ أحمد ابراهيم الشريف	٩٠
ايمان العلماء	الدكتور أحمد مكي الانصاري	٩٢
دول اسلامية في افريقية	الاستاذ عبده بدوي	٩٥
عبد الناصر صانع السلام	الاستاذ كامل عبد المجيد	٩٧
حديث فتح مكة	الاستاذ ابراهيم علي أبو الخشب	١٠٠
الرق والاسلام	الاستاذ محمد عطية الابراشي	١٠٢
الاسلام والتضامن الاجتماعي في الاسرة	الاستاذ جاد الحق علي	١٠٤
قصة التعارف بين الامامين	الاستاذ حسن الشيخة	١٠٦
المنافقون	الاستاذ أحمد محمد بريري	١٠٨
الاسلام والفن	الدكتور جمال محرز	١١٠
صرخة من اخاء	للشاعر عبد الله شمس الدين	١١٣
انسانية وعدالة	الاستاذ عبد المقصود حبيب	١١٤
الاسلام دين الفطرة	تحقيق قام به : عبد العظيم ملوك	١١٦
القاهر والظافر	الشاعر علي الجندي	١٢٧
من وصايا الرسول	الاستاذ محمد محمد الشرقاوي	١٢٩
من معارك العروبة الخالدة	الاستاذ محمد عبد المنعم العشماوي	١٣١
القرعة في الاسلام	الاستاذ أحمد فتحي بهنسي	١٣٤
من مشكلاتنا اللغوية	الاستاذ منصور نسيم	١٣٦
حياة القلقشندي وعصره	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعي	١٣٨
القاضي اياس	الاستاذ محمد سيد جاد الحق	١٤١
مكانة المرأة في المجتمع الاسلامي	الانسة عائشة حسني	١٤٣
جراح المدينة المقدسة	الاستاذ عبد الله امام	١٤٥
مؤتمر القمة	الشاعر محمد حبيب الله الريسي	١٥١
عروسة من الحلوى « قصة العدد »	الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله	١٥٣
تعلموا يا أسود العرب «شعر»	الشاعر عبد العظيم شحاته	١٥٥
من ذخائر المكتبة الاسلامية	الاستاذ رياض خليفة	١٥٧
من أعلام الاسلام	الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولي	١٦٣
التبشير في افريقيا .. انحدر الى الهاوية	تحقيق قام به حامد المرسي تقي الدين	١٦٦
ندوة الشهر	الاستاذ عبد الرحمن الشربيني	١٦٨
من ادعاءات المستشرقين	الدكتور محمد صلاح الدين مجاور	١٧٠
سلام الاسلام	الاستاذ ابراهيم عوضين	١٧٢
تحويل اسرائيل لمجرى الاردن	الدكتور جمال الدين الرمادي	١٧٥
نور الدين زنكي	الدكتور أحمد شلبي	١٧٧
مفتاح اسلام خالد بن الوليد	الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوي	١٧٩
دية الانسان واجزائه	الاستاذ محمود لطفي عبد الكريم	١٨٠
حول رأي العقاد في المرأة	تحقيق قام به : محمد عبد الموجود وعلي عبد ربه	١٨٢
الذرة بين الحرب والسلام	تحقيق قام به : علي علي عبد الله	١٩٠
أضواء على المسلمين في الهند	الاستاذ محمد بهي الدين سالم	١٩٣
من أجل الوفاء	الاستاذ محمد عبد العزيز حسن عطية	١٩٥
من التراث الاسلامي المجيد	الدكتور حسن الباشا	١٩٩
المرأة المسلمة	الانسة نجاة أحمد الزنيري	٢٠٠
المفتي	فضيلة الشيخ حسن مأمون	٢٠٢
مع القراء	الاستاذ حسين السكري	٢٠٦
بريد التعارف		٢٠٧

المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية
يقدم للعالم ..

دراسات في الميثاق

- اشترك في تحريره
أعلام الأدب والفكر ..
- يتناول الجوانب المختلفة
من الميثاق ..
- كتاب يهم كل مواطن
ولا يستغني عنه عربي ..

يطلب من :
مقر البيع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٧٦ شارع الجمهورية بالقاهرة
دار القلم والمكتبات الشهيرة

مطابع شركة الاعلانات الشرقية